



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
٠٣٢

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
كلية الدعوة وأصول الدين
قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

مقاصد الدعوة إلى الله تعالى في ضوء الصلح النبوي

رسالة علمية مقدمة لنيل درجة العالمية الماجستير

إعداد الطالب:

ديالو محمد بن عبد الله

إشراف:

الدكتور: إبراهيم بن محمد حافظ عبد اللطيف الخليفة

عضو هيئة التدريس في كلية الدعوة وأصول الدين، قسم الدعوة والثقافة الإسلامية

العام الجامعي:

١٤٣٢ - ١٤٣٣ هـ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قال الله تعالى:

﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾

[الأَنْفَال: ٦١].

وقال: ﴿ قُلْ يَتَاهِلَ الْكُتُبِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا

نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ

تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴾

[آل عمران: ٦٤].

المقدمة:

وتشمل على:

✿ الافتتاحية.

✿ أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

✿ الدراسات السابقة.

✿ تساؤلات البحث وحدوده.

✿ خطة البحث.

✿ منهج البحث.

✿ شكر وتقدير.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الافتتاحية

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شَرِّهِ وَأَنْفُسِنَا
وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا

وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١٠١].

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

أما بعد:

فإنَّ كلَّ علمٍ يشرف بمتعلِّقه وما يهدف إليه، وعلمُ الدَّعوة إلى الله من أجلِّ
العلوم وأشرفها وأزكاها وأسماها منزلةً، لتعلِّقها بالله عزَّ وجلَّ، فالدَّعوة تكون إليه،
قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعْتِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ

الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال جلَّ وعلا: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾

[فصلت: ٣٣]. وقال عزَّ في علاه: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُمُ

بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

وهي مهمَّة الأنبياء ووظيفة من أتى بعدهم من العلماء إلى قيام الساعة.

ومما لا شكَّ فيه أنَّ أشرف ما تتَّجه إليه الهمم العالية هو طلب العلم والبحث فيه، إذ

هو طريق من الطَّرُق الموصلة للجنة، وأشرف العلوم ما تعلَّق بخير البرية محمد ﷺ فهو

أشرف الخلق ﷺ، ودراسة سيرته أهم ما شحذت إليه الهمم، وقويت له العزائم، وتسابق إليه طلاب العلم.

ولاشك أن دراسة هدي النبي ﷺ لها أهميتها عند كل مسلم - وبخاصة الداعية إلى الله تعالى -؛ لما تحقّقه له من أهداف سامية من أهمها.

- الاقتداء بالنبي ﷺ، وذلك من خلال معرفة شخصيته وأعماله وغزواته ﷺ، ومعرفة صحابته الكرام الذين جاهدوا معه ونصروه وعزّروه ووقّروه، فنالوا بذلك رضا الرحمن، فثمر تلك المعرفة للداعية، الاقتداء بهم والسير على نهجهم ومنوالهم والاستنارة بطريقهم وهديمهم.

- الداعية إلى الله تعالى يجد في سيرة الرسول ﷺ أساليب الدعوة وأسسها ومقاصدها ومراحلها، ويستشعر عظم الجهود المبذولة لحماية الدعوة، والعقبات والصعوبات التي واجهت الدعوة في تلك المرحلة.

- في علاقة النبي ﷺ بغيره سواء من المسلمين أو غيرهم جوانب مضيئة، توضّح وتبين أن الإسلام دينٌ تسامحٍ وتآلفٍ وتناصحٍ وتصالحٍ، ولم ينتشر بالسيف كما يزعم من لاحظ له في الإسلام، بل كان السيف آخر الحلول مع غير المسلمين.

ومن الأمور العظيمة والجليلة الواضحة في السيرة النبوية، المصالحات والمعاهدات التي قام بها الرسول ﷺ، إذ ذلك من طرق الدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن.

وقد ذكر الصلح ومشتقاته في كثير من آيات الكتاب العزيز، بما يربوا على المائة آية، ومنزلة الصلح عظيمة، فقد أمر الله به وقرنه بالتقوى فلا يقوم به إلا المتقون الراجون رحمة الله، قال تعالى: ﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴾ [الأنفال: ١]. وجعل خيريته مطلقة، فقال تعالى: ﴿ وَالصُّلْحُ خَيْرٌ ﴾ [النساء: ١٢٨].

ورغب فيه المصطفى ﷺ وأن الساعي فيه أفضل من القانت في الصلاة، والصيام

والصّديقة، وبيّن عواقب فساد ذات البين، ووصفه بالحالقة، أي التي تخلق الدّين.
 وإنّ من أهمّ الأحداث التي مرّت بها الأمة الإسلاميّة في صدر الإسلام،
 التّعاش مع غير المسلمين والاحتكاك بهم في مجالات كثيرة، فكان لهؤلاء حقوق
 يجب الوفاء بها، كما عليهم حقوقا يجب الالتزام بها، ولقد أحاط النّبي ﷺ بمفردات
 حقوق غير المسلمين في السّلم والحرب، وضرب في سياسته معهم أروع الأمثال
 بالأقوال والأفعال، وسلك معهم في التعامل أهدى السبيل، فطابت نفوسهم بذلك
 المنهاج المتكامل والهدي الشّامل، إذ ضمّن لهم حقوقهم السياسيّة والاقتصاديّة بل
 والاجتماعيّة، وطبّقها ﷺ معهم عملياً بالرّعاية والعناية، حتى دخل كثيرٌ منهم في
 الإسلام سواء من كان منهم في جاهلية دهماء يعبد أوثاناً ويقرب لها قرابين، أو كان
 في دين سماويّ قد انقضى وقته ونسخت شريعته، كلّ ذلك بالمصالحات والمعاهدات
 السّلمية التي تعود نفعها على الإسلام وأهله.

وقد يظنّ البعض عند الحديث عن الصّحاح والمعاهدات السّلمية أنّ ذلك نقيض
 الجهاد، وهذا عين الخطأ، فالصّحاح شعبةٌ من شعب الإعداد والتّمكن وطريقٌ من
 طرق الدّعوة إلى الله سبحانه، وإقامة عدله في الأرض.

وإنّ الناظر في سير صلح النّبي ﷺ والصّحابة والتّابعين من بعده، يرى أنّ
 الصّحاح قد جلب للمسلمين ما لم يجلبه السّيف، وحسبك في صلح الحديبية الذي
 أنزل الله فيه قرآناً يُتلى إلى يوم القيامة، وقد سمّاه الله بالفتح المبين، فقال عزّ
 وجلّ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ وقد نزلت على رسول الله ﷺ سورة الفتح وهو في
 طريق عودته من الحديبية فقال: (نزلت عليّ البارحة سورةٌ هي أحبّ إليّ من الدّنيا
 وما فيها) ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١].

وروى البخاريّ في صحيحه عن البراء رضي الله عنه قال: «تعدون أنّتم الفتح فتح مكة،

وقد كان فتح مكة فتحاً، ونحن نعدّ الفتح بيعة الرضوان، يوم الحديبية^(١).
 فقد كان هذا الصّٰلِح هو السّبب المباشر في فتح مكّة، وكان فتح مكّة سبباً لدخول
 النّاس في دين الله أفواجاً، نعم هو بحقّ فتحٌ للدّعوة إلى الله، وفتحٌ لغرس العقيدة
 الإسلاميّة في النفوس، وفتحٌ لإيضاح وإبراز القيم السّامية والأخلاق الرّفيعة،
 والانتصار للدين الإسلاميّ، ومع هذه كلّها لم تُرق فيه قطرة دم، فصارت أعظم الفتوح.
 وقد تجلّت في هذه المصالحات والمعاهدات، حكمة الخالق، وحنكة القائد
 الكريم محمد ﷺ في تدبير الأمور وسياستها، بل إنّ كلّ ما حدث وتمّ في صلّٰه ﷺ
 يعدّ دستوراً شاملاً يرجع إليه الدّعاة للاقتباس منه في باب الحكمة والحلم والأناة،
 ويُعدّ النّظر، وضبط النفس أمام الأعداء من المدعويين واستمالتهم إلى الدّين الحنيف،
 والوفاء بالعهد، والحذر والحيطّة، والتّسامح والشّورى بين الرّاعي والرّعية، وما
 أوحى الدّعاة اليوم إلى التّأمّل في هذه المصالحات النّبوية واستلهام العبر والدّروس
 والمقاصد الدعوية المثلى منها.

ولمّا أكرمني الله بالقبول في مرحلة العالميّة ((الماجستير)) وكان من ضروريّات
 إتمام تلك المرحلة بعد السنّة المنهجية، تقديم موضوعٍ للكتابة فيه، طفقتُ أبحث عن
 موضوعٍ مناسبٍ للغرض المذكور، إلى أن منّ الله عليّ ووفّقني إلى موضوع الصّٰلِح
 النّبوي، فاستخرتُ الله تعالى فانشرح صدري، واستشرتُ أهل العلم من مشايخي
 الأجلاء في القسم، فوجدتُ منهم استحساناً وتأييداً، فعزمتُ أمري وتوكّلتُ على
 الله ووسمته بـ (**مقاصد الدّعوة إلى الله تعالى في ضوء الصّٰلِح النّبوي**) والله تعالى أسأل
 أن يمدّني بالعون والتّوفيق والهداية والتّسديد إنّه جوادٌ كريمٌ.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية ٥ / ١٢١.

الدراسات السابقة:

إن السيرة النبوية قد حظيت بكثير من العناية والاهتمام لدى العلماء قديماً وحديثاً، ألفت فيها مؤلفات كثيرة خدمة للسنة، وإبرازاً لجوانب العلاقات السياسية في حياة الرسول ﷺ، ومع ذلك كله بعد رجوع الباحث إلى مراكز البحوث العلمية، كمركز الملك فيصل للبحوث، وكذلك الرسائل الجامعية، كجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، وجامعة أم القرى وغيرهما، تبين عدم وجود رسالة علمية سابقة بهذا العنوان، تطرقت إلى دراسة الصلح النبوي دراسةً علميةً دعويةً وافيةً من ناحية المقاصد الدعوية المستنبطة من تلك الصلح بين النبي ﷺ والمشرّكين وأهل الكتاب. ولكن وُجِدَتْ دراساتٌ ذاتُ صلةٍ بالموضوع، تناولته من جوانبٍ أخرى، منها الجوانب العقديّة والحديثيّة والفقهية، ولكنها لا تغني عن دراسة مفردة لموضوع الرسالة في مجال الدعوة، وتقسيم هذه الدراسات كالاتي:

أولاً: الرسائل العلمية:

أولاً: الصلح والإصلاح في القرآن الكريم. للباحثة. مريم عبد الرحمن علي، وهي رسالة قدّمت إلى قسم الكتاب والسنة بجامعة أم القرى عام ١٤٢١هـ. والباحثة ركزت على الجانب العام للإصلاح الذي هو ضد الفساد، ولم تتطرق في الصلح من الناحية الدعوية وما كان بين الرسول وبين قريش واليهود والنصارى.

ثانياً: الصلح وأثره في إنهاء الخصومات في الفقه الإسلامي، لمحمود محبوب عبد النور. وهي رسالة علمية - ماجستير - تقدّم بها الباحث إلى قسم الفقه في جامعة الأزهر. وعنوان البحث بيّن وواضح أنه في الفقه وفي إنهاء الخصومات، كما ركّز الباحث على جانب القضاء والقضاة ودورهم في إنهاء الخصومات.

ثالثاً: الصلح في الشريعة الإسلامية، للباحث: مجيد الدين كامل، وهي رسالة علمية قدمت إلى قسم الفقه في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام

١٤٠٣ هـ. وهذه الدراسة كما سبق في الفقه. ويتضح ذلك من أبوابها وفصولها وهي تختلف عن دراستنا في منحها ومبناها.

رابعاً: المسائل العقديّة والأديان المستنبطة من غزوة الحديبية، ياسر عبد الرحمن الأحمدى، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم العقيدة والأديان، في كلية الدّعوة وأصول الدّين بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٢٥ هـ.

وتضمّنت الدّراسة أهمّية التّعريف على العقيدة من خلال السّيرة، وكذا مسائل الإيمان والنّبوة في الغزوات وبعض الأحكام الشّرعية كال تبرّك بذات النّبي ﷺ، ومخالطة غير المسلمين لدعوتهم إلى الإسلام.

ويتضح أن السّابقة تركّزت في بيان العقيدة الصّحيحة من خلال صلح الحديبية فقط مع التّطرق لبعض الأديان، وحكم التّعامل مع غير المسلمين، بل هي دراسة مقارنة من حيث المنهج.

ودراستي اعتمدت على الجانب الدّعوي وما يستفاد من الصّالح النّبوي عمومًا في كلّ من الجوانب العقديّة والتّشريعيّة والأخلاقيّة، إلا أنّي قد أفيد من هذه الدّراسة في ما يتعلّق بالمقاصد العقديّة في الدّعوة إلى الله تعالى.

خامساً: مرويات غزوة الحديبية، جمع وتخرّيج ودراسة، للدكتور: حافظ محمد الحكمي. وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم علوم الحديث الشريف بالجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة، عام ١٤٠٣ هـ. وقد قام الباحث - حفظه الله - بدراسة مرويات الغزوة وأسانيدها من كتب السنة والمغازي دراسة فاحصة لبيان ما صح منها وما لم يصح.

فيقول عن منهجه. " قمتُ بجمع المرويّات من مختلف مصادر السّيرة وتقسيم البحث إلى أربعة أبوابٍ، وحصر المرويّات في الثلاثة الأبواب الأولى، والرابع لفقه أهم جوانب المرويّات...".

والدراسة السّابقة دراسة حديثيّة خاصّة بصلح الحديبية فقط، ولم تتطرّق إلى

غيرها من المصالحات النبوية، والدراسة الحالية دعوية استنباطية تحليلية، شملت مصالحات النبي ﷺ مع المشركين في مكة، ومع اليهود في المدينة، ومع النصارى في نجران وأذرح وجرباء وغيرها، إلا أن الأخير سيستفيد من الأوّل من ناحية الحكم على الروايات الواردة في صلح الحديبية فقط.

سادسًا: منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، لسليم عبد الله حجازي، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في قسم الدعوة والإعلام في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض عام ١٤٠٤هـ.

وقد قسّم الباحثُ بحثه إلى ثلاثة أبواب، وتحدّث في الباب الأول عن الإعداد الإعلامي للعمرة، والاستعدادات في ذلك، وفي الباب الثاني، عن المفاوضات والحروب النفسية الحاصلة في ذلك كما ضمّن الباب، الحديث عن الوفود الإعلامية بين الرسول ﷺ وبين قريش قبل كتابة بنود الصلح، وفي الباب الثالث: ذكر النتائج والآثار الإعلامية لصلح الحديبية كالإعلام الشفهي والتحريري، والأثر الإعلامي للغزوات والسرايا الحربية، ثم الدروس الإعلامية المستفادة من صلح الحديبية. ونرى أن الدراسة السابقة، تناولت منهج الإعلام في صلح الحديبية وأهم الجوانب الإعلامية فيه، وما نتج عن ذلك من دروس وعبر ولم تذكر غيرها من المصالحات النبوية.

أما الدّراسة الحالية، فركّزت على المقاصد الدعوية العقديّة والتشريعية والأخلاقية التي تضمّنتها المصالحات النبوية عموماً، ولا تتطرق إلى ما يخص الإعلام في تلك المصالحات كما لا تقتصر على صلح الحديبية فقط.

سابعًا: صلح الحديبية وأبعاده في نشر الإسلام داخل الجزيرة العربية وخارجها. خالد محمد علي يماني، وهو بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي بجامعة أم القرى بمكة المكرمة ١٤٠٦هـ. وترمي هذه الدراسة إلى التعرف على

التّأج المباشرة لصلح الحديبية مع قريش فقط، ونتائجها وأبعادها عمومًا في تاريخ الأمة الإسلاميّة وأثر ذلك في نشر الإسلام خارج الجزيرة، كما تطرقت إلى ذكر السّفراء الذين كانوا بين الرّسول ﷺ وبين قريش أثناء الصلح.

والفرق بين الدراستين بيّن، فالأول: متوجّه في التّاريخ وسرد الأحداث التي تمّت في صلح الحديبية وأبعاد ذلك في العالم. والدّراسة الحاليّة: تُركّز على جانب المقاصد الدعوية المستنبطة من الصلح عمومًا، وطرق الاستفادة منها في العصر الحاضر.

ثاني: دراسات عامة أو تراكمات علمية:

أولاً: عقد الصلح في الشريعة الإسلاميّة. للدكتور: نزيه حماد، وهي دراسة مقتصرة على الصلح بين المتخاصمين في الأموال كما نصّ على ذلك في مقدّمة الكتاب، ولم تتعرض الدراسة إلى الصلح في العهد النبوي بخلاف هذه الدراسة فهو الأساس فيها.

ثانياً: حكم الصلح مع اليهود في ضوء الشريعة الإسلاميّة، تأليف سماحة الشيخ عبد العزيز ابن باز رَحِمَهُ اللهُ، طبع تحت إشراف: رئاسة إدارة البحوث العلمية والإفتاء عام ١٤١٧هـ. وهي إجابة على أسئلة وُجّهت إلى سماحته - رَحِمَهُ اللهُ - من قبل رئيس تحرير مجلّة المسلمون، في شأن مهادنة اليهود ومصالحتهم، وتقع في حدود ثلاثين صحيفة، وقد تطرّق - رَحِمَهُ اللهُ - إلى ذكر حكم الصلح المؤقت أو المطلق مع الأعداء، كما ذكر نبذة من مصالحت النبي ﷺ ليهود المدينة للتعايش السلمي بين الطّرفين، لا للمودّة، كما يظن ذلك من قلّ علمه بأحكام الشريعة المطهرة.

ثالثاً: صلح الحديبية، دراسة دعوية. للأستاذ الدكتور سليمان بن قاسم العيد ١٤٢٣هـ. وهو من البحوث المحكمة، ويقع في حدود ستين صحيفة، ومضمونه كالآتي: مقدمة وتمهيد وأربعة مباحث وخاتمة، ففي المبحث الأول ذكر أسباب الصلح، وفي الثاني: كتابة الصلح وبنوده، وفي الثالث: تحدث عن المصلحة الدعوية

في بنود الصلح، وفي الرابع: تطرق إلى ثمار الصلح الدعوية، ثم الخاتمة، فمراجع البحث، والفهرس.

فأتضح أنّ بحث الشيخ، ركّز على أسباب صلح الحديبية فقط، وبنوده ومصالح تلك البنود وثمارها في الدعوة، والاختلاف بين الموضوعين واضح وبيّن، فالأخير أوسع وأشمل من كل الجوانب المذكورة.

وبعض الدراسات ذكرت المصالحات النبوية ضمناً، وهو الغالب في كتب السير والمغازي، وكتب التفسير، وشروح الحديث، وإن كان الباحث ولا شك سيستفيد منها إلا أن ذلك يكون عن طريق الاستنباط والتحليل.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره.

تبرز أهمية البحث في أن الوقوف على أساليب السنة المطهرة في عرضها لغزوات الرسول ﷺ ومعرفة مقاصدها، يعين الداعية إلى الله على وجه العموم، وطالب العلم على وجه الخصوص، إنزال تلك النصوص منازلها الصحيحة والتي تضمّ زاداً وافياً من الحكم الكريمة والدروس البليغة، والتي تأتي على مفردات الدعوة جميعاً بالبصيرة، وتلقي في روع الداعية السكينة، وتبصره بما يكيد أعداء الإسلام قديماً وحديثاً، وتبشّره بأن النصر حليفه مهما طال الأمد.

كما تكمن أهمية الموضوع في أنّ النهج والسياسة الحكيمة التي اتبعها الرسول ﷺ في الدعوة إلى الله تعالى، والتغلب على الخصومات، يتمثل في صلحه ﷺ، ولم يكن الحرب إلا آخر ما يلجأ إليه عند الاضطرار مع العدو، واضطراً من أجل القضاء على كل من يقف أمام الدعوة والصدّ عن دين الله، واعتمد ﷺ في دعوته الحكمة والموعظة الحسنة، إذ لا إكراه في الدين، ولذا نرى أنه ﷺ قام بعد وصوله إلى المدينة بعقد المعاهدات مع اليهود والقبائل التي لم تسلم دون أن يشترط عليهم الدخول في الإسلام. ومع هذه

الأهمية هناك عدّة أسباب دعت الباحث إلى اختيار الموضوع، من أهمّها:

- ١- أن الموضوع مرتبطٌ بشخصيّة المصطفى ﷺ وأفعاله وما صاحبها من مواقف الصّحابة- رضوان الله عليهم- في تلك المصالحات والمعاهدات، فأردتُ استخلاص الفقه والمقاصد الدّعوية منها، والسّير على ضوئها والافتداء بها.
- ٢- المحاولة الجادّة في لمّ شعث المسائل العقدية والتّشريعية والأخلاقية الدّعوية المرتبطة بمصالحات النبي ﷺ مع المشركين ومع أهل الكتاب.
- ٣- عدم وجود رسالة علمية دعوية-حسب علمي- في الموضوع حسب الخطّة التي رسمتها لدراسة فقه ومقاصد تلك المصالحات.
- ٤- إنّ هذه الدّراسة تُبيّن أنّ صلح النبي ﷺ له مقاصد وغايات عقديّة، وتشريعية، وأخلاقية، غفل عنها كثير من الدّعاة، ولو رجعوا إليها لوجدوها دستوراً شاملاً لمعاملة كلّ من أمة الدّعوة وأمة الإجابة.
- ٥- إنّ في إبراز المقاصد الدّعوية المرتبطة بالمعاهدات النبوية إثراءً لمعلومات الدّاعية العقدية والفكرية التي تمكّنه من فتح مجالاتٍ رحبةٍ للدّعوة إلى الله تعالى على ضوء الهدى النبوي المستنبط من سيرته الكريمة ﷺ.
- ٦- إتاحة هذه الصّلح للمسلمين لإظهار هويتهم ومكانتهم، ونشر الدّعوة الإسلاميّة داخل الجزيرة وخارجها مما أتاح لكافة النّاس الدخول في دين الله أفواجاً.
- ٧- بيان أنّ الدّين الإسلاميّ دين أمنٍ وأمانٍ، لا دين عنفٍ ودمارٍ، وأنّه يدعو إلى أعلى المكارم وأجلّ الأخلاق، واحترام الإنسانيّة، والدّعوة إلى ذلك.

تساؤلات البحث.

للبحث تساؤلاته العلميّة المحددة التي يسعى للإجابة عنها وإيضاحها قدر المستطاع وأهمها ما يلي:

- س ١- ما هو الصلح وما أهميته في الدّعوة إلى الله تعالى؟.
- س ٢- ما المقاصد الدعوية المتعلّقة بموضوع الدّعوة إلى الله في الصلح النّبوي؟.
- س ٣- ما المقاصد الدعوية المتعلّقة بالدّاعية إلى الله في الصلح النّبوي؟.
- س ٤- ما المقاصد الدعوية المتعلّقة بالمدعو في الصلح النّبوي؟.
- س ٥- ما المقاصد الدعوية المتعلّقة بالوسائل والأساليب في الصلح النّبوي؟.
- س ٦- ما طرق الاستفادة من المقاصد الدعوية المتعلّقة بالصلح النّبوي في العصر الحاضر؟.

حدود البحث:

دراسة موضوع الصّلح من خلال ما ورد من مصالحتات النّبي ﷺ لليهود والمشركين، والنّصارى، وذلك منذ وصول النّبي ﷺ إلى المدينة ومعاهدته لليهود وكتابة وثيقة المدينة المشهورة، ومصالحته لكفار قريش في السنة السادسة- وهو صلح الحديبية- ومعاهدته لنصارى نجران وأهل أذرح وجرباء إلى آخر من صالحهم ﷺ من غير المسلمين قبيل وفاته.

خطة البحث التفصيلية :

لقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وخاتمة، وفهارس.

المقدمة وفيها: أهمية البحث وأسباب اختياره، والدراسات السابقة، وتساؤلات البحث وحدوده، وخطة البحث، ومنهجه.

التمهيد: الصلح وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى.

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث (المقاصد، الدعوة)

المبحث الثاني: الصلح حقيقته ومشروعيته وأنواعه.

المبحث الثالث: فضل الصلح وأهميته في توطيد دعائم الدولة الإسلامية

المبحث الرابع: معالم الصلح النبوي المقصودة بالدراسة.

الفصل الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة إلى الله في الصلح النبوي

وتحتة أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالعبادة في الصلح النبوي.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالعبادة في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بالعبادة في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب

المبحث الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بالشريعة في الصلح النبوي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالشريعة من خلال مصالحته ﷺ مع المشركين

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بالشريعة من خلال مصالحته ﷺ مع أهل الكتاب

المبحث الثالث: المقاصد الدعوية المتعلقة بالسلوك والأخلاق في الصلح النبوي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالسلوك والأخلاق في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين
المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بالسلوك والأخلاق في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب
المبحث الرابع: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في موضوع الدعوة إلى
 الله في العصر الحاضر.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في موضوع
 الدعوة إلى الله في العصر الحاضر، في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين.
المطلب الثاني: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في موضوع الدعوة
 إلى الله في العصر الحاضر، في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب.

الفصل الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بالداعية إلى الله في الصلح النبوي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بصفات الداعية إلى الله وأخلاقه في الصلح النبوي
 وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بصفات الداعية وأخلاقه في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين
المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بصفات الداعية وأخلاقه في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب
المبحث الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق الداعية على المدعويين في الصلح النبوي.
 وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق الداعية على المدعويين من خلال
 مصالحاته ﷺ مع المشركين.

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق الداعية على المدعويين من خلال
 مصالحاته ﷺ مع أهل الكتاب.

المبحث الثالث: المقاصد الدعوية المتعلقة بواجبات الدّاعية نحو المدعويين في الصّح النبوي.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بواجبات الدّاعية نحو المدعويين في ضوء

صلحه ﷺ مع المشركين

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بواجبات الدّاعية نحو المدعويين في ضوء

صلحه ﷺ مع أهل الكتاب.

المبحث الرابع: أوجه الإفادة من المقاصد الدّعوية في الصّح النبوي في ما يتعلّق بالدّاعية

في العصر الحاضر.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصّح النبوي في ما يتعلق

بالدّاعية إلى الله في العصر الحاضر، في ضوء مصالحته ﷺ مع المشركين.

المطلب الثاني: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصّح النبوي في ما يتعلق

بالدّاعية إلى الله في العصر الحاضر، في ضوء مصالحته ﷺ مع أهل الكتاب.

الفصل الثالث: المقاصد الدعوية المتعلقة بالمدعوي في الصّح النبوي.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بأصناف المدعويين في الصّح النبوي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بأصناف المدعويين في ضوء صلحه ﷺ مع

المشركين

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بأصناف المدعويين، في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب

المبحث الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بدوافع استجابة المدعويين للدعوة في الصّح النبوي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بدوافع استجابة المدعوين للدعوة في ضوء

صلحه ﷺ مع المشركين

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بدوافع استجابة المدعوين للدعوة في ضوء

صلحه ﷺ مع أهل الكتاب.

المبحث الثالث: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق المدعوين على الداعية في الصلح النبوي.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق المدعوين على الداعية في ضوء

مصالحاته ﷺ مع المشركين

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق المدعوين على الداعية في ضوء

مصالحاته ﷺ مع أهل الكتاب.

المبحث الرابع: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بالمدعو

في العصر الحاضر.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق

بالمدعو في العصر الحاضر، في ضوء مصالحاته ﷺ مع المشركين.

المطلب الثاني: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق

بالمدعو في العصر الحاضر، في ضوء مصالحاته ﷺ مع أهل الكتاب.

الفصل الرابع: المقاصد الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب في الصلح النبوي

وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة في الصلح النبوي.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة من خلال صلحه ﷺ مع المشركين

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة من خلال صلحه ﷺ مع أهل الكتاب

المبحث الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة في الصلح النبوي

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب.

المبحث الثالث: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بوسائل

الدعوة إلى الله وأساليبها في العصر الحاضر.

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في ما يتعلق بوسائل الدعوة إلى الله

وأساليبها في العصر الحاضر، في ضوء مصالحاته ﷺ مع المشركين

المطلب الثاني: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في ما يتعلق بوسائل الدعوة إلى الله

وأساليبها في العصر الحاضر، في ضوء مصالحاته ﷺ مع أهل الكتاب.

الخاتمة: وتشمل: خلاصة البحث، وأهم النتائج، والتوصيات.

الفهارس التفصيلية: وهي:

أ- فهرس الآيات.

ب- فهرس الأحاديث والآثار.

ت- فهرس الأعلام المترجم لهم.

ث- فهرس الكلمات الغريبة.

ج- ثبت المصادر والمراجع.

ح- فهرس الموضوعات.

منهج البحث:

المنهج المتَّبَع في هذه الدِّراسة هو المنهج الاستقرائي^(١) والاستنباطي^(٢) والتحليلي^(٣) وذلك بتتبع نصوص المصالحات ثم تحليلها ومحاولة استنباط الدلالات ذات العلاقة، وتوظيفها في خدمة الدَّعوة إلى الله وفق الضوابط الشرعية.

وهناك خطوات منهجية متَّبعة في كتابة البحث منها:

- ١- عزو الآيات إلى سورها، مع ذكر اسم السورة ورقم الآية مع كتابتها بالرسم العثماني.
- ٢- عزو الأحاديث النبوية الواردة في البحث إلى مصادرها المعتمدة، فإذا كان الحديث في الصحيحين أو في أحدهما، اكتفيت بعزوه إليهما، أو إلى أحدهما، وإذا كان في غير الصحيحين عزوته إلى أهم مصادره كالسنن الأربعة ومسند الإمام أحمد وغيرها، مع نقل كلام أهل العلم في الحكم على الحديث.
- ٣- إذا تكرر الحديث أو الأثر فإني أكتفي بالقول (سبق تخريجه) مع الإشارة إلى موضعه من البحث.
- ٤- عزو الآثار والأقوال إلى مصادرها التي نقلت منها، فإن كان بالنص جعلته بين قوسين هكذا: () مع الإشارة إلى المصدر في الهامش، وإن كان بالمعنى لم أجعله بين قوسين بل أشير إلى مصدره في الهامش بقولي: انظر.

(١) المنهج الاستقرائي: وهو المنهج الذي يقوم على الاستدلال على حكم كلي من خلال تفحص معظم جزئيات ذلك الكلي. ينظر: كتابة البحث العلمي صياغة جديدة، للأستاذ الدكتور عبد الوهاب بن إبراهيم، ص ٢٨.

(٢) المنهج الاستنباطي: عرّف بأنه عملية عقلية منطقية ينتقل فيها الباحث من قضية واحدة، أو عدّة قضايا إلى قضية أخرى، تستخلص منها مباشرة دون اللجوء إلى تجربة. ينظر: المصدر السابق نفسه.

(٣) المنهج التحليلي: هو المنهج الذي يستخدم في تحليل المعلومة للوصول إلى نتائج علمية واضحة مقنعة. انظر: البحث العلمي، د. عبد العزيز الربيعه ١٧١/٢.

- ٥- الرجوع إلى كلام أهل العلم في بيان دلالة النصوص.
- ٦- توثيق النصوص المنقولة من مصادرها الأصيلة.
- ٧- الترجمة للأعلام الوارد ذكرهم في الرسالة بترجمة موجزة، في أول موضع يرد ذكرهم فيه من البحث، عدا المشهورين كالخلفاء الراشدين، والأئمة الأربعة.
- ٨- شرح ما يرد في البحث من ألفاظٍ تحتاج إلى إيضاح وبيان.
- ٩- الالتزام بعلامات الترقيم، وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
- ١٠- تذييل البحث بالفهارس الفنية على النحو المبين في الخطة.



شكر وتقدير:

انطلاقاً من قول الحقّ تبارك وتعالى: ﴿لَيْنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ وقول المصطفى ﷺ: «لا يشكر الله من لا يشكر الناس»^(١) فإني أشكر الله على ما أنعم به عليّ وفضل، من نعمة الإسلام ونعمة طلب العلم الشرعيّ من منبعه الصّافي، وله الشكر على ما يسر وأعان في كتابة البحث وإنجازه. ونسأله المزيد من واسع لطفه وعطائه.

ثم أنني بشكر والديّ الكريمين - برّاً بهما واعترافاً بفضلهما وحقهما عليّ - اللذين كانت لهما اليد الطولى في تربيتي وتوجيهي إلى طلب العلم الشرعي منذ نعومة أظفاري، ودعماني بالتّصحيح والدّعاء الخالص، فالله تعالى أسأل أن يطيل في عمرهما على طاعته، وأن يصلح عملهما، ويسبغ عليهما رداء الصّحة، ويلبسهما ثوب العافية، ويهيئ لي أسباب برّهما والإحسان إليهما، ربّ ارحمهما كما ربياني صغيراً.

وعرفاناً بالجميل: لعمي الغالي، صاحب الفضل والمعالي. الشّيخ علي بن آدم جالو - رَحِمَهُ اللهُ - الذي تلقّيت منه أبجديّات الحروف - كلّ الشكر والوفاء المقرون بخالص الدعاء. جعل الله ما قدّم للعلم في موازين حسناته، وأسبل عليه وابل رحمته، وجمعنا وإياه في واسع مغفرته، ومستقرّ كرامته.

ثم أتقدّم بجزيل الشكر وجميل العرفان إلى المملكة العربية السّعودية التي سخّرت لي ولأمثالي من أبناء الأمتّة الإسلاميّة هذا الصّرح العلمي - الجامعة الإسلاميّة بالمدينة المنورة - التي لا ولن تزال تؤتي ثمارها يانعة كلّ حينٍ بإذن ربّها، لنشر دعاء الحقّ والوسطية في أرجاء المعمورة، فأشكر القائمين عليها، ممثلة في معالي مديرتها ووكلائها، وعمادة كلية الدّعوة وأصول الدّين، وقسم الدّعوة فيها خاصّة، ورئيس القسم بوجهٍ أخصّ، الدّكتور: عبد الله بن صالح العبود - حفظه الله بحفظه - المرشد

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في شكر المعروف ٢٥٥/٤. حديث رقم: ٤٨١١، والترمذي في سننه، أبواب البرّ والصّلة، باب: ما جاء في الشكر لمن أحسن إليك، ٤ / ٣٣٩، حديث رقم: ١٩٥٤. وقال عنه: حديثٌ حسنٌ صحيحٌ. كلاهما عن أبي هريرة - رضي الله -.

الأكاديمي الذي وقف معي وقفة شيخٍ نصوحٍ، فقوّم ما اعوجّج من خطّة الرّسالة، حتّى استوت على سوقها، وما زال يتابعني بالتّشجيع والتّحفيز إلى يومنا هذا.

كما أقدمّ شكري وتقديري لشيخني الجليل وأستاذي الفاضل، الدّكتور: إبراهيم بن محمد حافظ عبد اللّطيف الخليفة - حفظه الله - الذي تكرّم بقبول الاشراف على الرّسالة، وبذل جهداً كبيراً، وعنايةً خاصّةً في متابعة البحث وقراءته، وما غمرني به من توجيهاتٍ سديدةٍ ورعايةٍ مستمرّةٍ، كان لها الأثر البالغ في إثراء البحث وخروجه بهذه الصّورة، فالله أسأل أن يجزيه خير ما جازى أستاذاً عن تلميذه، وأن يبارك في علمه وولده وماله، وأن يجعل ما قدم في موازين حسناته.

كما لا يفوتني أن أقدمّ جزيل شكري وتقديري للأستاذين الكريمين مناقشي الرّسالة الدّكتور: حامد بن معاوض الحجيلي - والدّكتور: خالد بن سعد الزهراني - حفظهما الله - اللّذين تفضّلا بقبول قراءة الرّسالة وتقويمها وتصحيح ما فيها من أخطاءٍ، وتوجيهها بملاحظاتهما القيّمة، وآرائهما السّديدة رغم مشاغلهما العلميّة والعملية. سائلاً الله تعالى أن يبارك في أوقاتها وأعمارهما، وأعمالهما.

والشّكر موصولٌ إلى كلّ من أعان وساهم على إتمام البحث وإنجازه، بإبداء رأيٍ أو إعارة كتابٍ، أو أيّ وجهٍ من العون والمساعدة، وللعاملين في مكتبة المسجد النبوي - التي تقيّأت في ظلالها وارتويت من مراجعتها - شكراً خاصّاً على خدمتهم لي ولأمثالي من طلبة العلم. فجزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

وختاماً: فقد بذلت في إعداد هذه الرّسالة جهداً لا أدّعي فيه الكمال، فهو لله الواحد الفرد الصّمد، ولكن حسبي أنّي طرقتُ بابه، وأمطتُ اللّثام عن شيءٍ من فصوله ومباحثه، وشرعتُ السّبيل لغيري لاستكمال النّقص فيه، وأرجو أن أكون قد وفّقت للصّواب فيما طرحته، ورجائي من الله القبول والإخلاص، وما كان فيه من صواب فمن الله، وما كان فيه من نقصٍ فهو منّي، وأسأل الله أن يغفر الزّلل، ويعظم الأجر. وصلى الله على نبينا محمّد وعلى آله وصحبه وسلّم.

التمهيد: الصّح وأهميته في الدّعوة إلى الله تعالى

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: التّعريف بمفردات عنوان البحث (المقاصد، الدّعوة)

المبحث الثاني: الصّح حقيقة ومشروعيتها وأنواعه.

المبحث الثالث: فضل الصّح وأهميته في توطيد دعائم الدّولة الإسلاميّة

المبحث الرابع: معالم الصّح النبوي المقصودة بالدراسة.

التمهيد: الصلح وأهميته في الدعوة إلى الله تعالى.

المبحث الأول: التعريف بمفردات عنوان البحث (مقاصد - الدعوة)

المطلب الأول: تعريف مقاصد الدعوة إلى الله تعالى.

مقاصد الدعوة إلى الله تعالى مركّب إضافي يتكوّن من كلمة (مقاصد) وكلمة (الدعوة) لذا سنحتاج في تعريف مقاصد الدعوة إلى الله إلى تعريف المقاصد أولاً، ثم تعريف الدعوة إلى الله ثانياً.

أولاً: تعريف المقاصد.

المقاصد لغة: جمع مقصد، والمقصد مصدرٌ ميميٌّ مأخوذٌ من الفعل (قصد) يقال: قصد يقصد قصدًا ومقصدًا، فالقصد والمقصد بمعنى واحد^(١).

وإذا نظرنا في معاجم اللغة العربية في مادة قَصَدَ وتعريفاتها، نجد أنها تُطلق على معانٍ كثيرةٍ منها:^(٢)

المعنى الأول: الاعتماد، والأُمُّ، وإتيان الشيء، والتوجه ﴿وَلَا آمِنَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ﴾ [المائدة: ٢]، تقول: قصده قصدًا وقصد إليه، وقصد له إذا أمّه، ومنه: أقصده السهم إذا أصابه فقتل مكانه.

ومنه: أقصدته حيّة فقتله، ومن هذا المعنى ما في صحيح مسلم - رَحِمَهُ اللهُ - (فكان رجلٌ من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجلٍ من المسلمين قصد له فقتله...) ^(٣).

المعنى الثاني: استقامة الطريق، وهو ما كان بين مستوٍ غير مشرف ولا ناقص،

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٩٥/٥ والمعجم الوسيط لمجمع اللغة ٢/٧٣٨.

(٢) انظر: كتاب العين لخليل الفراهيدي ٥٤/٥ وجمهرة اللغة لابن دريد ٢/٢٧٤، وتهذيب اللغة للأزهري ٨/٣٥٨ ولسان العرب لابن منظور ٣/٣٥٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب، تحريم قتل الكافر بعد أن قال لا إله إلا الله ١/٩٧.

ومنه قوله تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ﴾ [النحل: ٩].

قال ابن جرير^(١) - رَحِمَهُ اللهُ -: (والقصد من الطريق الذي لا اعوجاج فيه..)(٢).

المعنى الثالث: العدل والتوسط وعدم الإفراط، وهو ما كان بين الإسراف والتقتير، وهو كثير في الكتاب والسنة ومن ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾ [لقمان: ١٩].

وقوله - صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ -: (الْقَصْدُ الْقَصْدُ تَبْلُغُوا...)(٣).

وقول جابر^(٤) بن سمرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (كنت أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلاته قصداً، وخطبته قصداً...)(٥) أي بين الطويلة والقصيرة.

ويقول ابن جنِّي^(٦) - رَحِمَهُ اللهُ -: في أصل الكلمة (ق، ص، د) واستعمال العرب لها،

(١) هو: محمد بن جرير بن يزيد بن كثير، أبو جعفر الطبري، المحدث الفقيه المقرئ المؤرخ، رأس المفسرين وإمامهم، استوطن بغداد وأقام بها إلى حين وفاته، ولد سنة (٢٢٤هـ) كان حافظاً لكتاب الله، عارفاً بالقراءات بصيراً بالمعاني، له: "تاريخ الأمم والملوك، والتفسير وغيرهما" وتوفي سنة (٣١٠هـ)، انظر: طبقات الفقهاء الشافعية ١ / ١٠٦، وطبقات المفسرين للسيوطي ١ / ٨٢.

(٢) تفسير الطبري ٨ / ٨٣.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الرقاق، باب القصد والمداومة على العمل ١١ / ٢٩٤.

(٤) هو: الصحابي الجليل جابر بن سمرة بن جنادة بن جندب العامري السوائي، حليف بني زهرة يكنى أبا عبد الله، روى كثيراً من الأحاديث عن رسول الله ﷺ توفي سنة (٥٧٤هـ). وقيل: (٧٦)، انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ١ / ٢٢٦، والإصابة لابن حجر ١ / ٢١٣.

(٥) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة ٢ / ٥٩١.

(٦) هو أبو الفتح، عثمان بن جنِّي الموصلي النحوي اللغوي، من أصدق أهل الأدب، وأعلمهم بالنحو والتصريف، وصاحب التصانيف الفائقة المتداولة في اللغة منها: الكتاب، أحسن من ألف في التصريف، انظر: بتيمة الدهر، للثعالبي ١ / ١٣٧.

ومواقعها في كلامهم. الاعتزام والتوجه والنهوض نحو الشيء على اعتدالٍ كان ذلك أو جوراً، هذا أصله في الحقيقة، وإن كان في بعض الواقع يقصد الاستقامة دون الميل، ألا ترى أنك تقصد الجورَ تارةً كما تقصد العدلَ أخرى، فالاعتزام والتوجه شاملٌ لهما جميعاً^(١).

وبعد عرض جملةٍ من هذه المعاني اللغوية: يظهر أن المعنى الأول هو الذي يتناسب مع المعنى الاصطلاحي الذي ستتطرق إليه قريباً، إذ فيه الأتم والاعتقاد، وإتيان الشيء والتوجه، وكلها تدور حول إرادة الشيء والعزم عليه، والدعوة إلى الله تطلب من مصالح العباد وتتوجه إليها وتعتمدها على استقامة ووسطية في الأمر بها.

تعريف المقاصد في الاصطلاح:

من المعلوم أن المفاهيم الشرعية يرجع في تعريفها - عادةً - إلى ما كتبه المتقدمون من العلماء، غير أنه بالنظر إلى البحوث والدراسات الشرعية المتقدمة، يعزّ أن نجد تعريفًا محددًا أو دقيقًا للمقاصد يحظى بالقبول والاتفاق من قبل كافة العلماء أو أغلبهم، وإن كان من المسلم به أنه لم يكن غائبًا عن علمائنا المتقدمين العمل بالمقاصد واستحضارها في اجتهاداتهم وآرائهم.

أمّا بالنسبة للدراسات المعاصرة فثمة تعريفاتٍ للمقاصد متعددة، نورد فيما يلي أهم هذه التعريفات:

١- هي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوعٍ خاصٍّ من أحكام الشريعة^(٢).

(١) انظر: تاج العروس، محمد الحسيني ٣٦/٩

(٢) مقاصد الشريعة الإسلامية، محمد الطاهر ابن عاشور، تحقيق: محمد الطاهر الميساوي، ص: ٥١.

- ٢- هي الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها^(١).
- ٣- هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد^(٢).
- ٤- هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، سواء أكانت تلك المعاني حكماً جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد، هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين^(٣).
- ٥- هي المعاني والحكم ونحوها التي راعاها الشارع في التشريع عموماً وخصوصاً، من أجل تحقيق مصالح الناس^(٤).
- ويُلحظ في هذه التعريفات، أنّها: تتقارب في الدلالة على معنى المقاصد، ولكنها تجمل أحياناً وتفصل أحياناً أخرى، كما تنفق على الأمور التالية:
- ١- التعبير عن المقاصد بمراد الشرع الحكيم من تشريعات الأحكام، وذلك بعبارات مختلفة، كالمعاني والحكم والغايات ونحوها.
- ٢- أن مقاصد الشارع الحكيم هو تحقيق المصلحة للعباد، بجلب المصالح ودفع المفسدات.
- ٣- تقسيم هذه التعريفات إلى: مقاصد ما يحقق مصالح عامة للأمم، ومصالح خاصة^(٥).
- ٤- المقاصد: هي الغايات التي تهدف إليها النصوص، من الأوامر والنواهي، والإباحات، وتسعى الأحكام الجزئية إلى تحقيقها في حياة المكلفين، أفراداً وجماعات.
- وإذا أظهرت حقيقة المقاصد في هذه التعريفات، فإني لن أتجشم عناء تأليف

(١) مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، علال الفاسي، ص: ٧.

(٢) نظرية المقاصد عند الشاطبي، أحمد الريسوني، ص: ١٨.

(٣) الاجتهاد المقاصدي، حجيته، ضوابطه، مجالاته، نور الدين مختار الخادمي، ص: ٥٢.

(٤) مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، محمد سعد أحمد اليوبي، ص: ٣٨.

(٥) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية للدكتور زياد محمد حميدان، ص: ٣٦.

تعريف، مدلوله وحقيقته متفق عليه، إلا أنني أرى أن تعريف الريسوني والخدمي واليوي، هي التي تخدم مقصود البحث، إذ أن النبي ﷺ راعى المصالح العامة والخاصة التي يحققها هذه المصالحات، وما تهدف إليها وهي تحقيق العبودية لله وحده، فلم يعقد هذه المصالحات إلا لكسر شوكة الشرك والإلحاد.



المطلب الثاني: تعريف الدعوة لغة واصطلاحاً:

ثانياً: تعريف الدعوة.

الدعوة في اللغة: مصدرٌ للفعل الثلاثي، دعا، يدعو، دعوة، وتطلق هذه الكلمة ويراد بها عدة معان منها:

- النداء والطلب، يقال: دعا الرجل دعواً، ودعاه، أي ناداه، والاسم الدعوة، ودعوتُ فلاناً، أي: صِحتُ به واستدعيته^(١).

- الابتهاال والدعاء، فهي المرة الواحدة من الدعاء، والدعاء واحدٌ من الأدعية، وهو الرغبة إلى الله تعالى، ودعوتُ الله أدعوه دعاء، ابتهلتُ إليه بالسؤال، ورغبتُ فيما عنده من الخير، ومنه قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠]^(٢).

- تطلق الدعوة على ما دعوت إليه من طعام وشراب^(٣).

ويقصد بها الأذان، وقد ورد في الحديث عن جابر^(٤) - رضي الله عنه - (اللهم رب هذه الدعوة التامة...) ^(٥).

- وتأتي بمعنى محاولة إمالة الناس إلى دينٍ أو مذهبٍ، أو نِحلةٍ.

(١) لسان العرب لابن منظور ٢٥٨/١٤.

(٢) القاموس المحيط للفيروز آبادي ص: ١٢٨٢. ولسان العرب لابن منظور ٢٥٨/١٤، والمصباح المنير للفيومي ٧٤ / ١.

(٣) لسان العرب لابن منظور ٢٦٠/١٤.

(٤) هو: جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري ثم السلميّ، أبو عبد الله، صحابيّ ابن صحابي، غزا تسع عشرة غزوةً، ومات بالمدينة بعد السبعين، وهو ابن أربع وتسعين، انظر: تقريب التهذيب ١/ ١٣٦.

(٥) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب الدعاء عند الأذان ١ / ١٢٦.

وجاء في معجم مقاييس اللغة (د، ع، و) الدال والعين والحرف المعتل، أصل واحد، هو أن تميل الشيء إليك بصوتٍ وكلامٍ يكون منك، تقول: (دعوت أدعوت دعاءً، والدعوة إلى الطعام بالفتح، والدعوة في النسب بالكسر، قال أبو عبيدة: يقال في النسب دعوة، وفي الطعام دعوة) (١).

وتكون الدعوة إلى الحق كما تكون إلى الباطل، فمن الدعوة إلى الحق قول الله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ﴾ [يونس: ٢٥].

وفي كتاب النبي ﷺ إلى هرقل الروم وفيه: (فإني أدعوك بدعاية الإسلام) (٢).

ومن الدعوة إلى الباطل حكاية القرآن الكريم عن يوسف عليه السلام قوله:

﴿قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٣٣].

ومن خلال ما سبق يتضح لنا أن الدعوة في اللغة يدور معناها حول (الطلب، والمناداة، والاستمالة، والدعاء، والحث على فعل الشيء وقصده).

الدعوة في الاصطلاح:

يمكن التمييز في تعريف الدعوة بين ثلاثة مصطلحات وهي: دعوة الإسلام، والدعوة إلى الإسلام، وعلم الدعوة.

فدعوة الإسلام: تعني الدين الإسلامي بعمومه، وبهذا عرفها بعضهم بقوله: (هي دين الله الذي بعث به الأنبياء جميعاً، تجدد على يد محمد ﷺ خاتم النبيين كاملاً وافياً لصلاح الدنيا والآخرة) (٣).

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢/ ٢٧٩.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام ٤ / ٤٧.

(٣) الدعوة الإسلامية دعوة عالمية، محمد الراوي ص: ١١.

والدعوة إلى الإسلام بمعنى النشر والتبليغ: فقد عرفها شيخ الإسلام ابن تيمية (١) - رَحِمَهُ اللهُ - بقوله: (الدعوة إلى الله: هي الدعوة إلى الإيمان به، وبما جاءت به رسله، بتصديقهم فيما أخبروا به، وطاعتهم فيما أمروا، وذلك يتضمن الدعوة إلى الشهادتين، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والدعوة إلى الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والبعث بعد الموت، والإيمان بالقدر خيره وشره، والدعوة إلى أن يعبدَ العبدُ ربَّه كأنه يراه) (٢).

وقيل هي: (إبلاغ الناس دعوة الإسلام في كل زمانٍ ومكانٍ بالأساليب والوسائل التي تتناسب مع أحوال المدعوين) (٣).

وقيل: (قيام الداعية المؤهل بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة، وفق المنهج القويم، وبما يتناسب مع أصناف المدعوين، ويلائم أحوال وظروف المخاطبين، في كل زمان ومكان) (٤).

ومن خلال التعريفات السابقة يمكن صياغة تعريف الدعوة إلى الإسلام بمعنى النشر والتبليغ بأنه: (قيام من له أهلية بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة في كل زمانٍ ومكانٍ، وفق المنهج القويم، بأساليب ووسائل تتناسب مع المدعوين، ليفوزوا بسعادة الدارين).

(١) هو: أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن تيمية الحراني ثم الدمشقي الحنبلي تقي الدين أبو العباس ولد ببحران في (١٠/٣/٦٦١هـ) وتحوّل به أبوه إلى دمشق سنة سبع وستين، له مؤلفات كثيرة نافعة منها الفتاوى، ومنهاج السنة، وغيرهما، توفي سنة (٧٢٨هـ). انظر: الوافي بالوفيات للصفدي ٢/ ٣٧٥.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٥/ ١٥٨.

(٣) مستلزمات الدعوة و في العصر الحاضر، لعلي صالح المرشد ص: ٢١.

(٤) الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية للأستاذ الدكتور: عبد الرحيم المغذوي ص: ٤٨.

شرح التعريف:

(قيام من له أهلية) فيه دليل على أن للدعاة إلى مؤهلات، منها التأهيل الإيماني والعلمي والأخلاقي، فلا بد أن يكون للداعية مؤهلات إيمانية تدفعه للقيام بالدعوة من إخلاص ونحوه. كما لا بد له أن يكون لديه تأهيل علمي يعرف به ما يدعو إليه، بل يعد ذلك من البصيرة المطلوبة في الدعوة، وكذلك من الأخلاق الحسنة، إذ هو القدوة فيما يقول ويفعل.

(بإيصال دين الإسلام إلى الناس كافة) فالداعية يأتي المدعوين ولا ينتظر أن يأتيه ثم يدعوهم، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص: ٥١].

وكان النبي ﷺ يتجول في الأسواق ويبلغ دعوة ربه، والدعوة الإسلامية تكون إلى الناس كافة، شاملة لأمة الدعوة وأمة الإجابة بأصنافهم وأحوالهم.

(في كل زمان ومكان) دليل على عالمية الرسالة المحمدية وشموليتها، وبقائها، وأنها ناسخة لجميع الأديان السابقة، فلم تختص بجنس دون جنس، ولا قوم دون قوم.

(وفق المنهج القويم) دليل على أهمية الإتيان وعدم الابتداع في الدين، وأن المنهج القويم هو الذي كان عليه النبي ﷺ وصحابته الكرام -رضوان الله عليهم-، كما يفيد على أن هناك مناهج ليست قويمه، في طريق الدعوة إلى الله تعالى، يجب على الداعية اجتنابها والحذر منها.

(بأساليب ووسائل تتناسب مع المدعوين) فالوسائل والأساليب تتجدد حسب الأزمنة والأمكنة، وكل فئة من المدعوين لها وسيلتها الدعوية وأسلوبها الحكيم. فأسلوب دعوة الوالدين ليس كأسلوب دعوة الأقران، وأسلوب دعوة الحاكم والسلطان يختلف عن أسلوب دعوة عوام الناس. وهكذا الوسائل، فلا يجادل العامي من المدعوين، بينما هي واجبة في دعوة أهل الكتاب والمبتدع المتعلم إن دعت الحاجة.

(ليفوزوا بسعادة الدارين) فسعادة المدعو هي غاية الداعية المخلص، وهدفه الأسمى، ومقصده الأعلى، وقد قال ﷺ حين استجاب لدعوته الغلام اليهودي (الحمد لله الذي أنقذه من النار)^(١) وخرج مستبشراً بسعادته الآخروية - والله أعلم -.

وأما الدعوة بوصفها علم قائم بذاته.

ف قيل في تعريفه: (فنُّ يبحث في الكيفيات المناسبة التي تجذب بها الآخرين إلى الإسلام، أو يحافظ على دينهم بواسطتها)^(٢).

وقيل: (العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة، الرامية إلى تبليغ الناس بما حوى من عقيدة، وشريعة، وأخلاق)^(٣).

وبعد أن تمَّ تعريف المقاصد وتعريف الدعوة مفردين في اللغة والاصطلاح، أعرف المقاصد مضافة إلى الدعوة، فأقول مقاصد الدعوة:

(هي الغايات التي اهتمت بها الشريعة الإسلامية في الدعوة إلى الله، وجعلتها الأهم في دعوة الداعي إلى الله).

كما هو ظاهرٌ في شأن التوحيد، والمحافظة على الضروريات الخمس، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإقامة العدل والقسط، وغير ذلك من مقاصد الدعوة إلى الله.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب إذا أسلم الصبي فمات هل يصلُّ عليه وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ ٢ / ٩٣.
 (٢) الدعوة والإنسان، عبد الله الشاذلي ص: ٣٩.
 (٣) الدعوة الإسلامية وأصولها، أحمد غلوش ص: ١٠.

ومن خلال هذا التعريف يتبين لنا أهمية معرفة مقاصد الدعوة وفق ما يلي:

- أن مقاصد الدعوة إلى الله هي المهمات والغايات التي انتهى مراد الشرع الحكيم إليها، في شأن الدعوة إلى الله.
- أن مقاصد الدعوة إلى الله اعتنت بها الشريعة وأظهرتها، فهي واضحة بيّنة، فعلى الداعية الاهتمام بها ومعرفتها والعمل على الإتيان بها.
- أن وصول الداعية إلى الله في دعوته إلى المقاصد الكبرى في الدعوة إلى الله، من أهم المهمات، وأكد الواجبات، وليس أمر فرعيًا، بل هو أمر أصيل في دعوته إلى الله تعالى^(١).
- معرفة مقاصد الدعوة إلى الله تساعد الداعية في فهم الدين وقواعده، ومراعاة الأولويات عند القيام بالدعوة، ويعلمه يتضح للداعية طريقه وهدفه، وهو السير على خطى الأنبياء، والاسترشاد بالوحيين - الكتاب والسنة -.
- معرفة مقاصد الدعوة إلى الله يبين للداعية طرق بيان شمولية الرسالة المحمدية، وعالميتها وعموميتها، واتسامها بالتسامح والتعاون على المشترك الإنساني في جميع الجوانب.

والمقصود بالصلح النبوي في البحث:

هي المصالحات والمعاهدات التي قام بها النبي ﷺ مع غير المسلمين من المشركين وأهل الكتاب.



(١) انظر للاستزادة والاستفادة: مقاصد الدعوة إلى الله في الكتاب والسنة. عبد الله بن علي بن أحمد القرني. ص ١٥-١٦، بحث في حدود ستين صحيفة، [www/http://uqu.edu.sa](http://www.uqu.edu.sa) وقد أجاد فيها الباحث وأفاد.

المبحث الثاني: الصلح حقيقته ومشروعيته وأنواعه:

المطلب الأول: حقيقة الصلح.

الصلح في اللغة: يقال في اللغة صلح الشيء، وصلح صلوحاً فهو صالح، من الصلاح الذي هو ضد الفساد، وفي معجم مقاييس اللغة: (الصاد واللام والحاء، أصل واحد يدل على خلاف الفساد)^(١).

والصلح: اسم منه، بمعنى التصالح والمصالحة، وهي المسالمة بعد المنازعة^(٢). قال الراغب^(٣) الأصفهاني رحمه الله: (والصلح يختص بإزالة النفاذ بين الناس، يقال منه: اصطلحوا وتصالحو)^(٤).

وجاء في تحرير ألفاظ التنبيه للنووي رحمه الله^(٥): الصلح والإصلاح والمصالحة: قطع المنازعة. مأخوذ من صلح الشيء - بفتح اللام وضمها - إذا كمل، وهو خلاف الفساد. ويقال: صالحته مصالحةً، وصلاحاً، وقد اصطلحوا وتصالحو واصلحوا^(٦).

(١) معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣/٣٠٣ (مادة صلح).

(٢) انظر: التوقيف على مهمات التعريف للمناوي ص: ٤٦٠.

(٣) هو: الحسين بن محمد بن المفضل، أبو القاسم الأصفهاني (أو الاصبهاني) المعروف بالراغب أديب، من الحكماء العلماء، من أهل (أصبهان) سكن بغداد، واشتهر، توفي (سنة ٥٠٢هـ) له من الكتب: تحقيق البيان، تفسير القرآن، والمفردات في غريب القرآن، انظر: هدية العارفين لإسماعيل باشا، ١/ ٣٥١. وسير أعلام النبلاء للذهبي ١٨ / ١٢١.

(٤) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني ص: ٤٨٩.

(٥) هو: يحيى بن شرف بن مري بن حسن بن حسين الدمشقي الشافعي، ولد في (محرم سنة ٦٣١هـ) في قرية نوى من أبوين صالحين، حفظ القرآن في صغره، كان عالماً زاهداً ورعاً، تفرغ للعلم، له مصنفات في فنون عدة، منها شرحه لصحيح مسلم، والمجموع، ورياض الصالحين، وغيرها، وتوفي في ٢٤ رجب سنة (٦٧٦هـ) انظر: مشاهير أعلام المسلمين ١ / ١٥٩.

(٦) انظر: تحرير ألفاظ التنبيه للنووي ص: ٢٠١.

والصلح: السلم، وصالحه على الشيء: سلك معه مسلك المسالمة في الاتفاق، وأصلح ما بينهم، أزال ما بينهم من عداوة وشقاق، قال تعالى: ﴿فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا﴾ [الحجرات: ٩].

وقال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

وبعد هذا العرض نصل إلى نتيجة مفادها: أن الصلح يطلق في لغة العرب على عدة مسميات، تتفق في الأخير على معنى واحد، وهو: قطع النزاع وإزالة الخلاف، وينشأ عن ذلك حلول السلم وزوال الخصومة، واستقامة الحال، كما يفهم منه الاتفاق بين اثنين فأكثر على سبيل المسالمة، ولو لم يسبق ذلك خصومة، كما في صلح النبي ﷺ مع يهود المدينة، وبعض النصارى، كنصارى نجران وأذرح وغيرها.

والصلح في الاصطلاح:

قيل في تعريفه بأنه: (عقد وضع لرفع المنازعة بالتراضي) (١).

ويُفهم من هذا التعريف، أنه يشترط لعقد الصلح أن تسبقه المخاصمة والمنازعة بين الطرفين، وهذا ظاهرٌ من قوله - لرفع المنازعة - وأن يكون الصلح بتراضي الطرفين.

وقيل: العقد الذي تنقطع به خصومة المتخاصمين (٢).

وقيل: معاقدة يتوصل بها إلى الإصلاح بين المختلفين (٣).

(١) حاشية رد المحتار على الدر المختار لابن عابدين ١ / ٦٢٨ الفتاوى الهندية ٤ / ٢٢٨.

(٢) انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني ١٣ / ٢٦٥ باب الصلح.

(٣) المغني لابن قدامة ٤ / ٥٢٧.

وبعد هذه التعريفات العامة للصلح في الاصطلاح، نستطيع أن نقول أن الصلح هو: (عقد يحسم به الطرفان على وجه التراضي نزاعاً واقعاً أو محتملاً على وجه شرعيّ).

شرح التعريف:

(عقد) العقد هو اتفاق بين طرفين أو أكثر ويلتزم بمقتضاه كل منهما تنفيذ ما اتفق عليه.

(يحسم به الطرفان على وجه التراضي) حسم الخلاف بين المتصالحين هو أصل الصلح، والغاية فيه، وعنصر التراضي ضروري، وهو الأصل في العقود. (نزاعاً واقعاً أو محتملاً) فقد يكون النزاع موجوداً ويأتي الصلح ويقضي عليه وينهيه كما هو الحاصل في كثير من المصالحات، كصلح النبي ﷺ مع يهود خيبر، وقد لا يكون الخلاف موجوداً ولكنه متوقع ومحتمل وقوعه، فيقوم الفريقان فيصطلحان فيما بينهما، وهو المعبر عنه بالصلح الوقائي، أو بالنزاع المتوقى. (على وجه شرعيّ) إذ الشرع هو المرجع عند الخلاف، وكل صلح خالف الشرع لا يُعدُّ صلحاً صحيحاً^(١).

(١) استفاد الباحث من صياغة التعريف وشرح عباراته، من كتاب المعاهدات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني، عثمان جمعة ضميرية ص: ٣٨.

الألفاظ ذات الصلة بالصلح، أو مرادفات الصلح:

للصلح في اللغة العربية ألفاظٌ مترادفةٌ، تحلُّ محلَّها، وينوب عنها تارة أخرى، فتؤدِّي معناها في غالب الأحيان، وهي كثيرةٌ، من أشهرها:

المعاهدة: وهي المعاقدة والمخالفة، يقال: تعاهد القوم إذا تحالفوا، فهو ميثاق بين اثنين أو جماعتين^(١).

المسالمة: وهي بمعنى المصالحة، يقال ساله مسالمة وسلاماً، والسلم والسلم هو الصلح، ومنه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١]^(٢).

الموادعة: مأخوذٌ من وادعته موادعةً، أي صالحته، والموادعة هي المصالحة والمتاركة، والودع هو الترك، والتوادع التصالح^(٣).

المهادنة: مأخوذٌ من قولهم هدن، يهدن، هدوناً، والهدون هو السكون، يقال هادنه مهادنة، أي صالحه مصالحة، وهدنه أي سكَّنه^(٤).

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤ / ١٦٧، والصحاح للجوهري ٢ / ٥١٥، ولسان العرب لابن منظور ٣ / ٣١١.

(٢) انظر: المصباح المنير للفيومي ١ / ٢٨٧، ومعجم مقاييس اللغة ١ / ٩٠.

(٣) انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٦ / ٩٦ ومختار الصحاح للرازي ص: ٧٤٠.

(٤) انظر: المصباح المنير للفيومي ٢ / ٦٣٦.

المطلب الثاني: مشروعية الصلح:

مما لا شك فيه أن الصلح من مظاهر يُسر الشريعة الإسلامية الغراء، وهو مقصد من مقاصدها، وقد تضافرت الأدلة على مشروعيته من الكتاب والسنة والإجماع والمعقول، وهذه الأدلة منها ما هو دال على مشروعية الصلح عموماً وهي كثيرة جداً، ومنها ما هو خاص بمشروعية الصلح مع غير المسلمين، (وهو المقصود به في الدراسة).

أولاً: من الكتاب: قوله تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ

السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

قال القرطبي^(١) - رَحِمَهُ اللَّهُ -: ففي الآية الكريمة دلالة على مشروعية المصالحة والموادعة إذا طلبها المشركون ومالوا إليها، وإذا كان للمسلمين في الصلح مصلحةٌ لنفع يجلبونه، أو ضرر يدفعونه فلا بأس أن يبتدئ به المسلمون إذا احتاجوا إليه^(٢).

وفي قوله تعالى: ﴿وَإِنْ كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ فَدِيَةٌ

مُسَلَّمَةٌ إِلَىٰ أَهْلِهِ﴾ [النساء: ٩٢].

يقول القرطبي - رَحِمَهُ اللَّهُ -: أيضاً: الآية الكريمة في بيان ما يترتب على قتل رجلٍ من الكفار الموادعين الذين بيننا وبينهم عهد، ففيها دليلٌ على مشروعية الدخول في الموادعة والمعاهدة التي سماها الله تعالى في هذه الآية ميثاقاً، لأنها عهدٌ وعقدٌ مؤكَّد^(٣).

(١) هو: الإمام أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر الأندلسي القرطبي المفسر، له مصنفات

تدل على سعة علمه وكثرة اطلاعه، منها: الجامع لأحكام القرآن، وغيرها. توفي، في

٩/شوال، (٦٧١هـ) انظر الديباج المذهب لابن فرحون، (ص: ٩).

(٢) انظر: تفسير الطبري ٤٠/١٤، ومعالم التنزيل للبغوي ٣/٣٧٣، وعمدة القارئ بشرح

صحيح البخاري لبدر الدين العيني ٩٥/١٥.

(٣) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٥/٣٢٥، أحكام القرآن لابن العربي ١/٤٧٧.

وقال الله تعالى في استثناء المعاهدين من القتل: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ أَوْ جَاءُوكُمْ حَصْرَتِ صُدُورُهُمْ أَنْ يَقْتُلُوكُمْ أَوْ يَقْتُلُوا قَوْمَهُمْ﴾ [النساء: ٩٠].
فهؤلاء يرتبطون بقوم بينكم وبينهم ميثاقٌ وصلحٌ وعهدٌ، فلا سبيل للتعرض لهم بسبب تركهم للقتال بهذه المودعة التي انضموا إليها مع موادعيكم، فهي واضحة الدلالة في مشروعية المعاهدات^(١).

ومن السنة النبوية وأحداث السيرة الصحيحة: وقائع كثيرة تدل على مشروعية المعاهدات، من ذلك:

ثانياً: السنة النبوية:

في السنة النبوية القولية والفعلية وقائع كثيرة تدل على مشروعية المعاهدات والمصالحات في الإسلام من ذلك ما يلي.

أ- السنة القولية:

منها الأحاديث الدالة على شدة جرم قاتل المعاهد الذي بينه بين المسلمين عهد وميثاق. فقد أخرج الترمذي في سننه أنه كان بين معاوية رضي الله عنه وبين أهل الروم عهد، وكان يسير في بلادهم، حتى إذا انقضى العهد أغار عليهم، فإذا رجل على دابة أو على فرس، وهو يقول: الله أكبر، وفاء لا غدر، وإذا هو عمرو بن عبسة، فسأله معاوية عن ذلك، فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهدها، ولا يشدنه حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء»^(٢)، قال: فرجع معاوية بالناس: قال: هذا حديث حسن صحيح.

(١) انظر: تفسير الطبري ٩/٢٤-٢٥، معالم التنزيل للبغوي ٢/٢٦٠.

(٢) سنن الترمذي أبواب السير، باب ما جاء في الغدر (٤ / ١٤٣).

وما ورد في سنن أبي داود وابن ماجه، أن النبي ﷺ قال: «ستصالحون الروم صلحا آمنا، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائهم، فتسلمون وتغنمون، ثم تنزلون بمرج^(١) ذي تلول^(٢) فيقوم رجلٌ من الروم فيرفع الصليب ويقول: غلب الصليب! فيقوم إليه رجلٌ من المسلمين فيقتله فيغدر القوم وتكون الملاحم...»^(٣).

ففي الحديث دلالة واضحة أن المسلمين سيصالحون الروم ويجتمعون لغزو عدوهم، وهو من دلائل النبوة، ومن معجزاته ﷺ.

ب- السنة الفعلية:

عقد النبي ﷺ الكثير من المعاهدات بينه وبين أعدائه؛ منها راواه محمد بن كعب القرظي^(٤) قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة وادعته يهودها كلها، وكتب بينه وبينها كتاباً، وألحق كل قوم بحلفائهم؛ وكان فيما شرط عليهم ألا يظاهروا عليه عدواً، ثم لما قدم المدينة بعد وقعة بدر بعت يهود، وقطعت ما كان بينها وبين رسول الله ﷺ من العهد، فأرسل إليهم، فجمعهم، وقال: (يا معشر يهود أسلموا تسلموا، فوالله إنكم لتعلمون أني رسول الله...)^(٥). فصار هذا أصلاً بجواز المودعة عند ضعف

(١) المرج: أرض واسعة فيها نبت كثير تخرج فيها الدواب، أي تخلى تسرح مختلطة حيث شاءت والجمع مروج، انظر: لسان العرب ٢ / ٣٦٤.

(٢) تلول: جمع تل، والتل كومة من الرمل، والتل من صغار الآكام، وهو أصغر من الأكمة وأقل حجارة من الأكمة، انظر: لسان العرب ١١ / ٧٩.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في صلح العدو ٣ / ٨٥، وابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب الملاحم ٢ / ١٣٦٨، كلاهما عن ذي مخبر ﷺ، وصححه الألباني في صحيح الجامع ١ / ٦٧٦.

(٤) هو: محمد بن كعب بن حيان بن سليم، العلامة، الصادق، أبو حمزة، القرظي، المدني، من الأوس، ولد سنة (٤٠) على الصحيح، وكان أبوه كعب من سبي بني قريظة، سكن الكوفة مدة، ثم المدينة، توفي سنة (١٢٠هـ)، وقيل قبل ذلك. انظر: تقريب التهذيب ٢ / ٥٠٤.

(٥) انظر: أنساب الأشراف للبلاذري ١ / ٢٨٦، والأموال لأبي عبيد ١ / ٢٣٢ وما بعدها.

حال المسلمين، والإقدام على المقاتلة عند قوتهم^(١).
 - واستُبدلَ أيضًا: بأنَّ النَّبِيَّ ﷺ أرسل في غزوة الخندق إلى عُيَيْنَةَ^(٢). ابن حصنٍ
 - وفي رواية: عيينة والحارث بن عوف^(٣)، وهما قائدا غطفان - وقال: (أرأيت لو
 جعلتُ لك ثلث ثمار الأنصار، أترجع بمن معك من غطفان وتحدُّل بين
 الأحزاب؟)^(٤).

فقد همَّ النَّبِيُّ ﷺ بعقد الصلح بينه وبين غطفان، ثمَّ عدل عنه بعد مشاوره
 السَّعْدِينَ - رحمهما الله - ولو لم يكن مشروعًا لما همَّ به ﷺ.

وقد عاهد النَّبِيُّ ﷺ يهود المدينة، لما أتى إليها، وصالح أهل خيبر على أن يعملوا
 في الأرض ولهم نصف ما يخرج منها، كما صالح أهل فدك وتيما ووادي القرى،
 وصالح أهل نجران وما جاورها على دفع الجزية، وعقد صلحا بينه وبين مشركي
 مكَّة، المعروف بصلح الحديبية، وسار على منواله الخلفاء الراشدون الأربعة -
 رضوان الله عليهم أجمعين.

(١) انظر: الأموال لأبي عبيد ١ / ٢٣٢.

(٢) هو: عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن قيس عيلان الفزاري يكنى: أبا مالك. أسلم قبل
 الفتح، وشهدها، وشهد حنينًا، والطائف، وكان ممن ارتدَّ في عهد أبي بكر، ومال إلى طلحة،
 فبايعه، ثم عاد إلى الإسلام. انظر: الإصابة لابن حجر ٤ / ٦٣٩.

(٣) هو: الحارث بن عوف بن أبي حارثة بن مرة بن نشبة بن غيظ بن ريث بن غطفان الغطفاني،
 ثم الذبياني، ثم المري. قدم على رسول الله ﷺ فأسلم، أحد رءوس الأحزاب يوم الخندق،
 واستعمله النَّبِيُّ ﷺ على بني مرة. انظر: أسد الغابة لابن الأثير ١ / ٦٢٩.

(٤) السيرة لابن إسحاق ٢ / ٢٢٣ ومصنف عبد الرزاق ٥ / ٣٦٧، والتلخيص الحبير لابن
 حجر العسقلاني ٤ / ٣٢٥ ومجموعة الوثائق السياسية، محمد حميد الله ص: ٧٤ - ٧٥.

وعن أبي بكرة^(١) - رضي الله عنه -، قال: أخرج النبي ﷺ ذات يوم الحسن، فصعد به على المنبر، فقال: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»^(٢).
قال الحافظ ابن حجر^(٣) - رحمته الله -: وفيه فضيلة الإصلاح بين الناس ولا سيما في حقن دماء المسلمين^(٤).

ثالثاً: الإجماع:

ذهب جمهور الفقهاء إلى أن مشروعية الصلح ثابتة بالإجماع أيضاً، بالإضافة إلى الكتاب والسنة، واستدلوا على ذلك بأقوال الصحابة - رضي الله عنهم -.
ومن ذلك ما روي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله: (ردوا الخصوم حتى يصلحوا، فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن)^(٥) وكان ذلك بمحضر من

(١) هو: نفع بن الحارث الثقفي، أبو بكرة، مشهور بكنتيته، أسلم بالطائف، وتدلّى إلى النبي ﷺ من حصن بالطائف ببكرة، فاشتهر بأبي بكرة، وكان من فضلاء الصحابة، سكن البصر، وتوفي بها سنة (٥١هـ) أو (٥٢هـ) انظر: الاصابة، لابن حجر: ٦ / ٤٦٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب قول النبي ﷺ للحسن بن علي رضي الله عنهما: «ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين عظيمتين» وقوله جل ذكره: {فأصلحوا بينهما} [الحجرات: ٩] / ٣ / ١٨٦.

(٣) هو: أحمد بن علي بن محمد بن علي ابن حجر العسقلاني، أبو الفضل، ولد سنة (٧٧٣هـ) الإمام الحافظ العلامة، إمام الحفاظ في زمانه، برع في الحديث، وتقدم في جميع فنونه، له مؤلفات كثيرة في فنون عديدة، منها: فتح الباري شرح صحيح البخاري، وتهذيب التهذيب، وغيرهما، توفي - رحمته الله - سنة (٨٥٢هـ) انظر: البدر الطالع للشوكاني ١ / ٨٨.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر ١٣ / ٦٦.

(٥) مصنف ابن أبي شيبة، باب: في شهادة الأقطع ٤ / ٥٣٤، والسنن الكبرى للبيهقي، كتاب الصلح، باب ما جاء في التحلل وما يحتاج به من أجاز الصلح على الإنكار ٦ / ١٠٩.

الصحابة ولم ينكر عليه أحداً، فاعتبر إجماعاً من الصحابة رضوان الله عليهم^(١).
كما روي أيضاً قوله ﷺ، لأبي موسى الأشعري^(٢): (... واحرص على الصلح
ما لم يتبين لك فصل القضاء)^(٣).

قال الإمام النووي - رَحِمَهُ اللهُ -: بعد ذكر الأحاديث الواردة في صلح الحديبية:
"وفي هذه الأحاديث دليل لجواز مصالحة الكفار إذا كان فيها مصلحة وهو مجمعٌ
عليه عند الحاجة"^(٤).

وقال القرافي^(٥) - رَحِمَهُ اللهُ -: "عقد الصلح بين المسلمين وبين الكفار، ليس من
المختلف فيه، بل جوازه عند سببه مجمعٌ عليه"^(٦).

(١) موسوعة أصول الفقه ٧ / ١٢٠.

(٢) هو: عبد الله بن قيس بن سليم الأشعري، التميمي، صاحب رسول الله ﷺ الفقيه، المقرئ، أقرأ
أهل البصرة، وأفقههم في الدين، استعمله النبي ﷺ ومعاًداً على زبيد، وعدن، وولي إمرة الكوفة
لعمر بن الخطاب ﷺ أسلم أبو موسى بمكة، وهاجر إلى الحبشة، وأول مشاهده خير، ومات
سنة (٤٢هـ) انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ٢ / ٣٨٠ - ٣٨٢.

(٣) مواهب الجليل شرح مختصر خليل، للحطاب، كتاب السلم، باب الصلح ص: ٢٥٦.

(٤) شرح النووي على صحيح مسلم، باب صلح الحديبية ٦ / ٥٦.

(٥) هو: أحمد بن إدريس القرافي، شهاب الدين، أبو العباس، أحمد بن أبي العلاء، أحد الأعلام
المشهورين، كان إماماً في أصول الفقه والدين، له مصنفات، منها: شرح المحصول،
والفروق، ونحوها، توفي سنة (٦٨٢هـ)، انظر: الوافي بالوفيات للصفدي ٦ / ١٤٦.
والديباج المذهب لابن فرحون (ص: ٦٢).

(٦) الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، للقرافي ص: ١٩٠.

وقال ابن قدامة^(١) المقدسي رَحِمَهُ اللهُ: "وأجمعت الأمة على جواز الصلح"^(٢).

تابعاً: المعقول:

العقل يعضد إلى جنب أدلة الشرع أنفة الذكر هذا المذهب؛ فإن سنة الحياة بصفة عامة تقوم على علائق التبادل المنفعي بين الناس - مسلمين كانوا أو كفاراً - فتكون المصالحات من باب العوائد التي تنتظم بها الحياة، والأصل في العادات الإباحة^(٣).
ومما يدل على مشروعية المعاهدة والموادعة: أن المقصود بها هو الدعوة إلى الإسلام بأرفق الطرق وأسهلها، والتزام بعض أحكام المسلمين، ونرى أن صلح الحديبية كان سبباً لاختلاط الكفار بالمسلمين وسماعهم للقرآن والدعوة، ودخل في الإسلام في مدة الهدنة والمصالحة من شاء الله تعالى أن يدخل فيه^(٤).

- (١) هو: الامام موفق الدين أبو محمد عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي الدمشقي، ولد بجماعيل، سنة (٥٤١هـ)، في شعبان، وكان من بحور العلم، وأذكياء العالم، وأحد الأعلام في مذهب الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللهُ، صاحب (المغني). المتوفى سنة (٦٢٠هـ) انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ٤٢ / ١٧٤.
- (٢) المغني لابن قدامة ٧ / ٥.
- (٣) انظر: المصالحات والعهود في السياسة الشرعية، محي الدين إبراهيم عيسى ص ٦٦.
- (٤) الصلح في الخصومة للبراك ص: ٤٥.

شروط صحة المصالحات والمعاهدات:

لما كانت المصالحات وإبرام المعاهدات من أعظم الأعمال التي تناط بالإمامة، كان لها شروط تتطلب استيفاءها، وإذا قلنا الأصل فيها الإباحة فلا يعني ذلك الإباحة المطلقة بدون قيد أو شرط، بل لا بد أن تتوفر فيها بعض الشروط منها:

أولاً: أن يتولى الإمام أو من ينوبه إبرام المصالحة.

وهذا الشرط متفق عليه بين الفقهاء^(١)، والإمام هو رئيس الدولة مهما تسمى؛ من له السلطة العليا، أو من ينوب عنه بالتفويض، لأن ما يأمر به نائب الإمام كالذي يأمر به الإمام لا فرق^(٢).

يقول ابن قدامة -رحمته- ولا يجوز عقد الهدنة ولا الذمة إلا من الإمام أو نائبه فإن هادنهم غير الإمام لم يصح^(٣).

وقال ابن عثيمين^(٤) -رحمته-: والهدنة لا تجوز إلا من الإمام أو نائبه، وهو الذي له الولاية العامة على كل المسلمين، وهذا فُقِد من أزمته طويلاً وأقر المسلمون على ما هو عليه، وقالوا كل إنسان وليُّ على البلاد التي تحت سيطرته، تجب طاعته^(٥).

(١) انظر: الهداية شرح فتح القدير، ابن الهمام ٥ / ٤٥٥ والمجموع للنووي ١٩ / ٤٣٩ والجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، ٨ / ٤٢.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية ٣٠ / ٢٢١. وانظر: الشرح الممتع، لابن عثيمين ٨ / ٦٩.

(٣) انظر: المغني لابن قدامة ١٣ / ٧٥.

(٤) هو: الشيخ العالم المحقق، الفقيه المفسر، محمد بن صالح بن محمد آل عثيمين من بني تميم. ولد عام ١٣٤٧ هـ في مدينة عنيزة، ولازم الشيخ عبد الرحمن السعدي، والشيخ عبد العزيز بن باز، وغيرهما من جهابذة العلم، له آثار علمية في مجالات شتى من مسموع، ومكتوب، توفي -رحمته- مساء الأربعاء ١٥ / ١٠ / ١٤٢١ هـ. انظر: مشاهير أعلام المسلمين ١ / ١٥٠، وابن عثيمين الإمام الزاهد، د. ناصر الزهراني، ص: ٢٧.

(٥) انظر: الشرح الممتع لابن عثيمين ٨ / ٦١.

ثانيا: أن تتم الصلح والمعاهدة برضا الطرفين، دون أن يكون فيها إجبار أو إكراه فإن الإكراه يسلب الإرادة^(١).

والإسلام لا يرى قيمة لمعاهدة أو صلح تنشأ على أساس القهر والغلبة، وهو شرط يمليه طبيعة العقد، فإذا كان عقد التبادل في سلعة ما- بيعا وشراء- لا بد فيه من عنصر الرضا ﴿إِلَّا أَنْ تَكُونَ بِحَكْرَةٍ عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]. فكيف بالمعاهدة التي هي للأمة عقد حياة أو موت.

ثالثا: ألا يخالف الشرط حكما من الأحكام الشرعية المتفق عليها.

المصالحات في الشريعة الإسلامية من الأمور المباحة في الأصل، والمباح يظل مأذونا به ما لم يدخل دائرة الحرام، يقول ﷺ: (كل شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن مائة شرط، شرط الله أحق وأوثق)^(٢) ومعناه أن كتاب الله يرفضه ويأباه.

وقد ترجم الإمام البخاري في صحيحه ما يدل على ذلك فقال: باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود، ثم أورد فيه حديث العسيف الذي زنى بالجارية الذي ورد فيه قول النبي ﷺ: (أما الوليدة والغنم فرد عليك)^(٣).

ووجه الاستشهاد: أنه ﷺ حكم برد الوليدة والغنم لأنها كانت صلحا باطلا.

(١) انظر: مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢٩/ ١٥٥ وفقه السنة للسيد سابق ٢/ ٧٠٢.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب المكاتب وما لا يحل من الشروط التي تخالف كتاب الله ٣ / ١٩٨، ومسلم في صحيحه، كتاب العتق، باب إنما الولاء لمن أعتق ٢ / ١١٤٢ من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح

مردود ٣ / ١٨٤.

وقد أنفذ رسول الله ﷺ في سيرته العملية هذا الشرط في عدة مواقف منها:
 امتناعه ﷺ من ردّ المؤمنات المهاجرات إلى قريش حين سأله ذلك في صلح الحديبية،
 فإذا خالف حكمًا شرعيًا متفقًا عليه لم يصح^(١).
 رابعا: أن تكون ثمّة حاجة أو مصلحة تدعو إلى الصَّلح والمعاهدة.



(١) تفسير الطبري ٢٨ / ٤٥.

المطلب الثالث: أنواع الصلح.

يتحدّد نوع المصالحات والمعاهدات في الإسلام بين المسلمين وغيرهم بحسب طبيعة العلاقات، إمّا دائمة وإمّا مؤقتة، والمعاهدة الدائمة هي عقد الذمة، والمعاهدة المؤقتة هي عقد الأمان والهدنة.

وقد تختار الدولة الإسلاميّة عقد معاهدة مع غير المسلمين على أساس آخر غير عقد الذمة أو الأمان، بشكلٍ يحقّق المودّة، ويكفل نشر الدّعوة الإسلاميّة، بطريقٍ سلميٍّ قائمٍ على أساس المنطق والحجّة، وذلك كعقد معاهدة مودعة وحسن جوار وعدم اعتداء، وعلى هذا فينقسم إلى:

- معاهدة الجوار، كما فعل الرسول ﷺ لما استقر في المدينة، عقد عدّة معاهدات مع القبائل المجاورة للمدينة، وذلك من أجل مصلحة الدّعوة الإسلاميّة، والدولة الناشئة التي كانت بحاجة إلى الأمن والاستقرار.
- معاهدة الأمان، وهي المعاهدة التي تتيح لغير المسلمين حق الدّخول إلى أراضي الدولة الإسلاميّة، لأغراض سلمية^(١).

وبالنظر إلى موضوع الصلح وأطرافه فإننا نرى أنه يتنوع إلى الآتي:

- الصلح بين الزوجين إذا خيف الشقاق بينهما.
- الصلح بين المسلمين والكفار، بعقد الذمة أو الهدنة أو الأمان، وهو موضوع بحثنا.
- الصلح في المعاملات بين المتخاصمين في الأموال، وهو مبثوث في كتب الفقه.
- الصلح بين المتخاصمين في غير المال، كالجنايات ونحوها^(٢).

(١) انظر: النزاعات الدوليّة في الشريعة الإسلاميّة والقوانين الوضعية د. علي بن عبد الرحمن الطيّار، ص ٤٦. والمجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية، الدكتور محمد الصادق عفيفي ص: ٢٣٤.

(٢) انظر: المغني، لابن قدامة ٥/٧. وفتح الباري، لابن حجر ٥/٢٩٨ وعقد الصلح في الشريعة الإسلاميّة للدكتور: نزيه حماد، ص: ١٦.

وإذا شُرعت المعاهدات فإنها تتنوع حسب وجهة النظر إليها، فقد تكون مؤبّدة كعقد الذمة، وقد تكون مؤقتة كالأمان والهدنة والمواذعة، وقد تكون مطلقة عن الوقت في هذه العقود نفسها.

ومن حيث موضوعها: قد تكون معاهدات لوضع الحرب كالهدنة، وقد تتعلق بأمور التجارة ونحوها.

ومن جهة من تعقد معهم: قد تكون ثنائية، وقد يتعدد أطرافها فينضم إلى أحد الطرفين من يدخل في عهده، كما في صلح الحديبية.

ومن ناحية أخرى: قد تكون مع المشركين وقد تكون مع المرتدّين ومع البغاة من المسلمين، ولكل منها أحكام تخصّها^(١).

(١) انظر: شرح السير الكبير لمحمد الشيباني ٥ / ١٦٨٩ و ١٧٠٦، والمعاهدات الدولية في فقه

الإمام محمد بن الحسن الشيباني، عثمان جمعة ضميرية ص: ٣٨.

المبحث الثالث: فضل الصلح وأهميته في توطيد دعائم الدولة الإسلامية.

المطلب الأول: فضل الصلح.

الصلح بين الناس من أعمال البرِّ العظيمة التي حثَّ الله تعالى عليها وأمر بها، ورتَّب على القيام بها فضائل كثيرة، وفي ترك القيام بها تحصل مفسدات كثيرة، وتتلخص هذه الأهمية في الجوانب التالية:

أولاً: أمر الله تعالى المتكرر بالصلح.

الصلح مما يحقق التآلف والتوادد بين الناس، ويزيل الشحناء والبغضاء بين المؤمنين، والله تعالى لا يأمر إلا بما فيه مصلحة العباد، ولو جاء الأمر في موضع واحد لكان كافياً، فكيف إذا تكرر الأمر به والترغيب فيه، قال تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ﴾ [الأنفال: ١].

ثانياً: تولى النبي ﷺ لأمر الصلح بنفسه.

مما يدل على أهمية الصلح وفضله، قيام النبي ﷺ بنفسه في الصلح والإصلاح بين الناس، حيث يقتدي به الخلق في حياتهم، وقد بَوَّب الإمام البخاري في صحيحه، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس، وقول الله تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

وخروج الإمام إلى المواضع ليصلح بين الناس بأصحابه. وأورد في ذلك عدة أحاديث منها حديث سهل بن سعد رضي الله عنه، أن أناساً من بني عمرو بن عوف، كان بينهم شيء، فخرج إليهم النبي ﷺ في أناسٍ من أصحابه يصلح بينهم^(١). وفي رواية قال: (أن أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله ﷺ ذلك، فقال: اذهبوا بنا نصلح بينهم)^(٢).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصلح، باب ما جاء في الإصلاح بين الناس... ١٨٢ / ٣.

(٢) المصدر السابق، كتاب الصلح، باب قول الإمام لأصحابه، اذهبوا بنا نصلح... ١٨٣ / ٣.

ثالثاً: مدح القرآن الكريم والسنة النبوية المصلح بين الناس.

مما يؤكد فضل الصلح ومكانته أن القرآن الكريم جعل من أعظم ما يتناجى به الناس، الإصلاح بين الناس، قال تعالى: ﴿لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ﴾ [النساء: ١١٤].

وقد مدح النبي ﷺ المصلح بين الناس، كما في حديث أبي هريرة (١) عن النبي ﷺ قال: (ما عمل ابن آدم شيئاً أفضل من الصلاة، وإصلاح ذات البين، وخلق حسن) (٢).

وقال ﷺ عن الحسن بن علي (٣) - رضي الله عنهما -: (إنّ ابني هذا سيد ولعل الله أن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين من المسلمين) (٤).

ففي الأثرين حثّ من النبي ﷺ للصلح بين الناس، وبشارة للحسن ﷺ أنه سيصلح الله به بين الفئتين المختلفتين.

(١) هو: عبد الرحمن بن صخر - مختلف في اسمه - كان اسمه في الجاهلية عبد شمس، الدوسي الأزدّي اليماني، كناه النبي ﷺ بأبي هريرة، أسلم عام خيبر، كان من أحفظ أصحاب رسول الله ﷺ روى عنه (٥٣٧٤) حديثاً، توفي سنة (٥٥٩هـ) وله (٨٧ سنة)، انظر: سير أعلام النبلاء، للذهبي ٢ / ٥٧٨.

(٢) انظر: الدراية في تخريج أحاديث الهداية لابن حجر العسقلاني، باب الشهادة في القتل ٢٧٠ / ٢. وصححه الألباني في سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣ / ٤٥.

(٣) هو: الحسن بن علي بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف الهاشمي سبط رسول الله ﷺ وريحانته أمير المؤمنين أبو محمد ولد في شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة، روى عن النبي ﷺ أحاديث حفظها عنه، مات رضي الله عنه مسموماً سنة (٤٩هـ) وقيل: (٥٠هـ) وقيل غير ذلك، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة - (٢ / ٦٨، ٧٣).

(٤) سبق تخريجه في ص: ٤١

رابعاً: الخيرية المطلقة في الصلح:

مما يدل على فضل الصلح وأهميته أن جعل الله فيه خيرية مطلقة في كل نزاع
يحدث قال الله تعالى: ﴿وَالصُّلْحُ خَيْرٌ﴾ [النساء: ١٢٨].

قال القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ -: قوله تعالى: (والصلح خير) لفظ عام مطلق يقتضي أن
الصلح الحقيقي الذي تسكن إليه النفوس ويزول به الخلاف خير على الإطلاق،
ويدخل في هذا المعنى جميع ما يقع عليه الصلح^(١).

وبيّن النبي ﷺ فضله فقال: (ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة
والصدقة قالوا بلى يا رسول الله قال: إصلاح ذات البين، وفساد ذات البين الحالقة^(٢))^(٣).



(١) انظر: تفسير القرطبي ٥ / ٤٠٦.

(٢) الحالقة: أي: التي تخلق شعرها إذا أصيبت بزوجها، انظر: تهذيب اللغة ٦ / ٥٤.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه، في كتاب الأدب، باب إصلاح ذات البين ١٠ / ٤١٩ والترمذي في
سننه، في صفة القيامة والرفائق ٣ / ٤٥٢، كلاهما من حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وصححه
الألباني في صحيح أبي داود ٣ / ٩٢٩.

المطلب الثاني: أهمية الصلح في توطيد دعائم الدولة الإسلامية:

لقد أسس النبي ﷺ دولة الإسلام على القواعد الشرعية المبنية على أسس العقيدة السليمة من أول يوم، وسار على نهج الخلفاء الراشدين ﷺ من بعده، بعد أن رسخ ووطد لعلاقات داخلية متينة، مبنية على روابط الأخوة والمحبة والتعاون والإيثار، فاهتم بالأرحام وذوي القربى، وأسس لحسن الجوار والصدقة، ثم عامة المسلمين، حيث بُنيت هذه العلاقات على حفظ الحقوق العامة والخاصة التي يصعب ذكرها أو حصرها^(١).

والدين الإسلامي، دين اهتم بأفراد مجتمعه ولو كانوا من غير أتباعه، بل أقام العلاقات معهم على دعائم ثابتة، علاقات قائمة على العدل في التعامل والتسامح والإحسان، والبر وحسن الجوار، والاحترام المتبادل، لمن لا يعتدي، ومرجع هذه العلاقة قول الله تعالى في سورة الممتحنة: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨].

ولا يعني ذلك المودة والموالاتة لأهل الكفر والإلحاد.

قال الحافظ ابن حجر -رحمته-: (البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحاب والتوادد المنهية عنه في قوله تعالى: ﴿لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [المجادلة: ٢٢]. فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل)^(٢).

والإسلام ينشد السلم ويدعو إلى استقراره بين الأمة الإسلامية، وبينها وبين الأمم الأخرى التي لا تنكر الخالق، وينهى المسلمين عن الاعتداء في علاقاتهم بتلك الأمم، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَآفَّةً﴾

(١) انظر: منهج القرآن في إصلاح المجتمع د. محمد السيد يوسف. ص: ٢١٢ - ٢٢٤.

(٢) فتح الباري، لابن حجر / ٥ / ٢٣٣.

والسّلم هنا هو الإسلام، لأنّ الإسلام يحرص على السّلام وإدامته بين المسلمين وغيرهم الذين تحت رعاية الدّولة الإسلاميّة وحمايتها، ولذا أمر الله بإيثار السّلم على الحرب فقال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ [الأنفال: ٦١].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا عَنْكُمْ فَلَمَّا يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْفُؤَا إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ فَأَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا﴾ [النساء: ٩٠].

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَىٰ إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ لَسَتْ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤].

وهذه النصوص وغيرها تدلّ على أنّ المسلمين إذا حملوا السّلاح فلاجل إعلاء كلمة الله، كما يتبيّن منها أنّ مبدأ التعايش السّلمي من مبادئ هذا الدّين الحنيف^(١).

ومن ناحية أخرى؛ فإنّ العهود والمصالحات تضبطان العلاقات السياسيّة المختلفة في المجتمع، فالإمام يرتبط بالأمة بعلاقة تعاقدية في عهد البيعة، وكذا الطوائف والفئات غير المسلمة في المجتمع انتظمت هذه السياسة وطبقتها، ودخلت فيها ضمناً، والأمر نفسه يتكرّر عندما يتعلّق بالسياسة الخارجيّة، وكلّ ذلك عند التأمّل يندرج تحت مقصد سياسة المصالحات التي تهدف إلى استقرار المجتمع بصفة عامّة.

والدّين الإسلاميّ يحتفي بالعهود ويعوّل على نهج المصالحات كثيراً في تنظيم وإحكام مختلف فروع الحياة، وهذه السياسة ليست مجرد وسيلة تنظّم علاقة الأفراد والمجموعات وحسب، بل هي رؤية متكاملة تتجسّد وتتظلم عبرها الدّولة المسلمة.

والمحالفات أو المعاهدات التي تعقدها الدّولة المسلمة مع الدّول التي تخالفها في العقيدة والفكر، تعدّ من أمثل النّماذج التي تؤكّد فاعلية دور السّلام والصلح في نشر الإسلام.

(١) انظر: مبادئ الإسلام ومنهجه في قضايا السلم والحرب والعلاقات الدولية الإنسانيّة،

أبوبكر إسماعيل ميّقا ص: ٦٥-٦٧.

ومن ذلك ما ذكره الحافظ ابن كثير^(١) - رَحِمَهُ اللهُ - عند ذكر الدروس والعبر المستقاة من صلح الحديبية: قال: قال ابن إسحاق - رَحِمَهُ اللهُ - في قوله: ﴿ فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾ [الفتح: ٢٧].

قال الزهري^(٢) - رَحِمَهُ اللهُ -: فما فتح في الإسلام فتح قبله كان أعظم منه، إنما كان القتال حيث التقى الناس، فلما كانت الهدنة ووضعت الحرب أوزارها وأمن الناس كلّم بعضهم بعضاً، والتقوا فتفاوضوا في الحديث والمنازعة، فلم يكلم أحد في الإسلام يعقل شيئاً إلا دخل فيه ولقد دخل في تينك السنين مثل من كان دخل في الإسلام قبل ذلك أو أكثر^(٣).

قال ابن هشام - رَحِمَهُ اللهُ -: والدليل على ما قاله الزهري: أن رسول الله ﷺ خرج إلى الحديبية في ألفٍ وأربع مائة رجلٍ في قول جابر، ثم خرج عام فتح مكة بعد ذلك بستين، في عشرة آلاف^(٤).

ومما يبين أهمية الصلح - لاسيما في العصر الحاضر - أنه يبعث الأمن والاستقرار بين الدول مما يفتح المجال لتوجه الدول إلى تعليم أبنائها وابتعائهم إلى الدول

(١) هو: أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، الإمام الحافظ المفسر المؤرخ الكبير، صاحب «البداية والنهاية»، و«تفسير القرآن العظيم» توفي - رَحِمَهُ اللهُ - في شهر شعبان سنة (٧٧٤هـ)، انظر: شذرات الذهب لابن العماد ١ / ٦٨.

(٢) هو: محمد بن مسلم بن عبيد الله بن عبد الله بن شهاب، الإمام العَلَم، حافظُ زمانه، أبو بكر القرشي، الزهري، المدني، نزيل الشام، ولد سنة (٥٠هـ)، وقيل: سنة (٥١هـ)، أعلم علماء عصره بالسنة، توفي في أول سنة (١٢٦هـ)، وقيل: (١٢٥هـ). انظر: تذكرة الحفاظ ١ / ٨٦.

(٣) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير ٤ / ١٧١.

(٤) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٣٢٢.

المصالحة، كما أنه يزيد الدولة المسلمة طمأنينة واستقرارا لتقوم بأداء العبادات على الوجه الأكمل دون خوف من غيرهم، وإعداد العدة للجهاد. والصلح يتيح للدول المتصالحة، التكاتف والتعاون مما يخدم المجتمعات من فتح للمستشفيات، وإقامة للبنية التحتية، وغيرها مما يقوي الاقتصاد، إذ الدولة المسلمة إذا لم يكن بينها وبين غيرها من الدول صلح ومعاهدة، اضطرت دفعت الأموال الطائلة لحماية الثغور، مما يؤثر على الاقتصاد، ويقلل الأمن.



المبحث الرابع: معالم الصلح النبوي المقصودة بالدراسة.

المصالحات والمعاهدات الدوليّة أسلوبٌ من أساليب الدّعوة إلى الله تعالى، وتحسين العلاقات الدوليّة، فبالمعاهدات تتحوّل العلاقة من حربٍ إلى سلمٍ. وكان النبي ﷺ يستخدم مع أعدائه لغة الصلح والحوار، حول المصالح المترتبة على الصلح للجانبين، وقد يحار المرء للوهلة الأولى عندما يطالع ما تمّ بينه وبين أعداء الدّين، فيرى أحياناً أسلوب التّشدد وأحياناً أسلوب المرونة والدّين، والحقيقة أنّها لا تعارض، فأما التّشدد فيكون في الثّبات على المبادئ، إذ لا مساومة على المبادئ الإسلاميّة، لأنّ أعلى هدفٍ لدولة الإسلام هو الدّعوة إلى مبادئه، فلا يقبل أيّ تعديلٍ أو تغييرٍ سواء في لحظات قوّة المسلمين أو ضعفهم، كمفاوضة المشركين في العهد المكيّ عن تحويل بعض مبادئ الإسلام، وعرضهم على النبي ﷺ التّعبد بدينهم حيناً، مقابل تعبد المشركين - حسب زعمهم - بدين النبي ﷺ حيناً آخر.

وقد جاء وفد ثقيف في أواخر البعثة النبوية إلى المدينة النبوية، ومعه عزّة الجاهلية وشرطوا على النبي ﷺ (أن يأذن لهم بالزنا، وشرب الخمر، وأكل الرّبا، ويترك لهم اللات ولا يهدمها، وأن يعفيهم عن الصلاة، وأن يكسروا أصنامهم بأيديهم فأبى رسول الله ﷺ أن يقبل شيئاً من ذلك)^(١).

أما التّساهل في بعض مفاوضاته ﷺ، فيكون في عدم الوقوف على الأمور الشّكلية التي ترضي أعداء المسلمين ولا تضرّ بالمسلمين، أو تكون مضرّة بسيطة إذا ما قيست وقورنت بالمضار التي تدفعها والمصالح التي تحققها^(٢).

(١) المنهج الحركي للسيرة النبوية، منير محمد الغضبان، ص: ٤٩٥. وانظر: السيرة النبوية لابن هشام ٤/ ١٦٥ وفيه: (أما كسركم أو ثنائكم بأيديكم فسنعفيكم منه، وأما الصلاة فإنه لا خير في دين لا صلاة فيه).

(٢) انظر: نظرات في أحكام الحرب والسلم، د. محمد اللافي، ص: ٣٧٢.

وهذا من فقه الدعوة والبصيرة فيه، وهو مراعاة المصالح والمفاسد، وتقديم الأهمّ فالمهمّ، والمداراة فيما يجوز، والابتعاد عن المداهنة. وخير مثالٍ على ذلك، ما جرى بين النبي ﷺ وقريشٍ في معاهدة الحديبية، فقد كان ﷺ متساهلاً معهم وإن كان في بعض شروط الصلح ضيّم^(١) للمسلمين، إلا أنّها لا تمسّ بالعقيدة وبمبادئ الدين الإسلاميّ. وبعد عرض مواقف الرسول ﷺ بين الشدة واللين في مصالحاته ومفوضاته، أذكر جملة من المصالحات المقصودة بالدراسة، وهي معاهدته ﷺ مع غير المسلمين (المشركون، وأهل الكتاب).

وقد بين ابن القيم^(٢) - رَحِمَهُ اللهُ - حال أعداء الإسلام مع الرسول ﷺ في المدينة

فقال: لما قدم النبي ﷺ لما أتى إلى المدينة صار الكفار معه ثلاثة أقسام.

- قسم صالحهم ووادعهم على أن لا يجاربه، ولا يظاهروا عليه، ولا يوالوا عليه عدوه، وهم على كفرهم آمنون على دمائهم وأموالهم.

- وقسم حاربوه ونصبوا له العداوة.

- وقسم تاركوه فلم يصالحوه ولم يجاربه، بل انتظروا ما يؤول إليه أمره وأمر أعدائه، ثمّ من هؤلاء من كان يجب ظهوره وانتصاره في الباطن، ومنهم من كان يجب ظهور عدوه عليه وانتصارهم، ومنهم من دخل معه في الظاهر، وهو مع عدوه في

(١) ضيم: الضاد، والياء، والميم، أصل صحيح، وهو كالتقهر والاضطهاد، انظر: معجم مقاييس اللغة لابن فارس ٣ / ٣٨٣.

(٢) هو: الإمام أبو عبد الله شمس الدين محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعيّ الدمشقيّ، المعروف بابن قيم الجوزية، ولد سنة (٦٩١هـ) لا زم الشيخ تقي الدين ابن تيمية الحراني، وأخذ عنه. له مؤلفات كثيرة منها: زاد المعاد، وإعلام الموقعين، وغيرها، انظر: شذرات الذهب لابن العماد ٨ / ٢٨٧، وذيل طبقات الحنابلة ٥ / ١٧١.

الباطن ليأمن الفريقين، وهؤلاء هم المنافقون، فعامل كل طائفة من هذه الطوائف بما أمره الله به^(١).

وقبل ذكر هذه الفئة الثلاثة وما جرى بينها وبين الرسول يحسن أن أعرج على إيضاح أصل العلاقة بين المسلمين وغيرهم. أهي سلمية أم حربية؟ في مطلبين هما:

المطلب الأول: الأصل في العلاقة بالأمم السلم أم الحرب؟

هذا المطلب مهم جداً لمعرفة طبيعة العلاقة بين المسلمين ومخالفهم في الدين وحقيقتها، وهل هي قائمة على السلم أو على الحرب؟ وبمعرفة ذلك يتبين لنا حكم وأسباب عقد هذه المصالحات التي نحن بصددتها وغيرها من الأحكام الفقهية.

فإذا كان الأصل في العلاقات مع الأمم المخالفة في الدين هو السلم، فمقتضى ذلك أن الناس في الأصل مسلمون فتنشأ علاقات التبادل المنفعي، والتعاون المشترك تلقائياً، وإن لم يكن هناك عهود ومواثيق.

وإذا كان الأصل في العلاقات الحرب، فيقتضي ذلك أن العلاقة قائمة على الحرب والقتال، والحرب معلنة وقائمة بين المسلمين وغيرهم حتى يطرأ ما يوقفها من اتفاقات ومواثيق، وعندها يكون السلم، الذي هو الصلح، وعلى هذا فليس ثمة في الأصل علاقات سلام وأمن وتعاون إلا إذا جد ما يقررها من مواثيق.

ولم يقصد الباحث هنا الحديث عن السلم والحرب مفصلاً، بل القصد هو تقرير الأصل ببيان أقوال أهل العلم في المسألة، كما سيتطرق إلى بيان سبب قتال الكفار، وهل الكفر سبب موجب للقتال أو مبيح له؟ وبه نبدأ مستمدّين من الله تعالى العون والتوفيق.

(١) فقه السيرة من زاد المعاد، ابن القيم ص: ١٦٧.

أولاً: ذهب جماعة من أهل العلم^(١) أن الكفر هو السبب الأصلي والحقيقي في القتال ولكن اختلفوا هل هو موجب أم مبيح له؟
والظاهر من كلام الشافعية أنه موجبٌ كما يفهم ذلك من كلام غيرهم^(٢).
وفهم من كلام ابن تيمية أنه مبيحٌ لا موجب^(٣).
واستدلوا بالنصوص المطلقة المتواترة التي جاءت بالأمر بقتال الكفار كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا أَنْسَخَ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].
وقوله: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

وبما جاء في صحيح مسلم - رَحِمَهُ اللهُ -: عن سليمان بن بريدة عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيشٍ أو سريةٍ أوصاهُ في خاصته بتقوى الله ومن معه من المسلمين خيراً ثم قال: (اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتهنَّ ما أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجرى عليهم حكم الله الذي يجرى على المؤمنين ولا يكون لهم في الغنيمة والفية شيءٌ إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم

(١) انظر: بداية المجتهد لابن رشد ١/ ٣٨٤ وأحكام القرآن لابن العربي ص: ١٠٩ والمغني قدامة ١٠/ ٣٨٥ والسيل الجرار للشوكاني ٤/ ٥٢٨.
(٢) انظر: الرسالة، للشافعي ص: ٣٠٠، وقواعد الأحكام، للعز بن عبد السلام ٢/ ٧٤.
(٣) انظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول لابن تيمية، ص: ١٦٠.

أجابوك فاقبل منهم وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم...^(١).

حيث أمر الله تعالى المسلمين بوصفهم أصحاب شرك وكفر، دون وصفهم
بغيرها من الأوصاف^(٢).

ثانياً: وذهب الحنفية إلى أن الكفر وحده ليس سبباً في القتال بل إذا كان معه
محاربة ومقاتلة من الكفار، أي القتال سببه المحاربة، وقد وافق الحنفية الإمام
مالك وأحمد في أحد قوليه^(٣).

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ
كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦]. وقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلَا تَعَدُوا
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾ [البقرة: ١٩٠] أي لا تبدؤوا المشركين بالقتال^(٤).

والذي يظهر - والله أعلم - أن الكفر ليس سبباً موجباً للقتال بل هو مبيح
له، وإذا اجتمعت مع الكفر خصال سيئة كالمحاربة والفتنة وعرقلة سير الدعوة
وصدها وجب القتال.

ووجه كونه مباحاً، النصوص العامة المطلقة في قتال الكفار غير أهل العهد
والصلح، وإباحة دمائهم بعد بلوغهم الدعوة إلى الله، وقد نص جماهير أهل
العلم على ذلك^(٥).

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الأمير الأمراء على البعوث
ووصيته إياهم بأداب الغزو ١٣٩/٥.

(٢) دلالة النصوص والإجماع على فرض القتال للكفر والدفاع، ص: ٦٠.

(٣) انظر: المبسوط ٣٠/١٠ ومجموع الفتاوى ٢٠/١٠١.

(٤) انظر: زاد المسير، لابن الجوزي ١/١٨٠.

(٥) انظر: بدائع الصنائع للكاساني ٧/١٤١، والمغني لابن قدامة ٩/٥٣٠، والسييل الجرار
للسوكاني ٤/٥٢٢. الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، للطريقي، ص: ١٠٦.

ووجه كونه غير واجب: أنَّ ثَمَّة فئات كثيرة لا تُقتل كالنساء والصبيان والرهبان والشيوخ ونحوهم والأسرى فإنه لا يجب قتلهم، بل جاءت أدلة صريحة وصحيحة في منع ذلك، فعن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ((انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخا فانيا ولا طفلا صغيرا ولا امرأة ولا تغلوا...))^(١).

وكذلك قبول دخول الكفار في الذمة ودفع الجزية إلى المسلمين، بل وجواز مصالحة الكفار وإبقائهم في دورهم وما حصل في خير يؤيد ذلك.

أيهما الأصل السلم أو الحرب؟

إذا تقرّر عندنا أن الكفر سببٌ مبيحٌ للقتل لا موجبٌ له لما تقدّم، فهل يعني ذلك أن العلاقة بين المسلمين وغيرهم قائمةٌ على السلم أو الحرب؟
للعلماء في المسألة قولان :

القول الأول: الأصل في العلاقة الحرب، وهو قول للجمهور، فيجب قتال الكفار حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون، أو يصالحوا المسلمين لإيقاف الحرب لمدة معينة.

فقد جاء في العناية شرح الهداية: (وقاتل الكفار الذين امتنعوا عن الإسلام وأداء الجزية واجب وإن لم يبدووا بالقتال للعمومات الواردة في ذلك...)^(٢).

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب في دعاء المشركين ٢ / ٣٤٢ .

(٢) العناية شرح الهداية، للبابرتي، ٥ / ٤٤١ .

وفي الكافي لابن عبد البر^(١) - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: (وكل من أباي الدخول في الإسلام أو أباي إعطاء الجزية قوتل...) ^(٢) وقد ورد مثله عن الأئمة في المذهبين الشافعي والحنبلي. وظاهر عبارات أولئك الفقهاء تدل على أن القتال لا بد من استمراره ولا يجوز تأخيره، بل الهدنة لا تجوز إلا عند الحاجة ولمدة معلومة كما هو واضح في كلام الشيرازي والبهوتي^(٣) فهو دليل على أن الحرب هي الأصل، أما السلم فلا يتم إلا بسبب هدنة أو صلح أو عقد ذمة.

واستدلوا بنصوص من الكتاب والسنة الآمرة بقتل الكفار كقوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ [التوبة: ٣٦].

وقوله: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥].

وقوله عليه الصلاة والسلام فيما رواه الشيخان - رحمهما الله - عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ قال: (أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحق الإسلام وحسابهم على الله)^(٤).

(١) هو: يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري، أبو عمر القرطبي، الإمام الحافظ، والعلامة المتقن، كان ثقة ديناً، صاحب دين واتباع، له تصانيف بديعة نافعة، منها: التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد، والاستيعاب في معرفة الأصحاب، وغيرها. وتوفي سنة: (٤٦٣ هـ). انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي، ١٨/١٥٣-١٦٣.

(٢) الكافي في فقه أهل المدينة لابن عبد البر ١/٤٦٦.

(٣) انظر: المهذب، المهذب في فقه الإمام الشافعي للشيرازي ٣/٣٢٢، وكشاف القناع عن متن الإقناع للبهوتي ٣/١١٢.

(٤) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الوحي، باب فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم ١/١٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله محمد رسول الله ١/٥١. وعندهما عن أبي هريرة وجابر - رضي الله عنهما - بنحوه، واختلاف في بعض الألفاظ.

ولأن الله تعالى نهى المؤمنين عن طلب المسالمة والمواذعة ﴿ فَلَا تَهْتُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾ [محمد: ٣٥] وهذا يعني أن السلم ليس بأصل.

والسلم الجائز لا بد أن تكون موقوتة بمدة معينة لا تتجاوز صلح الحديبية^(١).

القول الثاني: الأصل في العلاقات السلم، والحرب أمر عارض لا يصر إليه إلا عند الضرورة، وذلك حينما يكون الاعتداء على المسلمين، ومتى كان الكفار مسلمين تاركين الدعوة وشأنها فإنه لا يحل قتالهم لمجرد كفرهم ومخالفتهم في الدين، فالجهاد شرع لحماية المسلمين وديارهم ودعوتهم، والسلم هو الأصل، وذهب إلى هذا القول جمهور الفقهاء^(٢) والباحثين المعاصرين^(٣).

واستدل بالنصوص التي تدعو إلى السلم. كقوله تعالى: ﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَدْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَآفَّةً ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. وقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴾ [الأنفال: ٦١].

ولأن الله تعالى لم يشرع الإكراه في الدين بل الأمر خيار للإنسان: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩]. ويعني ذلك أن القتال لم يشرع لإدخال الناس في الدين كرها، وإذا كان كذلك فالسلم هو الأصل^(٤).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي ٣٩ / ٨ وما بعدها.

(٢) يراجع كلام الشيخ عبد الله الطريقي في كتابه الاستعانة بغير المسلمين ص: ٩٢.

(٣) من أمثال هؤلاء، محمد رشيد رضا، ومحمود شلتوت، ومحمد أبو زهرة وعبد الوهاب خلاف، في كتاباتهم.

(٤) الاستعانة بغير المسلمين، لعبد الله الطريقي، ص: ١١٧.

ولأن روح الإسلام تدعو إلى العفو والتسامح والمسالمة، فإن السلام من أسماء الله وهو تحية المسلمين، بل الجنة دار السلام، الأمر الذي يدل على أهمية السلام في الإسلام^(١).
وبهذا يتضح الفرق بين الرأيين السابقين، وإبراز ذلك كالآتي:

أولاً: القول بأن الحرب هي الأصل بين المسلمين وغيرهم يقتضي قيام العلاقات بين المسلمين ومخالفهم على العدا والمحاربة حتى يطرأ ما يوقفه من عهود ومواثيق و صلح ونحوها، ولا ينبغي مهادنة الكفار إلا عند الحاجة.
وإذا قصد به - أي أن الحرب هي الأصل - أن الإسلام يشن الغارات والمبادأة بالقتال، وقتال كل كافر، وإن امرأة أو طفلاً، أو راهباً أو شيخاً، سواء دعوا إلى الإسلام أم لا، وسواء قبلوا المعاهدة أم لا، فلا شك أن ذلك تشويهٌ لصورة الإسلام الحنيف الذي يأمر بالرفقة والرحمة.

وإن قصد به الحرب والقتال عند بلوغ الدعوة إلى الكفار ولم يقبلوا الدعوة ولم ينقادوا لدفع الجزية، بل عادوه واعترضوا له فهذا صحيح وجهاً واجباً للأدلة الواردة في ذلك^(٢).

ثانياً: القول بأن السلم هو الأصل يقتضي أن العلاقة بين المسلمين ومخالفهم قائمة على السلم والأمان والتعاون حتى يطرأ ما يوجب الحرب، كما يعني أن الخلاف في الدين لا ينبغي أن يثير الأحقاد والعداء، لأنه من الأسباب المبيحة للقتال لا الموجبة له، ولا يلجأ إلى القتال إلا عند الضرورة القصوى من أجل حماية الدعوة الإسلامية. وإذا قصد بأن السلم هو الأصل، ومعنى ذلك: أن الإسلام لا يفرق بين الناس مسلمهم وكافرهم بل هم سواسية وعليهم أن يعيشوا جميعهم متحابين، فذلك

(١) انظر: المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية، د. محمد الصادق عفيفي ص: ١٤٠.

(٢) انظر: الاستعانة بغير المسلمين، للطريقي ص: ١٢١-١٢٦.

مردود، والأدلة والبراهين في ذلك كثيرة، كقوله تعالى: ﴿لَا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكُفْرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَنْ تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَنَّةً﴾. والمؤمنون أمة واحدة، يسعى بذمتهم أدناهم، وكما هو مبين في وثيقة المدينة. وأما إذا قصد به أن المسلمين يجب عليهم نشر الدين والدعوة إلى الله بالوسائل المطلوبة المقررة في الشرع كالحكمة والموعظة الحسنة والجدال بالتي هي أحسن، فإذا اعترض طريقهم أي عقبة قضوا عليها بالوسائل الممكنة من غير تعدٍّ، ويقاثلون الكفار لاعتراضهم على الدعوة والصد عنها لا لمجرد كفرهم كما تقرّر، فذلك مطلوب، وقد وادع النبي ﷺ بني ضمرة وهم على شركهم وعبادة أوثانهم، ولم يتعرض ﷺ للقبائل إلا بعد اعتراضها على طريق الدعوة والتصدي لها، ونقض العهود المبرمة بين الطرفين^(١).

وبهذا يتّضح أنّ العلاقة بالكفار ليست قائمة على الحرب، لأنّها لو كانت كذلك لقليل بمبادأة الناس ومفاجأتهم بالقتال، والواجب على المسلمين القضاء على الكفار لا دعوتهم وإبلاغهم الدين.

وقد أمر النبي ﷺ بالدعوة قبل القتال، فقال لعليّ ابن أبي طالب ﷺ: (... انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيهم فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم)^(٢).

(١) من ذلك قصة بنو قينقاع وبنو النضير وبنو قريظة، وخيبر، وغزوة تبوك، وصلح الحديبية ونحوها.

(٢) الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري في كتاب بدء الوحي باب مناقب علي بن أبي طالب

القرشي الهاشمي أبي الحسن، ﷺ، ٥ / ١٨، وأخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل

الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب ﷺ، ٤ / ١٨٧١. كلاهما عن سهل بن سعد ﷺ

كما أنها ليست قائمة على السلم البحت، إذ القول بذلك يؤدي إلى تعطيل الجهاد، الذي هو باقٍ إلى قيام الساعة، بل يمنع من إلزامهم دفع الجزية ما داموا مسلمين تاركين الدعوة وشأنها.

والذي يبدو- والله أعلم- أن العلاقة مع الكفار قبل بلوغ الدعوة، وأثناءها، وفي حال تجاوبهم معها، ذات صبغة سلمية.

أما بعد الدعوة، وصدور العناد منهم فالعلاقة حربية، والله أعلم.



المطلب الثاني: مصالحات النبي ﷺ للمشركين:

أولاً: معاهدته ﷺ مع المشركين حول المدينة:

كان المركز الاستراتيجي للمدينة، وجودها على خطوط التجارة الرئيسية في الجزيرة العربية، ووجود قوى تجارية كبرى في داخلها كاليهود، كل ذلك كان داعياً لقبائل كثيرة أن تستوطن المناطق القريبة من هذه المدينة.

وفور هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة بدأ هؤلاء الأعراب يتربصون بالمسلمين الدوائر، فهم يرونهم قلة مستضعفة فقيرة، وكان الرسول ﷺ مشغولاً بصراعه مع قريش ولا يريد أن يفتح جبهات جديدة للصراع هنا وهناك، خاصة وهو يخرج بين الفينة والأخرى لاعتراض عير قريش وقوافلها المارة بالقرب من المدينة، لذلك أثر النبي ﷺ أن يعقد الأحلاف والمعاهدات مع هذه القبائل، فيتجنب أذاهم ويأمن من اتحادهم مع قريش، ويتفرغ هو لأمر المدينة، مع الأخذ في الاعتبار أن هذه المعاهدات والمصالحات عقدت وهذه القبائل في عبادتها للأصنام^(١).

ولقد أوردت كتب السيرة كنوزاً من هذه المعاهدات والأحلاف ومنها:

ثانياً: معاهدة النبي ﷺ مع بني ضمرة.

خرج النبي ﷺ غزياً في شهر صفر على رأس اثني عشر شهراً من مقدمه للمدينة حتى بلغ (ودان) في ديار بني ضمرة، يريد قافلة لقريش فأفلت منه، وهي غزوة الأبواء، ولم يلق فيها كيداً. وانتهز هذه الفرصة المواتية، فدخل في ضرب من العقد مع شيخ بني ضمرة (مخشي بن عمرو الضمري) على أن لا يغزو بني ضمرة ولا يغزوه، ولا يكثروا عليه جمعاً، ولا يعينوا عدواً وكتب بينهم كتاباً.

(١) انظر: أخلاق الحروب في السنة النبوية، للسرجاني، ص: ٢١٤.

وكان نصّ المعاهدة: (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لبني ضمرة، فإنهم آمنون على أموالهم وأنفسهم، وأنّ لهم النصر على من رامهم، إلا أن يجاربوا في دين الله ما بل بحر صوفة^(١)، وإن النبي إذا دعاهم لنصر أجابوه عليه، بذلك ذمة الله وذمة رسوله، ولهم النصر على من برّ منهم واتقى^(٢)).

وكذلك وادع رسول الله ﷺ بني مدلج وحلفاءهم من بني ضمرة في منطقة ينبع، كما فعل ﷺ نفس الشيء مع قبائل جهينة^(٣).



(١) كناية عن التأييد، انظر: غزوات الرسول، للسرجاني، ص: ٥٨.

(٢) السيرة النبوية، لابن هشام ٣/ ١٣٥، ونشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله ﷺ،

للدكتور عون الشريف ص: ٢٨٩. ومجموعة الوثائق السياسية، حميد الله ص ٢٦٧.

(٣) المصادر السابقة، نفس الصفحات، ولم أقف على نصّ الكتاب.

ثالثاً: صلح الحديبية: (١).

إذا كانت المعاهدات السابقة، تتشابه مع بعضها البعض، من حيث النصوص والأهداف والنتائج المترتبة عليها، فإن هناك مصالحة مهمّة تختلف عن تلك المعاهدات والمحالقات جميعاً.

بل تعتبر المصالحات الدولية الحالية مقلّدة ومحاكية لهذا الصلح، فقد تعاهد فيه رسول الله ﷺ ممثلاً للدولة المسلمة بالمدينة، مع كيان المشركين في مكة، وهذا العمل جسّد حرص النبي ﷺ على دعم العلاقات السلمية بالمنطقة يومئذٍ، وأنّ ذلك يُعتبر من أولويات الدعوة إلى الله تعالى ومقاصدها، ففرص نجاح وانتشار الدعوة الإسلامية أوفر ما تكون في استثمار الأوضاع السلمية زماناً ومكاناً. وأكبر دليل على ذلك نتائج هذا الصلح -الفتح المبين-.

وسياق صلح الحديبية في الكتب الحديثية من السياقات الطويلة، والمستوعبة لحكاية تفاصيل مهمّة في شأنه، يمكن أن يستنبط منه فوائد جمّة (٢).

ولما كان ذو القعدة في السنة السادسة من الهجرة، خرج رسول الله ﷺ معتمراً في ألفٍ وأربعمائةٍ من أصحابه (٣) وسببها هو رؤيا رآها النبي ﷺ أنّه دخل البيت هو

(١) الحديبية: قرية متوسطة ليست بالكبيرة، سميت ببئر هناك عند مسجد الشجرة التي تحتها، وتقع على بعد اثنين وعشرين كيلاً إلى الشمال الغربي من مكة، وتعرف اليوم بالشمسي، وفيها حدائق الحديبية ومسجد الرضوان، وأطرافها تدخل في حدود الحرم المكي، ومعظمها من الحلّ خارجة، وقد سميت الغزوة بها لأنّ قريشاً منعت المسلمين من دخول مكة وهم بالحديبية، ينظر: معجم البلدان ٢/٢٢٩، ونسب حرب، ص: ٣٥٥.

(٢) ومنها كتاب: فوائد صلح الحديبية، للشيخ محمد بن عبد الوهاب التميمي - رَحِمَهُ اللهُ - فقد جمع فيه ما يزيد على مائة وثيق، فائدة فقهية وعقدية ودعوية وتربوية.

(٣) وورد في روايات الشّيخين أنهم كانوا: (١٣٠٠ - ١٤٠٠ - ١٥٠٠) وكلّها نصوص

وأصحابه، وطافوا وحلق بعضهم وقصّر البعض، وأخبر أصحابه بذلك فاستبشروا^(١).
وفي ذلك يقول الآيات التي نزلت بعد ذلك: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّؤْيَا
بِالْحَقِّ لِتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا
تَخَافُونَ ۗ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ۗ﴾ [الفتح: ٢٧].
واستنفر الرسول ﷺ العرب ومن حوله من أهل البوادي من الأعراب، فأبطأ عليه
كثير منهم، وهم الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا
أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ۗ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۗ﴾ [الفتح: ١١].

ولما كان ﷺ بذي الحليفة قلّد الهدى وأحرم بالعمرة، وكان يخشى أن تعرض له

صحيحة، لا يمكن ردها، لذلك حاول العلماء التوفيق بينها، وسلكوا في ذلك طريقين:
الترجيح، وقد سلك هذا الطريق البيهقي، حيث رجح رواية ألف وأربعمائة. فقال بعد ذكر
رواية هذا العدد، هذه الرواية أصح. ومال إلى الترجيح أيضاً ابن القيم، فقال بعد ذكر
الرواية "والقلب إلى هذا أميل" انظر: زاد المعاد ٣/ ٢٨٨.

وقد جنح بعض العلماء إلى الجمع بين تلك النصوص، فقد ذكر النووي الرواية الثلاث: ألف
وثلاثمائة، وألف وأربعمائة، وألف وخمسمائة، ثم قال: ويمكن أن يجمع بينها بأنهم كانوا أربعمائة
وكسر، فمن قال أربعمائة لم يعتبر الكسر، ومن قال خمسمائة اعتبره، ومن قال ألف وثلاثمائة ترك
بعضهم لكونه لم يتقن العد، أو لغير ذلك. ينظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ٢.

ومن ذهب إلى الجمع أيضاً الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ - بعد ذكر الروايات الثلاثة. قال: والجمع بين
هذا الاختلاف أنهم كانوا أكثر من ألف وأربعمائة، فمن قال ألفاً وخمسمائة جبر الكسر، ومن قال
ألفاً وأربعمائة ألغاه. ينظر: فتح الباري لابن حجر ٧/ ٤٤١ وللاستزادة راجع: مرويات غزوة
الحديبية، لحافظ الحكمي ٥١-٥٢. فقد بسط فيها القول، فأفاد وأجاد.

(١) انظر: حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول، للدكتور عابد ٢/ ٤٩٥

قريش بحرب أو يصدوه عن البيت، فأرسل عيناً من خزاعة هو بشر بن سفيان يستطلع أمر قريش. وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بغدير الأشطاط^(١)، أتاه بشر بن سفيان الخزاعي، فقال: إن قريشاً جمعوا لك جمعاً، وهم مقاتلون وصادقون عن البيت ومانعونك، فقال ﷺ: (أشيروا أيها الناس عليّ، أترون أن أميل إلى عيال وذرياري هؤلاء الذين يريدون أن يصدُّونا عن البيت...) فقال أبو بكر: يا رسول الله خرجت عامداً لهذا البيت لا تريد قتل أحدٍ ولا حرب أحدٍ، فتوجّه له، فمن صدنا عنه قاتلناه، (قال: امضوا على اسم الله)^(٢).

وفي عسفان^(٣) صلى النبي ﷺ صلاة الخوف، لما علم بقرب خيل المشركين، وهي أول صلاة خوف صلاها النبي ﷺ.

وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط منها عليهم بركت به راحلته، فقالوا خلأت القصواء فقال ﷺ: (ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل) ثم قال: (والذي نفسي بيده لا يسألونني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها) ثم زجرها فوثبت، فعدل عنهم حتى نزل بأصحابه بأقصى الحديبية^(٤) على ثمد بئر قليل الماء، ما لبثوا أن نزحوه ثم اشتكوا إلى النبي ﷺ

(١) الأشطاط: بفتح أوله وإسكان ثانيه بعدها مهملة وألف وطاء أخرى، على وزن أفعال، موضع بملتقى الطريقين من عسفان إلى مكة تلقاء الحديبية. معجم ما استعجم للبكري ١٥٣/١، ولسان العرب لابن منظور ٣٣٣/٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ١٢٦/٥.

(٣) عُسْفَان: بضم العين وسكون السين، وفاء وألف، وآخره نون، منهلة من مناهل الطريق بين الجحفة ومكة، وتبعد من مكة اليوم على بعد (٨٠ك)، مجمع ثلاث طرق مزفتة، طريق إلى المدينة، وإلى مكة وإلى جدة، معجم البلدان ١٢١/٤. ومعجم المعالم الجغرافية ص: ٢٠٨.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر ١١/١٦٤ والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص: ٤٨٤.

العطش، فانتزع سهما من كنانته ثم أمرهم أن يجعلوه فيها، فجاش لهم بالرّي فارتوا جميعاً^(١).

وتراسل ﷺ والمشركون، فأوفدت قريش عدداً من شخصياتها^(٢) لمفاوضة النبي ﷺ منهم: بديل بن ورقاء^(٣) و عروة بن مسعود الثقفي^(٤) الذي حاول أن يشن حرباً نفسية على المسلمين، حيث قال للرسول ﷺ: أي محمد أرايت إن استأصلت أمر قومك، هل سمعت بأحدٍ من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإن والله لا أرى وجوهاً وإني لأرى أشواباً^(٥) من الناس خليفاً أن يفرّوا ويدعوك، فقال الصديق: امصص بظر اللات أنحن نفرٌ وندعه؟... وجعل يتناول لحية رسول الله ﷺ ويكلّمه، والمغيرة بن شعبة واقفٌ على رأس رسول الله ﷺ في الحديد، فجعل يقرع يده عندما يتناول لحية رسول الله ﷺ ويقول: اكفف يدك عن وجه رسول الله ﷺ قبل أن لا تصل إليك... وكان - عروة - يرقب ما يصنع الصحابة من إكرامٍ وتوقيرٍ للنبي ﷺ.

(١) انظر: السيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية، ص: ٤٨٤.

(٢) الذين أوفدتهم قريش إلى الرسول ﷺ هم: بديل بن ورقاء، ثم عروة بن مسعود الثقفي، ثم مكرز بن حفص بن الأحنف، ثم الحليس بن علقمة، ثم سهيل بن عمرو.

(٣) هو بديل بن ورقاء بن عبد العزى بن ربيعة الخزاعي من خزاعة، أسلم هو وابنه عبد الله بن بديل، وحكيم بن حزام يوم فتح مكة بمرّ الظهران، وقيل إنه أسلم قبل الفتح، انظر: الاستيعاب، لابن عبد البر ١/٤٦، والإصابة، لابن حجر ١/٢٧٥.

(٤) هو: عروة بن مسعود بن مالك بن كعب بن عمرو بن عوف الثقفي، وهو عمّ والد المغيرة بن شعبة، كان أحد الأكابر من قومه، محبباً مطاعاً، ممن أرسلته قريش إلى النبي ﷺ يوم الحديبية، دعا قومه إلى الإسلام، وأظهر لهم دينه، رموه بالنبل من كلّ وجه، فأصابه سهمٌ فقتله، انظر: أسد الغابة ٤ / ٣٠.

(٥) وفي رواية: (أوباشاً) أي: أخلاطاً. فتح الباري لابن حجر، ٥ / ٣٤٠.

وقد ترك المسلمون في نفسه انطباعاً أثار دهشته، إذ قال لقومه لما رجع إليهم (يا معشر قريش لقد وفدت على الملوك... والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمدٍ محمداً) ^(١) وسياق الحديث في صحيح البخاري يوضح القصة السابقة أكثر.

فقد روى البخاري في صحيحه من طريق الزهري، قال: أخبرني عروة بن الزبير، عن المسور بن مخرمة ومروان يصدق كل واحد منهما حديث صاحبه قالوا: خرج رسول الله ﷺ زمن الحديبية حتى كانوا ببعض الطريق قال النبي ﷺ إن خالد بن الوليد بالغميم ^(٢) في خيل لقريش طليعة فخذوا ذات اليمين فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هم بقترة الجيش ^(٣). فانطلق يركض ^(٤) نذيراً لقريش وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية ^(٥) التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته فقال الناس: حل حل فألحت فقالوا خلأت القصواء خلأت القصواء فقال النبي ﷺ (ما خلأت القصواء وما ذاك لها بخلق ولكن حبسها حابس الفيل ثم قال والذي نفسي بيده لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها...) ثم زجرها فوثبت، قال: فعدل عنهم حتى نزل بأقصى الحديبية على ثمد قليل الماء يتبرضه ^(٦) الناس تبرضا فلم يلبثه

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٣/ ٣٦٢-٣٦٣

(٢) كراع الغميم: اسم واد أمام عسفان، وهو موضع بين مكة والمدينة، فتح الباري لابن حجر ٥/ ٣٣٥.

(٣) قرة الجيش: القرة الغبار، يريد غبرة الجيش، الغبار الذي أثارته حوافر خيل الجيش، فتح الباري لابن حجر ١/ ١٧٠.

(٤) يركض: من الركض وهو الضرب بالرجل على الدابة لاستعجالها في السير. فتح الباري حجر ٥/ ٣٣٥.

(٥) الثنية: هي في الأرض طريق بين جبلين، وقيل: هي موضع بين مكة والمدينة من طريق الحديبية. تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم ص: ١٩٢.

(٦) ثمد... يتبرضه: أي: حفرة فيها ماء قليل يأخذونه قليلاً قليلاً. قال في الفتح، التبرض: هو

النَّاسَ حَتَّى نَزَحُوهُ وَشَكِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَطَشُ فَانْتَزَعَ سَهْمًا مِنْ كِنَانَتِهِ ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيئُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ إِذْ جَاءَ بَدِيلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخَزَاعِيِّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ مِنْ خَزَاعَةَ وَكَانُوا عِيْبَةً نَصَحَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَهْلِ تَهَامَةَ فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ^(١) نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحَدِيبِيَّةِ وَمَعَهُمُ الْعَوْذُ الْمَطَافِيلُ^(٢) وَهُمْ مَقَاتِلُوكَ وَصَادُوكَ، عَنْ الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: (إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ وَلَكِنَّا جِئْنَا مَعْتَمِرِينَ، وَإِنْ قَرِيشًا قَدْ نَهَكْتَهُمْ^(٣) الْحَرْبُ وَأَضْرَتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاءُوا مَادَدْتَهُمْ مَدَّةً وَيَخْلُوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ فَإِنْ أَظْهَرَ فَإِنْ شَاءُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيهَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا وَإِلَّا فَقَدْ جَمَّوْا^(٤)) وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَأَقَاتِلَنَّهْمَ عَلَى أَمْرِي هَذَا حَتَّى تَنْفَرِدَ سَالِفَتِي^(٥) وَلَيَنْفِذَنَّ اللَّهُ أَمْرَهُ...) فَقَالَ بَدِيلُ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ، قَالَ: فَانْطَلِقْ حَتَّى أَتَى قَرِيشًا، قَالَ: إِنَّا قَدْ جِئْنَاكُمْ مِنْ هَذَا الرَّجُلِ وَسَمِعْنَاهُ يَقُولُ قَوْلًا فَإِنْ شِئْتُمْ أَنْ نَعْرِضَهُ عَلَيْكُمْ فَعَلْنَا فَقَالَ سَفَهَاؤُهُمْ لَا

الأخذ قليلا قليلا، والبرض: بالفتح والسكون، اليسير من العطاء، وقال صاحب العين: هو جمع الماء بالكفين ٥ / ٣٣٧.

- (١) اقتصر على ذكر هذين لكون قريش الذين في مكة أجمع ترجع أنسابهم إليهما. المرجع السابق ٥ / ٣٣٨
- (٢) العوذ المطافيل: العوذ بضم المهملة وسكون الواو بعدها معجمة، جمع عائد، وهي الناقة ذات اللبن، والمطافيل الأمهات اللاتي معها أطفالها، يريد أنهم خرجوا معهم بذوات الألبان من الإبل لتزودوا بألبانها ولا يرجعوا حتى يمنعوه، أو يريد النساء والصبيان، المرجع السابق نفسه.
- (٣) نهكتهم الحرب: أي أضرت بهم و أبلغت فيهم حتى أضعفتهم، إما أضعفت قوتهم، أو أضعفت أموالهم. المرجع السابق ٥ / ٣٣٨.
- (٤) جمّوا: أي استراحوا، وهو بفتح الجيم وتشديد الميم المضمومة، والجمام الراحة بعد التعب، المصدر السابق نفسه.
- (٥) السالفة: هي: صفحة العنق وهما سالفتان عن يمين وشمال يعني الموت لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بذاك تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم (ص: ٣٩٧).

حاجة لنا أن نخبرنا عنه بشيء وقال ذوو الرأي منهم هات ما سمعته يقول: قال: سمعته يقول كذا وكذا فحدثهم بما قال النبي ﷺ... الحديث (١).

ثم تتابع غيره حتى أقبل سهيل بن عمرو (٢) فقال النبي ﷺ متفائلاً لما رآه (لقد سهل أمركم... قد أراد القوم الصلح حتى بعثوا هذا الرجل) فلما انتهى إلى رسول الله تكلم سهيلاً وأطال وتراجعا، ثم جرى بينهم الصلح.

فدعا النبي ﷺ الكاتب، فقال النبي ﷺ: (بسم الله الرحمن الرحيم) قال سهيل: أما الرحمن فو الله ما أدري ما هو، ولكن اكتب: باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن الرحيم، فقال النبي ﷺ: (اكتب باسمك اللهم). ثم قال: (هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله). فقال سهيل: والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك، ولكن اكتب، محمد بن عبد الله، فقال النبي ﷺ (والله إني لرسول الله وإن كذبتُموني، اكتب محمد بن عبد الله). قال الزهري: وذلك لقوله: (لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمة الله إلا أعطيتهم إياها).

فقال النبي ﷺ: (على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به).

فقال سهيل: والله لا تتحدّث العرب أنا أخذنا ضغطة، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب. فقال سهيل: وعلى أن لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا. قال المسلمون: سبحان الله كيف يرد إلى المشركين وقد جاء مسلماً، فينما هم

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، (٣ / ١٩٣).

(٢) هو: سهيل بن عمرو بن عبد شمس القرشي العامري، أحد أشرف قريش وعقلائهم، وخطيبهم. أسلم عام الفتح، وهو صاحب القضية يوم الحديبية مع رسول الله ﷺ حين اصطاح مع قريش، توفي سنة (١٨ هـ) ينظر: الإصابة، لابن حجر ٢ / ٢١٢، والاستيعاب لابن عبد البر، ١ / ٢٨٤.

كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل بن عمرو يرُسُفُ في قيوده، وقد خرج من أسفل مكة حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين.

فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده إليّ، فقال النبي ﷺ: (إنما لم نقض الكتاب بعد). قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبداً، قال النبي ﷺ فأجزه لي. قال: ما أنا بمجيزه لك، قال: (بلى فافعل) قال ما أنا بفاعل، قال مكرز: بل قد أجزناه لك، قال أبو جندل: أي معشر المسلمين، أردُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما قد لقيت؟ وكان قد عذب عذاباً شديداً في الله^(١).

وقد كان ﷺ قبل وقوع الصلح بعث عثمان بن عفان ﷺ إلى أهل مكة يعلمهم أنه لم يجئ لقتال أحد وإنما جاء معتمراً.

ولم يرجع عثمان ﷺ حتى بلغه ﷺ أنه قد قتل عثمان، فحمي رسول ﷺ لذلك فدعا أصحابه إلى البيعة فبايعوه على القتال^(٢) وبايع رسول الله عن عثمان ﷺ فهذه

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط. باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط. ٣ / ١٩٣.

(٢) ورد في بعض الروايات الصحيحة أنه ﷺ بايعهم على الموت، وفي بعضها: بايعهم على عدم الفرار، وفي بعضها على الصبر، فكيف التوفيق بينها؟ قال ابن حجر: "لا تنافي بين قولهم، بايعوه على الموت، وعلى عدم الفرار، لأن المراد بالمبايعه على الموت، أن لا يفروا، وليس المراد أن يقع الموت ولا بد، وهو الذي أنكر نافع وعدل إلى قوله: "بل بايعهم على الصبر" أي على الثبات سواء أفضى ذلك إلى الموت أو لا، والله أعلم" انظر: فتح الباري لابن حجر ٦ / ١١٨. قال الشيخ حافظ الحكمي: ويؤيد توجيه ابن حجر ما ورد في مرسل الشعبي في قصة أبي سنان وفيه: "قال يا رسول الله بايعني على ما في نفسك قال: ما في نفسي؟ قال: الفتح أو الشهادة، قال: فبايعه رسول الله ﷺ وجاء الناس فجعلوا يقولون نبايعك على بيعة أبي سنان"، ينظر: مرويات غزوة صلح الحديبية للحكمي ص: ١٣٤.

هي بيعة الرضوان الذي قال الله فيها ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾^(١) وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهِ اللَّهُ فَمِنَّا أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

ولما فرغ النبي ﷺ من قضية المصالحة مع المشركين شرع في التحلل من عمرته وقال لأصحابه (قوموا فانحروا ثم احلقوا) فشق عليهم وتوقفوا رجاء نسخه، فغضب رسول الله ﷺ من ذلك، فدخل على أم سلمة^(١) - رضي الله عنها:-

فقال لها ذلك^(٢) فقالت: اخرج يا رسول الله ولا تكلم أحدا حتى تنحر هديك وتحلق رأسك، والناس يتبعونك يا رسول الله، فخرج ففعل ذلك فبادر الناس إلى موافقته (فانحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضاً، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً غمًا)^(٣)

وفي هذه العمرة صلى النبي ﷺ بأصحابه الصبح في إثر سماء الحديدية، فلما انصرف أقبل عليهم بوجهه فقال: (أتدرون ماذا قال ربكم؟) قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: (يقول: أصبح من عبادي مؤمن بي، وكافر بي، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ورحمته، فذلك مؤمن بي، كافر بالكوكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا،

(١) أم سلمة: هي هند بنت أبي أمية بن المغيرة بن عبد الله، القرشية المخزومية، أم المؤمنين، ممن أسلم قديماً، ومن المهاجرات الأول، تزوجها النبي ﷺ سنة أربع من الهجرة، بعد أن توفي زوجها أبو سلمة، توفيت سنة (٥٩هـ) انظر: الإصابة، لابن حجر ٤/٤٥٨.

(٢) قلت: فيه دليل على أن المرأة تستفتى في شؤون الأمة ويعمل برأيها في القضايا المهمة كما يدل على وفور عقل أم المؤمنين وصواب رأيها، ولا فرق في الإسلام بين أن تأتي المشورة من رجل أو امرأة طالما أنها مشورة صائبة، وهذا عين التكريم للمرأة التي يزعم أعداء الإسلام أنه غمطها حقها وتجاهل وجودها. وهل هناك اعتراف واحترام أكثر من هذا؟.

(٣) انظر: صحيح البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة ٣/١٩٣.

فذلك كافر بي مؤمن بالكوكب^(١).

ثم انصرف رسول الله ﷺ من الحديبية قاصدا المدينة حتى إذا كان بين مكة والمدينة نزلت سورة الفتح.

وقد عبّر الرسول ﷺ عن عظيم فرحته بنزولها وقال: (أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحبُّ إليّ مما طلعت عليه الشمس)^(٢) ثم قرأ ﷺ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتَبِعَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا﴾ [الفتح: ١-٢].

وقد أسرع الناس إلى رسول الله ﷺ وهو واقف على راحلته بكراع الغميم فقراً عليهم ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]. فقال رجل يا رسول الله أفتح هو؟ قال: نعم. والذي نفسي بيده إنه لفتح^(٣) فانقلبت كآبة المسلمين وحزنهم إلى فرح غامر.

هذا موجز ما جاء في مصالحات النبي ﷺ للمشركين، وسيأتي البسط عليها في الفصول القادمة - إن شاء الله تعالى - بذكر المقاصد العقديّة والتشريعية والأخلاقية والخاصة بكل من الداعية والمدعو والوسائل والأساليب.



-
- (١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة الحديبية، ٥ / ١٢٢. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كفر من قال مطرنا بالنوء ١ / ٨٣، من حديث زيد بن خالد الجهني ﷺ.
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضائل القرآن، باب فضل سورة الفتح ٦ / ١٨٨.
- (٣) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب فيمن أسهم له سهماً ٣ / ٧٦ عن مجمع الأنصاري ﷺ.

المطلب الثالث: مصالحة النبي ﷺ ومعاهدته لليهود.

أولاً: معاهدة النبي ﷺ وموادمته بعهود المدينة:

تعتبر معاهدات الرسول مع اليهود سواء في المدينة أو خارجها صورة شديدة الأهمية من المعاهدات النبوية، وذلك لانتساع دائرة احتكاكهم بدولة الإسلام على عهد الرسول ﷺ، إلى جانب ما انتهت إليه أغلب هذه المعاهدات من غدر من الطرف اليهودي، برغم اتصال الوفاء النبوي.

ولقد عاهد النبي ﷺ في فترات حياته المختلفة كل اليهود بالجزيرة العربية. فعاهد يهود المدينة بعد وصوله ﷺ إليها، ومنهم ذو الأصول العربية الذين تهودوا بعد اختلاطهم باليهود كيهود بني عوف.

ففي سنن أبي داود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - عن عبد الله بن عباس - رضي الله عنهما - قال: ((كانت المرأة تكون مقلاة^(١) فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهودّه، فلما أجليت بنو النضير، كان فيهم من أبناء الأنصار، فقالوا: لا ندع أبناءنا، فأنزل الله عز وجل: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]^(٢).

ومنهم القبائل الثلاثة المشهورة في المدينة، وهم بنو قينقاع، وبنو النضير، وبنو قريظة، كما عاهد ﷺ يهود خيبر، ومن إليهم، وصالح يهود فدك وتيما ومقنا، وغيرهم. ولقد عاهد النبي ﷺ هذه القبائل وكتب بينه وبينها كتاب صلح، وأشهرها وثيقة المدينة. وفيما يلي عرض للبنود الخاصة باليهود من الوثيقة:

جاء فيها: (...وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يهود بني عوف^(٣) مع المؤمنين، لليهود دينهم وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم إلا من

(١) المقلاة: هي المرأة التي لا يعيش لها ولد، أو كانت قليلة الولد، انظر: النهاية، لابن الأثير ٥/ ٤٠.

(٢) سنن أبي داود كتاب الجهاد، باب في الأسير يكره على الإسلام ٣/ ١١.

(٣) في بداية الوثيقة ذكر اليهود بلفظ عام، ثم بدأ ﷺ يذكر تحت هذه القبائل الرئيسة ويدخل

ظلم وأثم، فإنه لا يوتغ^(١) إلا نفسه وأهل بيته.

وأن ليهود بني النجار مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الحارث ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ساعدة مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني جشم مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني الأوس مثل ما ليهود بني عوف، وأن ليهود بني ثعلبة مثل ما ليهود بني عوف، إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته، وأن جفنة بطن من ثعلبة كأنفسهم، وأن لبني الشطبية مثل ما ليهود بني عوف.

وأن البرّ دون الإثم، وأن موالي ثعلبة كأنفسهم، وأن بطانة^(٢) يهود كأنفسهم، وأنه لا يخرج منهم أحد إلا بإذن محمد، وأنه لا ينحجز^(٣) على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته إلا من ظلم، وأن الله على أبر هذا. وأن على اليهود نفقتهم، وعلى المسلمين نفقتهم، وأن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، وأن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم، وأنه لا يأثم امرئ بحليفه، وأن النصر للمظلوم، وأن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين، وأن يثرب حرام جوفها لأهل هذه الصحيفة، وأن الجار كالنفس غير مضار ولا آثم، وأنه لا تُتجار حرمة إلا بإذن أهلها، وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدثٍ أو استجارٍ يخاف فساده فإنّ مردّه إلى الله وإلى محمدٍ رسول الله ﷺ، وأنّ الله على أتقى ما في هذه الصحيفة، وأبرّه، وأنه لا تُتجار قريش ولا من نصرها، وأن بينهم النصر على من دهم يثرب، وإذا دعوا إلى صلح

تحتهم من دخل مع تلك القبائل في حلف أو ولاء.

(١) لا يوتغ. قال أبو عبيد: أي: لا يهلك غيرها، يقال: قد وتغ الرجل وتغاً، إذا وقع في أمر

يهلكه. وقد أوتغه غيره، إذا أهلكه. انظر الأموال، لأبي عبيد ١/ ٣٠٩.

(٢) يقال: أبطن فلانا، قرّبه وأطلعه على أسراره، وبطانة الرجل صاحب سرّه، الذي يشاوره في

الأمر الخاصّة، انظر: المعجم الوسيط، مصطفى إبراهيم وآخرون ١/ ٦٢.

(٣) لا ينحجز: أي لا يمتنع جرح دون الأخذ بثأره، انظر: مكاتيب الرسول، ص: ٢٥٥.

يصالحوه ويلبسونه فإنه يصالحوه ويلبسونه، وأنهم إذا دعوا إلى مثل ذلك، فإنه لهم على المؤمنين إلا من حارب في الدين. على كل أناس حصتهم من جانب الذي قبلهم، وأن يهود الأوس مواليهم وأنفسهم على مثل ما لأهل هذه الصحيفة مع البرّ المحض من أهل هذه الصحيفة، وأن البرّ دون الإثم لا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره.

وأنه لا يحول هذه الكتاب دون ظالم أو آثم، وأنه من خرج آمن ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو آثم، وأن الله جار لمن برّ واتقى ومحمد رسول الله ﷺ^(١).
وبما أنّ هذه الوثيقة هي الأصل في معاهدات النبي ﷺ ومصالحاته ليهود المدينة ونظرًا لأهميتها التشريعية والتاريخية يجدر بنا أن نعرّج على شيء من طرق الوثيقة وأسانيدها وتحكيم مقاييس أهل الحديث فيها:

قال الدكتور أكرم العمري - حفظه الله -: أن أقدم من أورد نصّ الوثيقة كاملاً هو محمد ابن إسحاق^(٢) لكن أوردّها من دون إسناد^(٣) وقد صرح بنقلها عنه كلّ من ابن سيّد الناس^(٤)، وابن كثير، فوردت عندهما من دون إسناد

(١) مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، محمد حميد الله ص ٦١ - ٦٢.

(٢) هو: محمد بن إسحاق بن يسار بن خيار، المدني أبو بكر المطلبي مولاهم، نزيل العراق، رأى أنسًا وابن المسيّب، روى عن أبيه وأبان بن عثمان والزهري، وعنه: شعبة والسفيانان. قال الشافعي: من أراد أن يتبحر في المغازي فهو عيال على محمد بن إسحاق، وأكثر ما عيب به التدليس مات سنة (١٥١هـ)، انظر: تهذيب التهذيب ٩ / ٣٩.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٥٧١، وانظر: المجتمع المدني في عهد النبوة ص: ١٠٧.

(٤) هو: فتح الدين أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن عبد الله بن محمد بن يحيى بن سيد الناس الشافعي الإمام الحافظ اليعمري الأندلسي الأشبيلي المصري، المعروف بابن سيد الناس. ولد بالقاهرة سنة ٦٧١ هـ وتوفي سنة: ٧٣٤ هـ، انظر: الديباج المذهب لابن فرحون (ص: ٥٩).

أيضاً^(١). وأن الوثيقة وردت في كتاب الأموال لأبي عبيد^(٢) وأن الأستاذ محمد حميد الله ذكر أن الكتاب ورد في كتاب الأموال لابن زنجويه^(٣) من طريق الزهري.

قال: هذه هي الطرق التي وردت منها الوثيقة بنصها الكامل، والتطابق كبير بين سائر الروايات سوى بعض التقديم والتأخير في العبارات أو اختلاف بعض المفردات، أو زيادة بنود قليلة، ولا يؤثر هذا الاختلاف على مضمونها العام^(٤).

وللعلماء والباحثين في تحديد أصل الوثيقة وتاريخها ثلاث اتجاهات وهي:

الاتجاه الأول: فريق يرى أن الوثيقة موضوعة ولا أصل صحيح لها، ومن ذهب إلى ذلك يوسف العث، واحتج بأن الوثيقة لم ترد في كتب الحديث الصحيح ولا في الفقه مع أهميتها التشريعية، وكذلك رواها محمد ابن إسحاق بدون إسناد، وقد نقلها عنه ابن سيد الناس، ويجب على ذلك بأن كتب الحديث قد روت أجزاء من الوثيقة تغطي عدداً كبيراً من بنودها.

الاتجاه الثاني: يرى هذا الاتجاه أن الوثيقة في الأصل وثيقتان. ومن ذهب إلى ذلك الأستاذ صالح أحمد العلي قال: (الوثيقة في الأصل وثيقتان، وإن المؤرخين قد جمعوا بينهما)^(٥).

وتابعه في ذلك الدكتور أكرم ضياء العمري، مؤكداً أن الوثيقة في الأصل وثيقتان، إلا أنهما اختلفا في وقت كتابة الوثيقة، فيرى أحمد العلي، أنها كتبت بعد بدر، ويرى

(١) انظر: عيون الأثر لابن سيد الناس ٢٣٨ / ١ والبداية والنهاية لابن كثير ٢٢٤ / ٣

(٢) الأموال، لأبي عبيد القاسم بن سلام، ٢١٥ - ٢١٩

(٣) هو: أبو أحمد، حميد بن مخلد بن قتيبة الأزدي، النسائي، مولده: في حدود سنة (١٨٠هـ)، كان أحد الأئمة المجودين، قال أبو حاتم البستي: هو الذي أظهر السنة بنسأ، له من المؤلفات الترغيب والترهيب، وكتاب الأموال، وغيرهما، مات سنة (٢٤٧هـ). انظر: سير أعلام النبلاء ١٢ / ١٩.

(٤) المجتمع المدني في عهد النبوة، أكرم العمري ص: ١٠٩

(٥) تنظيمات الرسول الإدارية في المدينة، صالح العلي ص: ٦.

العمري، أن الأولى التي تناولت موادة الرسول لليهود كتبت قبل بدر، والتي توضح التزامات المسلمين من مهاجرين وأنصار وحقوقهم وواجباتهم كتبت بعد بدر.

واحتج الدكتور العمري. بأن المصادر صرحت بأن موادة الرسول لليهود تمت أول قدومه إلى المدينة ومن ذلك قول البلاذري قالوا: (كان الرسول ﷺ عند قدومه المدينة وادع يهودها وكتب بينه وبينهم كتابا وشرط عليهم على ألا يمالئوا عدوه، وأن ينصروه على من دهمه...) (١).

قال: ويوضح ذلك قول البلاذري، أن وثيقة موادة اليهود كتبت قبل إرسال السرايا الأولى، وسرية حمزة كانت في السنة الأولى من الهجرة قبل غزوة بدر بسنة وأيام (٢).

والروايات ترجح أن الوثيقة في الأصل وثيقتان، إحداهما تتعلق بموادة اليهود قبل بدر، والثانية تتعلق بحلف المهاجرين والأنصار بعد بدر، لكن المؤرخين جمعوا بين الوثيقتين.

الاتجاه الثالث: يرى أصحاب هذا الاتجاه أن الوثيقة في الأصل وثيقة واحدة بجميع بنودها، وأنها كتبت في أول الهجرة. قال ابن إسحاق - رَحِمَهُ اللهُ -: (كتب رسول الله كتابا بين المهاجرين والأنصار، وادع فيه اليهود وعاهدتهم، وأقرهم على دينهم وأموالهم، وشرط لهم واشترط عليهم) (٣).

ونقل الحافظ ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ - في تاريخه كلام ابن إسحاق السابق ولم يعقب عليه ما يدل على أنه يوافق على ما جاء فيه (٤).

(١) أنساب الأشراف، للبلاذري ١/ ٢٧٦.

(٢) انظر: السيرة النبوية الصحيحة، لأكرم العمري ١/ ٢٧٠.

(٣) السيرة النبوية، لابن إسحاق ١/ ٥٧١.

(٤) انظر: البداية والنهاية، لابن كثير ٣/ ٢٢٤.

وقد ترجم أبو عبيد القاسم بن سلام للوثيقة بقوله: (هذا كتاب رسول الله بين المؤمنين وأهل يثرب، وموادعته يهودها أول مقدمه المدينة)^(١). وما قرره أصحاب هذا الاتجاه هو الذي يتناسب مع ما هو معروف من حكمة الرسول ﷺ وبعد نظره وسداد رأيه، فقد قدم المدينة وسكنها فيهم المسلمون من مهاجرين وأنصار، وفيهم غير المسلمين، وغالبهم من اليهود، فكانت هذه الوثيقة التي نظمت العلاقة بين المهاجرين والأنصار من جهة، وبين المسلمين بشكل عام، واليهود من جهة أخرى.

مدى صحة الوثيقة:

قال الدكتور أكرم العمري: بعد ذكر الروايات الواردة في الوثيقة أنهاصالحة للاعتبار، والقول بوضعها مجازفة،... وإن نصوصاً من الوثيقة وردت في كتب الأحاديث بأسانيد متصلة، وبعضها أوردها البخاري ومسلم، فهذه النصوص هي من الحديث الصحيح وقد احتج بها الفقهاء وبنوا عليها أحكامهم، كما أن بعضها ورد في مسند الإمام أحمد وسنن أبي داود وابن ماجه والترمذي. وهذه النصوص جاءت من طرق مستقلة عن الطرق التي وردت منها الوثيقة. وإذا كانت الوثيقة لا تصلح للاحتجاج بها في الأحكام الشرعية، سوى ما ورد منها من كتب الحديث الصحيح - فإنها تصلح أساساً للدراسات التاريخية التي لا تتطلب درجة الصحة التي تقتضيها الأحكام الشرعية خاصة وأن الوثيقة وردت من طرق عديدة تتضافر في إكسابها القوة، ثم إن أهم كتب السيرة ومصادر التاريخ ذكرت موادعة النبي ﷺ لليهود وكتابته بينه وبينهم كتاباً^(٢).. كما ذكرت كتابته كتاباً بين المهاجرين والأنصار أيضاً.

(١) انظر: الأموال لأبي عبيد ١/ ٢١٥.

(٢) ينظر: تاريخ الرسل والملوك للطبري ٢/ ٤٧٩. أنساب الأشراف، للبلاذري ١/ ٣٠٨.

وجوامع السيرة لابن حزم ص: ٩٥. وإمتاع الأسماع للمقريزي ١/ ٤٩.

كذلك فإن أسلوب الوثيقة ينم عن أصالتها، فنصوصها مكوّنة من جملٍ قصيرةٍ بسيطة، وغير معقّدة التركيب، ويكثر التكرار، وتستعمل كلمات وتعابير كانت مألوفة في عصر الرسول ﷺ، ثم قلّ استعمالها فيما بعد حتى أصبحت مغلقة على غير المتعمقين في دراسة تلك الفترة، ثم إن التشابه الكبير بين أسلوب الوثيقة وأساليب كتب النبي ﷺ الأخرى يعطيها توثيقاً آخر^(١).

وخلاصة ما سبق: أن الوثيقة قد رويت بتمامها من طرق لا تنزل بمجموعها عن درجة الحسن، وأشار إليها إجمالاً في روايات صحيحة عند الإمامين أحمد ومسلم^(٢)، وجاءت بنود كثيرة منها في الصحيفة التي كانت مقرونة بسيف رسول الله الذي آل بعد ذلك إلى علي ﷺ، وهذه الصحيفة قد جاءت بطرق صحيحة.

(١) المجتمع المدني في عهد النبوة لأكرم العمري، ص: ١٠٧.

(٢) جاء في صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله ﷺ قال: كتب رسول الله ﷺ على كل بطن عقوله ثم كتب: «أنه لا يحل لمسلم أن يتوالى مولى رجل مسلم بغير إذنه»، ثم أخبرت أنه لعن في صحيفته من فعل ذلك، صحيح مسلم ٢ / ١١٤٦.

أما كتاب النبي ﷺ لليهود فقد رواه أبو داود في سننه، في كتاب الإمارة والخراج والفيء، باب كيف كان إخراج اليهود من المدينة؟ ٣ / ١٥٤، بسند صحيح من رواية شعيب عن الزهري عن عبد الرحمن بن عبد الله بن كعب عن أبيه فذكر قصة قتل كعب بن الأشرف، فلما قتلوه فرغت اليهود والمشركون، فغدوا على النبي ﷺ فقالوا: طرق صاحبنا فقتل، فذكرهم النبي ﷺ الذي كان يقول، ودعاهم النبي ﷺ إلى أن يكتب بينه وبينهم كتاباً ينتهون إلى ما فيه، فكتب النبي ﷺ بينه وبينهم وبين المسلمين عامة صحيفة.

ثانياً: مصالحة النبي ﷺ بيهود خيبر^(١).

لقد وعد الله رسوله ﷺ فتح خيبر وهو بالحديبية وبشره بالغنائم الكثيرة المعجلة له في ذلك. فقال تعالى: ﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٠].
وبعد عودته ﷺ من الحديبية جهز الجيش وأعد العدة اتجه إلى خيبر في محرّم السنّة السابعة من الهجرة، ولما اقترب من خيبر، بات قريبا منها، وكان ﷺ إذا أتى قوما بليل لم يغير بهم حتى يصبح.

والمعول عليه في مصالحة يهود خيبر هو ما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ قاتل أهل خيبر، فغلب على النخل والأرض، وأجأهم إلى قصرهم، فصالحوه على أن لرسول الله ﷺ الصفراء، والبيضاء، والحلقة^(٢)، ولهم ما حملت ركا بهم، على أن لا يكتموا، ولا يغيبوا شيئا، فإن فعلوا فلا ذمة لهم، ولا عهد فغيبوا مسكا لحبي بن أخطب، وقد كان قتل قبل خيبر، كان احتمله معه يوم بني النضير حين أجليت النضير فيه حليهم، قال: فقال النبي ﷺ لسعية: «أين مسك حبي بن أخطب؟»، قال: أذهبته الحروب والنفقات، فوجدوا المسك، فقتل ابن أبي الحقيق وسبى نساءهم وذريتهم، وأراد أن يجليهم، فقالوا: يا محمد، دعنا نعمل في هذه الأرض، ولنا الشطر ما بدا لك، ولكم الشطر^(٣).

(١) خيبر: مدينة على ثمانية برد من المدينة المنورة لمن يريد الشام، ويبعد عن المدينة بـ(١٦٥ك) ويطلق هذا الاسم على الولاية، وتشتمل هذه الولاية على سبعة حصون ومزارع ونخل كثير، وأسماء حصونها، حصن ناعم، والقموص، والشق، وحصن النطاة، وحصن السلام، وحصن الوطيح، وحصن الكتبية، أما لفظ خيبر فهو بلسان اليهود: الحصن. انظر التفاصيل في معجم البلدان، لياقوت الحموي ٣/ ٤٩٥، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة ص: ١١٨.
(٢) الصفراء: أي الذهب، والبيضاء: أي الفضة، والحلقة: أي الدروع، ينظر: النهاية في غريب الحديث والأثر (٣ / ٣٧).

(٣) سنن أبي داود، كتاب الخراج والإمارة، باب ما جاء في حكم أرض خيبر ٣ / ١٥٧.

ويستنبط من الأثر السابق شروط الصلح الواردة فيه، بين الرسول ﷺ ويهود خيبر.

- ١ - حقن دماء من في حصون اليهود من المقاتلة.
- ٢ - ترك الذرية لهم.
- ٣ - يخرج اليهود من خيبر بذراريهم.
- ٤ - يخلون بين رسول الله وبين ما كان لهم من مال وعلى الصفراء والبيضاء، والكراع والنخلة، وعلى البز إلا ثوبًا على ظهر إنسان.
- ٥ - أن لا يكتموا ولا يغيبوا شيئًا، ثم قال رسول الله ﷺ: (وبرئت منكم ذمة الله وذمة رسوله إن كتمتموني شيئًا) فصالحوه على ذلك وتم تسليم الحصون إلى المسلمين^(١).

ولكن اليهود رأوا بعد ذلك أن يطلبوا من الرسول أن يعاملهم في الأموال على النصف، فصالحهم على البقاء في الأراضي التي غنمتها الدولة الإسلامية يزرعونها وحاصلاتها تكون مناصفة بينهم وبين المسلمين شريطة أن يخرجهم المسلمون منها متى رغبوا، وقد أجلاهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه، في إمارته إلى تيباء وأريحا كما في الصحيحين^(٢).

(١) انظر: صحيح ابن حبان ١١ / ٦٠٧. وإسناده صحيح، وسنن أبي داود باب ما جاء في حكم

أرض خيبر ٣ / ١٥٧، وشرح مشكل الآثار للطحاوي ٧ / ١٨٣.

(٢) الحديث متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب إذا قال رب الأرض

أقرك على ما أقرك الله ٣ / ١٠٧، ومسلم في صحيحه، كتاب المساقاة، باب المساقاة ... ٣ /

١١٨٦. كلاهما عن ابن عمر - رضي الله عنهما -.

ثالثاً: مصالحته ﷺ بيهود فدك: (١).

أرسل الرسول ﷺ بعد انتهاء معركة خيبر، واتفاقهم على الصلح، إلى أهل فدك من يدعوهم إلى الإسلام أو الاستسلام للمسلمين، وكانت معنوياتهم ضعيفة جداً فتصالحوا بنفس شروط خيبر دون قتال (٢).

فكان فدك فيئاً لرسول الله خاصة يُنفق منها على نفسه وعلى من يعول، لأنه لم يوجف عليها بخيلٍ ولا ركابٍ.

رابعاً: مصالحته ﷺ بيهود وادي القرى:

عاد المسلمون إلى المدينة عن طريق وادي القرى (٣) إثر صلح فدك، وكان القرى جماعة من اليهود، قد انصاف (٤) إليهم جماعة من العرب، فدعا ﷺ أهلها للإسلام فامتنعوا وقاتلوا، ففتحها عنوة وغنم أموالها.

وأقام رسول الله بوادي القرى أربعة أيامٍ، وقسم ما أصاب على أصحابه بوادي القرى، وترك الأرض والنخل في أيدي يهود، وصالحهم على نحو ما صالح عليه أهل خيبر (٥).

(١) فدك: قرية في الحجاز بينها وبين المدينة يومان وقيل ثلاثة، تعرف اليوم بالحائط. انظر: معجم البلدان، للحموي ٤ / ٢٣٨.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ٢ / ٣٥٢، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢ / ١١٧.

(٣) وادي القرى: سمّي بها لأنّ الوادي من أوله إلى آخره قرى منظومة، وكانت من أعمال البلاد، وهو وادي بين المدينة والشام من أعمال المدينة كثير القرى. انظر: معجم البلدان ٤ / ٣٣٨.

(٤) أي: انضم إليهم وسكن معهم، وصار واحدا منهم. (الباحث).

(٥) انظر: عيون الأثر، لابن سيّد الناس ٢ / ١٤٤.

خامساً: مصالحته ﷺ يهود تيماء:

ولما بلغ يهود تيماء^(١) ما واطأ عليه النبي ﷺ أهل خيبر وفدك ووادي القرى، صالحوا النبي ﷺ على الجزية وأقاموا ببلادهم وأرضهم في أيديهم^(٢).

سادساً: مصالحته ﷺ يهود أيلة^(٣):

وجه الرسول ﷺ إلى يوحنا بن رؤبة، رسالة يطلب فيها منه أن يذعن للمسلمين أو يغزوه، فأقبل يوحنا بنفسه إلى النبي ﷺ باختياره، فلما رأى النبي ﷺ كفر^(٤) وأوماً برأسه، فأوماً إليه النبي ﷺ: (ارفع رأسك) وصالحه يومئذ وكساه برداً يمانياً، وأهدى صاحب أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء^(٥).

وعن أبي حميد الساعدي ﷺ قال: (غزونا مع النبي ﷺ تبوك وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء وكساه برداً وكتب له ببحرهم)^(٦).

(١) تيماء: بُليدٌ في أطراف الشام، بين الشام ووادي القرى، على طريق حاج الشام ودمشق. معجم البلدان ٢ / ٦٧.

(٢) ينظر: عيون الأثر، لابن سيد الناس ٢ / ١٤٥.

(٣) أيلة: مدينة على ساحل بحر القلزم (البحر الأحمر) مما يلي الشام وهي آخر الحجاز وأول الشام. وهي اليوم مدينة العقبة في المملكة الأردنية، وتسميها اليهود إيلياء. انظر: معجم البلدان، للحموي ١ / ٢٩٢.

(٤) كفر: التكفير عند أهل الكتاب، أن يُطأ رأسه لصاحبه ويضع يديه على صدره. انظر: الصحاح للجوهري (٣ / ٤٦) وتاج العروس للزبيدي ٢١ / ١٢٢.

(٥) وقد جاء في صحيح مسلم - ﷺ - (... وجاء رسول ابن العلماء صاحب أيلة إلى رسول الله ﷺ بكتاب...) كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ ٤ / ١٧٨٣. عن أبي حميد ﷺ.

(٦) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فرض الخمس، باب إذا وادع الإمام ملك القرية، هل يكون لقبقتهم؟ ٤ / ٩٨. ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ ٤ / ١٧٨٣.

وقد اجتمع في حضرة النَّبي ﷺ أكيدر ويوحنا بن رُوْبَة^(١).

وكان نصّ الوثيقة بين المسلمين ويوحنا ما يلي:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذه أمانة من الله ومحمد النَّبي رسول الله، ليحنا بن رُوْبَة^(٢) وأهل أيلة، لسفنتهم ولسيارتهم، ولبحرهم ولبرهم، ذمة الله وذمة محمد النَّبي، ولمن كان معهم من كلِّ مار النَّاس، من أهل الشَّام واليمن وأهل البحر، فمن أحدثَ حدثًا فإنه لا يحول ماله دون نفسه، وإنَّه طيِّبة لمن أخذه من النَّاس، ولا يحلُّ أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقا يريدونه من برٍّ أو بحرٍ، هذا كتاب جهيم بن الصلت، وشرحبيل بن حسنة، بإذن رسول الله)^(٣).

واتَّفَق الطرفان على أن تدفع أيلة جزية قدرها ثلاثمائة دينار في كلِّ عام.



(١) انظر: العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، فاروق حمادة ص: ٢٤٠.

(٢) يوحنا بن رُوْبَة هو ملك أيلة، وقد جاء تسميته في صحيح مسلم بابن العلماء، المصدر السابق نفسه.

(٣) الأموال، لأبي عبيد / ٣٠٥، قال أبو عبيد: وجهيم: اسم الكاتب. وانظر: الطبقات الكبرى

لابن سعد / ٢١٢. ودلائل النبوة للبيهقي، جماع أبواب غزوة تبوك، باب ذكر كتابه ليحنا

بن رُوْبَة وكتابه لأهل جرباء وأذرح وهو بتبوك / ٥ / ٢٤٧.

سابعاً: مصالحته ﷺ بيهود مقنا^(١).

صالح النبي ﷺ يهود مقنا وكتب لهم كتاباً، ونصه كالآتي:

(بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى بني جنبة وإلى أهل مقنا.
أما بعد: فقد نزل علي آيتكم^(٢) راجعين إلى قريبتكم، فإذا جاءكم كتابي هذا
فإنكم آمنون، لكم ذمة الله وذمة رسوله، وإن رسوله غافر لكم سيئاتكم وكل
ذنوبكم، وإن لكم ذمة الله وذمة رسوله، لا ظلم عليكم ولا عدى، وإن رسول الله
جار لكم مما منع منه نفسه، فإن لرسول الله بزكم^(٣) وكل رقيق فيكم، والكراع
والحلقة^(٤)، إلا ما عفا عنه رسول الله، أو رسول رسول الله، وإن عليكم بعد ذلك ربع
ما أخرجت نخلكم، وربع ما صادت عروكم^(٥)، وربع ما اغتزل نساؤكم، وإنكم
برئتم بعد من كل جزية أو سخرة، فإن سمعتم وأطعتم، فإن على رسول الله أن يكرم
كريمكم، ويعفو عن مسيئكم.

أما بعد: فإلى المؤمنين والمسلمين، من أطلع أهل مقنا بخير فهو خير له، ومن
أطلعهم بشر فهو شر له، وأن ليس عليكم أمير إلا من أنفسكم، أو من أهل رسول
الله. والسلام، وكتب علي بن أبي طالب في سنة تسع^(٦).

(١) مقنا: مدينة قرب أيلة على ساحل البحر الأحمر وسكانها كانوا يهودا. معجم البلدان (٥ / ١٧٨).

(٢) أي: يعني رسلهم. انظر: المصباح المضي في كتاب النبي الأمي... ٢ / ٣١٨.

(٣) بزكم: قال الجوهري. بزّه يبيزه بزاً سلبه، وفي المثل من عزّ بزّ أي: من غلب أخذ السلب
وابتززت الشيء أي استلبته، والبز من الثياب أمّعة البزاز، والبز السلاح أيضا وهو المقصود
به هنا. انظر: الصحاح للجوهري ٣ / ٨٦٥.

(٤) الكراع: اسم لجميع الخيل، وعدة الحرب، والحلقة: ما جمعت الدار من سلاح أو مال السلاح.
انظر: المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ٢ / ٣١٩.

(٥) العرّوك: جمع عرك بالتحريك وهم الذين يصيدون السمك، النهاية في غريب الأثر ٣ / ٤٤٧.

(٦) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ٢٨ ومجموعة الوثائق السياسية، محمد حميد الله ص: ٣٣.

المطلب الرابع: مصالحة النبي ﷺ للنصارى:

لم يكن للنصارى استقرار كبير أو حضور كثيف بقرب النبي ﷺ في مكة أو المدينة، وقد يكون منهم عابر سبيل مترحل، أو تاجر سلعة متنقل، ولم يكن لهم مواقف حاقدة بارزة كاليهود وقد قال الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَتُكَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

ولما رأى الرسول ﷺ ما يصيب أصحابه من الأذى في مكة قال لهم: (لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكا لا يظلم عنده أحد، وهي أرض صدق حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه)^(١).

وعندما انطلقت الدعوة النبوية من إطارها الداخلي إلى رحابها الخارجي العالمي بعد صلح الحديبية في نهاية السنة السادسة للهجرة النبوية، أرسل عليه الصلاة والسلام في يوم واحد سفراء ستة.

وكان للنصارى في دولهم، بنزيطة، والشام، والحبشة، ومصر، مواقف دلت على التعامل الصحيح بين أتباع الدينين، كما جاءت وفودهم إلى النبي ﷺ وكشفوا عن وصفه وصفاته وحاوروه وناقشوه.

ولما كان الخطر يأتي المسلمون من ناحيتهم - أعني الروم - وجه إليهم الرسول ﷺ عدة سرايا ومنها سرية مؤتة.



(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٣٢١.

أولاً: مصالحة النبي ﷺ نصارى نجران^(١):

نصارى نجران أكبر الجماعات النصرانية في جزيرة العرب، وقد كتب النبي ﷺ إليهم يدعوهم إلى الإسلام، وبعد مشاورات وتجاوزات فيما بينهم، بعثوا إلى النبي ﷺ في المدينة جماعة فيهم بعض أشرفهم، فلما قدموا عليه ﷺ دخلوا عليه في مسجده حين صلى العصر، وعليهم ثياب الحبيرات جبب^(٢) وأردية فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده، فأراد الناس منعهم فقال: (دعوهم) فاتجهوا إلى المشرق فصلّوا صلاتهم^(٣).

ثم أتوا النبي ﷺ فأعرض عنهم ولم يكلمهم، فقال لهم عثمان بن عفان ﷺ: ذلك من أجل زيّكم هذا، فانصرفوا يومهم ذلك، ثم غدوا عليه بزي الرهبان فسلموا عليه فردّ عليهم ودعاهم إلى الإسلام، فأبوا، وقالوا أسلمنا، فقال ﷺ كذبتم... وكثر الكلام والحجاج بينهم وتلا عليهم القرآن، وأخبرهم عن سبب عدم إسلامهم... وقال لهم إن أنكرتم ما أقول لكم فهلمّ أباهلكم... فانصرفوا يومهم، وخلاً بعضهم إلى بعض وتصادقوا فيما بينهم، فلما أصبحوا غدوا إليه وقالوا قد بدأ لنا ألا نباهلك فاحكم علينا بما أحببت ونصالحك^(٤).

(١) نجران على وزن فعلان، مدينة عريقة عرفت منذ أن عرف للعرب تاريخ، تتكون من مجموعة مدن صغيرة في واد واحد، تقع على الطريق بين صعدة وأبها. ينظر: معجم البلدان للحموي ٥/ ٢٦٩. والمعالم الجغرافية الواردة في السيرة النبوية ١/ ٤٣٣.

(٢) الحبيرات: برود من اليمن، والجبّة: ثوب سابغ واسع الكمين مشقوق المقدم يلبس فوق الثياب والدّرّع، انظر: المعجم الوسيط ١/ ١٠٤.

(٣) زاد المعاد لابن القيم ٣/ ٣٨

(٤) ينظر تفاصيل القصة في: السيرة النبوية، لابن هشام ٢/ ٢٢٣. والطبقات الكبرى لابن سعد ١/ ٣٩٥، وزاد المعاد لابن القيم ٣/ ٤٠.

فصالحهم الرسول ﷺ على الجزية وكتب لهم هذا الكتاب. (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما كتب محمد النبي رسول الله ﷺ لأهل نجران، إذا كان له حكمه عليهم: أن في كل سواد وبيضاء وحمراء وصفراء وثمره ورقيق، وأفضل عليهم، وترك ذلك لهم ألفي حلة (في كل صفراء ألفي حلة) وفي كل رجب ألف حلة (كل حلة أوقية) ما زاد الخراج أو نقص فعلى الأواقي فليحسب، وما قضاوا من ركاب أو خيل أو دروع أخذ منهم بحساب، وعلى أهل نجران مقري^(١) رسلي عشرين ليلة فما دونها، وعليهم عارية ثلاثين فرساً، وثلاثين بعيراً، وثلاثين درعاً، إذا كان كيدا باليمن ذو مغدرة، وما هلك مما أعاروا رسلي فهو ضامن على رسلي حتى يؤدوه إليهم.

ولنجران وحاشيتها ذمة الله وذمة رسوله، على دمائهم وأموالهم وملتهم وبيعهم ورهبانيتهم وأساقفتهم، وشاهدتهم وغائبهم، وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وعلى أن لا يغيروا أسقفاً من سقيفاه^(٢)، ولا واقها من وقيهاه، ولا راهبا من رهبانيتها، وعلى أن لا يحشروا^(٣) ولا يعشروا ولا يظأ أرضهم جيش، ومن سأل منه حقاً فالنصف بينهم بنجران، على أن لا يأكلوا الرِّبا فمن من ذي قبل فذمتي منه بريئة. وعليهم الجهد والنصح فيما استقبلوا غير مظلومين، ولا معنوف، عليهم، شهد بذلك عثمان بن عفان، ومعيقب وكتب^(٤).

(١) مقري رسلي: أي ضيافتهم، انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص: ١٣٢٤).

(٢) سقيفاه ووقيهاه: أي تسقفه وما يعانیه من أمر دينه وتقدمته، انظر: لسان العرب، ٩ / ١٥٦.

(٣) لا يحشروا: لا يُندبُون إلى المغازي، ولا تُضرب عليهم البُعُوث، والمراد به: "جمعهم إلى الجهاد، والنفير إليه، ولا يعشروا: التعشير: جمع العشر من أموال الناس "أي لا يؤخذ عشر أموالهم، انظر: غريب الحديث للخطابي ١ / ٥٠١.

(٤) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أخذ الجزية ٣ / ١٦٧.

عن ابن عباس ؓ بألفاظ مختلفة، والبيهقي في السنن ٩ / ٣٢٨. وابن سعد في الطبقات ١ / ٢٦٧، وهو صحيحٌ بمجموع طرقه.

ثانياً: مصالحة النبي ﷺ لأهل جرباء^(١) وأذرح^(٢):

الظاهر أنّ أهل جرباء وأذرح كانوا خليطاً من اليهود والنصارى، وقد تم الصلح بين المسلمين وأهل جرباء وأهل أذرح على الجزية.
ونص وثيقة الصلح:

(بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي لأهل أذرح، إنهم آمنون بأمان الله ومحمد، وإن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم بالنصح والإحسان للمسلمين، ومن لجأ إليهم من المسلمين من المخافة والتعزير إذا خشوا على المسلمين، وهم آمنون حتى يحدث إليهم محمد قبل خروجه)^(٣).
وكتب أيضاً: «هذا كتاب من محمد النبي رسول الله لأهل جرباء وأذرح: أتمهم آمنون بأمان الله وأمان محمد، وأن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، والله كفيل عليهم»^(٤).

- (١) جرباء: وتنطق بالجرباء، موضع من أعمال عمان بالبلقاء من أرض الشام، وهي وأذرح متلازمتين كما يقال في مكة والمدينة، وهما اليوم قريتان في المملكة الأردنية الهاشمية، تقعان شمال غربي مدينة معان، ينظر: معجم البلدان، للحموي ٧٢/٣، ومعجم المعالم الجغرافية في السيرة، ص: ٨١.
(٢) أذرح: اسم بلد في أطراف الشام من نواحي البلقاء وعمان، انظر: جرباء أعلاه.
(٣) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٣٧، والزرقاني في المواهب اللدنية ٣/٣٦، وفي البداية والنهاية لابن كثير ٥/١٦، ومجموعة الوثائق السياسية، محمد حميد الله ص: ٣٢.
(٤) دلائل النبوة للبيهقي ٥/٢٤٨، والسيرة النبوية لابن كثير ٥/١٧، وإمتاع الأسماع للمقريزي ١/٤٦٩.

ثالثاً: مصالحة نصارى دومة الجندل^(١):

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه من تبوك في أربعمئة وعشرين فارساً، إلى أكيدر بن عبد الملك بدومة الجندل، وهي على ليال من المدينة، وكان أكيدر من كندة قد ملكهم، وكان نصرانياً. فقال خالد: يا رسول الله: كيف لي به وهو وسط بلاد كلب، وإنما أنا في أناس يسير؟ فقال ستجده يصيد البقر فتأخذه! وقال: فلا تقتله وأت به إليّ، فإن أبي فاقتلوه^(٢).

فخرج خالد حتى إذا كان من حصنه بمنظر العين، وفي ليلة مقمرة صائفة، وهو على سطح له من الحرّ، ومعه امرأته - الرّباب بنت أنيف بن عامر - وقينته^(٣). تغنيه وقد شرب، فأقبلت البقر تحكّ بقرونها باب الحصن: فأشرفت امرأته فرأت البقر فقالت: من يترك هذا؟ قال: لا أحد! قال أكيدر: والله ما رأيت جاءتنا ليلاً بقر غير تلك الليلة! ولقد كنت أضمر لها الخيل - إذا أردت أخذها - شهراً أو أكثر، ثم أركب بالرجال وبالآلة، فنزل فأمر بفرسه فسرج، وأمر بخيل فأسرجت، وركب معه نفر من أهل بيته معه: أخوه حسان ومملوكان له، فخرجوا من حصنهم بمطاردهم، وخيل خالد تنتظرهم: لا يصهل منها فرس ولا يتحرك، فساعة وصل أخذته الخيل. وقاتل حسان حتى قتل عند باب الحصن: وهرب المملوكان ومن كان معها.

- (١) دومة الجندل: بضم الدال: قرية تقع الآن في شمال المملكة العربية السعودية (الجوف) شمال تيماء قريباً من تبوك على طريق الشام، بنحو ٤٥٠ كيلو متراً من المدينة المنورة، وقديماً كان بينها وبين المدينة عشرة مراحل، وانظر في تاريخها: معجم البلدان للحموي ٢/ ٤٨٧.
- (٢) أخرج هذا النص، النسائي في السنن الكبرى، كتاب السير، باب عدد السرية ٥/ ٢٥٩.
- وعند أحمد في المسند عن أنس رضي الله عنه: "أن رسول الله ﷺ كتب إلى كسرى وقيصر وأكيدر دومة، يدعوهم إلى الله" ٣/ ١٣٣. وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٢/ ١١٤٩).
- (٣) القينة: الأُمَّة صانعة أو غير صانعة وغلب على المغنية، المعجم الوسيط ٢/ ٧٧١.

واستلبَّ خالد بن الوليد حسَّانا قباءً ديباجٍ مَخَوِّصاً^(١) بذهب، فبعث به إلى رسول الله ﷺ مع عمرو بن أمية الضمري، فجعل المسلمون يلمسونه بأيديهم ويتعجبون منه، فقال عليه الصلاة والسلام: (تعجبون من هذا والذي نفسي بيده، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا)^(٢).

وقال خالد لأكيدر: هل لك أن أجيرك من القتل حتى آتي رسول الله على أن تفتح لي دومة؟ قال: نعم! فانطلق به في وثاقٍ حتى أدناه من الحصن فنادى أهله: افتحوا باب الحصن! فأرادوا ذلك، فأبى عليهم مضاد أخوه.

فقال أكيدر لخالد: تعلم والله لا يفتحون لي ما رأوني في وثاقك، فحلّ عني، ولك الله والأمانة أن أفتح لك الحصن إن أنت صالحتني على أهله، قال: فإنني أصالحك، فقال أكيدر إن شئت حكمتك وإن شئت حكمتني، قال خالد: بل نقبل منك ما أعطيت.

فصالحه على ألفى بعير، وثمانمائة رأس، وأربعمائة درع، وأربعمائة رمح - على أن ينطلق به وأخيه إلى رسول الله ﷺ فيحكم فيهما حكمه.

فخلى سبيله ففتح الحصن، فدخله خالد، وأوثق أخاه مضاداً أخا أكيدر، وأخذ ما صالح عليه من الإبل والرقيق والسلام.

فلما قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ سجد أكيدر للنبي ﷺ فأوماً بيده: لا، لا، مرتين وعلى أكيدر صليب من ذهب، وصالحه على الجزية، وحقن دمه ودم أخيه، وخلي سبيله، وعليه الديباج ظاهر، وكتب لهم أماناً وختمه بظفره: لأنه لم يكن في يده خاتم.

(١) مخصوص بالذهب: أي منسوج به ومنقوش به كورق النخل. النهاية في غريب الحديث ٢ / ٨٧.
(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الهبة وفضلها، باب قبول الهدية من المشركين، ٣ / ١٦٣. ومسلم في صحيحه في كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل سعد بن معاذ ﷺ ٤ / ١٩١٦.

وأهدى أكيدر إلى رسول الله ﷺ ثوب حرير، فأعطاه علياً رضي الله عنه فقال: شققه خمرًا بين الفواطم^(١) وكتب رسول الله ﷺ لأكيدر.

وهذا نصّ كتاب الصلح الذي كتبه النبي ﷺ: «بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد رسول الله لأكيدر، حين أجاب إلى الإسلام^(٢) وخلع الأنداد والأصنام، مع خالد بن الوليد في دومة الجندل وأكنافها: أن له الضاحية من الضحل والبور والمعامي^(٣) وأغفال الأرض، والحلقة والسلاح والحافر والحصن، ولكم

(١) هذا السياق للنص بطوله هو عند الواقدي في المغازي ٣/١٠٣٦، وفيه تفصيلات كثيرة، والمضمون قد جاء عند ابن اسحاق، ينظر: السيرة النبوية لابن هشام ٤/١٨١، والطبقات الكبرى لابن سعد ٢/١٦٦، وفتوح البلدان للبلاذري ص: ٨٢، وتاريخ الأمم والرسول والملوك للطبري ٣/١٠٨، ودلائل النبوة لأبي نعيم عن ابن إسحاق ٢/٦٧٦، ودلائل النبوة للبيهقي من طريق ابن إسحاق ومن طريق عروة بن الزبير ٥/٢٥٠، والبداية والنهاية لابن كثير ٥/١٧، وعيون الأثر لابن سيد الناس ٢/٢٩٨، وغيرها من المصادر، ومضمونه متفق عليه عند الجميع وهو متصل إلى عدد من التابعين.

أما خبر الكسوة ففي الصحيحين من حديث أنس رضي الله عنه: «أن أكيدر دومة أهدى لرسول الله ﷺ جبة من سندس...» وفيها من حديث علي رضي الله عنه: «أن أكيدر دومة أهدى إلى النبي ﷺ ثوب حرير؛ فأعطاه علياً... شققه خمرًا بين الفواطم». وفي مسند أحمد وجامع الترمذي وسنن النسائي عن أنس رضي الله عنه قال: «بعث رسول الله ﷺ جيشًا إلى أكيدر دومة...»

(٢) يظهر من خلال الكتاب أن أكيدر أسلم. وقيل: إنه أسلم ثم ارتدّ، فقتله خالد بن الوليد في الردّة. وقيل: لما منع في خلافة أبي بكر ما كان يؤديه إلى رسول الله، أخرج من جزيرة العرب في دومة، فلحق بالجزيرة، وابتنى بها قرب عين التمر بناء سمّاه دومة، وقد أطال الحافظ ابن حجر في ترجمة أكيدر في الإصابة، وبين اختلاف العلماء في إسلامه، ينظر: ١/١٢٥.

(٣) قال أبو عبيد: أما قوله الضاحية من الضحل فإن الضاحية في كلام العرب: كل أرض بارزة من نواحي الأرض وأطرافها، والضحل: القليل من الماء، والبور: الأرض التي لم تحرث، والمعامي: البلاد المجهولة، والأغفال: التي لا آثار بها والحلقة: الدروع وبعضهم يجعله

الضامنة من النخل والمعين من المعمور بعد الخمس، لا تعدل سارحتكم ولا تعدّ فاردتكم، ولا يحظر عليكم النبات، ولا يؤخذ منكم إلا عشر الثبات تقيمون الصلاة لوقتها وتؤتون الزكاة بحقها عليكم بذلك العهد والميثاق، ولكم بذلك الصّدق والوفاء، شهد الله ومن حضر من المسلمين»^(١).

هذه هي مصالحات النبي ﷺ للنصارى وكان ذلك في السنة التاسعة من الهجرة، وفي الفصول الآتية من البحث إبراز للمقاصد الدعوية المستنبطة من تلك المصالحات.



السلاح كله، والحافر: الخيل وغيرها من ذات الحافر، والحصن يعني حصنهم، والضامنة من النّخل التي معهم في المصر، والمعين: الماء الدائم الظاهر، مثل ماء العيون ونحوها، والمعمور بلادهم التي يسكنونها، وقوله: لا تعدل سارحتكم، السارحة: هي المشية التي تسرح في المراعي، يقول: لا تعدل عن مرعاها، لا تمنع منه، ولا تحشر في الصدقة إلى المصدق، ولكنّها تصدق على مياهها ومراعيها. وقوله: لا تعدّ فاردتكم يعني في الصدقة، أي لا تعدّ مع غيرها فتضمّ إليها ثم تصدق وهذا نحو من قوله: لا يجمع بين متفرق. انظر: الأموال لأبي عبيد ١ / ٤٦٩، والأموال لابن زنجويه ٢ / ١٠٦.

(١) الأموال لأبي عبيد ٢ / ٢٥٢ والطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ٢٨٨، وإمتاع الأسماع، للمقريزي ٢ / ٦٥. الرّسول القائد، محمود شيت خطاب، ص: ٤٩٤.

الفصل الأول :

المقاصد الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة إلى الله في الصلح النبوي

وتحتة أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالعقيدة في الصلح النبوي.

المبحث الثاني: فقه الدعوة إلى الله ومقاصدها المتعلقة بالشريعة في الصلح النبوي

المبحث الثالث: المقاصد الدعوية المتعلقة بالسلوك والأخلاق في الصلح النبوي

المبحث الرابع: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في موضوع
الدعوة إلى الله في العصر الحاضر.

الفصل الأول:

المقاصد الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة إلى الله في الصلح النبوي.

موضوع الدعوة إلى الله: هو الإسلام الذي يعمل الداعية على تبليغه وتطبيقه^(١). وأعني بالإسلام، معناه الشامل للعقيدة والشريعة والأخلاق، الذي بلغه النبي ﷺ لجميع فئات الناس بما يناسب حال البلاغ وحال المبلّغ. وهذا الفصل معقودٌ لاستعراض موضوع مصالحت النبي ﷺ لغير المسلمين في مجال العقيدة والشريعة والأخلاق.

المبحث الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالعقيدة في الصلح النبوي.

تمهيد في التعريف بالعقيدة.

العقيدة لغة: مأخوذة من العقد والربط والشّد بقوة، ومنه الأحكام والإبرام، والتّمسك والمرابطة، يقال: عقد الحبل يعقده: شدّه، ويقال: عقد العهد والبيع: شدّه، وعقد الإزار: شدّه بإحكام^(٢).

العقيد في الاصطلاح: التصديق الجازم فيما يجب لله عز وجل من الوجدانية، والربوبية، والإفراد بالعبادة، والإيمان بأسمائه الحسنی، وصفاته العليا^(٣).

(١) انظر: الحكمة في الدعوة إلى الله، سعيد بن وهف القحطاني، ص: ١١٦.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور، بال الدال، فصل العين، ٢٩٦/٣، والقاموس المحيط للفيروز آبادي، باب الدال، فصل العين، (ص: ٣٠٠).

(٣) انظر: شرح لمعة الاعتقاد، للشيخ: محمد بن صالح العثيمين ص: ١٤. ومباحث في عقيدة

أهل السنة والجماعة، للشيخ الدكتور ناصر العقل، ص ٩-١٠.

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالعقيدة في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين.

أصل دعوة الإسلام تأسيس العقيدة.

المتبّع لدعوة الإسلام الرّاصد لها، يجد أنها دعوة إلى توحيد الله تعالى وإخلاص العبادة له وحده لا شريك له، لأن رسول الله ﷺ أول ما نادى قومه، ناداهم إلى التّوحيد وترك الأصنام والأوثان، ودين الإسلام هو الدّين الذي يدعو إلى توحيد الله لأنه وحده المستحق للعبادة، فالإسلام يدعو إلى العقيدة الصّحيحة، دعوة إلى الفطرة التي فطر الله تعالى عليها النّاس.

وأخذ ﷺ في بيان ذلك ليس في الفترة المكية فحسب، بل حتى بعد هجرته عليه الصلاة والسلام إلى المدينة، استمرّ الحال على ذلك، لأن دعوة الإسلام إنما هي دعوة إلى تأسيس العقيدة، بل الهدف من الدّعوة هو تحقيق التوحيد، وإيجاد عقيدة صافية لدى المدعوين تعتمد على تحقيق العبودية لله رب العالمين، ونفي الأنداد والأضداد، والتوجّه بالكلية إلى الله^(١).

ومصالحاته ﷺ مع المشركين، أساسها ومقصدها تحقيق العبودية لله تعالى، وهو أساس الدّين وصرّاط الله المستقيم، وأولّ ما أمر الأنبياء بتبليغه، ومن هنا كان على الدّعاة إلى الله تعالى مضاعفة الاهتمام بهذا الأصل العظيم، والتعريف بما يُضادّه من الشرك بالله تعالى، وعبادة غيره معه.

وفيما يلي ذكر لأهم المسائل العقديّة الواردة في ضوء مصالحاته ﷺ مع المشركين، ومقاصدها الدعوية.

(١) انظر: العقيدة أولاً معشر الدعاة، د. الشريف حمدان الهجاري، ص: ٢٣٦.

أولاً: الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي الدخول في الإسلام، والربوبية

مستلزم للألوهية.

الإقرار بتوحيد الربوبية يستلزم الإقرار بتوحيد الألوهية، فمن أقر بأن الله هو المتفرد بالربوبية، لزم حتماً أن يقرّ بتفردّه بالألوهية.

ولهذا جرت طريقة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية ثم الانتقال منها إلى الدعوة لتوحيد الألوهية، فيجعل توحيد الربوبية برهاناً واضحاً على وجوب إفراده سبحانه بالإلهية.

فإن الذي يستحق من العباد أن يعبدوه هو من كان رباً خالقاً مالكاً مدبراً، وأما من لا شأن له في خلق ولا تدبير لا يصلح أن يكون إلهاً معبوداً.

ومشركو قريش الذين صالحهم النبي ﷺ كانوا مقرين بالربوبية ولم يدخلهم ذلك في الإسلام بل قاتلهم النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته الله-: (أما توحيد الربوبية فقد أقرّ به المشركون، وكانوا يعبدون مع الله غيره، ويحبّونهم كما يحبّونه، فكان توحيد الربوبية حجة عليهم، فإذا كان الله هو خالق كل شيء وربّه ومليكه، فلماذا يعبدون غيره؟) (١).

وقد أقرّ بالربوبية في مصالحات النبي ﷺ مع المشركين عدد من رسل قريش، ومن ذلك ما ورد في قول عروة ابن مسعود. (أي محمد... هل سمعت بأحد من العرب اجتاحت أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى فإني والله لأرى وجوهاً، وإني لأرى أوشاباً من الناس خليقاً أن يفروا ويدعوك) وقال للصدّيق ﷺ: (...أما والذي نفسي بيده لو لا يد كانت لك عندي لم أجرك بها لأجتك) ولما رجع إلى قريش قال واصفاً ما رأى من حال الصحابة مع الرسول ﷺ: (أي قوم والله، لقد وفدت على الملوك،

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٤/٣٨٠

ووفدت على قيصر، وكسرى، والنجاشي، والله إن رأيت ملكا قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ﷺ محمداً، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه وجِلده).

وقال سهيل بن عمرو - وهو آخر رسل قريش إلى النبي ﷺ - لما أراد أن يكتب الرحمن، قال سهيل: (... فوالله ما أدري ما هو... ثم قال هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله فقال سهيل والله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت ولا قاتلناك... فقال له النبي ﷺ على أن تخلوا بيننا وبين البيت فنطوف به، فقال سهيل: والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا ضغطة فكتب... فبينما هم كذلك إذ دخل أبو جندل بن سهيل... فقال سهيل: هذا يا محمد أول ما أقضيك عليه أن ترده إلي فقال النبي ﷺ، إنا لم نقض الكتاب بعد قال: فوالله إذا لم أصالحك على شيء أبدا).

وبهذا يتبين مما سبق أن المشركين كانوا مقرّين بتوحيد الربوبية، دون توحيد العبادة، وقد ظهر ذلك جلياً في مصالحته ﷺ مع المشركين في صلح الحديبية.

ودلالة ذلك واضحة، من دعائهم وحلفهم وتسبيحهم لله تعالى دون غيره من الآلهة التي يعبدونها، فدل على أن توحيد الربوبية مستلزمٌ لتوحيد الألوهية، وهو أول ما قام به الرسل عليهم السلام، وبه أرسل الرسل وأنزل الكتب، ومن آمن بالله رباً لزمه أن يحلف ويقسم به تعالى وقت الكرب.

ويلزم الدّاعية إلى الله أن يبين للناس توحيد الله سبحانه وتعالى وأنواعه كما جاء في الكتاب والسنة، ويحذرهم من الشرك بالله، وأن ذلك من أهم موضوعات الدّعوة، وأعظم الواجبات. واعتناء الدّاعية إلى الله بالدّعوة إلى كلمة التوحيد دليل على فقهه وبصيرته في الدّعوة إلى الله.

ثانياً: التبرك بالنبي ﷺ.

إنَّ التبرُّك بذوات الصالحين وآثارهم والأزمنة والأمكنة المرتبطة بهم قضية من أهمِّ القضايا العقديَّة، وإنَّ الغلوَّ فيها ومخالفة الصواب قد جرَّ فئاماً من النَّاس قديماً وحديثاً إلى حظيرة البدع والخرافات والشِّركيات.

ومع انتشار العلم في هذا الزَّمن إلا أنَّ التبرُّك بالأولياء والصالحين وآثارهم وبالقبور وأصحابها، لا يزال شائعاً منتشرًا حتى بين من يحملون أعلى الدرجات العلميَّة، وما قيام أصحاب الموالد في أثناء قراءتهم للمولد، وشربهم من الماء الموضوع عند قارئ المولد، إلا مظهرًا من مظاهر التبرُّك المحرم، إذ يعتقد بعضهم أنَّ روح الرِّسول ﷺ حضرت قراءة المولد، وشربت من الماء الموضوع، ومن ثمَّ فهم يتبرِّكون ببقية الماء^(١).

ولا شكَّ أنَّ ذات الرِّسول ﷺ ذاتٌ مباركةٌ جعل اللهُ تعالى فيها بركةً خاصَّة، ليست لغيره من الخلق، وكان الصَّحابة رضي الله عنهم يعرفون ذلك، وهذا القول عليه جملة من الأدلَّة تدلُّ على أنَّ الرِّسول ﷺ ذاته وما انفصل منه، من شعرٍ ولباسٍ وما استعمله من أدواتٍ ومتاعٍ، قد جعل اللهُ فيه من البركة شيئاً عظيماً، حتى حرص صحابته على التبرُّك به وبمتاعه وأدواته، وبعد مماته ﷺ، فكانوا يرجون بذلك البركة والشفاء.

وكل ذلك مخصوص به ﷺ ولا يجوز ذلك لأحد سواه، وهذا من تعظيم الله لنبيه أن جعله مباركا وجعل كتابه مباركا، وستته مباركة، وذاته ﷺ مباركة وأدواته ومتاعه من ثياب وأكواب وسلاح جعله كله مباركا. فأبي توفير وفضل أعظم من هذا؟ والله در طائفة من هذه الأمة - أهل السنة - قصرُوا التبرُّك على النبي ﷺ وحده بلا منازع، وهي الطائفة المنصورة، وأما من قاس غيره عليه من الصالحين والأولياء فقد جانبه الصواب.

(١) التبرُّك المشروع والتبرُّك الممنوع" للشيخ علي العلياني ص: ١٦٥.

ويمكن تنويع بركات النبي ﷺ إلى نوعين:

= بركة معنوية (وهي بركة العمل والاتباع للرسول ﷺ، وهذه تحصل لمن اتبعه بسبب متابعتة للرسول ﷺ، فقد أرسل رحمة للعالمين^(١))، وليخرج الناس من الظلمات إلى النور، ويدعوهم إلى مكارم الأخلاق ويربيهم عليها، كما جعلت أمته خير الأمم^(٢)).

= بركة حسية: وهي على نوعين: في أفعاله، وفي ذاته وآثاره الحسية المنفصلة عنه.

- البركة في أفعاله: كتكثير الماء ونبعه من بين أصابعه، وتكثير الطعام، وإبراء المرضى وذوي العاهات^(٣).

- البركة في ذاته وآثاره، والمقصود به، تبرك الصحابة ﷺ به ﷺ في حياته، وبآثاره بعد وفاته^(٤).

وقد تبرك الصحابة - رضوان الله عليهم - بأعضاء جسده، وأقرهم على ذلك بل وزعه عليهم، كما ثبت في قصة أبي جحيفة^(٥) أنه قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة^(٦) إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين...) وفيه: (وقام الناس

(١) قال ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ -: (...أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة، وشكر هذه النعمة، سعد

في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر الدنيا والآخرة...) تفسير ابن كثير ٣/٢٠٢.

(٢) ينظر: التبرك، أنواعه وأحكامه، د/ ناصر بن عبد الرحمن الجديع ص: ٥٩ وما بعدها.

(٣) كما في قصة صلح الحديبية، وغزوة خيبر وغزوة تبوك وغيرها.

(٤) دعاوى المناوئين لشيخ الإسلام ابن تيمية ١ / ٢٧١.

(٥) هو: وهب بن عبد الله بن مسلم أبو جحيفة السوائي، نزل الكوفة، وكان من صغار الصحابة،

تولى شرطة الكوفة زمن علي بن أبي طالب وكان علي يحبه ويسميه وهب الخير، توفي سنة ٧٤ هـ وقيل

غير ذلك. انظر: أسد الغابة لابن عبد البر ٥/٤٨، الإصابة لابن حجر ٣/٦٠٦.

(٦) الهاجرة: اشتداد الحر في نصف النهار قيل سميت بذلك من الهجر وهو الترك لأن الناس

يتركون التصرف حينئذ لشدة الحر ويقيلون، انظر: فتح الباري لابن حجر ٢ / ٢١.

فجعلوا يأخذون يديه فيمسحون بها وجوههم) قال: (فأخذت بيده فوضعتها على وجهي، فإذا هي أبرد من الثلج وأطيب رائحة من المسك) (١).

وفي صحيح مسلم - رَحِمَهُ اللهُ - عن أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: (أن رسول الله أتى منى فأتى الجمرة فرماها ثم أتى منزله بمنى، ونحر، ثم قال للحلاق: (خذ) وأشار إلى جانبه الأيمن، ثم الأيسر ثم جعل يعطيه الناس) وفي رواية: (فبدأ بالشق الأيمن فوزعه الشعرة والشعرتين بين الناس...) (٢).

قال النووي رَحِمَهُ اللهُ: من فوائد الحديث: التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه للتبرك (٣).
ومما يدل على جواز التبرك بفضلاته ﷺ ما ورد في قصة صلح الحديبية قول عروة (... والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه...) (٤).
وقد ظهر ذلك جليا حتى خاف عروة بن مسعود الثقفي وأعجب بذلك، فأخبر قريشا بذلك بعد عودته إليهم.

قال الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ -: "ولعل الصحابة فعلوا ذلك بحضرة عروة وبالغوا في ذلك إشارة منهم إلى الرد على ما خشيه من فرارهم، وكأثمهم قالوا بلسان الحال: من يحب إمامه هذه المحبة ويعظمه هذا التعظيم كيف يظن به أنه يفر عنه ويسلمه لعدوه؟ بل هم أشد اغتباطا به وبدينه وبنصره من القبائل التي يراعي بعضها بعضا بمجرد الرحم" (٤).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب صفة النبي ﷺ ٤ / ١٨٨.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر...، ٢ / ٩٤٧.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ٩ / ٥٤.

(٤) فتح الباري لابن حجر ٨ / ٢٨٣.

هل يقاس عليه غيره ﷺ من الصالحين؟.

إذا كان دليل المسألة الماضية هو فعل الصحابة - رضوان الله عليهم - معه ﷺ وإقراره إياهم، فهل وجد هذا التبرك عند الصحابة مع غيره ﷺ؟.

الحق أنه لم يؤثر عن النبي ﷺ أنه أمر بالتبرك بغيره من الصحابة أو غيرهم سواء بذواتهم أو بآثارهم، أو أرشد إلى شيء من ذلك، ولم يُنقل حصول هذا الفعل من الصحابة بغيره لا في حياته ولا بعد وفاته.

ولا يقاس عليه غيره فيه، لما خصّه الله سبحانه وتعالى به من أمور لا توجد في أحد غيره ﷺ، ولأنه لو كان جائزاً مع غيره لسارع الصحابة رضوان الله عليهم - وهم أحرص الناس على الخير - إلى فعله مع أفضل الأمة بعد رسول الله ﷺ، ومن شهد لهم رسول الله ﷺ بالجنة، لكنه لم يحصل شيء من ذلك.

بل أفاد حديث عبد الرحمن بن أبي قراد رضي الله عنه أن الأولى تركه حتى مع النبي ﷺ والانصراف إلى ما هو أولى وأنفع، ولعل سكوت النبي ﷺ عن ذلك يوم الحديبية ليرى عروة بن مسعود رسول قريش مدى تعلق الصحابة - رضوان الله عليهم - بالنبي ﷺ وحبهم له لا سيما وقد قال للنبي ﷺ: "إني لأرى أشواباً من الناس خليفاً أن يفروا ويدعوك"^(١).

إذاً: فتبين أن ذلك من خصائصه ﷺ، ولا يجوز قياس غيره عليه فيه، وسدّ الذرائع المفضية إلى ذلك من أهم مقاصد الدعوة إلى الله، كما أن فقه ذلك والتصدي له من أكد الواجبات على الداعية إلى الله تعالى.

(١) مرويات غزوة الحديبية جمع وتخريج ودراسة. للحكمي . ص ٢٩٦

ثالثاً: محبة النبي ﷺ وتعظيمه وطاعته ووجوب اتباع سنته والالتقياد والتسليم لأمره.

إن محبة النبي ﷺ أصل عظيم من أصول الدين، ومن أعظم الواجبات، فلا إيمان لمن يكن الرسول ﷺ أحب إليه من نفسه وولده ووالده والناس أجمعين.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ﴾ [آل عمران: ٣١]،

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ أُولَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٦].

وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ

أَقْرَبْتُمْوهَا وَتَحَرُّرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِينُ تُرَضُّونَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ وَأَلَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴾ [التوبة: ٢٤].

فقد دللت الآيات على وجوب محبة النبي ﷺ وليس كذلك فقط، بل يجب أن تكون هذه المحبة مقدمة على كل محبوب، كالأب والابن والأخ... الخ.

قال القاضي عياض^(١) - رَحِمَهُ اللَّهُ - "كفى بهذه الآية حظاً وتنبهها ودلالةً وحجةً على لزوم محبته ووجوب فرضها واستحقاقه لها ﷺ؛ إذ قرع تعالى مَنْ كان ماله وأهله وولده أحب إليه من الله ورسوله وأوعدهم بقوله تعالى (فتربصوا حتى يأتي الله بأمره) ثم فسقهم بتمام الآية وأعلمهم أنهم ممن ضل ولم يهده الله"^(٢).

ويقول ﷺ: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك ما لا فلاهله ومن ترك ديناً

أو ضياعاً فإليّ وعليّ»^(٣).

(١) هو: عياض بن موسى بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل: عالم المغرب وإمام أهل الحديث في وقته، ولي قضاء سبته، ومولده فيها، وتوفي بمراكش مسموماً، من تصانيفه: الشفا بتعريف حقوق المصطفى، وتقريب المسالك في معرفة أعلام مذهب الإمام مالك، وشرح صحيح مسلم، انظر: الأعلام للزركلي ٥ / ٩٩.

(٢) الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض ٢ / ١٨.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب تخفيف الصلاة والخطبة

٢ / ٥٩٢ من حديث جابر بن عبد الله ﷺ.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: « لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين »^(١).

وعنه رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: « ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار »^(٢).

هذه الأحاديث وغيرها تدل على وجوب محبة النبي ﷺ وعظمها في الدين، وهي تبع لمحبة الله تعالى.

قال ابن القيم - رحمته الله -: " وكلّ محبةٍ وتعظيمٍ للبشر فإنّها تجوز تبعاً لمحبة الله وتعظيمه كمحبة رسول الله ﷺ وتعظيمه فإنّها من تمام محبة مرسله وتعظيمه، فإن أمته يحبونه لمحبة الله له ويعظمونه ويجلونه لإجلاله الله له فهي محبة لله من موجبات محبة الله، وكذلك محبة أهل العلم والإيمان ومحبة الصحابة رضي الله عنهم وإجلالهم تابع لمحبة الله ورسوله " ^(٣).

وقد أوجب الله تعالى على المسلمين معرفة قدر رسوله ﷺ ومكانته الرفيعة، فأمرهم بتعظيمه وتوقيره، من غير إفراط ولا تفريط فيه، فقال تعالى: ﴿ لِيُؤْمِنُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً ﴾ [الفتح: ٩].

ومحبته وتعظيمه وتوقيره تستلزم طاعته والانقياد والقبول والاستسلام لأمره ﷺ وتحكيم شريعته، إذ ذلك من مقتضيات شهادة أن محمداً رسول الله، قال الله تعالى:

- (١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حب الرسول ﷺ من الإيمان ١ / ١٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب محبة رسول الله ﷺ أكثر من الأهل ١ / ٦٧.
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الإيمان، باب حلاوة الإيمان ١ / ١٢.
- ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال من اتصف بهن وجد حلاوة الإيمان، ١ / ٦٦.
- (٣) جلاء الأفهام، لابن القيم، ص: ٢٩٧.

﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنكُمْ فَإِن تَنَزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ

فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

وقال عز من قائل: ﴿ فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَن تُصِيبَهُم فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُم

عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور: ٦٣].

وهذا يدل على أهمية الانقياد والتسليم والقبول لأمر رسول الله ﷺ ومحبته وتعظيمه، وأنه من أعظم الواجبات، والفروض المتحتات على كل مسلم، وخاصة الداعية إلى الله تعالى.

وقد أتضح ذلك في صحابته الكرام في ضوء مصالحته ﷺ مع المشركين، حيث تبادروا إلى نخامه والوضوء من فضله، وغير ذلك من البراهين الدالة على محبتهم للرسول صلى ﷺ، ولنا في صحابته الأسوة الحسنة، فقد أحبوه وقدوه بأنفسهم وأموالهم، وبايعوه على الموت، وعلى عدم الفرار وتركه، كما اتضح في تسابقهم وتسارعهم في تلبية طلبه ﷺ بعد ما رأوه حلق رأسه، ونحر هديه. فرضي الله عنهم وأرضاهم أجمعين.

رابعاً: الاستسقاء بالأنواء

الاستسقاء لغة: هو طلب السّقيا، والأنواء: جمع نوء، وهو سقوط نجم من المنازل في المغرب مع الفجر، وطلوع رقبه من المشرق، يقابله في ساعته من كل ليلة إلى ثلاثة عشر يوماً، وهكذا كل نجم منها إلى انقضاء السنة، والاستسقاء بالأنواء في اللغة: يعني طلب أو نسبة السقيا إلى النجوم بسقوطها وطلوعها^(١).

وفي الشّرع: هو نسبة السقيا ومجيء المطر إلى أنواء النجوم، وذلك إذا سقط نجم بالغداة فغاب مع طلوع الفجر، وطلع في حياله نجم في تلك الساعة، على رأس أربعة عشر منزلاً من منازل القمر^(٢).

والنبي ﷺ همى جناب التوحيد، وسدّ كلّ طريقٍ يوصل إلى الشّرك، سواءً كان ذلك قولاً، أو فعلاً، وهمى كل طريقٍ يزول معه التّوحيد كلياً أو جزئياً. ولا أدلّ على ذلك ما بينه لهم في غزوة الحديبية، من إخباره عن الله تعالى أنّ من عباده مؤمناً به في نسبة نزول المطر إليه دون الكوكب، وكافراً به في نسبة نزول المطر إلى الكوكب دون الله تعالى.

قال الحافظ ابن رجب^(٣) - رَحِمَهُ اللهُ -: (من أضاف نعمة الغيث وإنزاله إلى الأرض، إلى الله عز وجل وفضله ورحمته فهو مؤمن بالله حقاً، ومن أضافه إلى

(١) ينظر: الصحاح للجوهري ١/٦٥-٦٦. ولسان العرب، لابن منظور ١/١٧٥..

(٢) انظر: تيسير العزيز الحميد، لسليمان بن عبد الله آل الشيخ، ص ٤٥٧-٤٥٩.

(٣) هو: الإمام الحافظ المحدث الفقيه الواعظ زين الدّين، عبد الرحمن بن أحمد بن رجب الدمشقي الحنبلي، وُلد في بغداد (سنة ٧٠٦هـ)، له مصنفات كثيرة منها: فتح الباري شرح صحيح البخاري: (لم يكمله)، وشرح علل الترمذي، وطبقات الحنابلة، وغيرها. وتوفي - رَحِمَهُ اللهُ -: سنة (٧٩٥هـ) بدمشق. انظر: شذرات الذهب، لابن العماد ٣/٣٣٩، والدرر الكامنة، لابن حجر ٣/١٠٨.

الأنواء كما كانت الجاهلية تعتاده فهو كافر بالله مؤمن بالكوكب) (١).

وقال الشوكاني (٢) - رَحِمَهُ اللهُ -: (ولا يخفى على عارف أن العلة في الحكم بالكفر

هي: ما في ذلك من إيهاً المشاركة) (٣).

وقال الشيخ ابن باز - رَحِمَهُ اللهُ -: عند ذكر حكم قول مطرنا بنوء كذا.... (إذا أراد بذلك أن النّوء هو الذي أحدث المطر، وهو المتصرّف في الكون فهذا شرك أكبر، وإن كان قصده، أن النّوء سبب، فهذا أيضاً من أنواع الشرك، ولكنه شرك أصغر (٤) فليس للنّوء تسبب، بل كله من الله عز وجل، وأما إذا قال: مطرنا في وقت كذا، مطرنا في الصيف، مطرنا في الشتاء، في زمن الربيع في وقت الثريا، فهذا لا بأس به من باب الإخبار عن الوقت، وأما بنوء كذا فلا يجوز لإطلاق النهي عن ذلك) (٥).

(١) فتح الباري لابن رجب (٩/٢٥٩).

(٢) هو: علي بن محمد بن علي بن محمد الشوكاني: فقيه، من أهل الاجتهاد. يمانى من صنعاء. ولد بها وتوفي قبل وفاة أبيه بشهرين سنة ١٢٥٠هـ. له مصنفات كثيرة منها " السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، وفتح القدير، ونيل الأوطار، وغيرها، انظر: الأعلام للزركلي ٥/١٧.

(٣) الدرّ النّضيد في إخلاص كلمة التّوحيد، للشوكاني، ص: ٥٥.

وللاستزادة من مسألة الاستسقاء بالأنواء انظر: التّمهيد لابن عبد البر ٦/٤٠٦-٤١٣، وفتح

الباري لابن رجب ٩/٢٥٦-٢٧٢، وفتح الباري لابن حجر ٢/٦٧٤-٦٧٧.

(٤) أي: إذا قصد به نسبة إيجاد، وهي الفاعلة المدبرة لذلك من دون الله، فهو شرك أكبر مخرج من الملة، وأما إذا قصد به نسبة سببٍ. يعتقد أن المطر من عند الله، مع نسبة سببه إلى نوء من الأنواء، وهو الذي أراده النبي ﷺ في صلح الحديبية، وأخبر أنه من أمر الجاهلية ونفاه وأبطله، ولم يزل موجوداً في هذه الأمة إلى اليوم. وأما إذا قصد به نسبة وقت فلا بأس به وهو الذي أشار إليه الشيخ ابن باز - رَحِمَهُ اللهُ -: أعلاه. وقد كره بعض أهل العلم أن يقول ذلك - القسم الثالث- إلا بإضافة (برحمة الله عز وجل) انظر: فتح الباري لابن رجب

(٩/٢٦٥). وشرح النووي على صحيح مسلم ٢/٦٠.

(٥) التعليقات البازية على كتاب التوحيد ١/٥٠.

وهذا من الأدلة على عناية النبي ﷺ بالإيمان وتوحيد الله تبارك وتعالى، ودعوته ﷺ إلى تنقية الأرض من الشرك وشدة حرصه على ذلك.

ولا ريب أن حصّ النَّاس على إبطال عادات الجاهلية من أهم موضوعات الدعوة ومقاصدها التي يجب على الدّاعية إلى الله تعالى الاعتناء بها عناية حكيمة سديدة، ويكون أسوته في ذلك النبي ﷺ، فيعتنى بالدعوة إلى توحيد الله، ويحذّر عن كل وسيلة هي ذريعة إلى الشّرك بالله، ويفند ما كان عليه أهل الجاهلية من الشّرك بالله تعالى.

خامساً: حكم القيام على رأس كبير القوم وهو جالس.

ورد في قصة صلح الحديبية، أن المغيرة بن شعبة ﷺ كان قائماً على رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف، يحرسه من كيد الكائدين من الفسقة والمجرمين من المشركين.

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - (قيام المغيرة بن شعبة على رأس رسول الله ﷺ بالسيف ولم يكن عادته أن يقام على رأسه وهو قاعد، سنّة يقتدى بها عند قدوم رسل العدو من إظهار العزّ والفخر وتعظيم الإمام وطاعته، ووقايته بالنفوس، وهذه هي العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين وليس هذا من هذا النوع الذي ذمّه النبي ﷺ بقوله: (من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار)^(١).

كما أن الفخر والخيلاء في الحرب ليسا من هذا النوع المذموم في غيره^(٢). اهـ.

(١) رواه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل ٤/ ٣٥٨ عن أبي مجلز ﷺ بإسناد صحيح. والترمذي في باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل، ٥ / ٩١. وقال حديث حسن.

(٢) زاد المعاد في هدي خير العباد لابن القيم ٣ / ٢٦٥

وفيه: "جواز القيام على رأس الأمير بالسيف بقصد الحراسة ونحوها من ترهيب العدو ولا يعارضه النهي عن القيام على رأس الجالس لأنَّ محلّه ما إذا كان على وجه العظمة والكبر" (١).

قال الشيخ حافظ محمد الحكمي - حفظه الله - الحديث الذي أورده ابن القيم - يعني حديث من أحب أن يتمثل له الناس - لا يعني هذا النوع من القيام، إنما ينهى عن القيام للشخص، أما النوع الذي فعله المغيرة فهو القيام على الشخص، وقد ورد فيه نهيٌ بخصوصه.

وقد ورد في حديث أبي أمامة (٢) رضي الله عنه قال: (خرج علينا رسول الله ﷺ متوكِّئاً على عصا فقمنا إليه فقال: " لا تقوموا كما تقوم الأعاجم، يعظم بعضهم بعضاً) (٣).

وأنه ﷺ كان ينهى عن القيام به إذا خرج عليهم، ولأنَّ العرب لم يكونوا يعرفون هذا النوع، وإنما هو من فعل فارس والروم، ولأنَّ هذا لا يقال له قيام للرجل، وإنما هو قيام عليه ففرق بين القيام للشخص المنهي عنه، والقيام عليه المشبه لفعل فارس والروم، والقيام إليه عند قدومه وهو سنة العرب وأحاديث

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر ٨ / ٢٨٣. وعون المعبود شرح سنن أبي داود للعظيم آبادي ٢٦٥ / ١٢. وشرح سنن أبي داود، لعبد المحسن العباد ١ / ٢. وقال الشيخ العباد - حفظه الله وأطال في عمره - القيام على الرجل له حالتان:

- حالة فيها احترام الإمام وتوقيره، والمحافظة عليه عند الكفار، وإظهار تقديره عندهم.
- والثانية: إذا كان لغير ذلك. فهذه الحالة التي جاءت في قصة المغيرة تدل على جوازه في مثل هذه الحالة. فالقيام محذور إذا كان في غير هذه الحالة، أما إذا كان في هذه الحالة فهو سائغ.

(٢) هو: صديّ: بالتصغير، ابن عجلان بن الحارث، ويقال ابن وهب، أبو أمامة، مشهور بكنيته، روى عن النبي صلى الله عليه وسلم وعن عمر وعثمان وعلي، وغيرهم، قال ابن سعد: سكن الشام، مات سنة (٨٦هـ)، انظر: الإصابة ٣ / ٣٣٩.

(٣) أخرجه أبو داود في سننه كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل ٤ / ٣٥٨، وقال الشيخ الألباني: ضعيف، لكن النهي عن فعل فارس في صحيح مسلم.

الجواز تدل عليه فقط (١).

ومن خلال كلام ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - المتقدم يظهر الفرق بين القيام للشخص الذي ورد فيه حديث معاوية (٢) والقيام على الشخص الذي فعله المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ. فالحاصل: أن نوع القيام الذي فعله المغيرة بن شعبة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ منهى عنه، والمرخص فيه ما كان في مثل تلك الحالة التي فعلها فيها المغيرة، وهي حالة قدوم رسل العدو، ليروا مدى طاعة المسلمين لإمامهم وحماتهم له.

والخلاصة أن القيام ينقسم إلى ثلاث مراتب:

- قيام على رأس الرجل وهو جالس، وهو فعل الجبارة، وهو محرّم.
 - وقيام له عند رؤيته أو عند قيامه من المجلس تعظيماً له وهذا متنازع فيه، والصواب عدم جوازه.
 - وقيام إليه عند قدومه لمقابلته بالمصافحة أو المعانقة، أو التهئة مع المصافحة، أو إجلاسه في مجلس القائم وهذا لا بأس به، بل هو من وسائل الدعوة النافعة (٣) والأولى عدم اتخاذها سنة.
- قال الإمام ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -: " ففرق بين القيام للشخص المنهي عنه، والقيام عليه المشبه لفعل فارس والروم، والقيام إليه عند قدومه الذي هو سنة العرب، وأحاديث الجواز تدل عليه فقط " (٤).

(١) تهذيب السنن ٨ / ٩٢ - ٩٣ مع مختصر سنن أبي داود للمنذري. ومرويات غزوة الحديبية، للحكيمي ١ / ٢٩١.

(٢) حديث: (من أحب أن يتمثل له الناس قياماً...) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب في قيام الرجل للرجل (٤ / ٣٥٨)، وقال الشيخ الألباني صحيح.

(٣) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري، لسعيد القحطاني ١ / ١٥١.

(٤) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ص: ١٤٢.

فينبغي للداعية أن يبين للناس ما يصحّ من القيام للشخص وما لا يصح منه، لاسيما في وقت عميت فيه القلوب، فصار الناس يطلبون القيام لهم، بل وعلى رؤوسهم إكرامًا وتبجيلًا لهم، وهو المنهية عنه في الأحاديث السابقة، ويستثنى من ذلك ما كان لإغاظة عدو من الكفار، وإظهار هيبة المسلمين، كالتبخر المسموح به في حال القتال فقط. وهذا كله يؤكد أهمية تعليم الناس التوحيد وتحذيرهم من الشرك ووسائله وكل ما يفضي إليه. والله أعلم.

سادساً: تأكيد الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراءة من المشركين .

الولاء: مصدر ولي، بمعنى قرب منه، والولاية هي النصر، والموالاة، هي التناصر والتعاقد. والمراد به هنا القرب من المسلمين بمودتهم وإعانتهم ومناصرتهم على أعدائهم والسكنى معهم.

والبراءة: مصدر برى، بمعنى قطع. ومنه برى القلم بمعنى قطعه، والمراد هنا قطع الصلة مع الكفّ! فلا يحبهم ولا يناصرهم، ولا يقيم في ديارهم إلا للضرورة^(١). قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - "الولاية ضدّ العداوة، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد"^(٢).

وهو أصل عظيم من أصول العقيدة، ومن لوازم لا إله إلا الله، ولا يكون إلا لله تعالى ولرسوله ﷺ وللمؤمنين^(٣) قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾ [المائدة، آية ٥٥].

(١) انظر: أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، ١ / ٣٤٩

(٢) الفرقان بين أولياء الله وأولياء الشيطان لابن تيمية ص: ٤٧٦.

(٣) انظر: الولاء والبراء في الإسلام، للفرزان. ص: ١٢، ونواقض الإيمان القولية والعملية،

للشيخ. عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف ٢ / ١٠١.

ويجب على المسلم - وخاصة الداعية إلى الله - أن يوالي في الله، وأن يعادي في الله وأن يحب في الله، وأن يبغض في الله، فيحب المسلمين ويناصرهم، ويعادي الكافرين ويبغضهم ويتبرأ منهم.

قال تعالى في وجوب موالة المؤمنين: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ۗ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ۗ ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ۗ ﴾ [المائدة: ٥١].

وقال تعالى: ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۗ ﴾ [المجادلة: ٢٢].

ويتضح من هذه الآيات الكريمة وجوب موالة المؤمنين وما ينتج عن ذلك من الخير، ووجوب معاداة الكفار والتحذير من موالاتهم وما تؤدي إليه موالاتهم من شر.

وللولاء والبراء في الإسلام مكانة عظيمة، فهو أوثق عرى الإيمان، وفي الحديث: (أوثق عرى الإيمان الموالة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله)^(١).

ولقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشد الناس امتثالاً لذلك، كما يظهر ذلك جلياً واضحاً في مواقفهم المسجلة في أثناء مصالحت النبي صلى الله عليه وسلم مع المشركين، فهذا أبو

(١) قال الشيخ الألباني - رحمته الله - في السلسلة الصحيحة ٤ / ٣٠٦، أخرجه الطبراني في "المعجم

الكبير" (١١٥٣٧). من طريق حنش عن عكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما. وهو

حسن بمجموع طرقه.

جندل^(١) يهرب من أقرب الناس إليه، ويشتكي لما يُرد إليهم ويقول: (أي معشر المسلمين أرد إلى المشركين وقد جئت مسلماً، ألا ترون ما قد لقيت؟) والمغيرة بن شعبة^(٢) يقف على رأس رسول الله ﷺ بسيفه ويريد عروة عن وجه رسول الله، بل ويهدده.

كما يظهر من سرعة انضمام قبيلة خزاعة، في عهد رسول الله، وشدة ولائهم له، وقد نصرهم النبي ﷺ عندما داهم بنو بكر، ونقضوا العهد.

وبما أن الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين، والبراءة من المشركين والملحدين أصل من أصول الإيمان، فلا شك أنه من أهم موضوعات الدعوة إلى الله، ورأينا ذلك واضحاً جلياً في مصالحات النبي ﷺ.

فعلى الدعوة إلى الله الاهتمام بأصول الإسلام وبيانها، وجعلها في مقدمة ما يدعى إليه الناس، والتأكيد للمدعوين على أهميتها والحرص عليها، وما كان عليه الصحابة ﷺ من الموالاة للمؤمنين والمعاداة للكافرين.

(١) هو: أبو جندل عبد الله بن سهيل بن عمرو القرشي العامري، أسلم بمكة فسجنه أبوه بها، فلما كان يوم الحديبية هرب إلى رسول الله ﷺ، فرده النبي ﷺ إلى أبيه إنفاذاً للصلح، وأمره بالصبر قتل يوم اليمامة. ينظر: الإصابة لابن حجر ١٦/٥.

(٢) هو: المغيرة بن شعبة بن أبي عامر بن مسعود بن معتب الثقفي - يكنى أبا عبد الله، أسلم عام الخندق، وشهد الحديبية، وكان موصوفاً بالدهاء، وولاه عمر بن الخطاب ﷺ البصرة. ولم يزل بها حتى توفي عمر، وأقره عثمان ﷺ عليها. توفي سنة (٥٠هـ). انظر: أسد الغابة ١ / ١٠٣٩.

سابعاً: الفأل، استحبابه ومغايرته للطيرة.

الفأل لغة: ضد الطيرة^(١) وهو ما يُتفَاعَل به، وهو أن تسمع كلاماً حسناً فتتيمّن به^(٢).

وفي الشرع: فسره النبي ﷺ حين سئل عنه، فقال: (الكلمة الطيبة)^(٣).

قال الشيخ العثيمين - رَحِمَهُ اللهُ -: في الحديث عن الفأل، قال: فسره النبي ﷺ بأنه: الكلمة الطيبة، وهذا التفسير على سبيل المثال لا على سبيل الحصر؛ لأن الفأل: كل ما ينشط الإنسان على شيء محمود؛ من قول، أو فعل مرئي أو مسموع^(٤).

وفي مشروعيته وبيان معانيه وردت أحاديث كثيرة منها:

ما في صحيح البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: (لا طيرة وخيرها^(٥) الفأل)، قالوا: "وما الفأل يا رسول الله؟" قال: (الكلمة الصالحة يسمعها أحدكم)^(٦).

وفيه: من حديث أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: (لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة)^(٧).

وفي سنن أبي داود من حديث عروة بن عامر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: ذُكرت الطيرة عند النبي ﷺ

(١) ينظر: القاموس المحيط، ص: ٥٥٥، ولسان العرب لابن منظور ٥٠٨/٤. ومختار الصحاح

للرازي، ٤٠٣/١. وانظر: القول المفيد على كتاب التوحيد ٥١٥/١.

(٢) انظر: المصباح المنير ٢٥٠/١، ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٤٦٨ / ٤.

(٣) وفي لفظ: (الصالحة) وفي رواية: (الحسنة) صحيح البخاري، كتاب الطب، باب الفأل ٧ / ١٣٥.

(٤) مجموع فتاوى ورسائل ابن عثيمين ٩ / ٤٧٥.

(٥) قال ابن حجر: "أفعل التفضيل هنا إنما هو بين القدر المشترك بين الشيئين، والقدر المشترك بين

الطيرة والفأل تأثير كل منهما فيما هو فيه، والفأل في ذلك أبلغ". فتح الباري ١٠ / ٢١٤.

(٦) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب لا عدوى، ٧ / ١٣٥.

(٧) المصدر السابق نفس الجزء والصحيفة.

فقال: (أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً فإذا رأى أحدكم ما يكره فليقل: اللهم لا يأتي بالحسنات إلا أنت، ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك)^(١).

فهذه الأحاديث تؤيد ما ذكره العلماء من استحباب التفاؤل، وأنه ليس من الطيرة المذمومة.

وفيه يقول ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -: بعد ذكر الأحاديث الواردة فيه: (وفي الحديث من الفقه استحباب الفأل والتيمن بالاسم الحسن، وكان رسول الله يحب الفأل ويكره التطير)^(٢).

والفرق بينهما: "أن الفأل من طريق حسن الظن بالله، والطيرة إنما هي من طريق الاتكال على شيء سواه ولا تكون إلا في السوء؛ فلذلك كرهت"^(٣).

وقال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -: "الطيرة والفأل وإن كان مأخذهما سواء ومجتناهما واحداً، فإنهما يختلفان في المقاصد، ويفترقان في المذاهب، فما كان محبوباً مستحسناً، تفاءلوا به وسموه الفأل وأحبوه ورضوه، وما كان مكروهاً قبيحاً منفراً تشاءموا به وكرهوه وتطيروا منه، وسموه طيرة تعرقة بين الأمرين وتفصيلاً بين الوجهين"^(٤).

وكان النبي ﷺ يتفاءل بالاسم الحسن ويعجبه، فعن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: (كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير، ويعجبه الاسم الحسن)^(٥)، بل كان يفرح به ﷺ.

ولذلك لما جاء سهيل بن عمرو للتفاوض معه ﷺ على الصلح، قال النبي ﷺ: (قد

(١) سنن أبي داود مع معالم السنن، كتاب الطب، باب في الطيرة ٤ / ١٧. وقال الترمذي حسن صحيح.

(٢) زاد المعاد لابن القيم ٣ / ٣٠٥.

(٣) نقله الحافظ ابن حجر، في فتح الباري ١٠ / ٢١٥.

(٤) مفتاح دار السعادة لابن القيم ٢ / ٢٤٥.

(٥) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٤ / ١٦٩ برقم: ٢٣٢٨، وقال أحمد شاكر، إسناده صحيح.

سهل أمركم...). فتفاءل النبي ﷺ أن يتم بينه وبين القوم شيء يصلح الأمر والشأن، وأن لا يكون هناك قتال بين الطرفين، وقد كان كما تفاءل ﷺ، فلما جاء سهيل بن عمرو أبرم الصلح، وتم الاتفاق بين الطرفين على وضع الحرب وإيقاف القتال.

وإنما كان يعجبه ﷺ الفأل، لأن التشاؤم سوء ظن بالله تعالى بغير سبب محقق، والتفاؤل حسن ظن به، والمؤمن مأمور بحسن الظن بالله تعالى على كل حال.

وهكذا أبطل النبي ﷺ الطيرة التي كانت العرب تعتقد، وأمرهم بالفأل.

فيجب على الدعاة الاقتداء به واقتفاء أثره ﷺ والدعوة إلى كل خير، والتحذير من كل شر ومكروه يؤدي إلى الشرك بالله تعالى، بل يعد ذلك من أهم المقاصد في الدعوة إلى الله.

ثامنا: دلائل نبوة محمد ﷺ ومعجزاته في ضوء مصالحته مع المشركين.

إن المعجزات الظاهرة الحسية التي تدل على صدق النبي ﷺ كثيرة وظاهرة، وقد أيده الله تعالى بذلك ليكون دليلاً وبرهاناً ظاهراً على صدق نبوته، وقد وقعت بعض هذه المعجزات لصحابته الكرام - رضي الله عنهم - في أثناء مصالحته ﷺ، مع المشركين، منها تكثير الطعام والماء.

وتكررت معجزة النبي ﷺ بتكثير الماء في صلح الحديبية مرتين.

فمرة: كان حين أدخل سهماً من كنانته في البئر لما اشتكى الصحابة من العطش.

والأخرى: وقعت وقت عودته من صلح الحديبية، وذلك حين وضع صلى الله عليه وسلم يده في الإناء^(١).

وقد روى البخاري في صحيحه: عن جابر ﷺ قال: (عطش الناس يوم الحديبية

(١) انظر: مرويات غزوة الحديبية، للحكمي، ص: ٢٥٨.

ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة^(١) فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه، فقال رسول الله ﷺ: ما لكم؟ قالوا: يا رسول الله ليس عندنا ماء نتوضأ ولا نشرب إلا ما في ركوتك، قال: "فوضع النبي ﷺ يده في الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون"، قال: "فشربنا وتوضأنا"، فقلتُ لجابر: "كم كنتم يومئذٍ؟" قال: "لو كنا مائة ألف لكفانا، كنا خمس عشرة مائة"^(٢).

وعنه ﷺ قال: "قد رأيتني مع رسول الله ﷺ وقد حضرت صلاة العصر وليس معنا ماء غير فضلة، فجعل في إناء فأتي النبي ﷺ به فأدخل يده فيه، وفرج بين أصابعه ثم قال: "حي على أهل الوضوء البركة من الله"، فلقد رأيت الماء يتفجر من بين أصابعه فتوضأ الناس وشربوا فجعلت لا آلو ما جعلت في بطني منه فعلمت أنه بركة"^(٣).

فينبغي للداعية أن يوضح للناس ويبلغهم معجزات النبي ﷺ لما فيها من دلائل صدق نبوته ﷺ^(٤).



-
- (١) الركوة: إناء صغير من جلد، يشرب فيه الماء، والجمع ركاء. انظر: النهاية ٢ / ٢٦١.
 (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٤ / ١٩٣.
 (٣) المصدر السابق، كتاب الأشربة باب شرب البركة والماء المبارك ٧ / ١١٤.
 (٤) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري لسعيد بن وهف القحطاني ٢ / ٢٢٢.

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بالعتيدة في ضوء صلحه ﷺ

مع أهل الكتاب.

من المعروف أن غير المسلمين أصناف كثيرة، ويجمعهم جامع واحد، وهو عدم الدخول في الإسلام.

ومن هؤلاء أهل الكتاب، اليهود الذين يتبعون التوراة، والنصارى الذين يتبعون الإنجيل. وقد سمى الفقهاء - رحمهم الله - الذين يسكنون مع المسلمين منهم بأهل الذمة، ولا شك أن كلاهما - أهل الكتاب وأهل الذمة - تسميتان رقيقتان، الأولى منهما لكل اليهود والنصارى، سواء أكانوا داخل حدود الدولة الإسلامية أم خارجها، وأما الثانية فهي تختص باليهود والنصارى داخل حدود الدولة الإسلامية فقط. وأهل الذمة تعني: أهل العهد والضمان والأمان والحرمة^(١).

ومن المقاصد الدعوية المتعلقة بالعتيدة الواردة في ضوء مصالحته - صلى الله عليه وسلم - معهم ما يلي:

أولاً: الدعوة إلى التوحيد.

التوحيد دعوة جميع الرسل عليهم الصلاة والسلام، يجب أن يبلغ كل من أشرك بالله - تعالى - أن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، دعوا أقوامهم إلى عبادة الله وحده دون ما سواه، وأن الحجّة قد قامت على جميع الأمم، وما من أمة إلا بعث الله فيهم رسولاً، وكلّهم يدعون إلى عبادة الله وحده لا شريك له^(٢) قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي

(١) انظر: القاموس الفقهي. ص: ١٣٨. والذميّ: هو المعاهد الذي أعطي عهداً يأمن به على

ماله، وعرضه، ودينه. المصدر نفسه

(٢) انظر: درء تعارض العقل والنقل لابن تيمية ٩/ ٣٤٤، وتفسير ابن كثير ٢/ ٥٦٧، وتفسير

السعدي ٤/ ٢٠٢، وأضواء البيان للشنقيطي ٣/ ٢٦٨.

كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴿ [النحل: ٣٦].

وقال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا

أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿ [الأنبياء: ٢٥].

وقال عزّ من قائل: ﴿ وَسَأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ

ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿ [الزخرف: ٤٥].

فبيّن سبحانه في هذه الآيات عن طريق العموم أن جميع الرسل دعوا إلى "لا إله إلا الله"، وخلع جميع المعبودات من دون الله^(١). وفصل ذلك في مواضع أخرى في كتابه، كقوله تعالى: ﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿ [الأعراف: ٥٩].

وقوله تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا

تَنْتَقُونَ ﴿ [الأعراف: ٦٥].

وقد اعتنى المصطفى ﷺ بالدعوة إلى توحيد الله وإفراده بالعبادة، مع التأكيد على الإيمان بالأنبياء الذين قبله، بل بيّن أنّ ذلك من أصول الدين وقواعده، فدعا المشركين إلى إفراد الله وترك ما سواه، وذكر أهل الكتاب بما جاء به أنبيأؤهم من الدين الحنيف، وحذّره من عبادة ما سواه واتّخاذ ذلك أندادا من دون الله ﴿ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا إِلَّا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿ [التوبة: ٣١].

ويظهر دعوته إلى التوحيد في ضوء مصالحته مع أهل الكتاب، حين حاورهم وجادلهم على إفراد الله وتوحيده بالعبادة، إذ جاء في الحديث الصحيح أنّ النبي ﷺ

(١) انظر: أضواء البيان، للشنقيطي ٣ / ٢٦٨.

قال لعلي بن أبي طالب عليه السلام: (انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم ثم ادعهم إلى الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه، فوالله، لأن يهدي الله بك رجلاً واحداً خير لك من أن يكون لك حمر النعم) ^(١).

فقوله عليه السلام لعلي بن أبي طالب عليه السلام: (ثم ادعهم إلى الإسلام) فيه إثبات الدعوة إلى الإسلام، وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمته الله -: (والتوحيد أول الدين وآخره، فأول ما دعا إليه الرسول صلى الله عليه وسلم شهادة أن لا إله إلا الله) ^(٢).

وجاء في وثيقة المدينة التي عاهد فيها اليهود: (وأن ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث أو استجار يخاف فساده فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله) ^(٣).

فقوله صلى الله عليه وسلم، فإن مرده إلى الله وإلى محمد رسول الله، كقوله تعالى: ﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [الشورى: ١٠].
ورد الحكم إلى الله، رده إلى كتابه وسنة نبيه - صلى الله عليه وسلم - الذي دعا إلى توحيده وإفراده بالعبادة.

كما جاء في كتابه إلى يهود خيبر، عن ابن عباس - رضي الله عنهما -: قال كتب رسول الله إلى يهود خيبر: (بسم الله الرحمن الرحيم: من محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم صاحب موسى وأخيه، والمصدق لما جاء به موسى: أَلَا إِنَّ اللَّهَ قَدْ قَالَ لَكُمْ يَا مَعْشَرَ أَهْلِ التَّوْرَةِ، وَإِنكُمْ لَتَجِدُونَ ذَلِكَ فِي كِتَابِكُمْ: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرْتَهُمُ رُكْعًا مُجْتَدِئًا يُبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِّنْ أَثَرٍ

(١) سبق تخريجه في ص: ٦٥.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١/ ٣٤.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥٧١، وانظر: مجموعة الوثائق السياسية، ص: ٦١.

السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَفَازَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿٢٩﴾ [الفتح: ٢٩].

وإني أنشدكم بالله، وأنشدكم بما أنزل عليكم، وأنشدكم بالذي أطعم من كان قبلكم من أسباطكم المنّ والسّلوى، وأنشدكم بالذي أيسس البحر لأبائكم حتى أنجاهم من فرعون وعمله، إلا أخبرتموني: هل تجدون فيما أنزل الله عليكم أن تؤمنوا بمحمد؟ إن كنتم لا تجدون ذلك في كتابكم فلا كره عليكم. ﴿قَدْ بَيَّنَّ الرَّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦] فأدعوكم إلى الله وإلى نبيه^(١).

ودعوته ﷺ إلى التوحيد في هذا الكتاب واضح، فقد أثبت نبوة موسى - عليه السلام - مما يدل على أن دعوة الأنبياء واحدة - وهي الدعوة إلى توحيد الله وعبادته، ثم أفصحهم بإثبات نبوته ورسالته، وأنه خاتم النبيين والمرسلين، وذلك ثابت في كتبهم المنزلة من الله تعالى، إلا أنه لا إكراه في الدخول في الإسلام، وما عليه إلا البلاغ وإقامة الحجّة، وبيان المحجّة.

وعندما جاء وفد نجران لمباهلته دعاهم إلى توحيد الله وعبادته وحده، ثم صالحهم وبعث معهم أمين الأمة - أبو عبيدة عامر بن الجراح^(٢) - وأنزل الله في ذلك قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٣٨.

(٢) هو: عامر بن عبد الله بن الجراح بن ربيعة بن هلال بن أهيب، الفهري القرشي المدني أحد العشرة المبشرين بالجنة، شهد بدرًا مع النبي ﷺ وما بعدها من المشاهد كلها. كان من كبار الصحابة وفضلائهم، وأهل السابقة منهم رضوان الله عليهم، وتوفي في طاعون عمواس بالشام سنة (١٨ هـ) وهو يومئذ ابن (٥٨ سنة)، انظر: الاستيعاب لابن عبد البر ٤ / ١٧١١.

اللَّهُ وَلَا تُشْرِكْ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿آل عمران: ٦٤﴾.

كما كتب ذلك إلى الملوك والرؤساء من أهل الكتاب، كما في كتابه إلى المقوقس عظيم القبط، وإلى هرقل الروم، وإلى كسرى الفرس وغيرهم. وكان ﷺ مع دعوته إلى توحيد الله يحذر دعوة غيره معه، وفي ذلك آيات وأحاديث متضاربة، وعندما اجتمع عنده الأحرار من نصارى نجران ويهود المدينة دعاهم إلى الإسلام.

قال ابن إسحاق - رَحِمَهُ اللهُ -: "اجتمعت نصارى نجران، وأحرار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعوا عنده، فقالت الأحرار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانيا، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابُ لِمَ تُحَاجُّونَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَتْ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٦٧].

فقال رجل من الأحرار: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجل من نصارى نجران: أو ذلك تريد يا محمد وإليه تدعوننا؟ فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن أعبد غير الله، أو أمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني ولا أمرني، فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ الْكِتَابَ وَمِمَّا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٦﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكَفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠] (١).

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١/ ٥٤٤، وتفسير الطبري ٣/ ٣٢٥، وزاد المعاد لابن القيم ٣/ ٥٥١.

وهذا يوضح أهمية الدعوة إلى التوحيد، وأنه أساس الدين وصراط الله المستقيم، وأول ما أمر الرسول ﷺ بتبليغه. وهو المقصد الأسنى في عقد المصالحات مع غير المسلمين.

ومن هنا وجب على الدعاة مضاعفة الاهتمام بهذا الأصل العظيم، ودعوة غير المسلمين من اليهود والنصارى إلى تحقيقه، والتعريف بما يضادّه من الشرك بالله وعبادة معه غيره.

ثانياً: عدم إكراه الناس على الدخول في الإسلام.

كفل الإسلام للإنسان حقه في اختيار عقيدته، حيث بين الله تعالى للناس طريقي الإيمان والكفر، قال تعالى: ﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾ [الإنسان: ٣].

وقال عز وجل: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٦]

وقال تعالى: ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩].

وقال تعالى: ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ

حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس: ٩٩].

وفي هذا أبلغ دليل على أن الله تعالى لم يشرع القهر والإكراه لإدخال الناس في الدين، بل إن الدخول في الدين لا بد أن يكون عن طواعية وقناعة واختيار، دون جبر أو إكراه.

وقد أُعطيَت للإنسان حرّية الاختيار لأنّه محاسبٌ يوم القيامة، ومحاسبته تقتضي أن يكون له حرّية الاختيار، حتى لا يكون له حجة على الله، فقد أتاه الأنبياء بالبلاغ والشرع، ووهبه الله عقلاً يفكر به، ويميز بين الحق والباطل، وعليه تبعات ما اختار^(١).

(١) انظر: حقوق الإنسان بين الشريعة الإسلامية والقانون الدولي العام، لعلي الطيار، ص: ٦١.

ولم يثبت أن الرسول ﷺ أكره أحدًا على الدخول في الإسلام، فالمتبّع لسير الدعوة في كل أدوارها يتبيّن له أنه لم يكره أحد على اعتناق الإسلام. فقد بدأ الرسول ﷺ دعوته في مكة وحيدًا، ولم يؤمن به بادئ ذي بدء إلا قلة من الناس، والذين يعتنقون الإسلام كانوا يتعرضون لسيوف المشركين وأذاهم، ولا يعرضون أحدًا لسيوفهم.

وبعد بيعة العقبة الثانية أرسل النبي ﷺ مصعب بن عمير^(١)، إلى المدينة النبوية داعيًا إلى الله، فدخل معظم سكان المدينة الإسلام قبل أن يطأ الرسول أرض المدينة طواعيةً وحبًا منهم.

وإذا كان الإسلام قد كفل لأتباعه حقهم في ممارسة شعائرهم الدينية، فإنه أيضا قد كفل هذا الحق لمخالفهم في العقيدة، وذلك في حدود نظام لا يتعداه، ولأن للمخالفين دينهم وشعائرهم.

والحرية الدينية لم تكن غائبة في أثناء مصالحات النبي ﷺ لأهل الكتاب، فقد أمر به وطبّقه، كما سار على منواله الخلفاء الراشدون من بعده.

فقد أقر النبي ﷺ اليهود المحيطين بالمدينة من بني قينقاع، وبني النضير وبني قريظة، وغيرهم كيهود خيبر وما جاورها.

فقد جاء في وثيقة المدينة: (وإن يهود بني عوف أمة مع المؤمنين، لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، ومواليهم وأنفسهم إلا من ظلم نفسه وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته)^(٢).

(١) هو: مصعب بن عمير بن هاشم بن عبد مناف بن عبد الدار القرشي. يكنى أبا عبد الله، أحد السابقين إلى الإسلام، وهاجر إلى أرض الحبشة في أول من هاجر إليها، ثم شهد بدرًا، بعثه النبي ﷺ إلى المدينة قبل الهجرة بعد العقبة الثانية يقرئهم القرآن ويفقههم في الدين، قتل يوم أحد، رضي الله عنه وأرضاه. انظر: الاستيعاب ٤/١٤٧٣، والإصابة ٦/٩٨.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١/١٠٧.

يقول ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -: لما بعث الله رسوله استجاب له - ولخلفائه من بعده - أكثر أهل الأديان طوعاً واختياراً، ولم يكره أحداً قط على الدين، وإنما كان يقاتل من يجاربه ويقاتله، وأما من سالمه وهادنه فلم يقاتله، ولم يكرهه على الدخول في دينه امثالاً لأمر ربه سبحانه حيث يقول: ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وهذا نفي في معنى النهي، أي: لا تكرهوا أحداً على الدين.

نزلت هذه الآية في رجال من الصحابة كان لهم أولاد، قد تهودوا وتنصروا قبل الإسلام، فلما جاء الإسلام أسلم الآباء، وأرادوا إكراه الأولاد على الدين، فنهاهم الله سبحانه عن ذلك حتى يكونوا هم الذين يختارون الدخول في الإسلام^(١).

والصحيح أن الآية على عمومها في حق كل كافر، وهذا ظاهر على قول من يجوز أخذ الجزية من جميع الكفار، فلا يكرهون على الدخول في الدين، بل إما أن يدخلوا في الدين وإما أن يعطوا الجزية، ومن تأمل سيرة النبي ﷺ تبين له أنه لم يكره أحداً على دينه قط، وإنه إنما قاتل من قاتله.

وأما من هادنه فلم يقاتله ما دام مقيماً على هدنته لم ينقض عهده، بل أمره الله تعالى أن يفي لهم بعهدهم ما استقاموا له، كما قال تعالى: ﴿فَمَا اسْتَقَمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾ ولما قدم المدينة صالح اليهود وأقرهم على دينهم، فلما حاربوه ونقضوا عهده وبدؤوه بالقتال قاتلهم، فمن على بعضهم، وأجلى بعضهم، وقتل

(١) يقول ابن كثير في تفسيره عند قول الله تعالى: (لا إكراه في الدين) أي: لا تكرهوا أحداً على الدخول في دين الإسلام فإنه بين واضح جلي دلائله وبراهينه لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونور بصيرته دخل فيه على بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره فإنه لا يفيد الدخول في الدين مكرهاً مقسوراً، وقد ذكروا أن سبب نزول هذه الآية في قوم من الأنصار، وإن كان حكمها عاماً. تفسير ابن كثير ١ / ٦٨٢.

بعضهم، وكذلك لما هادن قريشا عشر سنين لم يبدأهم بقتال حتى بدعواهم بقتاله، ونقضوا عهده فعند ذلك غزاهم في ديارهم^(١).

وشريعة الإسلام السمحة، تعرض تعاليمها أمام الناس وتركهم أحراراً في اعتناقها وهذا مصداق قول الله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

فعلى أهل الإسلام أن يدعوا الناس إلى الدين الإسلامي بالحكمة والموعظة الحسنة كما أخبر بذلك سبحانه: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ [النحل: ١٢٥].

فحرية الاعتقاد مبدأ سار عليه المسلمون، فلم يكرهوا أحداً غير المسلمين على ترك دينه ودخول الإسلام، وإذا أكره غير المسلم فلم يثبت له حكم الإسلام حتى يوجد منه ما يدل على إسلامه طوعاً.

وأجمع أهل العلم على أن الذمي والمستأمن إذا أقاما على ما عوهدا عليه لا يجوز نقض عهدهما وإكراههما على ما يلتزمان، لأنه أكره على ما لا يجوز إكراههما عليه^(٢).

أما الحربي والمرتد فيجوز إكراههما على الإسلام، فعقد الأمان بنوعيه يتضمن

(١) انظر: هداية الحيارى في الرد على اليهود والنصارى، لابن القيم ٣/١.

والمقصود: أنه لم يكره أحداً على الدخول في دينه البتة، وإنما دخل الناس في دينه اختياراً وطوعاً، فأكثر أهل الأرض دخلوا في دينه لما تبين لهم الهدى وأنه رسول الله حقاً، فهؤلاء أهل اليمن كانوا على دين اليهودية أو أكثرهم، ثم دخلوا في الإسلام من غير رغبة ولا رهبة. وكذلك من أسلم من يهود المدينة، وهم جماعة كثيرون - سيأتي ذكر بعضهم - غير عبد الله بن سلام المذكورون في كتب السير لم يدخلوا في دين الله رغبة في الدنيا، ولا رهبة من السيف، بل أسلموا في حال حاجة المسلمين وكثرة أعدائهم، وأسلم جمهور أهل الأرض من فرق الكفار، ولم يبق إلا الأقل بالنسبة لمن أسلم طواعية واختياراً منهم، وقصص ذلك معروفة مشهورة.

(٢) المغني والشرح الكبير ١٢/١٤٣.

عدم التعرض لهم بالقول أو الفعل، والنبي ﷺ كتب إلى معاذ رضي الله عنه وهو بأرض اليمن (... وإنه من أسلم من يهودي أو نصراني فإنه من المؤمنين، له ما لهم وعليه ما عليهم. ومن كان على يهوديته أو نصرانيتها فإنه لا يرد عنها، وعليه الجزية...) (١).

وكتب -عليه الصلاة والسلام- إلى أهل نجران (... ولنجران وحسبها جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم وملتهم وأرضهم وأموالهم، وغائبهم وشاهدتهم، وعشيرتهم وتبعهم، وأن لا يغيروا مما كانوا عليه، ولا يغير حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغير أسقف من أسقفيتهم، ولا راهب من رهبانيتهم...) (٢).

فأعطاهم الحرية الدينية، وأمر أن لا يهدم لهم بيع ولا كنيسة، ولا يجبر راهب على الدخول في الإسلام، وعليهم الجزية.

وفي ضوء هذه المصالحات يتبين لنا الآتي في الإكراه على الدخول في الإسلام.

- أن من آمن مكرهاً فإن إيمانه لا أثر له ولا ينفعه في الآخرة، فلا بد في الإيذان أن يكون عن قناعة واعتقاد صادق، وقد جاء في القرآن الكريم عن فرعون حين أدركه الغرق أنه أعلن الإيمان والتصديق بالله رباً معبوداً، ولكن لم ينفعه ذلك: ﴿ حَتَّى إِذَا أَدْرَكَهُ الْعَرَقُ قَالَ ءَأَمِنْتُ أَنَّهُ لَإِلَهِ إِلَّا الَّذِي ءَأَمِنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ [يونس: ٩٠].

وقال تعالى في حكاية قوم عاد وثمود وغيرهم ممن عاينوا الهلاك: ﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا ءَأَمِنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾ (٨٤) فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيْمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ ۗ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾ [غافر: ٨٤ - ٨٥].

- وظيفة الرسل والدعاة بعدهم مقصورة على تبليغ الدعوة وإيصال الحق إلى

(١) الأموال لأبي عبيد ٢ / ٣٥، ودلائل النبوة للبيهقي ٥ / ٤٠٨، والروض الأنف للسهيلي ٧ /

٤٨٦، وعيون الأثر، لابن سيد الناس ٢ / ٣٠.

(٢) زاد المعاد، لابن القيم ٣ / ٥٥٥، والأموال، لأبي عبيد ٢ / ٢٤٤.

النَّاسِ، وَلَيْسُوا مَسْئُولِينَ عَنْ هِدَايَتِهِمْ وَاعْتِنَا قَهُمَ لِلدِّينِ، وَاعْتِنَادَهُمَ لِلْحَقِّ،
فَالْمَهْمَةُ هِيَ الْبَلَاغُ وَالْإِرْشَادُ. ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ
تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٩٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ﴾ [الشورى: ٤٨].

وهذا يؤكد جانبا مهما من جوانب الحرية، وهو تحرر الإنسان من كل رقابة
بينه وبين الله عز وجل.

- واقع غير المسلمين في بلاد المسلمين يؤكد الحرية الدينية، فقد عاش الذميون
وغيرهم في كنف الدولة الإسلامية، دون أن يتعرض أحد لعقائدهم ودياناتهم. بل لقد
جاء في الكتاب الذي كتبه النبي ﷺ أول مقدمه المدينة (ومن تبعنا من يهود فإن له النصره
والأسوة، ولليهود دينهم، وللمسلمين دينهم...) فأقرهم النبي ﷺ على دينهم وأموالهم
كما كان الحال مشابها لنصارى نجران. ويهود خيبر وما جاورها.

- أمر النبي ﷺ بالدعوة إلى الإسلام قبل قتال من صدّ عنه، وقد قال لعلي بن أبي
طالب رضي الله عنه: ((انفذ على رسلك، حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى
الإسلام وأخبرهم بما يجب عليهم من حق الله فيه))^(١).

وهو القائل في وصيته لأمر بعوث السرايا بعد أمرهم بتقوى الله وطاعته،
«اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا
تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال -
أو خلال - فأيتتهنّ ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن
أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التّحول من دارهم إلى دار
المهاجرين، وأخبرهم أنّهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على

(١) سبق تخريجه في ص: ٦٥.

المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفية شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم^(١).

وهذا يؤكد أن القصد من الجهاد هو إعلاء كلمة الله، ومحاربة كل من صد عن دين الله. فينبغي على الدعاة الاعتناء به، والدعوة إلى دين الله بالحكمة والموعظة الحسنة، دون إكراه الناس على الدخول في الإسلام. مع التصدي لكل طاغية أراد الوقوف أمام دعوة الإسلام الذي ارتضاه الله تعالى للناس أجمعين.

ثالثاً: القيام للقيام.

قد مر معنا عند الحديث عن مصالحت النبي ﷺ للمشركين حكم القيام على رأس كبير القوم وأنه منهي عنه إلا عند الضرورة كإغاظة الأعداء وتخويفهم من المسلمين. وهذه المسألة تختلف عن سابقتها - إذ الأول قيام على رأسه وهو جالس، وهذا قيام له عند قدومه.

والمستند في ذلك ما ورد في غزوة بني قريظة أن النبي ﷺ أمر الأنصار حينما أقبل نحوهم سعد بن معاذ^(٢) راکبا دابته أن يقوموا إليه تكريماً له، ودل على هذا التعليل ما رواه الشيخان عن أبي سعيد الخدري^(٣) أن النبي ﷺ قال: (... قوموا إلى

(١) سبق تخرجه في ص: ٦٠.

(٢) هو: سعد بن معاذ بن النعمان الأوسي الأشهلي سيد الأوس، اهتز لموته عرش الرحمن، أسلم على يد مصعب بن عمير، لما أرسله النبي ﷺ إلى المدينة يعلم المسلمين، فلما أسلم، قال لبني عبد الأشهل، شهد بدرًا، وأحدًا، والخندق، استشهد من سهم أصابه بالخندق ﷺ انظر: أسد الغابة ٢ / ٤٦١.

(٣) هو: سعد بن مالك بن سنان بن عبيد الأنصاري، أبو سعيد الخدري، مشهور بكنيته، له ولأبيه صحبة، أستصغر بأحد، ثم شهد ما بعدها، كان من الحفاظ لحديث رسول الله صلى

سيدكم، أو خيركم) (١) زاد الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللهُ - في مسنده: (...فأنزلوه) (٢).

وما أخرجه الشيخان - في صحيحيهما - من حديث كعب بن مالك (٣) رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حينما ذكر قصته في التوبة عليه قال: (فانطلقت إلى المسجد فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول فصافحني وهنّأني... والله ما قام رجلٌ من المهاجرين غيره، فكان كعب لا ينساها لطلحة) (٤).

وأخرج الترمذي عن عائشة - رضي الله عنها - قالت: (قدم زيد بن حارثة المدينة، ورسول الله ﷺ في بيتي فأتاه، ففرع الباب، فقام إليه النبي ﷺ يجر ثوبه فاعتنقه وقبله). وقال حديث حسن (٥).

وأخرج أبو داود بإسناد صحيح: (أن النبي ﷺ كان إذا قدم على فاطمة ابنته قامت إليه فقبلته وأجلسته، وإذا قدمت فاطمة عليه قام إليها فقبلها وأجلسها) (٦).

الله عليه وسلم الكثيرين، ومن العلماء الفضلاء العقلاء، ومات بالمدينة سنة (٧٤ هـ). انظر ترجمته في: أسد الغابة ٢/ ٤٥١، وتقريب التهذيب ١/ ٢٨٩.

(١) صحيح البخاري، كتاب الاستئذان، باب قول النبي ﷺ (قوموا إلى سيدكم) ٨ / ٥٩. وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب جواز قتال من نقض العهد ٣ / ١٣٨٨.

(٢) مسند الإمام أحمد ٧ / ٢٩ حديث رقم: ٢٥٠٩٧، قال المحقق الأرنؤوط: وإسناده حسن.

(٣) هو: كعب بن مالك بن أبي كعب الأنصاري الخزرجي السلمي، يكنى أبا عبد الله، أخى بينه، وبين طلحة بن عبيد الله حين أخى بين المهاجرين والأنصار، شهد العقبة وبايع بها، تخلف في تبوك، وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، قال ابن حبان: مات أيام قتل علي بن أبي طالب. انظر: أسد الغابة ٤ / ٤٦١ والإصابة ٥ / ٤٥٧.

(٤) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك وقول الله عز وجل ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَقُوا﴾ ٦ / ٣.

(٥) تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته، لابن القيم ٢ / ٤٨٢.

(٦) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الأدب، باب ما جاء في القيام، ٤ / ٣٥٥. والترمذي في سننه، أبواب المناقب، باب ما جاء في فضل فاطمة بنت محمد ﷺ، ٥ / ٧٠٠، كلاهما عن

فهذه دالة على القيام للناس عند المناسبات، وهناك عمومات تشهد لهذا المعنى، كالعمومات الواردة في توقيير الكبير وإنزال الناس منازلهم. أما ما سوى ذلك فيكره أن يقام للشخص كلما دخل، قال أنس رضي الله عنه: (كان النبي ﷺ أحب الناس إلى أصحابه، وكان إذا دخل عليهم لم يقوموا له لما يعلمون من كراهيته لذلك) ^(١).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمته الله -: (لم تكن عادة السلف على عهد النبي ﷺ وخلفائه الراشدين أن يعتادوا القيام كلما يرونه عليه السلام كما يفعله كثير من الناس... وأما القيام لمن يقدم من سفر ونحو ذلك تلقياً له فحسن، وإذا كان من عادة الناس إكرام الجائي بالقيام ولو ترك لاعتقد أن ذلك لترك حقه أو قصد خفضه ولم يعلم العادة الموافقة للسنة فالأصلح أن يُقام له، لأن ذلك أصلح لذات البين، وإزالة التباغض والشحناء، وأما من عرف عادة القوم الموافقة للسنة، فليس في ترك القيام إيذاء له، وليس هذا القيام المذكور في قوله ﷺ: (من سره أن يمثل له الرجال

عائشة - رضي الله عنها - وقال الترمذي: وقد روي هذا الحديث من غير وجه عن عائشة. وصححه الألباني في صحيح الجامع ٣ / ١٣٢٩. (١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد ص: ١٣٦ وقال الشيخ الألباني: سنده صحيح على شرط مسلم، انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ١ / ٦٩٨. ثم قال: - رحمته الله -: وهذا الحديث مما يقوي ما دل عليه الحديث السابق من المنع من القيام للإكرام، لأن القيام لو كان إكراماً شرعاً، لم يجوز له ﷺ أن يكرهه من أصحابه له، وهو أحق الناس بالإكرام، وهم أعرف الناس بحقه عليه السلام. وأيضاً فقد كره الرسول ﷺ هذا القيام له من أصحابه، فعلى المسلم - خاصة إذا كان من أهل العلم وذوي القدوة - أن يكره ذلك لنفسه اقتداءً به ﷺ، وأن يكره لغيره من المسلمين لقوله ﷺ: " لا يؤمن أحدكم حتى يجب لأخيه ما يجب لنفسه من الخير"، فلا يقوم له أحد، ولا هو يقوم لأحد، بل كراهتهم لهذا القيام أولى بهم من النبي عليه الصلاة والسلام، انظر: المصدر السابق نفسه، ١ / ٦٩٩.

قياماً فليتبوأ مقعده من النار)، فإن ذلك أن يقوموا له وهو قاعد، ليس هو أن يقوموا لمجيئه إذا جاء^(١).

وقد جمع ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - بين أحاديث النهي والإباحة جمعاً حسناً، وذكر أن الأحاديث التي ورد فيها القيام كان لعارض، وأنه كان قياماً إلى الرجل للقائه، لا قياماً له، ثم قال: "فالمذموم: القيام للرجل، وأما القيام إليه للتلقي إذا قدم: فلا بأس به، وهذا تجتمع الأحاديث"^(٢).

قلت: هذا جمع جيد وحسن بين النصوص الثابتة، وعليه فينهي القيام للشخص لتعظيم مهما كانت منزلته سداً لذريعة الوقوع في الشرك، بعد الغلو فيه، أو مجاوزة الحد في حبه وتعظيمه وما إلى ذلك كما هو واقع من بعض أتباع الطرق لمشايخهم، وأما القيام لعارض كالقيام للقادم من سفر، أو من بشر بخير كما حصل لكعب بن مالك فلا بأس به - والله أعلم -.

ولا ينبغي للمسلم - وخاصة الداعية - أن يقوم الناس لتعظيمه واحترامه؛ لأن النبي ﷺ كان لا يجب أن يقوم له أحد من أصحابه، فكانوا لا يقومون له، إلا للسلام والمقابلة، أو إجلالاً له مكان أحدهم، وقد قال ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يُمَثَّلَ لَهُ الرِّجَالُ قِيَامًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»^(٣).

ولهذا قال أنس رضي الله عنه عن الصحابة رضي الله عنهم: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا؛ لما يعلمون من كراهيته لذلك»^(٤).

(١) انظر: مجموع فتاوى ابن تيمية ١/ ٣٧٥، وفتح الباري لابن حجر ١١/ ٥٤، وسد الذرائع في

مسائل العقيدة د. عبد الله شاکر الجنيدى، ص: ٤٨.

(٢) حاشية ابن القيم على سنن أبي داود، ص: ٨٥.

(٣) صحيح وضعيف سنن أبي داود ١/ ٢، وانظر: صحيح الجامع الصغير وزيادته ٢/ ١٠٣٣.

(٤) سنن الترمذي أبواب الأدب عن رسول الله ﷺ باب ما جاء في كراهية قيام الرجل للرجل ٤/

رابعاً: الانحناء والركوع للشخص.

تظهر العبودية جلية واضحة، حينما يضع الإنسان أشرف ما فيه وهو وجهه على الأرض تعبدًا لله وتقرباً إليه، وتذللاً وخضوعاً، بل السجود لله يقع من المخلوقات كلها علويها وسلفيها، فالساجد أذل ما يكون لربه وأخضع له، وذلك أشرف حالات العبد. وقد ورد في قصة مصالحة النبي ﷺ مع أهل الكتاب انحناء بعضهم له ﷺ ومنعهم عن ذلك، كما في قصة أكيدر، أنه لما قدم على رسول الله ﷺ سجد له، فأوماً له النبي ﷺ بيده، لا لا.

وورد في قصة مصالحته ﷺ مع يحنة بن روبة - ابن العلماء - فلما رأى النبي ﷺ كفر وأوماً برأسه، فأوماً إليه النبي ﷺ (ارفع رأسك).

وفيما يلي ذكر لأقوال أهل العلم في المسألة وحكمها العقدي.

يقول ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - (أما السجود لغير الله وعبادته فهو محرم في الدين الذي اتفقت عليه رسل الله كما قال سبحانه وتعالى: ﴿ وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَنْجَعْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهَةً يُعْبَدُونَ ﴾ [الزخرف: ٤٥] ^(١).

وقال في موضع آخر: (...وأما الانحناء عند التّحية: فينهى عنه، كما في الترمذي عن النبي ﷺ: (أنهم سألوه عن الرجل يلقي أخاه ينحني له؟ قال: لا) ^(٢) ولأن الركوع والسجود لا يجوز فعله إلا لله عز وجل؛ وإن كان هذا على وجه التّحية في غير شريعتنا كما في قصة يوسف مع إخوته: ﴿ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾ [يوسف: ١٠٠].

٣٨٧، وقال: هذا حديث حسن صحيح .

(١) اقتضاء الصراط المستقيم، لابن تيمية ١/ ١٩٦

(٢) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الاستئذان عن رسول الله ﷺ، باب ما جاء في المصافحة ٥/

٧٥، عن أنس بن مالك ﷺ، وقال أبو عيسى: هذا حديث حسن.

وفي شريعتنا لا يصلح السجود إلا لله تعالى، بل قد تقدم نهيه عن القيام كما يفعله الأعاجم بعضها لبعض فكيف بالركوع والسجود؟ وكذلك ما هو ركوع ناقص يدخل في النهي عنه^(١).

ويقول ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - (السجود هو سرُّ العبودية، والعبودية هي الذلُّ والخضوع، وإذا كان السجود بهذه المنزلة والمثابة، فلا يجوز صرفه لغير الله، وهذا أمر قد اتفقت عليه الرسل)^(٢).

وقال أيضا: (إن النبي ﷺ نهى الرجل أن ينحني للرجل إذا لقيه كما يفعل كثير من المنتسبين إلى العلم ممن لا علم له بالسنة بل يبالغون إلى أقصى حد الانحناء مبالغة في خلاف السنة جهلا، حتى يصير أحدهم بصورة الراكع لأخيه، ثم يرفع رأسه من الركوع كما يفعل إخوانهم من السجود بين يدي شيوخهم الأحياء والأموات، فهؤلاء أخذوا من الصلاة سجودها، وأولئك ركوعها، وطائفة ثالثة قيامها، يقوم عليهم الناس وهم قعود كما يقومون في الصلاة، فتقاسمت الفرق الثلاث أجزاء الصلاة، والمقصود أن النبي ﷺ نهى عن انحناء الرجل لأخيه سداً لذريعة الشرك، كما نهى عن السجود لغير الله)^(٣).

وهو - أي الانحناء للشخص - مما لا نزاع فيه بين الأئمة في النهي عنه، بل مجرد الانحناء بالظَّهر لغير الله عز وجل منهى عنه، فقد ورد في مسند الإمام أحمد - رَحِمَهُ اللهُ - : (أن معاذ بن جبل رضي الله عنه لما رجع من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: " ما هذا يا معاذ؟" فقال: يا رسول الله، رأيتهم في الشام يسجدون لأساقفتهم

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١ / ٣٧٧.

(٢) زاد المعاد، لابن القيم، ١ / ٢٣٦.

(٣) إعلام الموقعين، لابن القيم ٣ / ١٦٦، ١٦٧.

وبطارقتهم، ويذكرون ذلك عن أنبيائهم، فقال: "كذبوا يا معاذ، لو كنت أمراً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها من عظم حقه عليها، يا معاذ، رأيت إن مررت بقبري أكنت ساجداً؟". قال: لا. قال: "لا تفعل"^(١).

بل وأجمع العلماء على أنه لا يجوز في شريعة محمد ﷺ أن يسجد أحدٌ لأحدٍ أياً كان الغرض من السجود، فهو محرّم تحريماً قطعياً، ووسيلةً من وسائل الشرك، بل هو الشرك بعينه إن قصدوا به التقرب والتعبد للمنحنى له^(٢).

فينبغي على الداعية أن يبين للمدعويين أن الانحناء والسجود، والرّكوع لغير الله من وسائل الشرك، بل هو الشرك إن قصد به التقرب والتعبد.

و قد تصدّى النبي ﷺ لكل ما هو مفضٍ إلى الشرك ومؤدٍ إليه، من الوسائل الفعلية والقولية، وهو القائل ﷺ: (لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله)^(٣).

فكل قولٍ أو فعلٍ يفضي إلى الغلو الذي يُخشى منه الوقوع في الشرك، فإنه يتعين اجتنابه، ولا يتم التوحيد إلا بتركه، وعلى الداعية بيان ذلك بالطرق الحكيمة، وانتهاج المنهج النبوي في ذلك، فإنه من البصيرة في الدعوة إلى الله تعالى.

(١) مسند الإمام أحمد ٢٠ / ٦٥، وصححه الألباني في صحيح الجامع ٢ / ١٢٧٧.

(٢) انظر: سد الذرائع في مسائل العقيدة للجندي ص: ٤٥، والإجماع العقدي، ص: ٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله ﷻ ﴿وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ

أَنْبَدَتْ مِنْ أَهْلِهَا ﴿١٦﴾ مريم: ١٦، ٤ / ١٦٧.

خامساً: الولاء والبراء.

رسمت مصالحات النبي ﷺ لأجيال الأمة صوراً مشرقةً في الولاء والبراء، وجعلت خطأً فاصلاً بين الحق والباطل، وهو من أبرز ما أفرزته في العلاقة بين المسلمين وغير المسلمين من أهل الكتاب وغيرهم.

ولقد أحس كل من المهاجرين والأنصار برباط جديد يربطه بإخوته في الله، وأصبحوا بعد عقد المصالحات - بالتحديد وثيقة المدينة - أولياء بعضهم أولياء بعض، كل منهم يحب أخاه كحبه لنفسه، ويناصره ويجاهد من أجله، ويؤثره على كل قريبٍ وحبيبٍ ومالٍ وأهلٍ وعشيرةٍ ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ [التوبة: ٧١].

وهذا الولاء كان بارزاً في بنود وثيقة المدينة التي دعمت المؤاخاة وعمقت نفوس ممارسيه، فنجد في أول بنود الوثيقة (بسم الله الرحمن الرحيم، هذا كتاب من محمد النبي بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب، ومن تبعهم فلحق بهم وجاهد معهم أنهم أمة واحدة، من دون الناس).

ونجد (... وألا يحالف مؤمن مولى مؤمن من دونه، وأن المؤمنين... وأن أيديهم عليهم جميعاً ولو كان ولد أحدهم)

ونجد أيضاً: (وأن المؤمنين بعضهم بعض موالى بعض دون الناس).

وقد أظهر الصحابة رضوان الله عليهم هذه الموالاتة للمؤمنين والمعاداة من الكافرين في المجتمع المدني، وشتان بين ما أعلنه عبادة بن الصامت ؓ في هذا الشأن وما صرح به عبد الله بن أبي بن سلول، فقد جاء عبادة بن الصامت ؓ إلى رسول الله فقال: يا رسول الله إن لي موالى من يهود كثير عددهم، وإني أبرأ إلى الله ورسوله

من ولاية يهود، وأتولى الله ورسوله، فقال عبد الله بن أبيّ، إني رجل أخاف الدوائر، لا أبرأ من ولاية موالي) (١).

لقد أعلن رأس المنافقين موالاته لحلفائه من يهود بني قينقاع، بل وناصح عنهم واشتد في القيام دونهم، وذلك حين حاصرهم النبي ﷺ بعد إخلالهم بالأمن وإعلانهم العداء ونقضهم العهد، حتى نزلوا على حكمه، إذ قام ابن سلول إلى رسول الله وتحدث معه في شأنهم، وكان مما قال: (يا محمد أحسن في مواليّ، فأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ ظلال، فقال رسول الله ﷺ أرسلني، وغضب حتى روي لوجه رسول الله ﷺ ظلال، فقال له ويحك أرسلني. فقال والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمئة حاسر وثلاثمئة دارع) (٢) من منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة إي والله إني لا مرؤ أخشى الدوائر فقال رسول الله ﷺ، هم لك» (٣).

تلك إحدى صور الولاء والبراء من أهل النفاق لأعداء الله سبحانه، فالولاء والبراء من أهم ثوابت العقيدة ومقاصد الدعوة إلى الله وهو ما سيظل ثابتاً ومستقرّاً في نفوس الدعاة والمجاهدين في سبيل الله، وهذا يمثله غيرة الجندي المسلم الذي يهب لكسر الصليب، فيقوم عليه النصارى فيقتلونه، ثم تبدأ الملحمة.

(١) رواه ابن جرير في تفسيره ٢٧٥/٦ عن عطية بن سعد ونقله ابن كثير في التفسير ٦٨/٢ - ٦٩، وينظر: رواية ابن إسحاق قال: حدثني أبي عن عبادة بن الوليد بن عبادة بن الصامت، السيرة النبوية ٣٧٠/٢، وينظر أيضاً: الدر المنثور ٩٨/٣، والسيرة النبوية في ضوء المصادر الأصلية ص: ٣٧١.

(٢) حاسر ودارع: الحاسر: الذي لا درع عليه، والدارع: الذي عليه درع. انظر النهاية ٣٨٣/١. والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص: ٧١٤.

(٣) السيرة النبوية ٣٦٩/٢ من رواية ابن إسحاق قال: حدثني عاصم بن عمر بن قتادة، ونقله ابن كثير في التفسير ٦٩/٢، ورواه البيهقي في الدلائل ١٧٤/٣ من طريق ابن إسحاق.

سادساً: دلائل نبوة محمد ﷺ في ضوء مصالحاته مع أهل الكتاب.

لقد أيد الله نبيه ﷺ بدلائل ومعجزات كثيرة، حسية ومعنوية تدل على صدق نبوته، وتدعو إلى الإيمان به وأنه خاتم الأنبياء.

والدلائل: جمع دلالة - بالفتح والكسر، وهي العلامة والأمانة التي يهتدى بها للوصول إلى الشيء، يقال: دلّه على الطريق يدلّه دلالة، ودلالة ودلولة والفتح أعلى^(١).
ودلائل النبوة: (هي العلامات التي عزز الله بها رسوله الكريم، لتدل على صدق نبوته)^(٢).

وقد حدثت للنبي ﷺ معجزاتٌ ودلائلٌ أثناء مصالحاته لأهل الكتاب مما يؤكّد لهم صدق نبوته وأنه النبي الخاتم المبشّر به في كتبهم.
ومن هذه الدلائل والمعجزات ما هو غيبيةٌ - أخبر بها فوُقت في حينه أو فيما بعده بفترة - ومن ذلك ما يلي:

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٢٤٩/١١ ومختار الصحاح للرازي ١/٨٨.

(٢) دلائل النبوة، للحافظ المستغفري ص: ١١.

قلت: ولا يفهم من هذا أن صدق النبوة متوقّف على المعجزات، بل هي من جملة أدلة صدق النبوة. يقول ابن أبي العزّ الحنفي - رَحِمَهُ اللهُ -: (والطريقة المشهورة عند أهل الكلام والنظر، تقرير نبوة الأنبياء بالمعجزات، لكن كثير منهم لا يعرف نبوة الأنبياء إلا بالمعجزات، وقرروا ذلك بطرق مضطربة، والتزم كثير منهم إنكار خرق العادات لغير الأنبياء، حتى أنكروا كرامات الأولياء والسحر، ونحو ذلك، ولا ريب أن المعجزات دليل صحيح، لكن الدليل غير محصور في المعجزات، فإن النبوة إنما يدّعيها أصدق الصادقين أو أكذب الكاذبين، ولا يلتبس هذا بهذا إلا على أجهل الجاهلين. بل قرائن أحوالهما تعرب عنهما، وتعرف بهما، والتمييز بين الصادق والكاذب له طرق كثيرة فيما دون دعوى النبوة، فكيف بدعوى النبوة؟ وما أحسن ما قال حسان رضي الله عنه: لو لم يكن فيه آيات مبينة ... كانت بديته تأتيك بالخبر) شرح العقيدة الطحاوية لابن أبي العزّ الحنفي ١/١٤٠.

١ - إخباره ﷺ بخراب خيبر وفتحها على يد علي ﷺ.

فقد جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ لما رأى أهل خيبر خارجين بمساحيهم ومكاتلهم قال: (خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين).

وعن سهل بن سعد ﷺ، قال: قال النبي ﷺ يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله»^(١).

فقوله ﷺ: (خربت خيبر) هذا التنبؤ لم يكن تنبئاً في أمر ميسور قريب المنال، بل هو أمرٌ صعب المنال، لأنَّ حصون خيبر حصونٌ منيعةٌ وفيها من المقاتلين الشجعان ما يساوي عدد المقاتلين من المسلمين القادمين لفتحها، لكنه ﷺ موعود.

قال الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ - فهم من قوله: (خربت خيبر) الإخبار بذلك قبل وقوعه، ويحتمل أن يكون قال خربت خيبر بطريق الوحي، ويؤيده قوله بعد ذلك: (إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين)^(٢).

وفي الحديث: الإخبار بأنَّ فتح خيبر سيكون على يد علي بن أبي طالب ﷺ، وقد تحقَّق ذلك الفتح على يديه كما أخبر النبي ﷺ.

٢ - إخباره ﷺ عن قتل نفسه أنه لا يموت على التوحيد وأنه من أهل النار:

فعن أبي هريرة ﷺ، قال: شهدنا خيبر، فقال رسول الله ﷺ لرجل ممن معه يدعي الإسلام: «هذا من أهل النار» فلما حضر القتال قاتل الرجل أشدَّ القتال، حتى كثرت به الجراحة، فكاد بعض النَّاس يرتاب، فوجد الرجل ألم الجراحة، فأهوى بيده إلى كنانته فاستخرج منها أسهما فنحر بها نفسه، فاشتدَّ رجال من المسلمين، فقالوا: يا رسول الله، صدق الله حديثك، انتحر فلان فقتل نفسه، فقال: «قم يا فلان، فأذن أنه

(١) سبق تخريجه في ص: ٦٥.

(٢) فتح الباري، لابن حجر ٧/٤٦٧.

لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر»^(١).

قال الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ -: (وفي الحديث إخباره ﷺ بالمغيبات وذلك من معجزاته الظاهرة)^(٢).

٣- إخباره ﷺ عن الشاة المسمومة.

فقد أمر بجمع اليهود وسألهم هل جعلوا في الشاة سمًا فقالوا: نعم، وأقروا على ذلك، وهذا الاستفهام من باب إقامة الحجة عليهم. كما في القصة دلالات أخرى وهي: عدم تأثير السم فيه ﷺ، ونطق الذراع، وإخباره بأنها مسمومة.

٤- إخباره ﷺ بإجلاء يهود خيبر عنها. فعن عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - في قصته المشهورة مع أهل خيبر، وفيه (فقال عمر: أظننت أني نسيتُ قولَ رسولِ الله ﷺ: «كيف بك إذا أخرجت من خيبر تعدو بك قلوصلك»^(٣) ليلة بعد ليلة)^(٤).

قال ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ -: (أشار ﷺ إلى إخراجهم من خيبر، وكان ذلك من إخباره بالمغيبات قبل وقوعها)^(٥).

٥- إخباره ﷺ لخالد بن الوليد بأنه سيجد أكيدر ملك دومة الجندل، يصيد البقر فيأخذه، وقد حصل ذلك كما أخبر ﷺ، فقد أدركه خالد ﷺ وهو يصيد البقر، فأخذه وأتى به إلى النبي ﷺ فصالحه، وكتب له كتابًا.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب غزوة خيبر ٤ / ٧٢.

(٢) فتح الباري لابن حجر ٧ / ٤٧٤.

(٣) قلوصلك: القلاص جمع قلوصل، وهي الناقة الصابرة على السير من التوق، وقيل القلوصل

الطويلة القوائم. انظر: تفسير غريب ما في الصحيحين، ص: ٤٥.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب إذا اشترط في المزارعة ٣ / ١٩٣.

(٥) فتح الباري لابن حجر ٥ / ٣٢٨.

ومن دلائل نبوته ﷺ، وبراهين رسالته الحسبية ما وقع له من الآيات البيّنات والبراهين المعجزات إبراء المرضى، فقد نفث على عين عليّ بن أبي طالب ﷺ فشفى، ثم أعطاه الراية وفتح الله خير على يديه، ثم صالح النبي ﷺ يهود خيبر على تركهم في أرضهم ليعملوا فيها وللمسلمين النصف من الثمار.

فعلى الداعية أن يبين للناس علامات النبوة، الحسبية منها والمعنوية وخاصة منكري رسالة النبي ﷺ، لما لها من الأثر العظيم في نفوسهم، وحملهم على التصديق برسالة النبي ﷺ، إذ ذلك من الفقه في الدعوة إلى الله، كما أن القيام به - أي: التبليغ - من مقاصد الدعوة إلى الله.

المبحث الثاني:

المقاصد الدعوية المتعلقة بالشرعية في الصلح النبوي

الشرعية أثر العقيدة الصحيحة وصورتها العملية، فبينها صلة قوية ومتينة، فالعقيدة أصل يدفع إلى الشرعية، والشرعية تلبية لانفعال القلب بالعقيدة، ولا يكون مسلماً من ألغى أيّاً منهما، فمن دان بالعقيدة وأنكر الشرعية فهو كافرٌ والعكس. والشرعية هي النظم التي شرعها الله أو شرع أصولها، ليأخذ الإنسان بها نفسه في علاقته بربه، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بالكون والحياة^(١).

وترجع إلى ناحيتين هما:

ناحية العمل الذي يتقرب به المسلمون إلى ربهم.
وناحية العمل الذي يتخذه المسلمون سبيلاً لحفظ مصالحهم، ودفع الضرر عنهم فيما بينهم وبين أنفسهم، وفيما بينهم وبين الناس^(٢).

تعريف الشرعية في اللغة والشرع:

الشرعية في اللغة: شرع لهم: سنّ لهم، والشرعية ما شرعه الله^(٣).
الشرعية والشرع والمشرعة: المواضع التي ينحدر إلى الماء منها.
قال الليث: وبها سمي ما شرعه الله للعباد من الصوم والصلاة والزكاة والنكاح وغيره، والشرعية والشرعة: ما سنّ الله من الدين وأمر به كالصلاة والصوم والحج والزكاة وسائر أعمال البر^(٤).

(١) الإسلام عقيدة وشرعية، محمود شلتوت ص: ١٠.

(٢) الأسوة الحسنة وأثرها في الدعوة إلى الله، ياسر محمد يونس ص: ١٠٠.

(٣) انظر: الصحاح للجوهري، ٣/ ١٢٣٦، والقاموس المحيط للفيروز آبادي ص: ٩٤٦.

(٤) لسان العرب لابن منظور ٨/ ١٧٥.

الشريعة في الاصطلاح:

عندما تطلق الشريعة في الاصطلاح يراد بها معنيان:

الأول: عام، وذلك إذا أطلقت مفردة، فإنها تشمل كل ما شرع الله من الدين والعقائد والأحكام، قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].
ومما وصَّى به نوحًا التوحيد، والفضائل، وأصول الشرائع^(١).

وقد عرّف الشريعة بهذا القول الدكتور محمد بن صالح عثمان، حيث يقول: الشريعة: (هي النظم التي شرعها الله تعالى، أو شرع أصولها، ليأخذ الإنسان بها نفسه، في علاقته بربه، وعلاقته بأخيه المسلم، وعلاقته بأخيه الإنسان، وعلاقته بالحياة)^(٢).

وعرّفها آخر بقوله: الشريعة: ما شرعه الله لعباده من العقائد والأحكام في شؤون الحياة كلها^(٣).

الثاني: خاص، ويقصد بها ما شرع الله من الأحكام والأوامر والنواهي، قال تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨].
ومعلوم أن المقصود في الآية الشرائع دون العقائد، لأن العقائد واحدة في كل أمة، وعلى لسان كل نبي، وقد خصت كل أمة بشريعة تناسبها^(٤).

وقد عرّف الشريعة بهذا القول الإمام القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ - حيث يقول: الشريعة في

(١) انظر: فتح القدير الشوكاني، ٤/ ٥٢٩.

(٢) وجوب تطبيق الشريعة الإسلامية، ص: ١٤٦.

(٣) المصدر السابق نفسه، ص: ١٨٨.

(٤) انظر: تفسير الطبري ٤/ ٢٧٠، وتفسير ابن كثير ٢/ ٦٦، وفتح القدير للشوكاني ٢/ ٤٨.

الاصطلاح الشرعي هي: الأحكام التي شرعها الله لعباده، سواء أكان تشريع هذه الأحكام بالقرآن، أم بسنة النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير^(١).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ - الشريعة هي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ، وما كان عليه سلف الأمة في العقائد والأحوال، والعبادات والأعمال، والسياسات والأحكام، والولايات والعطيات^(٢).

والذي نعني به في هذه الدراسة هي: الأحكام الفقهية الواردة أثناء مصالحات النبي ﷺ مع غير المسلمين ومهادنتهم، وسيأتي التفصيل على تلك الأحكام لاحقاً، إن شاء الله تعالى.

(١) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٦ / ١٧٣.

(٢) مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩ / ٣٠٩.

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالشريعة في ضوء مصالحته صلى الله عليه وسلم مع المشركين.

إن مصالحات النبي ﷺ للمشركين قد حوت كثيراً من الأحكام الفقهية التي يستنار بها في تحقيق العبودية لله وحده، وطاعته على مقتضى ما جاء في الرسالة المحمدية، ومن هذه الأحكام الواردة في مصالحته ﷺ مع المشركين ما يلي:

أولاً: الشورى مشروعيتها ومكانتها:

تعريف الشورى في اللغة:

أورد أصحاب المعاجم اللغوية للشورى معاني حسب استعمالها اللفظية. والشورى والمشورة: بضم الشين على وزن مفعلة، وشاوره مشاورةً وشواراً واستشارةً، طلب منه المشورة، وأشار عليه بالرأي يشير إذا ما وجه الرأي. والشورى اسم من المشاورة، وتشاور أي: استخرج ما عنده من رأي^(١). وفي الاصطلاح: للشورى تعاريف مختلفة عند الباحثين قديماً وحديثاً. فعرفها ابن العربي المالكي^(٢) بأنها: الاجتماع على الأمر ليستشير كل واحد منهم صاحبه ويستخرج ما عنده^(٣). وعرفها زكريا الخطيب بأنها: النظر في الأمور من أرباب الاختصاص والتخصص لاستجلاء المصلحة المقصودة شرعاً وإقرارها^(٤).

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٤/ ٤٣٥، وانظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، ص: ٥٣٩.
(٢) هو العلامة الحافظ القاضي أبو بكر محمد بن عبد الله بن محمد المعروف بابن العربي المعافري الإشبيلي: ولد سنة (٤٦٨هـ) له مصنفات كثيرة في فنون عديدة، وتوفي ربيع الأول سنة (٥٤٣هـ). انظر: الديباج المذهب لابن فرحون (ص: ٢٨٣). وتذكرة الحفاظ للذهبي، ٤/ ٦١.
(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١/ ٢٩٧.
(٤) نظام الشورى في الإسلام ص: ١٨.

وهناك تعاريف تدور حول هذا المضمار، ولعل هذين التعريفين أقرب إلى المقصود من الشورى، إذ في تعريف ابن العربي. الاجتماع للاستشارة ومعرفة كل واحد ما عند الآخر من البراهين، والعمل بالأرجح، وفي تعريف الخطيب، اشتراط موافقتها للشرع وإقرارها منه، وإن كان ذلك يفهم ضمناً من كلام ابن العربي.

والأصل في مشروعيتها.

قول الله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنِهِمْ ﴾ [الشورى: ٣٨].

يقول الشيخ عبد الرحمن بن سعدي - رَحِمَهُ اللهُ -: في تفسير الآية: (وأمرهم) الدنيوي والديني (شورى بينهم) أي: لا يستبد أحد منهم برأيه في أمر من الأمور المشتركة بينهم، وهذا لا يكون إلا فرعا عن اجتماعهم وتوافقهم وتواددهم وتحاببهم وكمال عقولهم، أنهم إذا أرادوا أمراً من الأمور التي تحتاج إلى أعمال الفكر والرأي فيها، اجتمعوا لها وتشاوروا وبحثوا فيها، حتى إذا تبينت لهم المصلحة، انتهزوها وبادروها، وذلك كالرأي في الغزو والجهاد، وتولية الموظفين لإمارة أو قضاء، أو غيره^(١).

وأمر الله تعالى بها نبيه ﷺ في قوله: ﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا

أَلْقَلْبٍ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يقول ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ -: "لا غنى لولي الأمر عن المشاورة، فإن الله تعالى أمر

بها نبيه ﷺ فقال: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾ [آل عمران: ١٥٩]"^(٢).

وجاء في تفسير الطبري - رَحِمَهُ اللهُ -: بصدد آية: ﴿ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ ﴾: "إنما أمر الله

نبيه ﷺ بمشاورتهم فيه تعريفاً منه أمته؛ ليقصدوا به في ذلك عند النوازل التي تنزل بهم،

فيتشاوروا فيها بينهم"^(٣).

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص: ٧٦٠.

(٢) السياسة الشرعية في إصلاح الراعي والرعية لابن تيمية، ص: ١٢٦.

(٣) تفسير الطبري، ٧ / ٣٤٥.

والسنة القولية والعملية (١) مستفيضة وزاخرة بالأمر بالشورى، وتطبيقه على واقع حياة الأمة الإسلامية من العهد النبوي فالراشدي فمن بعدهم.

وهو القائل ﷺ: «المستشار مؤتمن» (٢).

ولنا وقفات في مشاوره النبي ﷺ لأصحابه ﷺ في بعض المواقف قبيل مصالحته مع غير المسلمين أو بعدها، من ذلك:

١ - استشارته ﷺ الصحابة رضوان الله عليهم قبل مصالحة الحديبية، وهو في الطريق إلى مكة، إذ سمع أن خالد ابن الوليد في كراع الغميم مع جيش المشركين.

فاستشار ﷺ الصحابة فيما يفعل، فقال: يا معشر المسلمين أشيروا عليّ! كيف ترون في هؤلاء الذين استنفروا إليّ من أطاعهم ليصدونا عن المسجد الحرام؟ أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم علينا أو أن نمضي لوجهتنا إلى البيت فمن صدنا عنه قاتلناه؟

(١) من ذلك: استشارته ﷺ الصحابة ﷺ في العير، وفي المنزل الذي ينزل فيه في غزوة بدر، واستشارتهم في البقاء في المدينة أو الخروج إلى العدو في غزوة أحد، وفي حفر الخندق، وغيرها، وكان ﷺ كثير المشاورة لأصحابه وفي ذلك يقول أبو هريرة ﷺ: (لم يكن أحد أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ) فكان يستشيرهم في السلم والحرب بل وفي خاصة أمره، فقد روي في حادثة الإفك، قوله ﷺ (أشيروا عليّ يا معشر المسلمين في قوم أبناوا أهلي ورموهم) واستشار علياً وأسامة بن زيد في فراق عائشة رضي الله عنها. وقد جعل عمر بن الخطاب ﷺ الخلافة من بعده شورى، في الستة الباقية من العشرة المبشرين بالجنة ﷺ.

(٢) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي، انظر: سنن أبي داود، كتاب الأدب، باب في المشورة، ٤ / ٣٣٣. وسنن الترمذي أبواب الأدب، باب أن المستشار مؤتمن ٥ / ١٢٥، وسنن ابن ماجه كتاب الأدب، باب أن المستشار مؤتمن ٢ / ١٢٣٣، كلهم عن أبي هريرة ﷺ. وحكم الألباني بصحته في صحيح الجامع ٢ / ١١٣٦.

فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فقال: الله ورسوله اعلم! نرى يا رسول الله أن نمضي لوجهنا فمن صدنا عن البيت قاتلناه.

وتكلم أسيد بن حضير رضي الله عنه (١) فقال يا رسول الله نرى أن نصمد لما خرجنا له فمن صدنا قاتلناه، فقال رسول الله ﷺ إنا لم نخرج لقتال أحد إنما خرجنا عماراً (٢).
وقد وافقهم النبي ﷺ في بادئ الأمر ومضى مع أصحابه متجهاً إلى مكة، حتى إذا بركت ناقته وعلم أنها ممنوعة، وقد حبسها حابس الفيل، ترك الرأي الذي قد أشير به عليه وأعلن قائلاً: (والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمت الله إلا أعطيتهم إياها) (٣).

وحينئذ تحول العمل على ذلك الرأي الذي أبداه الصحابة رضي الله عنهم إلى أمر الصلح والموافقة على شروط المشركين دون أن يستشير أحداً.

٢- استشارة النبي ﷺ أم سلمة رضي الله عنها- في أمر الناس حين لم يبادروا بالنحر والحلق حين أمرهم بذلك، فأشارت عليه بأن يبدأ ذلك بنفسه ففعل ﷺ فامتثل الصحابة لأمره وبادروا إلى القيام بذلك، حتى كاد بعضهم يقتل بعضاً.

وقد كان رأي أم سلمة - رضي الله عنها - سديداً ومباركاً حيث فهمت عن الصحابة أنه وقع في أنفسهم أن يكون النبي ﷺ أمرهم بالتحلل أخذاً بالرخصة في حقهم، وأنه يستمر على الإحرام أخذاً بالعزيمة في حق نفسه، فأشارت إلى النبي ﷺ

(١) هو: أسيد بن حضير بن سياك بن عتيك بن امرئ القيس بن زيد الأنصاري يكنى أبا يحيى، من السابقين إلى الإسلام، أسلم على يد مصعب بن عمير، وأحد النقباء ليلة العقبة، وأخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن حارثة، توفي في شعبان سنة (٢٠هـ)، وصلى عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه.
انظر ترجمته في: الإصابة ١/ ٨٣.

(٢) إمتاع الأسماع للمقريزي، ٩ / ٢٥٨.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٣ / ١٩٣.

أن يتحلل لينتفي عنهم هذا الاحتمال، وعرف النبي ﷺ صواب ما أشارت به ففعله، فلما رأى الصحابة ذلك منه ﷺ بادروا إلى فعل ما أمرهم به فلم يبق بعد ذلك غاية تنتظر، فكان رأياً سديداً ومشورة مباركة^(١).

٣- مشاورة النبي ﷺ السعدان في مصالحة غطفان على ثلث ثمار المدينة.

ففي غزوة الخندق - الأحزاب - كتب النبي ﷺ الصلح بينه وبين عيينة بن حصن والحارث بن عوف قائدي غطفان، على ثلث ثمار المدينة، إلا أنه لم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، فبعث الرسول ﷺ إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد، فذكر لهما واستشارهما فقالا له: أمرا تحبه فتصنعه، أم شيئاً أمرك الله به، لا بد لنا من العمل به، أم شيئاً تصنعه لنا؟ (قال: لو كنت أمرت بشيء لم أستأمركما، ولكن هذا رأيي أعرضه عليكما، وهو شيء أصنعه لكم، والله ما أصنع ذلك إلا لأني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحدة، وكالبوكم^(٢) من كل جانب، فأردت أن أكسر عنكم من شوكتهم إلى أمر ما)^(٣).

فقال سعد بن معاذ، يا رسول الله قد كنا ونحن وهؤلاء على الشرك بالله وعبادة الأوثان، لا نعبد الله ولا نعرفه، وهم لا يطمعون أن يأكلوا ثمرة إلا قرى^(٤) أو بيعاً، أفحين أكرمنا الله بالإسلام وهدانا إليه وأعزنا بك وبه، نعطيهم أموالنا! والله ما لنا بهذا من حاجة، والله لا نعطيهم إلا السيف حتى يحكم الله بيننا وبينهم، فقال رسول الله ﷺ

(١) انظر: ملامح الشورى في الدعوة الإسلامية عدنان النحوي، ص: ٢٨١.

(٢) كالبوكم: اشتدوا عليكم، انظر: النهاية ٤ / ١٩٥.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٢٢٣، ودلائل النبوة للبيهقي، جماع أبواب غزوة الخندق، باب مجيء الأحزاب ونقض بني قريظة ما كان بينهم وبين رسول الله ﷺ من العهد والميثاق ٣ / ٣٩٢.

(٤) قرى: القرى ما يصنع للضيف من الطعام، انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي، (ص: ١٣٢٤).

(فأنت وذاك) فتناول سعد الصحيفة فمحاها، وذلك قبل عزيمة الصلح^(١).

فقد استوضح النبي ﷺ السعدان - رضي الله عنهما - بأسلوب واضح ودقيق دون أن يدلّيا برأيهما ويوضح لهم رأيه ونيته، والداعي إلى مصالحتهم على ثلث ثمار المدينة، ولكنه رجع عن رأيه واستقر على رأي سعد بن معاذ ؓ بعد الاستشارة، ولا شك أن هذه الاستشارة لها صداها في قلوب الأنصار وهو وفاء وتقدير لهم لنصرتهم للدعوة إلى الله تعالى.

إذاً فبيّن أنّ الشورى لها منزلتها ومكانتها في الدعوة إلى الله تعالى، والقيام بها من فقه الدعوة إلى الله، لما فيها من تطيب خواطر المدعوين، ومعرفة ما عندهم من الوسائل والأساليب لنصرة الدين، وتحقيقه من مقاصد الدعوة إلى الله، إذ الألفة والمحبة والتقدير المتبادل بين الداعية والمدعو مما يحقّق نجاح الدعوة إلى الله، وهو المقصد الأسنى للرسالة المحمدية، فيجب على الدعاة الاقتداء به ﷺ في ذلك.

(١) انظر: مصنف عبد الرزاق الصنعاني، ٥/ ٣٦٨، ومعرفة السنن والآثار للبيهقي، ١٣/ ٤١٢.

ثانياً: البيعة على الجهاد ماهيتها وحكمها:

البيعة في اللغة: يطلق على معاني، منها: المعاقدة والمعاهدة على الطاعة^(١).

وفي الاصطلاح: عرف بأنها: (العهد على الطاعة، كأن المبايع يعاهد أميره على أن يسلم له النظر في أمر نفسه وأمور المسلمين، ولا ينازعه في ذلك، ويطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط والمكروه)^(٢).

وعقد البيعة في جوهره: تعهد من طرف الإمام، واستيثاق من جهة المبايعين في عقد يرتب التزامات شرعية غليظة على كل طرف، وذلك لتنظيم مجتمع صالح قائم على منهاج الشرع.

فهو إذاً عقد يتكئ على خلفية الديانة لكلا الطرفين المتعاقدين، وضعف الديانة في كل منهما يترتب عليه إخلال بحقيقة هذا العقد، لذا كان النبي ﷺ يلقن الصحابة عند المبايع أن يقولوا فيما استطعنا^(٣).

والأصل في مشروعية البيعة: قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الفتح: ١٠].

وقوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي

قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

وقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا

يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور ٨ / ٢٦.

(٢) انظر: تاريخ ابن خلدون ١ / ٢٦١.

(٣) انظر: المصالحات والعهود في السياسة الشرعية، محي الدين إبراهيم ص: ١٥٠.

يَعَصِيكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايَعُهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لهنَّ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٢﴾ [المتنحة: ١٢].
وفي السنة: وردت أحاديث كثيرة تدعو إلى البيعة وتحذّر من عدمها، وأنّ من مات وليس في عنقه بيعة فقد مات ميتة جاهلية، كما تحذّر من خلع اليد بعد البيعة وأخذ الميثاق، وأن طاعة الإمام من طاعة الرسول ﷺ (١).

وقد بويع النبي ﷺ في أحوال كثيرة ولأغراض خاصّة وغايات مختلفة، تشمل مبيعات على قضايا دينية محضّة، وأخرى دينية لها تعلق دنيويّ، فقد بايعه الصحابة على أن لا يشركوا بالله شيئاً، وبايعوه على الإسلام، وعلى السمع والطاعة والنصح لكل مسلم، كما بايعوه على الهجرة والجهاد (٢).

وهذه المبيعات لشخص النبي ﷺ إنما تعدّدت لتعدّد مناصب وأوصافه ﷺ، إذ هو نبيّ مرسلّ، وهو المفتي والقاضي، كما أنّه هو الإمام (٣)، وعلى هذا فتبين أن البيعة تكون للإمام المنصوب من قبل أهل الحل والعقد.

(١) من ذلك حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - في قصته مع عبد الله بن مطيع في صحيح مسلم: «من خلع يدا من طاعة، لقي الله يوم القيامة لا حجة له، ومن مات وليس في عنقه بيعة، مات ميتة جاهلية» كتاب الإمارة، باب الأمر بلزوم الجماعة عند ظهور الفتن وتحذير الدعاة إلى الكفر ١٤٧٥/٣.

وحديث أبي هريرة رضي الله عنه في الصحيحين: «من أطاعني فقد أطاع الله، ومن عصاني فقد عصى الله، ومن يطع الأمير فقد أطاعني، ومن يعص الأمير فقد عصاني». البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب يقاتل من وراء الإمام ويتقى به ٥٠/٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية ١٤٦٥/٣.

(٢) انظر الأحاديث الواردة في ذلك في: صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب البيعة وغيرها ٥٠/٤.

(٣) لمزيد من الفائدة حول هذه الأوصاف انظر: إعلام الموقعين، لابن القيم ٦٣/٣.

حكم البيعة:

بعد الرجوع إلى كلام أهل العلم، تبين أن حكم البيعة يدور بين الوجوب والندب. فتجب على أهل الحل والعقد من العلماء والرؤساء، ووجوه الناس الذين يتيسر اجتماعهم حال البيعة، وكذا كل ذي شوكة من زعماء الجيوش وقادتهم، الذين يخشى خطرهم، أو يتوقع الشر منهم، حتى إذا بايعوا أصبحت البيعة في أعناقهم ملزمة، فإذا خرجوا عنها، للولي أو الحاكم اتخاذا ما يراه نحوهم.

أما بالنسبة لبقية الناس من العامة ومن كان في غير دار الإمارة فيندب له الحضور للمبايعة، لكن الجميع يقعون تحت دائرة الالتزام للخليفة الذي تمت بيعته من قبل أهل الشورى^(١).

أنواع البيعة:

إن معرفة أنواع البيعة يساعدنا على التعرف على نوعية البيعة التي قام بها الصحابة رضوان الله عليهم في أثناء مصالحة المشركين - في صلح الحديبية - ولكن الذي يهمنا هنا هو النظر إلى البيعة من حيث اعتبار الموضوع، وإلى هذا ينقسم إلى عدة أقسام، وهي:

١ - البيعة على الإسلام، وهي خاصة بالنبى ﷺ لم يأخذها أحد بعده، ونكثها كفر، وهو التعهد والالتزام بما تعهد به من السير وفق المنهج الحق، والذي اختطه الله تعالى وبينه رسوله ﷺ بأقواله وأفعاله، وتقريراته، وهي تعني البيعة على العقيدة الخالصة، وعدم الشرك بالله تعالى.

(١) انظر: البيعة في الإسلام لأحمد آل محمود ص: ٦٧، ونظام الحكم في الإسلام ص: ٢٥٦.

ومن ذلك حديث جرير بن عبد الله^(١) رضي الله عنه «بايعت رسول الله ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، والسمع والطاعة، والنصح لكل مسلم»^(٢).

٢- البيعة على السمع والطاعة، وعدم منازعة الأمر أهله، وهما ركنان أساسيان في استقرار الحكم، وقد أمر الله تعالى بهما فقال: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٥١] وهي عادة تؤخذ عند تعيين الخلفاء ولا تعطى إلا للحاكم المسلم، وتكون في المنشط والمكروه، ونكتها يعتبر كبيرة من الكبائر، وفي ذلك حديث عبادة بن الصامت^(٣)، قال: «بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكروه، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم»^(٤).

٣- البيعة على النصرة والمنعة، وهي مثل بيعة العقبة الثانية التي أخذها التي أخذها الرسول ﷺ على الأنصار.

(١) هو: جرير ابن عبد الله ابن جابر البجلي صحابي مشهور، روى عن النبي ﷺ وعن عمر، كان إسلامه في السنة التي توفي فيها النبي ﷺ ونزل الكوفة، مات سنة إحدى وخمسين وقيل بعدها، انظر: تهذيب التهذيب ٢ / ٧٣.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب: هل يبيع حاضر لباد بغير أجر، ٣ / ٧٢.

(٣) هو: عبادة بن الصامت بن قيس بن أصرم بن فهر... بن عوف بن الخزرج، الأنصاري الخزرجي، أبو الوليد، شهد العقبة الأولى، والثانية، آخى النبي ﷺ بينه وبين أبي مرثد الغنوي، وشهد المشاهد كلها مع رسول الله ﷺ بعد بدر، وتوفي سنة (٣٤هـ) بالرملة، وقيل: ببيت المقدس، وهو ابن (٧٢هـ) سنة. انظر ترجمته في: أسد الغابة ٣ / ١٥٨.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب: كيف يبايع الإمام الناس ٩ / ٧٧.

٤- البيعة على الجهاد في سبيل الله وهي باقية في عنق كل مسلم إلى قيام الساعة، وهي الواردة ذكرها في سورة التوبة في قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَبْشِرُوا بِيَعِّكُمْ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة: ١١١].

ومثلها بيعة الرضوان يوم الحديبية، إذ بايع المسلمون يومئذٍ على الجهاد والصبر والصدق عند اللقاء، وقد ورد ذكر مثل هذه البيعة يوم الخندق على لسان الأنصار: نحن الذين بايعوا محمداً على الجهاد ما حيننا أبداً وهذه الأخيرة - بيعة الرضوان - هي البيعة التي أخذها النبي ﷺ على أصحابه يوم الحديبية قبل مصالحة المشركين، وهي البيعة على الجهاد والصبر فيه وعدم الفرار حتى الموت، وذلك بعدما أُشيع مقتل عثمان بن عفان ﷺ، فتسارع الصحابة إلى البيعة وكانت مصافحةً بالأيدي تعبيراً عن صدقهم ووفائهم وتأكيدهم لصدقهم وللعهد الذين بينهم وبين الرسول الله ﷺ.

وفيه يقول ابن خلدون عن الصحابة - رضوان الله عليهم: (وكانوا إذا بايعوا الإمام أو الأمير وعقدوا عهده جعلوا أيديهم في يده تأكيداً للعهد)^(١).

ولم يكتف مبايعة الرسول ﷺ على الرجال فقط، فقد بايع النساء قبل الحديبية وبعده، لأنه ورد في بنود صلح الحديبية أن من جاء محمداً من الرجال يُردّ إلى مكة، فامتحن الله النساء بالبيعة، فبايعن النبي ﷺ وهي البيعة المعروفة المشهورة في سورة الممتحنة قالت عائشة - رضي الله عنها -: كانت المؤمنات إذا هاجرن إلى النبي ﷺ يمتحنهن بقول الله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَاَمْتَحِنُوهُنَّ﴾ [الممتحنة: ١٠] إلى آخر الآية. قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات فقد أقر بالمحنة، فكان رسول الله ﷺ إذا أقرن بذلك من قولهن، قال لهن رسول الله ﷺ:

(١) مقدمة ابن خلدون ص: ٢٢٩.

«انطلقن فقد بايعتكن» لا والله ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة قط، غير أنه بايعهن بالكلام، والله ما أخذ رسول الله ﷺ على النساء إلا بما أمره الله، يقول لهن إذا أخذ عليهن: «قد بايعتكن» كلاماً^(١).

ويستخلص مما سبق من مبايعة النبي ﷺ للصحابة والصحابيات من المقصد الدعوي.

- وجوب طاعة الإمام والامتثال لأمره ما لم يكن في معصية الله عز وجل، فإن أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق.

- على الدعاة الحث على السمع والطاعة لولاة الأمور وعدم الخروج عليهم..

- البيعة لا تلزم أن تكون باليد كما في قصة المؤمنات في بيعة المؤمنات المهاجرات

حين بايعن النبي ﷺ.

- أنه إذا بايع أهل الحل والعقد لزم البيعة من خلفهم.

- بيعة ولي الأمر لا يلزم أن تكون بخلافة على المسلمين فهي تكون ولو لقطر من

أقطار المسلمين.

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطلاق، باب إذا أسلمت المشتركة أو

النصرانية تحت الذمي أو الحربي ٧ / ٤٩، ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب كيفية

بيعة النساء.... ٣ / ١٤٥١.

ثالثاً: الإحصار في الحج والعمرة.

الشريعة الإسلامية تقوم على مقاصد عظيمة في كل مسائلها عموماً وخصوصاً، فمقصدتها العام جعل المسلم محكوماً بها في حال السراء والضراء، من أجل أن يسلم من غوائل هواه، وأهواء الناس، ومقصدتها الخاص في مسألة الإحصار من جنس مقاصدها في أحكام الأعدار، فشرعت أحكام الأعدار في الطهارة، والصلاة والصيام وغير ذلك، فما عجز عنه المحصر يسقط عنه إما إلى بدل وإما إلى غير بدل، وما قدر عليه قام به حسب القدرة.

إذا فما هو الإحصار وما الفقه والمقصد الدعوي منه؟

الإحصار في اللغة: هو المنع والحبس، يقال أحصره المرض أو السلطان، إذا منعه عن مقصده فهو محصر، وحصره إذا حبسه فهو محصور (١).

واصطلاحاً: هو منع المحرم من إتمام أركان الحج والعمرة أو هما معاً (٢).

والأصل فيه: قول الله تعالى: ﴿ وَأَتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنْ

أُهْدَى ﴾ [البقرة: ١٩٦].

ومن السنة: إحصار النبي ﷺ زمن الحديبية وتحلله، فقد روى البخاري في صحيحه عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: «خرجنا مع رسول الله ﷺ فحال كفار قريش دون البيت، فنحر النبي ﷺ هديه وحلق رأسه، وأشهدكم أني قد أوجبت العمرة إن شاء الله، أنطلق، فإن خلي بيني وبين البيت طفت، وإن حيل بيني وبينه فعلت كما فعل النبي ﷺ وأنا معه» (٣).

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٣/ ٢٠٢. والنهاية في غريب الحديث ١ / ٣٩٥.

(٢) انظر: الموسوعة الفقهية الكويتية ٢/ ١٩٧.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب إذا أُحصِرَ المعتمر، ٣ / ٨.

وأجمع أهل العلم على وجوب التحلل إذا أحصر الحاج أو المعتمر.

قال ابن قدامة: أجمع أهل العلم على أن المحرم إذا حصره عدو من المشركين،

أو غيرهم، فمنعوه الوصول إلى البيت، ولم يجد طريقاً آمناً، فله التحلل (١).

وقال النووي - رَحِمَهُ اللهُ -: (يجوز للمحرم بالعمرة التحلل عند الإحصار بلا

خلاف، ودليل التحلل وإحصار العدو نص القرآن والأحاديث الصحيحة

المشهورة في تحلل النبي ﷺ وأصحابه عام الحديبية وكانوا محرمين بعمرة وإجماع

المسلمين على ذلك) (٢).

والتحلل يكون بثلاثة أشياء، فعلى المحصر الذي عجز عن الوصول إلى بيت

الله، أن يحرص على التحلل المشروع، وذلك بأن يبدأ بالنية، ثم ينحر هديه إن كان

معه هدي، ثم يخلق رأسه، فإذا فعل هذا فقد تحلل مما حرم عليه بالإحصار، قال تعالى:

﴿فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٦].

قال الشنقيطي - رَحِمَهُ اللهُ -: (وعلى القول الصحيح من أن الحلاق نسك، فالمحصر

يتحلل بثلاثة أشياء، وهي النية، وذبح الهدي، والحلاق، وعلى القول بأن الحلق ليس

بنسك، يتحلل بالنية والذبح) (٣).

والصحيح أن الحلق نسك، ففي البخاري من حديث المسور بن

مخرمة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: فلما فرغ من قضية الكتاب، قال رسول الله ﷺ

لأصحابه: « قوموا فانحروا ثم احلقوا » (٤).

(١) انظر: المغني لابن قدامة ٣ / ٣٢٦.

(٢) المجموع شرح المهذب ٨ / ٢٩٤.

(٣) أضواء البيان للشنقيطي ١ / ٨٧.

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل

الحرب وكتابة الشروط، ٣ / ١٩٦.

وعلى المحصر ذبح هديه حيث أحصر على القول الصحيح، لأن النبي ﷺ نحر هديه حيث أحصر، إلا إذا كان قادراً الوصول إلى أطراف مكة. ومن لم يجد الهدى ولا مالا يشتريه فلا شيء عليه، ولا يصوم بدلاً عنه، لأن الصحابة الذين كانوا مع النبي ﷺ في الحديبية، وهم ألف وأربعمائة، كما تقدم، فيهم الفقير، والغني، ولم يأمرهم النبي أن يطلبوا مالا لشراء الهدى، كما لم يأمرهم بالصوم فتحلوا ولم يكن عليهم شيء^(١).

ويستفاد مما سبق من الفقه الدعوي في الإحصار.

يسر الشريعة الإسلامية ومرونتها، ووجوب التمسك بالسنة واقتفاء أثر النبي ﷺ إذ دل عمله بعد الفراغ من أمر الصلح من التحلل والنحر والحلق، على أن المحصر يجوز له أن يتحلل بأن يذبح شاة حيث أحصر، وما يقوم مقامها، ويحلق ثم ينوي التحلل مما كان قد أحل به، سواء كان حجاً، أو عمرة، ولا يلزمه قضاء الحج والعمرة إذا كان متطوعاً. فيجب على الدعاة بيان يسر الشريعة الإسلامية، ووجوب اتباع النبي ﷺ في كل أموره، إذ فيه السعادة.

(١) انظر ذلك مفصلاً في: المغني لابن قدامة ٥/١٩٨، والشرح الممتع للشيخ العثيمين ٧/٤٤٧.

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بالشريعة في ضوء مصالحاته

صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب.

إن النبي ﷺ قد أنصف أهل الكتاب، وعاملهم معاملةً تختلف عن معاملة غيرهم من أصحاب العقائد الأخرى، ففرّق بينهم وبين أهل الأوثان، لأنهم أتباع رسلٍ وأنبياء، ووصفهم بأهل الكتاب^(١)، لأنهم أصحاب كتب أصولها من عند الله تعالى، وعاملهم ﷺ بالعدل، وحكم بينهم بالقسط، وعاهدتهم وسالمهم على حسن الجوار، إلا أن أكثرهم قبلوه بالرد والرفض والإعراض.

وفي أثناء مصالحات النبي ﷺ لهم نستنبط فوائد فقهية ومقاصد دعوية، نستضيء بها في طريق الدعوة إلى الله وبيان الحق، كما حفلت تلك المصالحات، مقاصد تشريعية، بنى الفقهاء عليها أحكاماً كثيرة، وفيما يلي جزء من تلك المقاصد، وفقهها الدعوي.

أولاً: الجزية من أهل الكتاب وأحكامها.

الجزية في اللغة: مشتقة من الجزاء والمجازاة، وهي خراج الأرض، والجمع جزى وجزى، وما يؤخذ من الذمي^(٢).

وفي الاصطلاح: ما يؤخذ من الكفار جزاء الكف عن قتالهم، أو إسكانهم دار الإسلام، وقيل: عبارة عن المال الذي يعقد للكتابي عليه الذمة^(٣)

(١) ورد في القرآن الكريم وصف اليهود والنصارى بأهل الكتاب في (٣٢) موضعاً كما ورد وصفهم بالذين أتوا الكتاب والذين آتيناهم الكتاب، في (٢٤) موضعاً، انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، محمد فؤاد عبد الباقي ص: ١٢١-١٢٢، وص: ٧٥١.
(٢) انظر: لسان العرب، لابن منظور ١٤٦/١٤ والقاموس المحيط للفيروز آبادي، ص: ١٢٧٠.
(٣) انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر، ١/١٦٢.

وقيل: ما لزم الكفار من مالٍ لأمنهم واستقرارهم تحت حكم الإسلام وصونه^(١).
فالخلاصة: أن المراد بالجزية: المال المأخوذ من الذمي، فهي ضريبة على
الرؤوس، يلتزم الذميُّ بأدائها إلى الدولة في ميعادها المعين، متى توافرت شروط
وجوبها ولم يوجد ما يسقطها^(٢).

والأصل فيها الكتاب والسنة والإجماع والمعقول.

أما الكتاب: فقوله تعالى: ﴿ قَدِّمُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ
وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ
حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴾ [التوبة: ٢٩].

ومعنى: "وهم صاغرون" أي: ذليلون عند إعطائها، فلا يرسلون بها رسولاً،
ولا يتعاضمون، ولا يُعظَّمون عند تسليمها، وقيل: منقادون للشريعة الإسلامية.

وأما السنة: فمنها قولية، وعملية.

فمن السنة القولية: ما رواه سليمان بن بريدة، عن أبيه، قال: كان رسول الله ﷺ إذا
أمر أميراً على جيش، أو سرية، أو صاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين
خيراً، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا
تغدروا، ولا تثلوا، ولا تقتلوا وليداً، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث
خصال - أو خلال - فأيتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم،... فإن هم أبوا
فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله
وقاتلهم»^(٣). فقوله: فإن هم أبوا فسלهم الجزية، يدل على مشروعية الجزية وإقرارها.

(١) انظر: منح الجليل شرح مختصر خليل للشيخ محمد بن عيش ٣ / ٢١٣.

(٢) انظر: أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، عبد الكريم زيدان، ص: ١٣٨.

(٣) سبق تخريجه في ص: ٦٠.

وروى المغيرة بن شعبة رضي الله عنه أنه قال لجند كسرى يوم نهاوند: أمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ «أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدُّوا الجزية»^(١).

وأما السنة العملية: فقد أخذها النبي ﷺ من مجوس هجر، وقال: سنوا بهم سنة أهل الكتاب، وأخذها من نصارى نجران، ومقنا وأذرح، وأمر معاذ بن جبل بأخذها من يهود اليمن، وأخذها عمر بن الخطاب رضي الله عنه من مجوس سواد العراق^(٢).

وقد أجمع المسلمون في الجملة على جواز أخذ الجزية من غير المسلمين.

قال ابن قدامة - رحمته الله -: أخذ الجزية من أهل الكتاب والمجوس ثابت بالإجماع، لا نعلم في هذا خلافا، فإن الصحابة - رضي الله عنهم - أجمعوا على ذلك، وعمل به الخلفاء الراشدون، ومن بعدهم إلى زمننا هذا، من غير نكير ولا مخالف^(٣).

وأما المعقول: فهو أن الذمي يتمتع بحماية الدولة من أيِّ عدوان خارجيٍّ أو داخليٍّ، فلا بد من دفع ضريبة مقابل تلك الحماية، مقابل استقراره في دار الإسلام وحقن دمه والكف عن قتاله.

وفُرضت الجزية في السنة التاسعة من الهجرة على الأظهر، وقيل: في السنة الثامنة^(٤). وذلك بعد ما فرغ النبي ﷺ من قتال اليهود، وحرّبهم في خيبر وفدك، واستسلام يهود تيباء.

والجزية تُصرفُ في المصالح العامة، وقيمتها من دينار لأربعة دنانير من

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب الجزية والموادعة مع أهل الحرب ٤ / ٩٧.

(٢) انظر: نيل الأوطار للشوكاني ٨ / ٦٧.

(٣) انظر: المغني لابن قدامة ٩ / ٣٣١.

(٤) فتح الباري لابن حجر، ٦ / ٢٥٩.

الذهب، أو من عشرة إلى أربعين درهماً من الفضة، بحسب الحال غني وفقراً، كما ذكر البخاري في مقدمة كتاب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب، وقول الله تعالى: ﴿ قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ [التوبة: ٢٩] قوله: (وما جاء في أخذ الجزية من اليهود والنصارى والمجوس والعجم. وقال ابن عيينة^(١)، عن ابن أبي نجيح قلت لمجاهد: ما شأن أهل الشام عليهم أربعة دنانير، وأهل اليمن عليهم دينار؟ قال: جعل ذلك من قبل اليسار...)^(٢).

وقد صالح النبي ﷺ صاحب أيلة على أن يدفع أهل القرية جزية للمسلمين مقدارها (٣٠٠) ثلاثمائة دينار، وفي مقابل ذلك يلتزم المسلمون بتأمين هؤلاء على حياتهم كما صالح أهل أذرح وجرباء بأنهم آمنون بأمان الله ومحمد، وعليهم جزية مقدارها (١٠٠) مائة دينار في كل رجب، وافية طيبة.

وصالح عليه الصلاة والسلام، أكيدر دومة الجندل، على أن يدفع الجزية للمسلمين، مقدارها (٢٠٠٠) ألفي بعير، و(٨٠٠) ثمانمائة رأس، و(٤٠٠) أربعمائة درع، و(٤٠٠) أربعمائة رمح^(٣).

كما صالح نصارى نجران على دفع الجزية، فقد روى أبو داود في سننه، عن ابن

(١) هو: سفيان بن عيينة بن أبي عمران ميمون الهلالي أبو محمد الكوفي سكن مكة وقيل أن أباه عيينة هو المكّي أبا عمران، ولد في الكوفة سنة (١٠٧هـ)، ثقة ثبت حافظ مفسر فقيه إمام حجة إلا أنه تغير حفظه بآخره، وكان ربّياً دلّس عن الثقات مات سنة (١٩٨هـ). انظر: تهذيب التهذيب لابن حجر ٤ / ١١٧.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية...، باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة، ٢ / ٦٣٧.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٥٢٥ والطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ٢٩٠، وعيون الأثر لابن سيد الناس ٢ / ٢٧٢.

عباس - رضي الله عنهما - قال: «صالح رسول الله ﷺ أهل نجران على ألفي حلة، النصف في صفر والنصف في رجب يؤدونها إلى المسلمين، وعلى ثلاثين درعاً وثلاثين فرساً وثلاثين بعيراً وثلاثين من كل صنّفٍ من أصناف السلاح^(١)».

وعن ابن شهاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -، قال: أول من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران، فيما بلغنا، وكانوا نصارى، وقبل رسول الله ﷺ الجزية من أهل البحرين، وكانوا مجوساً، ثم أدى أهل أيلة وأهل أذرح إلى رسول الله ﷺ الجزية في غزوة تبوك، ثم بعث خالد بن الوليد إلى أهل دومة الجندل فأسروا رئيسهم أكيدر، فبايعوه على الجزية^(٢).

وعلى هذا يظهر أن المقصد الدعوي من أخذ الجزية، ليس مالا يرتجى، أو سعياً لظلم أو هوى، وإنما الترغيب في الإسلام، ليرى الذمي المعاملة ويقارن، ويسمع آيات الله ويتدبر، فيدخل الناس في دين الله أفواجا.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في أخذ الجزية ٣/ ١٦٧.

(٢) انظر: الأموال لأبي عبيد ١/ ٧٢، وأحكام أهل الذمة لابن القيم ١/ ١٣١، ونيل الأوطار،

للشوكاني ٨/ ٦٧.

كما يظهر من الفقه الدعوي المستنبط من أخذ الجزية.

- أن الجزية مال يقرره الإمام^(١) -الحاكم المسلم- على غير المسلمين الذين يسكنون في ديار الإسلام، سكنى مؤبّدة، سواء كانوا مع المسلمين في مدينة واحدة، أو في مدينة استسلمت وانقادت للمسلمين، كما هو الحال في نصارى نجران، وأذرح وغيرها، وذلك عندما يصبح للمسلمين قوّة وشوكة عالية.

- عدم الإكرام على الدّخول في الإسلام، إذ لا إكراه في الدّين، والواجب على الدّاعية أن يبيّن حقيقة الإسلام لغير المسلم حتّى ينقاد لمحاسنه، ويرغب في الإسلام، فيدخل فيه طواعيةً عن طيب نفس، كما يجب على الدّمي احترام مشاعر المسلمين إن بقي على دينه، وأراد السكنى في ديارهم، ودفع الجزية.

- أن الله تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها، فإنّ الجزية وُضعت على غير المسلمين من أهل الكتاب، وتفاوت القدر المفروض عليهم، من أجل اليسار على الفقراء، كما أسقطت عن النساء والأطفال، والشيوخ، والرهبان المنقطعين للعبادة، لأنهم ليسوا من المحاربين.

(١) إن تحديد قدر الجزية، وفرضها على جماعة دون أخرى، أمر يرجع إلى الإمام إذا رأى ذلك، كما له تقدير ما يجب عليهم من الجزية، ونرى أن المصالحة التي وقعت بين النبي ﷺ وبين أيلة، لا تشير إلى مسألة الجزية، مع أنهم أهل كتاب، تجب معهم المراحل الثلاث، وهي: الإسلام، أو الجزية أو الحرب، ولكن النبي ﷺ ركز على توطيد العلاقة السياسية والاقتصادية معهم، لما يرجع على المسلمين من أموالهم، إضافة لكونه مركزاً دينياً يجمع أهل الشام واليمن، وغيرهم. فعقد معهم التحالف السياسي والاقتصادي. ينظر: العلاقات الإسلامية النصرانية، فاروق حمادة، ص: ٥٤.

ثانياً: مشروعية المزارعة والمساقاة

المزارعة لغة: مفاعلة من الزرع، وهو الإنبات، أو طرح الزرع^(١).

واصطلاحاً: عقد على الزرع ببعض الخارج^(٢).

وقيل: دفع الأرض إلى من يزرعها ويعمل عليها، والزرع بينهما^(٣).

والمساقاة لغة: مفاعلة من السقي، وقد سميت بذلك، لأن السقي أهم أعمالها^(٤).

واصطلاحاً: هي دفع الشجر إلى من يصلحه بجزء من ثمره^(٥).

وقيل: هي: أن يدفع الرجل شجره إلى آخر، ليقوم بسقيه، وعمل سائر ما يحتاج

إليه، بجزء معلوم له من ثمره^(٦).

مشروعيتها:

والأصل في مشروعيتها حديث عبد الله بن عمر - رضي الله عنهما - «أن رسول

الله ﷺ عامل أهل خيبر بشطر ما يخرج منها من ثمر أو زرع»^(٧).

وذهب أكثر العلماء إلى جوازها - المزارعة - سواء كانت تابعة للمساقاة أم

(١) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي، فصل الزاي، ص: ٧٢٤.

(٢) انظر: القوانين الفقهية لابن جزي ص: ٢٧٨. وأضاف الشافعية (والبذر من المالك) تمييزاً لها

عن المخابرة (إذ البذر فيها من العامل) تحفة المحتاج في شرح المنهاج ٦/ ١٠٨.

(٣) انظر: المغني لابن قدامة ٥/ ٣٠٩.

(٤) انظر: لسان العرب لابن منظور، ٢/ ٤٩٢.

(٥) انظر: مواهب الجليل للحطاب ٥/ ٣٧٢، والمحلى لابن حزم ٣/ ٦٠.

(٦) المغني لابن قدامة ٥/ ٢٩٠.

(٧) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة باب المزارعة بالشرط ونحوه

٣/ ١٠٤، ومسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب المساقاة، والمعاملة بجزء من الثمر

والزرع ٣/ ١١٨٦. واللفظ له.

منفردة، أم كانت المساقاة تابعة لها^(١).

وذهب جماهير العلماء إلى مشروعية المساقاة، وخالفهم الإمام أبو حنيفة فقال بعدم مشروعيتها، واستدل بالأحاديث التي تنهى عن المزارعة^(٢).

كما استدل المجيزون بالأدلة الواردة في جواز المزارعة من ذلك:

حديث ابن عمر - رضي الله عنهما - «أن رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشرط ما يخرج منها من ثمر أو زرع»^(٣).

وفي رواية «فسألوه أن يقرّهم بها على أن يكفوا عملها ولهم نصف الثمر فقال لهم رسول الله ﷺ نقركم بها على ذلك ما شئنا، فقرروا بها حتى أجلاهم عمر ﷺ»^(٤).

ولمسلم «أن رسول الله ﷺ دفع إلى يهود خيبر نخل خيبر وأرضها على أن يعتملوها^(٥) من أموالهم ولهم شطر ثمرها»

(١) انظر: كشف القناع للبهوتي ٥٣٤/٣، والمحلى لابن حزم ١٣/٧. وذهب الشافعي إلى عدم

مشروعيتها إلا تبعاً للمساقاة، كما ذهب أبو حنيفة إلى عدم جوازها مطلقاً.

(٢) من ذلك: ما روي عن ثابت بن الضحاك: (أن رسول الله ﷺ نهى عن المزارعة) وبحديث

جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له أرض فليزرعها،

فإن لم يزرعها، فليزرعها أخاه» صحيح مسلم، ١١٧٦/٢.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المزارعة، باب إذا لم يشترط السنين في

المزارعة، ٣/١٠٥، ومسلم في صحيحه، كتاب الطلاق، باب المساقاة، والمعاملة

بجزء من الثمر والزرع ٣/١١٨٦.

(٤) أخرجه مسلم في صحيحه، المصدر السابق نفسه.

(٥) قال الدكتور محمد فؤاد عبد الباقي - رَحِمَهُ اللهُ -: في التعليق على الحديث: (على أن يعتملوها من

أموالهم) بيان لوظيفة عامل المساقاة، وهو أن عليه كل ما يحتاج إليه في إصلاح الثمر

واستزادته مما يتكرر كل سنة كالسقي وتنقية الأنهار، وإصلاح منابت الشجر، وتلقيحه

وتنحية الحشيش، والقضبان عنه وحفظ الثمرة وجذاذها ونحو ذلك، وأما ما يقصد به

فالحديث دليلٌ على صحّة المساقاة والمزارعة وهو قول أبي بكر وعمر وعلي رضي الله عنهم وأحمد وابن خزيمة وسائر فقهاء المحدثين، إنهما تجوزان مجتمعتين، وتجاوز كلّ واحدة منفردة، والمسلمون في جميع الأمصار والأعصار مستمرّون على العمل بالمزارعة^(١). كما استدّلوا بالإجماع الذي نقله ابن المنذر، قال: وأجمعوا على أنّ دفع الرّجل نخلا مساقاة على الثلث أو الرّبع جائزٌ، وأنكر التّعمان المعاملة على شيء من الغرس ببعض ما يخرج منها^(٢).

وقال ابن القيم - رحمته الله - في زاد المعاد: (في قصة خبير دليل ظاهر على جواز المساقاة والمزارعة، بجزءٍ من الغلّة من ثمرٍ أو زرعٍ، فإنّه رضي الله عنه عامل أهل خبير على ذلك، واستمر على ذلك إلى حين وفاته، ولم ينسخ البتّة، واستمرّ عمل خلفائه الراشدين عليه، وليس هذا من باب المؤاجرة في شيء، بل من باب المشاركة وهو نظير المضاربة سواء فمن أباح المضاربة وحرم ذلك فقد فرق بين متماثلين، فإنّه رضي الله عنه دفع إليهم الأرض على أن يعتملوها من أموالهم ولم يدفع إليهم البذر، ولا كان يحمل إليهم البذر من المدينة قطعاً، فدل على أن هديه رضي الله عنه عدم اشتراط كون البذر من ربّ الأرض، وأنه يجوز أن يكون من العامل، وهذا كان هديه رضي الله عنه وهدي الخلفاء الراشدين من بعده، وكما أنه هو المنقول فهو الموافق للقياس فإن الأرض بمنزلة رأس المال في المضاربة، والبذر يجري مجرى سقي الماء، ولهذا يموت في الأرض ولا يرجع إلى صاحبه، ولو كان بمنزلة رأس المال في المضاربة لاشتراط عوده إلى صاحبه، وهذا يفسد المزارعة، فعلم أن القياس الصحيح هو الموافق لهدي رسول الله صلى الله عليه وآله وخلفائه الراشدين)^(٣).

حفظ الأصل ولا يتكرر كل سنة كبناء الحيطان وحفر الأنهار فعلى المالك. والحديث

أخرجه مسلم في صحيحه، المصدر السابق، نفس الجزء والصحيفة.

(١) انظر: سبل السلام للصنعاني ٢ / ١١٢.

(٢) انظر: الاجماع لابن المنذر، ص: ١٠٠، والمغني لابن قدامة ٥ / ٣٩١.

(٣) زاد المعاد لابن القيم ٣ / ١٣٠.

وبعد معرفة الحكم الشرعي لكلٍّ من المزارعة والمساقاة يتبيّن أن المقصد الدعوي منهما، هو الاستفادة من خبرة عامل الأرض، وإن لم يكن مسلماً، ليرجع فائدة ذلك إلى ديار المسلمين. كما يستنبط منها من الفقه والمقصد الدعوي:

أولاً: جواز المساقاة والمزارعة وإن لم يجتمعا، إذ ذلك من سنة النبي ﷺ وخلفائه الراشدين، وقد ذكر الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ، أن المساقاة حصلت بين المهاجرين والأنصار بعد مقدم النبي ﷺ المدينة^(١).

ثانياً: أن الأصل في مشروعية المساقاة مع غير المسلمين، هو فعل النبي ﷺ مع أهل خيبر، وعليه بنى العلماء استدلالاتهم في صحّة جوازه.

ثالثاً: أن على الدّاعية إلى الله استغلال كل الفرص التي تعود بالنفع إلى المدعويين، وقد رأينا أن النبي ﷺ استغل فرصة معرفة اليهود بالزراعة فأقرهم على أن يعملوا الأرض وشطرها للمسلمين، وبذلك تفرّغ المسلمون للدعوة إلى الله تعالى.

رابعاً: الحكمة في تشريع المساقاة تحقيق المصلحة ودفع الحاجة، فمن الناس من يملك الشجر ولا يهتدي إلى طرق استثماره أو لا يتفرّغ له، ومنهم من يهتدي إلى الاستثمار، ويتفرّغ له ولا يملك الشجر، فمست الحاجة إلى انعقاد هذا العقد بين المالك والعامل.

خامساً: إن تعامل النبي ﷺ مع اليهود في المزارعة والمساقاة، دليل على جواز التعامل مع غير المسلمين بالبيع والشراء والرهن، والقرض، وغير ذلك من المعاملات المباحة في ديننا، وكذلك اليهود الذين كانوا في المدينة، كان المسلمون يبيعون ويشترون منهم، وكانوا مع العهد مع رسول الله ﷺ في وثيقة المدينة المشهورة، وليس ذلك من المحاباة والموالات، فعلى الدّاعية بيان ذلك، والتفريق بينه وبين الموالات المنهي عنه في شرعنا الحنيف.

(١) فتح الباري لابن حجر ٥ / ٩.

ثالثاً: إباحة أكل ذبائح أهل الكتاب، وإجازة مناكحتهم وقبول هديتهم.

إنَّ إباحةَ أكل ذبائح أهل الكتاب ومناكحتهم، يعدُّ مظهراً من مظاهر التسامح معهم، والإنعام عليهم، فقد أباح القرآن الكريم لهم ذلك دون غيرهم، قال الله تعالى:

﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرٍ مُسَفِّحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ﴾ [المائدة: ٥].

قال الحافظ ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ -: (وهذا أمر مجمع عليه بين العلماء: أن ذبائحهم حلال للمسلمين؛ لأنهم يعتقدون تحريم الذبح لغير الله، ولا يذكرون على ذبائحهم إلا اسم الله، وإن اعتقدوا فيه تعالى ما هو منزّه عن قولهم، تعالى وتقدس...) (١).

فقد أرشد القرآن الكريم إلى أن طعام أهل الكتاب من الذبائح يحل للمسلمين أكلها، وهو صريح في الجواز، وقد أطلق فيه العام وأراد به الخاص وهو الذبائح.

كما أجاز نكاح الحرائر من نسائهم، وقد ورد أنّ عثمان بن عفان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ تزوّج نائلة بنت الفرافصة الكلبية (٢)، وكانت نصرانية فأسلمت قبل أن يدخل بها، وتزوج حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يهودية، وتزوج طلحة بن عبيد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نصرانية من أهل الشام (٣).

وفي ضوء مصالحت النبي ﷺ لأهل الكتاب نرى أنه كان يأكل من طعامهم،

(١) تفسير ابن كثير ٣ / ٤٠.

(٢) هي: نائلة بنت الفرافصة بن الأحوص بن عمرو بن ثعلبة بن الحارث بن حصن بن ضمضم بن عدي بن جناب من كلب، زوج عثمان بن عفان، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قدمت على معاوية بعد قتل عثمان، فخطبها، فأبت أن تنكحه، كانت خطيبة، شاعرة، من ذوات الرأي والشجاعة. انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد. ٣ / ٤٠.

(٣) انظر: البداية والنهاية لابن كثير، ٧ / ١٧٣، وأحكام أهل الذمة لابن القيم ٢ / ٧٩٥. وأسلوب القرآن في دعوة أهل الكتاب. للدكتور: عبد الرحمن محمد ص: ٣٣١ - ٣٣٤.

ويقبل هداياهم، كما ثبت أنه ﷺ تزوج من بناتهم بعد عتقهن وإسلامهن^(١).

ومما ورد في أكله طعام أهل الكتاب أثناء المصالحة أو بعدها، أكله من الشاة المسمومة التي أهدىها يوم خيبر - أثناء الصلح - فعن أنس بن مالك رضي الله عنه، أن يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها، فجيء بها فقيل: ألا نقتلها، قال: «لا»، فما زلت أعرفها في لهوات^(٢) رسول الله ﷺ^(٣).

وعن جابر بن عبد الله - رضي الله عنهما، أن يهودية، من أهل خيبر سمت شاة مصلية^(٤) ثم أهدتها لرسول الله ﷺ... الحديث^(٥).

ففي الحديثين دليل على قبوله ﷺ الهدية من اليهود، ما دامت الهدية مباحة، ولم

(١) كـ: (صفية بنت حبي بن أخطب، أم المؤمنين، كانت يهودية قبل إسلامها، من بني إسرائيل من سبط هارون بن عمران، وكانت من السبي يوم خيبر، فأعتقها ﷺ وتزوجها وجعل عتقها صداقها. وأهدى له المقوقس حاكم مصر بعد ما راسله ودعاه إلى الإسلام: مارية القبطية فأخذها وولدت له ابنه إبراهيم.

(٢) لهوات: جمع لهاء. وهي ما يبدو من الفم عند التبسّم، أو اللّحمة التي بأعلى الحنجرة من أقصى الفم، انظر: لسان العرب لابن منظور ٢٦٢/١٥، والقاموس المحيط للفيروزآبادي ص: ١٣٣٣.

ورد في هذا الحديث عدم قتلها، وفي رواية لجابر رضي الله عنه أن النبي ﷺ أمر بها فقتلت، كيف الجمع بينهما؟ قال ابن القيم: قد وفق بين الروایتين بأنه لم يقتلها أولاً، فلما مات بشر بن البراء رضي الله عنه قتلها. انظر: زاد المعاد لابن القيم ٢٩٨ / ٣.

(٣) أخرجه البخاري صحيحه، كتاب الهبة وفضلها، باب قبول الهدية من المشركين، ١٦٣ / ٣
(٤) مصلية: أي مشوية. يقال صليت اللحم - بالتخفيف - أي شويته، فهو مصليٌّ. فأما إذا أحرقتة وألقيته في النار، قلت: صليتته - بالتشديد - وأصليتته، انظر: النهاية في غريب الحديث، ٥٠ / ٣.
(٥) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الديات، باب فيمن سقى رجلاً سماً أو أكل منه فمات أيقاد منه؟ ١٧٤ / ٤. وحكم الألباني بضعف سننه، وصححه في مشكاة المصابيح ١٦٦٧ / ٣.

تكن متضمنة لمنكر، أو مضرة بالبدن، وإنما قبوله ﷺ لها - أي الشاة المسمومة - مضمون على عدم علمه بكونها مسمومة، ثم علم ذلك بعد ما لفظها، فكف وأمر بالكف.

وقد أجاب ﷺ دعوة يهودي إلى خبز وإهالة سنخة (١).

وقد استفاض أيضاً أن أصحاب رسول الله ﷺ لما فتحوا الشام والعراق ومصر كانوا يأكلون من ذبائح أهل الكتاب اليهود والنصارى (٢).

كما ثبت واستفاض أن النبي ﷺ قبل هدايا من أهل الكتاب، وأهدى إليهم، فقد أعطى ملك أيلة بردة مع كتابه الذي كتب لهم، وأهدى صاحب أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء، قال أبو حميد الساعدي رحمته الله: «غزونا مع النبي ﷺ تبوك وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء، وكساه برداً، وكتب له ببحرهم» (٣).

والمقصد الدعوي في قبول النبي ﷺ هدية يوحنا بن رؤبة، ثم إعطاؤه برداً،

(١) إهالة سنخة: أي شحم متغير الرائحة من طول الزمن، انظر: النهاية في غريب الحديث ٤٠٨ / ٢ ونص الحديث في صحيح البخاري، كتاب البيوع، باب شراء النبي ﷺ بالنسيئة، من رواية أنس بن مالك رضي الله عنه: (مشى إلى النبي ﷺ بخبز شعير، وإهالة سنخة) ٥٧ / ٣.

(٢) مجموع الفتاوى ابن تيمية ٢١٨ / ٣٥.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الخمس، باب إذا وادع الإمام أهل القرية ٩٧ / ٤. وكتاب الزكاة، باب في حرص التمر ١٢٥ / ٢، ومسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب في معجزات النبي ﷺ، ١٧٨٣ / ٤.

قال بدر الدين العيني - رحمته الله -: اعلم أنه كانت له ﷺ، ست بغال: بغلة شهباء: يقال لها الدلدل، أهداها له المقوقس، وبغلة يقال لها فضة، أهداها له فروة بن عمرو الجذامي، فوهبها لأبي بكر رضي الله عنه، وبغلة بعثها صاحب دومة الجندل، وبغلة أهداها له ابن العلماء ملك أيلة، ويقال لها: إيليه، وقال مسلم: كانت بيضاء، وبغلة أهداها له النجاشي، وبغلة أهداها له كسرى، ولا يثبت ذلك، ولم يكن فيها بيضاء، إلا الأيلية، انظر: عمدة القاري شرح صحيح البخاري ٣٠ / ١٤.

تأصيلٌ لتبادل الهدايا بين المتزاورين عامّة، وبين الرؤساء خاصّة، ولو كانوا مختلفي الدين، وما ذلك إلا للتأنيس، والتّقريب، والتّفاهم، والتّعاون على المشترك من الفضائل الإنسانية.

كما يستنبط منه من الفقه والمقصد الدعوي:

- أن من وسائل الدعوة قبول هدية المشرك تأليفاً له؛ لأن النبي ﷺ قبل الشاة المصلية التي أهدتها له اليهود، كما قبل الهدية من ملك أيلة وأهدى له برده.

- إباحة طعام أهل الكتاب دون غيرهم، والأصل في ذلك كتاب الله وسنة رسوله ﷺ القولية والفعلية، وقد ذكر الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ -: أن من فوائد الأحاديث الواردة في ذلك: " بيان جواز الأكل من طعام أهل الكتاب وقبول هديتهم " (١).

- سماحة الإسلام مع غيره من أهل الأديان السماوية، فقد أباح الأكل من طعامهم، والزواج منهم دون غيرهم من الأمم ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾ [البقرة: ٢٢١].

ولكن يتأكد على الدّاعية أن يأخذ حذرهِ من المشركين كافة؛ لأن الله عز وجل قد بين أن اليهود والنصارى لا يرضون حتى تُتَّبَع ملتهم (٢).

(١) فتح الباري لابن حجر ٧ / ٤٩٨.

(٢) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري لسعيد القحطاني ١ / ١٠٣١.

المبحث الثالث:

المقاصد الدعوية المتعلقة بالسلوك والأخلاق^(١) في الصلح النبوي.

إن الدين الإسلامي هو الدين الكامل الذي ارتضاه الله للناس، والنعمة التامة، التي أعطاها الله للأمة المحمدية، والشرعة والمنهاج لأمة الوسط، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

والشريعة الإسلامية، شريعة خالدة باقية متفردة في جميع مجالاتها، ومن تمامها أنها ارتبطت في جل أحكامها بالأخلاق الفاضلة، والآداب السامية، فلا تكاد تجد حكمًا واحدًا لا تظهر له علاقة جلية بخلق كريم، فإن كان حكمًا اعتقاديًا، فإن الإذعان له يكون بدافع من قاعدة أخلاقية جذرية، هي حب الحق وإيثاره، وإن كان حكمًا تعبديًا، فإن موجه طاعة من يستحق الطاعة، وتلكم أخلاق كريمة لا تخفى، وأما أحكام المعاملات فتدور رحاها على قواعد أخلاقية أصيلة لا تقبل الجدل والنقاش، كإقامة الحق، وتحقيق العدل^(٢).

إذا تقرر ذلك: فإن التحلي بالأخلاق والتجمل بها، واجب على كل مسلم ومسلمة، سواء أكان داعية أم غيره، إذ إن تهذيب الأخلاق، وتزكية النفوس من مقاصد البعثة المحمدية، التي أكرم الله بها الإنسان في الأرض كلها، قال تعالى:

(١) الخلق في اللغة: بضم اللام وسكونها: هو الدين والطبع والسجية، لسان العرب ١٠ / ٨٦.

وفي الاصطلاح: قال الجرجاني: هي عبارة عن هيئة للنفس راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر من غير حاجة إلى فكر وروية، فإن كانت الهيئة بحيث تصدر عنها الأفعال الجميلة عقلاً وشرعاً بسهولة، سميت الهيئة: خلقاً حسناً، وإن كان الصادر منها الأفعال القبيحة، سميت الهيئة: خلقاً سيئاً. انظر: التعريفات للجرجاني، ص: ١٠١.

(٢) انظر: أخلاق الحروب الإسلامية في سيرة خير البرية، إيهاب كمال ص: ١٩.

﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لِنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴾ [الجمعة: ٢].

وبما أن الرسالة المحمدية رسالة عالمية وشاملة، فقد بلغ ﷺ رسالة ربه إلى كل من أممي الدعوة والإجابة، وعايش المشركين في مكة، وأهل الكتاب في المدينة النبوية وما جاورها، ودعاهم بخلقه الكريم قبل دعوتهم بقوله، دعاهم بحاله، قبل دعوتهم بمقاله، فهم الذين يقبونه بالأمين، لما عرف منه صدق الحديث وكرم المحتد والمنبع، وقال عنه عبد الله بن سلام^(١)، قال: (لما قدم المدينة وانجفل^(٢) الناس إليه، وقيل: قدم رسول الله ﷺ، فجئت في الناس لأنظر إليه، فلما استبنت^(٣) وجه رسول الله ﷺ عرفت أن وجهه ليس بوجه كذاب...)^(٤).

ولم يكن من العجب أن تحقق تلك العلاقة الأخلاقية في علاقة النبي ﷺ بغير المسلمين، فقد قدم - عليه الصلاة والسلام - البراهين الثابتة، والحجج البيّنة، والدلائل الواضحة، على تمام الشريعة الإسلامية علمياً وعملياً، وما يصدر عنها من خلقٍ كريم، شهد به كل من له أدنى نصيب من الإنصاف.

وفيما يلي: إظهاراً لعناية النبي ﷺ بموضوع الأخلاق والسلوك في الدعوة إلى الله، وخاصة في ضوء مصالحته مع المشركين وأهل الكتاب، وذلك في المطالب الآتية:

(١) هو: عبد الله ابن سلام - بالتخفيف - بن الحارث الإسرائيلي ثم الأنصاري، أبو يوسف، من بني قينقاع، حليف بني الخزرج، قيل: كان اسمه في الجاهلية الحصين فسماه النبي ﷺ، حين أسلم عبد الله، وكان إسلامه لما قدم النبي ﷺ المدينة مهاجراً، مشهور، له أحاديث وفضل مات بالمدينة سنة (٤٣هـ). انظر: أسد الغابة ٣ / ٢٦٥.

(٢) انجفل الناس إليه: أي ذهبوا مسرعين نحوه، انظر: النهاية في غريب الحديث ١ / ٢٧٩.

(٣) استبنت: يُقال: استبنت الشيء، إذا تأملته حتى تبين لك، انظر: تهذيب اللغة ١٥ / ٣٥٦.

(٤) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله ﷺ ٤ / ٦١١.

وقال الألباني: صحيح.

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالأخلاق في ضوء صلحه صلى الله

عليه وسلم مع المشركين.

إن علاقة النبي ﷺ بالمشركين علاقة قديمة، فقد ولد في مكة بين قوم يعبدون الأصنام، ويتخذونها من دون الله أنداداً، فنشأ بينهم بحفظ الله ورعايته، فصانه الله عن جاهليتهم، فلم يسجد لصنم قط، إلى أن أكرمه الله بالرسالة لينقذ العباد من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد، فدعاهم إلى وحدانية الله وحده، ولكنهم عادوه، وأظهروا له ولأصحابه البغضاء والشحناء، فهاجر هو وأصحابه إلى المدينة واستقروا فيها، ولم يمنعهم ذلك من دعوتهم إلى دين الله، أو قطع العلاقة بهم.

ولما رأى ﷺ تماديهم على عداء الإسلام، والمكر والكيد له مع أهل الكتاب، عقد معهم مصالحتات ومعاهدات توقف الحرب بين الفريقين، وفيما يلي نبذة عن الأخلاق النبوية التي تخلق بها في أثناء المصالحتات مع المشركين، أو بعدها.

أولاً: الحلم.

لقد كان للحلم نصيبٌ وافراً في ضوء مصالحت النبي ﷺ مع المشركين، فكم كان ﷺ حليماً مع قريش أو غطفان، وكيف واجه جهالاتهم بحلمٍ ورحمةٍ، وقابل سفاهتهم برأفةٍ وحكمةٍ، فلم يدفعه ﷺ الموقف المتعنت منهم إلى مُناجرتهم بالسلاح، ولو لا حلمه -عليه السلام- لما انتهت واقعة الحديبية أو غزوة الأحزاب إلا ببحرٍ من الدماء، وقد كان ﷺ في صلح الحديبية قادراً على إنزالِ بأسه عليهم، وتلقينهم دروساً قاسيةً لن ينسوها، وهو القائل: (إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكننا جئنا معتمرين، وإن قريشا قد نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شاءوا ماددتهم^(١) مدّة، ويخلوا بيني وبين الناس، فإن أظهر: فإن شاءوا أن يدخلوا فيما

(١) ماددتهم: أي جعلت بيني وبينهم مدة يترك الحرب بيننا وبينهم فيها، انظر: فتح الباري لابن

دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جموا، وإن هم أبوا، فوالذي نفسي بيده لأقاتلنهم على أمري هذا حتى تنفرد سالفتي، ولينفذن الله أمره^(١).

فقوله: (لأقاتلنهم حتى تنفرد سالفتي...) دليل على قدرته على قتالهم، ولكن حلمه ﷺ يسبق غضبه، فصالحهم على عدم الحرب.

ومن مظاهر حلمه ﷺ في مصالحة المشركين.

- تحمله لجهالة رسل قريش، ومنهم عروة بن مسعود الذي جاء بكلام وأفعال استفزازية، حيث استخف بأصحاب رسول الله ﷺ، واتهمهم بالجبن، وبأنهم سينكشفون عنه، فقال: (فإني والله لأرى وجوها، وإني لأرى أوشابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك ثم جعل يتناول لحية رسول الله ﷺ وهو يكلمه، ولكن المغيرة بن شعبة، كان يرد يده متوعدا ورسول الله ﷺ الحليم يتسم)^(٢).

ومن العناية بموضوع الدعوة في الأخلاق الفاضلة، إعطاء الخصم فرصة للتعبير عن ما يكن في خاطره، ويجول في صدره من دون مقاطعة أو إغاظه، أو تحقير لما يقوله، كما فعل النبي ﷺ برسل قريش، فقد استمع إليهم جميعاً، وأبدوا ما يجول في خواطرهم، وما تكنه صدورهم من غلٍّ وحقْدٍ، أو تعظيمٍ لحرمان الله تعالى.

- حسن تعامله ﷺ وحنكته في اتخاذ القرار المناسب، في الوقت المناسب مع رؤساء قبيلة غطفان، حيث بادروهم بالصلح على ثلث ثمار المدينة، حين رأى أنهم تكالبوا مع الأعداء لحرب أهل المدينة، فحلمه وبعُد نظره ﷺ دعاه إلى تجنب الحرب معهم ابتداءً.

وعلى هذا فيجب على الداعية إلى الله أن يكون قدوته وأسوته سيّد الدعاة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٣ / ١٩٣.

(٢) جزء من حديث البخاري السابق، المصدر السابق نفسه ٣ / ١٩٤.

وأحلمهم النبي الكريم ﷺ، فيتصف بالحلْم تأثيراً واستمالةً لقلوب المدعوين، فينجح في دعوتهم، كما عليه أن يجسّد ذلك في دعوته، فيكون واقعه وسلوكه ترجمة لما في ضميره من الأخلاق الحميدة، ويسعى جاهداً لتوجيه الناس بهذا الخلق العظيم، فهو ما كان في شيء إلا زانه، ولا نزع من شيء إلا شانه^(١).

كما أنّ من فقه الدعوة ومقصده العظيم، تقرير منهج المسامحة واجتناب الإساءة إلى المدعوين، لا سيّما إذا كانوا ذو قرابةٍ وحقوقٍ.

ثانياً: إيثار^(٢) الحق ورد الباطل، ومجبة الخير للغير.

إيثار الحق وردّ الباطل قاعدةٌ أخلاقيةٌ كليةٌ ينبثق عنها جملة من الأخلاق الجزئية كالعدل والأمانة والوفاء وغيرها.

كما أنّ الانحراف عن هذا الأصل الخلقيّ العام يفضي إلى السقوط في رذائل خلقية متعددة، كالكذب، والظلم والغدر، ونحوها^(٣).

ومن المواقف التي تُبرز حرص النبي ﷺ على إيثار الحقّ وردّ الباطل في ضوء صلحه مع المشركين.

- تغيير طريقه إلى مكة مفاداةً لخيالة قريش، حتّى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت به راحلته، فقال الناس: حلّ حلّ فألحت، فقالوا: خلأت

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب فضل الرفق ٤ / ٢٠٠٤. من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها.

(٢) قال القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ - الإيثار: هو تقديم الغير على النفس وحفظها الدنيوية، ورغبة في الحظوظ الدنيوية، وذلك ينشأ عن قوة اليقين، وتوكيد المحبة، والصبر على المشقة، انظر: الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي ١٨ / ٢٦.

(٣) الأخلاق الإسلامية وأسسها لحبنة الميداني ١ / ٥١٩.

القصواء، خلأت القصواء، فقال النبي ﷺ: «ما خلأت القصواء، وما ذاك لها بخلق، ولكن حبسها حابس الفيل» ثم قال: «والذي نفسي بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتهم إياها»^(١).

فرسول الله ﷺ يعلن قبوله لأيّ خطة فيها تعظيم لحرمان الله تعالى، أو فيها صلة رحم، كما في الرواية الأخرى، كما يفهم منه أيضا التنزل بمنزلة الخصم، فلا شك أن رسول الله ﷺ يعرف أنه على الحق، وأنهم على الباطل، ولكنه قبل اقتراحهم على الرجوع إلى المدينة، والعودة في السنة القابلة.

وَمِنَ اللَّطَائِفِ الْأَخْلَاقِيَّةِ السَّامِيَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا الْعَلَامَةُ ابْنُ الْقَيْمِ - رَحِمَهُ اللَّهُ - فِي هَذَا الْمَوْقِفِ، قَالَ: مِنْهَا:

ردّ الكلام الباطل، ولو نسب إلى غير مكلف، فإنهم لما قالوا: خلأت القصواء. يعني حرنت وألحت فلم تسر، والخلاء في الإبل بكسر الخاء والمد، نظير الحران في الخيل، فلما نسبوا إلى الناقة ما ليس من خلقها وطبعها رده عليهم، وقال: «ما خلأت وما ذاك لها بخلق» ثم أخبر ﷺ عن سبب بروكها، وأن الذي حبس الفيل عن مكة حبسها، للحكمة العظيمة التي ظهرت بسبب حبسها وما جرى بعده^(٢).

فما أعظم هذا الدّين الذي يحفظ الحقوق ولو لغير المكلفين، والعجماوات، ويؤثر الحق حيث كان، ويرد الباطل أيّاً كان مصدره.

كما كان ﷺ أشدّ ما يكون حريصاً على عدم قتال قريش طمعا في إسلامهم واستفادة الدّعوة منهم.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط ٣ / ١٩٣. من حديث المسور بن مخرمة رضى الله عنه، ومروان الطويل.

(٢) زاد المعاد لابن القيم ٣ / ٢٦٨.

يقول الدكتور: أكرم العمري، وكان رسول الله ﷺ يحرص على الاستبقاء على حياة قريش، ويأمل في إسلامهم وإفادتهم الدعوة منهم، فالناس معادن، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا، وقريش أكثر العرب فصاحة وذكاء وخبرة ومكانة، واستبقاؤها للإسلام فيه خير عظيم للدولة والدعوة كما برهنت الأيام، وما هو الرسول ﷺ يتحسّر لعناد قريش وفنائها في الحرب مع المسلمين: (يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر الناس، فإن أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وهم وافرون، وإن لم يفعلوا، قاتلوا وبهم قوة، فماذا تظنّ قريش، والله إني لا أزال أجاهدكم على الذي بعثني الله له حتى يظهره الله له أو تنفرد هذه السالفة)^(١).

من أجل ذلك تجنّب النبي ﷺ القتال مع خيالة قريش بقيادة خالد بن الوليد، وحرص على استقبال رسل قريش، وإرسال الرسل إليها، ليؤكد على رغبته في السلم وأنه لم يعزم على الحرب، كما عفا عن الأسرى الذين تمّ القبض عليهم من قريش.

فالفقه والمقصد الدعوي المستفاد من هذا الخلق:

أولاً: أهمية الحرص على كسب الثواب العظيم الذي أعدّه الله للمتقين المؤثرين غيرهم على أنفسهم، والحبّ الصادق النابع من القلب هو الذي يدفع على الإيثار، مع الأخذ بعين الاعتبار الموالاة والمعاداة، فحب الرسول ﷺ هداية قريش، ودخولهم في الإسلام، جعله يؤثر عدم التصادم معهم في هذه المعركة ومصالحتهم، من أجل تمكين

(١) انظر: السيرة النبوية لأكرم العمري ٤٣٨/٢، والحديث في مسند أحمد ٣١ / ٢١٢. وهو صحيح وهو جزء من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم الذي رواه البخاري، وأحمد، وابن إسحاق بألفاظ مختلفة، مع الزيادة والتقديم والتأخير في بعضها. انظر: تخرّيج أحاديث وآثار كتاب في ظلال القرآن، ص: ٣٨٩. ومرويات غزوة الحديبية للحكمي، ص: ٥٦ و ٥٧.

خلق الحبّ والوفاء، في قلوبهم فيدخلوا في دين الله.

ثانياً: ومن فقه الدعوة إلى الله تعالى دفاع الدّاعية عن الحقّ، والوقوف أمام الباطل، ولو كان ذلك موجّهاً إلى غير العاقل.

ثالثاً: مراعاة قاعدة: (درء المفسد مقدم على جلب المصلح) ولا شكّ أنّ إثارة النبي ﷺ الصّلح، وعدم القتال مع المشركين في الحديبية ومع قبيلة غطفان، أعظم دليل على ذلك، فقد أحب لهم الخير- وهو الدخول في الإسلام- وأكد على ذلك عملياً، فصالح أهل مكة، وهمّ بمصالحة غطفان، درءاً لمفسدة القتال وجلباً لمصلحة الدخول في الإسلام، وحفظاً للأنفس البريئة، وقد تحقّق ذلك بسبب إثارة الخير على الشرّ، ولو مع العدو.

فعلى الدّاعية إلى الله الاهتمام ببيان الأخلاق الفاضلة، الدّاعية إلى استمالة قلوب غير المسلمين إلى الإسلام، بعيداً عن المداهنة والموالاتة المنهي عنها، وله في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة في ذلك.



المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بالأخلاق في ضوء صلحه صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب.

إن الدين الإسلامي دين الحلم والسلم، يدعو إلى الحفاظ على العلاقات الإنسانية بحسن المعاملة، ورفقي التعامل، وجميل الأخلاق والسلوك قال تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوْدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٧) لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ (٨) إِنَّمَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا بِعَدَاوَتِكُمْ أَنْ تَتَوَلَّوهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿[الممتحنة: ٧ - ٩].

وكان ﷺ يسعى في صلة غير المسلمين، فيعود مريضهم، ويقوم لموتاهم، ويتفقد أحوالهم، ويفرح لهدايتهم، وحصول الخير لهم، كل ذلك نابغ عن كريم خلقه، ورفقة قلبه، وفيض رحمته، فشهدوا له ذلك وإن لم يؤمنوا به، بل كان يحث أصحابه على ذلك، لأنه من أخلاق القرآن الكريم، فنهى عن ظلمهم وتكليفهم فوق طاقتهم، «ألا من ظلم معاهدا، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته، أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس، فأنا حجيجه يوم القيامة»^(١).

وإن الناظر المستقرئ لسيرة النبي ﷺ العطرة، المستظهر للآيات القرآنية والأحاديث النبوية الصحيحة، الواردة في علاقة النبي ﷺ مع أهل الكتاب - وخاصة في حالة السلم، أثناء المصالحات والمعاهدات - ليرى حلمه ووفاءه وشجاعته العقلية القلبية، وحسن تعامله معهم، كل ذلك نابغ عن خلق القرآن الكريم، التي اتصف بها، وفيما يلي نبذة عن تلك الأخلاق الواردة أثناء المعاهدات والمصالحات النبوية ومقصدها الدعوي.

(١) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب الخراج والإمارة والفيء، باب في تعشير أهل الذمة إذا اختلفوا بالتجارات، ٣ / ١٧١. عن صفوان بن سليم عن عدة من أبناء الصحابة عن آبائهم، و صححه الألباني في صحيح الجامع ١ / ٥١٨.

أولاً: خلق التواضع.

كان التواضع سجيّة دائمة لرسول الله ﷺ لا في حال الحرب والنصر فقط، بل في كلّ أحواله، فكان يجلس على الأرض، ويأكل على الأرض، ويحلب الشاة، ويحلب دعوة الحرّ والعبد، والمسلم والكافر، ولو على ذراعٍ أو كراعٍ، أو إهالةٍ، وكان يجلس بين ظهراي أصحابه، فيجئ الغريب فلا يدري أيهم حتى يسأل، وكان ﷺ يقول: «وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزّاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله» (١).

والتواضع على ضربين:

- تواضعٌ لله: وهو الانقياد التام لأوامره ونواهيه، وقد كان ﷺ أكثر الناس امتثالاً بذلك، فما أخشاه وأتقاه لربه ﷻ.

- وتواضعٌ للناس: وهو عدم التعالي والتكبر والتفاخر على الغير، وهو ما كان عليه الصلاة والسلام، فهو المثل الأعلى في التواضع مع الناس، مسلمهم وكافرهم، صغيرهم وكبيرهم، ذكرهم وأنثاهم، دون موالاته ولا مداهنته.

ومن تواضعه أنه ﷺ لم يكن يستأثر لنفسه بشيءٍ من الطعام أو الشراب دون أصحابه، فكان يأكل مما يأكلون ويشرب مما يشربون، وتواضعه مع غير المسلمين من أهل الكتاب أكثر من أن يحصى، ومنها على سبيل المثال:

ما حدث بينه وبين أكيدر صاحب دومة الجندل، أن أكيدراً لما قدم به خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى النبي ﷺ سجد للنبي ﷺ فأوماً له بيده: لا، لا. مرّتين وصالحه على الجزية، وحقن دمه ودم أخيه، وخلّى سبيلهما.

كما فعل ذلك أيضاً مع - ابن العلماء - يوحنا بن رؤبة، فعندما أتى إلى النبي ﷺ لمصالحته كفر وأوماً برأسه، أي: سجوداً وتقديراً للنبي ﷺ، فأشار إليه النبي ﷺ أن

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: البر، باب: استحباب العفو والتواضع ٤ / ٢٠٠١.

ارفع رأسك، وصالحه وكساه برداً بيانياً، وأمر له بمنزل عند بلال^(١). فتواضعه ﷺ وعلمه بأنه لا يجُلُّ لمخلوقٍ أن يسجد لآخر، وإن كان هذا الفعل معروفاً وسائداً عند النصارى لأساقفتهم ورهبانهم وكبرائهم، إلا أن النبي ﷺ منعها من ذلك، وأنه لا يجُلُّ السجود إلا لله تعالى، وقبل ﷺ منها الهدية المكونة من بردٍ و كسوة ثوب حرير، فأعطاه النبي ﷺ علياً^(٢) وقال: «شققه حُمراً بين الفواطم^(٣)».

ويستخلص مما سبق من الفقه والمقصد الدعوي:

أولاً: أن التواضع من خير الخلال، وأحب الخصال الحميدة إلى الله تعالى وإلى الناس، وهو موجبٌ للرفعة، وباعثٌ على التآلف، ومحققٌ للمودة والمحبة، وقد أمر الله تعالى نبيه بالتواضع فقال: ﴿وَخَفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٨].

ثانياً: أنه بقدر تواضع الداعية يجد احترام المدعويين ومحبتهم له وتقبلهم لدعوته، ويظهر ذلك جلياً في قصة أكيدر ويوحنا رؤبة، فقد قيل بإسلامهما. ثالثاً: أهمية تبرير الداعية لما يحدث لدى المدعويين من أخطاء وزلات مع التأكيد للمدعويين بعدم إخفاء شيء من البلاغ والنصح لهم، متمثلاً بقول الله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَفَقَضْنَا الْقَلْبَ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

أي يكون ذلك بتواضعٍ وحبٍّ الخير للغير، وقد أنكر المصطفى ﷺ على أكيدر ويوحنا

(١) انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ٢٢١.

(٢) قال محمد فؤاد عبد الباقي - رَحِمَهُ اللهُ - في التعليق على الحديث المذكور في صحيح مسلم في كتاب اللباس والزينة ٣ / ١٦٤٥. قال الهروي والأزهري والجمهور: إتهن ثلاث: فاطمة بنت رسول الله ﷺ، وفاطمة بنت أسد، وهي أم علي بن أبي طالب ﷺ، وهي أول هاشمية ولدت لهاشمي، وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب اللباس والزينة، باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال والنساء... ٣ / ١٦٤٥.

وغيرهما من عظماء أهل الكتاب ما يصدر منهم من مخالفات عقديّة، بحكمة ومراعاة لحالهم ومكانتهم عند قومهم، دون جرحٍ لمشاعرهم، بتواضع ولين جانب منه ﷺ.

كما ينبغي على الدّاعية، أن يكون قدوته وأسوته في ذلك، النبي ﷺ، الذي بخلقه، وحلمه، استقطب ثلّة من أهل الكتاب إلى الإسلام.

ثانياً: خلق الرحمة والشفقة.

تعتبر الرحمة من الأخلاق الضرورية للداعي، وهي أن يكون ذا قلب ينبض بالشفقة على الناس، وإرادة الخير لهم، والنصح لهم، وتتمثل هذه الشفقة والرحمة في دعوتهم إلى الإسلام، لأن في هذه الدعوة نجاتهم من النار، وفوزهم برضوان الله، وأن يُحِبَّ لهم ما يحبُّ لنفسه، وأعظم ما يجب لنفسه، هو الإيثار بالله تعالى.

ولا شك أن الدّاعية بدعوته إنما يسعى لتخليص الناس من الهلاك، ولذلك نجد أن الرّحمة جعلت من صفات النبي ﷺ قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]^(١).

وفي السّنة النبوية ما رواه الإمام مسلم رَحِمَهُ اللهُ، عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «إنما مثلي ومثل أمي كمثل رجل استوقد ناراً، فجعلت الدّواب والفراس يقعن فيه، فأنا أخذ بحجزكم^(٢) وأنتم تقحمون فيه»^(٣).

وفي هذا الحديث: المثل الذي ضربه النبي ﷺ لنفسه مع أمته لنرى منه مدى

(١) انظر: أصول الدّعوة للزيدان: ص: ٣٥٧.

(٢) الحجزة، بالضم: معقد الإزار من الإنسان، انظر: تاج العروس للزبيدي ١٥ / ٩٤.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته ومبالغته في تحذيرهم مما يضرهم. ٤ / ١٧٨٩.

شفقته على أمته، كذلك كان الأنبياء رحماء بمن أرسلوا إليهم، مشفقون عليهم من العذاب، قال تعالى حكاية عن نوح عليه السلام ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنِّ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الأعراف: ٥٩].
ورسولنا ﷺ لم يحد رحمته وشفقته بالمسلمين فقط، بل تعداهم إلى غيرهم، ومن شدة همّه وغمّه بعدم إسلام قومه، أنزل الله عليه قوله تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَكُونُ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ٣].

وفرحتّه وابتهاجه ﷺ بإسلام الغلام اليهودي في آخر حياته مشهورة، كل ذلك رحمةً وشفقةً عليهم من عذاب الله تعالى.

ومن رحمته ﷺ بأعدائه - غير المسلمين - ما تمثل في عفوه وعدم إجلاء بني النضير وبني قريظة الذين عاهدهم قبيل قدومه المدينة، بذنب بني قينقاع، حين نقضوا العهد ونكثوا اليمين، وحاربوا الرسول ﷺ، بل عفا عنهم رحمة بهم ولم يجلبهم إلى الصحراء إلا بعد ما نقضوا العهد.

ولما استسلم يهود خيبر، في نهاية المعركة، صالحهم ﷺ وأعطاهم الأرض، يعملوا فيها ويزرعوها، وهُم شطُرُ ما يخرج منها^(١) وكذلك يهود تيبه وفدك، ووادي القرى.

وفي هذه المصالحة - بهذا الشكل - رحمة وعتق كبيرين بأهل خيبر وما جاورها من القرى المتحالفة، فهم في الحقيقة يستحقون الإعدام! لأنهم قد خانوا النبي ﷺ، وغدروا وتحالفوا مع مشركي قريش سرًّا، وأصبحت قيادات خيبر والفصائل اليهودية الأخرى عملاء وجواسيس لمشركي مكة وغطفان. كل هذا إلى جانب أنهم السبب الرئيسي في تحزيب جيوش الأحزاب، من كل حدبٍ وصوبٍ لقتال المسلمين في المدينة.

ولما أقدمت امرأةٌ منهم على محاولة اغتيال النبي ﷺ، حيث أهدت لرَسُولِ

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد، محمد بن يوسف الصالحى ٥٢/٥.

الله ﷺ شاة فيها سُمٌّ^(١)، وتُوْفِّي إثر هذه المحاولة الفاشلة أحد الصحابة - بشر بن البراء^(٢) رضي الله عنه، ولكن الرسول الله ﷺ لم ينقلب على أهل خيبر، وقتلهم شر قتلة، لغدر هذه المرأة، وإنما أثبت الصلح وأقر العهد رحمةً وشفقةً بهم.

ولقائل أن يقول أن الله تعالى وصف نبيه ﷺ بأنه رحيم بالمؤمنين شديد على الكفار والمعرضين عن الدعوة كما في قوله تعالى: ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾ [الفتح: ٢٩] فإن كان رحيماً رحمةً عامةً فلماذا ذكر الشدة في سياق الحديث عن الرحمة في الآية المذكورة؟

والجواب على ذلك: أن الإسلام دين يوصي بالرحمة العامة لا يستثني فيها إنساناً ولا دابة ولا طيراً ولا غيرها، والنصوص في ذلك مشهورة ومعروفة، وهي شاملة وعامة، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

بيد أن هناك من الناس والدواب من يكون مصدر خطر على غيره ومثار رعب وفزع، فيكون من رعاية الإسلام للمصالح العامة للجماعة كلها، أن يجبس شر ذلك الضار، ويحاصر ضرره، رحمةً بغيره من الاعتداء عليهم، وقد تكون الشدة معه رحمةً وتقويماً لعوجه^(٣) كما أن كل من وقف أمام الدعوة إلى الله وصدّها عن الوصول إلى خلق الله ضار، صاد للخير عن الناس، فيتخذ معه الشدة لكسر حدّته على المدعويين رحمةً وشفقةً بالناس أجمعين.

(١) انظر: جوامع السيرة ابن حزم ١ / ٢٠٩.

(٢) هو: بشر بن البراء بن معرور الأنصاري الخزرجي، شهد العقبة وبدراً وأحدًا والخندق، ومات بخيبر حين افتتاحها سنة سبع من الهجرة من تلك الأكلة التي أكلها مع الرسول ﷺ، قيل: إنه لم يبرح من مكانه حين أكل منها حتى مات. انظر: الإصابة ١ / ٤٢٦، وأسد الغابة لابن الأثير، ١ / ٣٨٠.

(٣) انظر للاستزادة: خلق المسلم للغزالي ص: ٢١٢.

ويستنبط مما سبق من الفقه والمقصد الدعوي:

أولاً: أن الرحمة من الصفات العظيمة التي ينبغي لكل مسلم أن يتصف بها، وأولى الناس بهذه الصفة الداعية إلى الله عز وجل، وقد ظهرت هذه الصفة في جميع معاملات النبي ﷺ وهو الذي قال الله تعالى فيه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

وقال عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فينبغي العناية بذلك، ورحمة المدعويين والشفقة عليهم.

ثانياً: وجوب حرص الداعية إلى الله على هداية الناس، رافةً وشفقةً بهم من عذاب الله، وقد كان النبي ﷺ ينصح غاية النصح ويرشد لما فيه الخير في الدنيا والآخرة، ودلت معاملته مع أعدائه رحمته وشفقته عليهم، فلفظ بهم رجاء إسلامهم واهتدائهم إلى السبيل القويم، فمدحه الله وأثنى عليه، وأكرمه بقوله: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

قال ابن كثير - رَحِمَهُ اللَّهُ -: يخبر تعالى أنه جعل محمداً ﷺ رحمة للعالمين، أي: أرسله رحمة لهم كلهم، فمن قبل هذه الرحمة وشكر هذه النعمة، سعد في الدنيا والآخرة، ومن ردها وجحدها خسر في الدنيا والآخرة (١).

ولما قيل له ﷺ ادع على المشركين قال: «إني لم أبعث لعانا، وإنما بعثت رحمة» (٢)

فعلى الدعاة إلى الله الحرص على هداية الناس، كما كان رسول الله ﷺ، وكما وصفه ربه عز وجل.

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٥ / ٣٨٥.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة، باب النهي عن لعن الدواب... ٤ / ٢٠٠٤.

المبحث الرابع:

أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في موضوع الدعوة إلى الله في العصر الحاضر.

إنّ موضوع الدعوة إلى الله تعالى، تعني الدعوة إلى الإسلام بمعناه الشّامل، لجميع نواحي الحياة، فهو دعوة إلى العقيدة بأنواعه، والشريعة بأصوله وفروعه، والأخلاق بمجالاته، إذا هو دعوة إلى الحياة كلّها، والمقصد الأسنى من ذلك كلّه، هو تعبيد النّاس لربّ العالمين، وتزكية نفوسهم وتطهيرها من أدران الشّرك والإلحاد، ومن بدع الاعتقادات والعبادات، ومن مساوئ الأخلاق ورذائلها. وفي المطلبين التاليين محاولة لإبراز مدى استفادة الدّاعية والمدعو المعاصر من فقه الدّعوة ومقاصدها في موضوع الدّعوة إلى الله في ضوء المصالحات النبوية مع غير المسلمين.

المطلب الأول: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في موضوع الدعوة إلى الله في العصر الحاضر، في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين.

أولاً: في مجال العقيدة:

العقيدة الإسلامية هي التي بعث الله بها رسله، وأنزل بها كتبه، وأوجبها على جميع خلقه - الجن والإنس - كما قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والتأمل في سيرة النبي ﷺ يلحظ أن العقيدة الإسلامية من الأساسيات التي ركزت عليها الدعوة الإسلامية في ضوء المصالحات النبوية مع المشركين، ومن أهمها ما يلي:

أولاً: يستفيد الداعية إلى الله المعاصر، في موضوع الدعوة، التأكيد للمدعوين على أن الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي في الدخول في الإسلام، والربوبية مستلزم للألوهية، وقد جرت طريقة القرآن الكريم على سوق آيات الربوبية ثم الانتقال منها إلى الدعوة لتوحيد الألوهية، فيجعل توحيد الربوبية برهاناً واضحاً على وجوب إفراده سبحانه بالإلهية، وفي ضوء المصالحة النبوية مع المشركين يوم الحديبية، فقد جاءت رسل قريش إلى النبي ﷺ تترى للمفاوضة في بنود الصلح، وكلهم كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، يحلفون بالله رباً وخالقاً، ومدبراً، ولم يدخلهم ذلك في الإسلام.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمته الله-: (أما توحيد الربوبية فقد أقر به المشركون، وكانوا يعبدون مع الله غيره، ويحبونهم كما يحبونه، فكان توحيد الربوبية حجة عليهم، فإذا كان الله هو خالق كل شيءٍ وربّه ومليكه، فلماذا يعبدون غيره؟) (١).

كما يستفيد المدعو المعاصر لمعرفة حقيقة هذا الأمر، لا سيما في وقت كثير فيه

(١) مجموع الفتاوى، لابن تيمية ١٤ / ٣٨٠.

الشرك، وانتشرت الوسائل والأسباب المؤدية إليه.

ثانياً: وما يستفيد منه الداعية المعاصر، التصدي للوسائل المفضية إلى الشرك بنوعيه الأكبر والأصغر، ومن ذلك الاستسقاء بالأنواء، فقد وقف النبي ﷺ سداً منيعاً في صلح الحديبية، محذراً من وقوع الصحابة في هذا الشرك الذي قد يخفى على كثير من الناس، وذلك بعد ما مُطِّروا، فقال: من أسند نعمة المطر إلى الله تعالى فهو مؤمنٌ موحدٌ لخالقه المستحق للعبادة، ومن أسندها إلى النوء أو النجم الفلاني، فقد أشرك مع الله تعالى.

فيستفيد الداعية من هذا الدرس لبيان أهمية العقيدة ووجوب التمسك بها، والتحذير من الشرك، وأن الأسباب المؤدية إليه كثيرة ومتنوعة، منها ما خفي، ومنها ما جلي.

قال الشوكاني - رَحِمَهُ اللهُ -: (ولا يخفى على عارف أن العلة في الحكم بالكفر هي: ما في ذلك من إيهام المشاركة)^(١). يقصد بذلك ما ورد في قوله - عليه السلام - في كفر من قال مطرنا بنوء كذا وكذا.

كما يستفيد المدعو منها لأخذ الحيلة والحذر، من الوقوع في الشرك عن غفلة منه، وذلك لدقة هذه المسائل، وضرورة الحذر منها.

ثالثاً: وما يستفيد منه الداعية في العصر الحاضر مما ورد في المصالحات النبوية مع المشركين، يوم الحديبية، معرفة فضائل النبي ﷺ، وأنه أكرم الخلق وأرفعهم قدراً عند الله تعالى، ولكن ذلك لا يخرجهم من درجة الإنسانية والعبودية، فهو عبد الله ورسوله، وقد عرف الصحابة فضله وفضائله، فتركوا به وبها يخرج من جسمه الشريف، وقد اتضح ذلك جلياً يوم الحديبية عندما جاء عروة إليه للمفاوضة فقد

(١) نقلاً عن الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد، للشوكاني ص: ٥٥، وللإستزادة من مسألة الاستسقاء بالأنواء ينظر: شروح كتاب التوحيد (باب ما جاء في الاستسقاء بالأنواء).

قال: (والله إن تنخم نخامةً إلا وقعت في كف رجلٍ منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وضوئه) أي: أنه لا يتنخم أو يبصق أو يتوضأ إلا تبادر الصحابة رضوان الله إليه للتبرك به.

ولا شك أن النبي ﷺ مبارك الذات، مبارك الصفات، مبارك الأفعال، وهذه البركة فيه ﷺ متحققة في ذاته وصفاته وأفعاله.

ولكن ليعلم الداعية المعاصر أنه لا يقاس عليه غيره مهما بلغت رتبته ومنزلته ومكانته، لذلك لم يفعله الصحابة - رضوان الله عليهم - بأفضل الخلق بعد الأنبياء والرسل، أبو بكر الصديق ﷺ ولا غيره.

يقول الإمام الشاطبي (١) - رَحِمَهُ اللهُ -: لم يقع من أحدٍ منهم شيء من ذلك - أي التبرك - بالنسبة إلى من خلفه إذ لم يترك النبي ﷺ بعده في الأمة أفضل من أبي بكر الصديق ﷺ فهو كان خليفته ولم يفعل به شيء من ذلك، ولا عمر - رضى الله عنهما - وهو كان أفضل الأمة بعده، ثم كذلك عثمان ثم علي ثم سائر الصحابة الذين لا أحد أفضل منهم في الأمة، ثم لم يثبت لواحد منهم من طريق صحيح معروف أن متبركاً تبرك به على أحد تلك الوجوه أو نحوها بل اقتصروا فيهم على الاقتداء بالأفعال والأقوال والسير التي اتبعوا فيها النبي ﷺ فهو إذاً إجماع منهم على ترك تلك الأشياء (٢).

كما يستفيد المدعو في العصر الحاضر، أن عليه إكرام الداعية وتوقيره، وإنزاله المنزلة اللائقة به، لكن لذلك حدود لا يجوز تجاوزه، كما لا يجوز التبرك به كائناً من كان مهما بلغت رتبته، وخير الهدي هدي محمد ﷺ وأصحابه.

(١) هو: إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي، الشهير بالشاطبي، أصولي، فقيه، حافظ من أهل غرناطة، كان من أئمة المالكيين، وكان له القدم الراسخ في سائر الفنون والمعارف، أحد المعارف الأثبات، له مؤلفات كثيرة، منها: الموافقات، والاعتصام، وغيرهما توفي سنة: ٧٩٠هـ انظر: الأعلام للزركلي ٣/ ١٥٢.

(٢) الاعتصام، للشاطبي (ص: ٤٨٢).

رابعاً: وما يستفيد منه الداعية في العصر الحاضر مما استنبط في مصالحة النبي ﷺ مع المشركين، تحقيق مبدأ الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراءة من المشركين، الذي يعدّ أصلاً من أصول الدين، فيوالي أولياء الله ويعادي أعداءه، وقد طبّق الصحابة هذا المبدأ تطبيقاً عملياً أثناء الصلح، فقد هرب أبو جندل من المشركين براءة منهم، بما فيه أبوه، وجاء إلى المسلمين مالياً لهم، حبا لله ورسوله، وذلك قبل الانتهاء من إبرام بنود المصالحة، ولما ردّ إليهم طبقاً لشروط الصلح، قال مشتكياً مُبدياً حبه للإسلام والمسلمين: (أي معشر المسلمين أُرِدُّ إلى المشركين وقد جئتُ مسلماً، ألا ترون ما قد لقيت؟).

كما يظهر من سرعة انضمام قبيلة خزاعة، في عهد رسول الله ﷺ، وشدة ولائهم له، بعد ذكر بند: من أحبّ أن ينضمّ إلى عقد محمد فله ذلك، ومن أراد أن ينضمّ إلى عهد قريش فله ذلك، وقد نصرهم النبي ﷺ عندما داهم بنو بكر، ونقضوا العهد. فيستفيد الداعية في العصر الحاضر في موضوع الدعوة، من هذا الولاء من المسلمين، التأكيد على أهمية الولاء والبراء في العقيدة الإسلامية، في وقت أتبع فيه المسلمون غيرهم وانتهجوا نهجهم حذو القذّة بالقذّة.

فيتعيّن على الداعية المعاصر العناية بذلك والحرص عليه، لأنّ العقيدة أصل الدين وأساسه، ولأنّ بعض الناس في هذا العصر أغفلوا هذا الجانب، ولم يكن لكثير منهم العناية بمعالجة قضية الولاء والبراء، فأصبح الناس يوالون أعداء الله، ويعادون أولياء الله، فينبغي على الداعية أن يوضح ذلك للمدعوين، ويخصّهم على الموالاة والمعاداة التي هي على ثلاثة أوجه، كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ -:

١ - من يُحِبُّ محبةً كاملة: وهذه المحبة للمؤمنين المتقين، من الأنبياء والمرسلين وعباد الله المحسنين القائمين بجميع ما أمر الله به، المبتعدين عن جميع ما نهى الله عنه.

٢ - من يُحِبُّ من وجهه ويكرهه من وجهه؛ لأنه قد يجتمع في المؤمن ولاية من وجهه

وعداوة من وجه آخر، وهذا هو المسلم الذي خلط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، فيحبُّ ويوالى على قدر ما معه من الخير، ويبغض ويعادى على قدر ما معه من الشر.

٣ - من يُبغض من كلِّ وجه: وهو من كفر بالله عزَّ وجلَّ، فيجب بُغضه بالقلب كاملاً لازماً لا نقص فيه، أما بالبدن والأعمال فعلى حسب القدرة، ومتى كانت إرادة القلب وكرهته كاملة لا نقص فيها، وفعل العبد معها بحسب قدرته فإنه يعطى ثواب الفعل الكامل إن شاء الله تعالى^(١).

ثانياً: في مجال الشريعة:

إن المتأمل في الصَّلح النَّبوي مع المشركين يرى أن جانب الشريعة الإسلاميَّة كان من الجوانب المهمة فيها، وتجلت فيها أحكام كثيرة تنطبق في هذا الزمان، لأن الشريعة الإسلاميَّة صالحة لكل زمان ومكان.

ومما يستفيد الدَّاعية المعاصر في موضوع الدَّعوة في تلك المصالحات، الاهتمام بالشريعة الإسلاميَّة والعناية بها، والدَّعوة إليها، وأن الشريعة الإسلاميَّة شاملة لجميع أنواع الطاعات، وهو المنهج الذي يصون المسلم من الزيغ والانحراف، والقيام به مرتبط بالعقيدة الإسلاميَّة الصحيحة، من توحيد الله وإخلاص العبادة له، وبتحكيمها تنتظم الحياة، تستقر الأمور، ويسود الأمن والأمان.

ومن أهم الأسس التشريعية الواردة في الصَّلح النَّبوي مع المشركين.

أولاً: تحقيق مبدأ الشورى بين الدَّاعية والمدعويين، فقد استشار النبي ﷺ أصحابه في الحديبية أكثر من مرّة، وكذلك في مصالحة غطفان، وما عزم به من القيام نحوهم، ويستفيد الدَّاعية من ذلك، باتِّباعه منهجاً من مناهج الدَّعوة إلى الله وأن لا يستبدَّ بالرأي، لا سيَّما إذا كان الأمر يخصّ المدعويين، وليكن قدوة الدَّاعية المعاصر في ذلك

(١) انظر: مجموع الفتاوى، لابن تيمية / ١٠ - ٧٥٢ - ٧٥٤، والفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء

الشیطان، لابن تيمية، ص ٥٠ - ٢٥٠.

النبي ﷺ، لا سيما في وقت قل فيه الناصح، وكثرت الفتن والملهيات المغريات، وانخرط الناس في العمل بالقوانين الوضعيّة البعيدة عن شرع الله وأحكامه، كما يستفيد المدعو المعاصر منها، بأن يكون ناصحاً أميناً إذا استشير، ولا يُجفي ما فيه مصلحة للدعوة إلى الله تعالى، فإنه شريك في الأجر والإثم على السواء.

ثانياً: وما يستفيدة الدّاعية المعاصر، مبايعة الإمام والسمع والطاعة له بعد البيعة، والحث والدعوة إلى ذلك، فإن ذلك مما يقوي شوكة المسلمين، لا سيما في العصر الحاضر، وقد تداعت الأمم على الأمة الإسلاميّة، فإذا اجتمعت الأمة الإسلاميّة على إمام عدل، فإنه مما يحقق مقاصد الدعوة إلى الله، وهو تحقيق عبودية الله تعالى على الأرض، والدّاعية المعاصر يستفيد من ذلك من ضوء ما ورد في مبايعة الصحابة - رضوان الله عليهم - للرسول ﷺ يوم الحديبية، وشدّتهم في ذلك، ومعهدهم لنصرة دين الله، وعدم الفرار عن ساحات الوغى.

كما يستفيد منه المدعو في معرفة أهمية مؤازرة الدّاعية، والوقوف معه في الأوقات العصيبة، وطاعته في كل ما فيه مصلحة لتحقيق المقاصد الدعوية، القائمة على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

ثالثاً: وما يستفيدة الدّاعية المعاصر في موضوع الدعوة إلى الله التشريعية، أن المحصر عن البيت، بسبب من الأسباب، ينحر هديه، ويخلق رأسه حيث أحصر، سواء كان الإحصار بمرضٍ أو عدوٍّ، أو غيرهما.

وأسباب الإحصار في العصر الحاضر، قد تختلف عن التي كانت في الزمن النبوي، وذلك لاختلاف الأزمان، فقد يكون الإحصار، بسبب عدم وجود المركب، أو فساده، أو تأخره حتى ينقضي وقت الحج، أو نحو ذلك من الأسباب، فعلى الدّاعية بيان ذلك للمدعوين، وتوجيههم إلى أسلم الطرق في ذلك، وأقومه.

كما يستفيد منه المدعو إلى انتهاج المنهج الذي سار عليه الصحابة الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين -.

ثالثاً: في مجال الأخلاق.

إن ظهور الأخلاق الكريمة على الشخص ينم عن صدق تطبيق للشريعة الإسلامية، فالأخلاق الحسنة هي أخلاق الشريعة النابعة عن العقيدة السليمة، وقد ظهرت هذه الأخلاق من المصطفى ﷺ حتى مع أعدائه، وفي أشد الأحوال والأوقات، فعاملهم بالرِّفق واللين، وصبر على أذاهم وتحملهم، والداعية المعاصر لا شك أنه بحاجة إلى التحلي بتلك الأخلاق الكريمة مع المدعويين، لكثرة عنادهم وشدّة بغضهم للإسلام والمكر له من كل النواحي، وإن اختلفت سبلهم وطرقهم في ذلك، إلا أن القصد واحد، وهو محاربة الإسلام وتشويه سمعته.

أولاً: من الأخلاق النبوية الكريمة في الصلح النبوي، التي يستفيد منها الداعية المعاصر، خلق الحلم، الذي كان له نصيبٌ وافر في ضوء المصالحات النبوية مع المشركين، فقد ﷺ كان حليماً مع قريش، وانتهج بحلمه وحكمته كل السبل التي تسدّ باب الفتنة والتقاء الفريقين بالسيف، فكان له ما أراد، وهو كتابة الصلح، وتوثيق بنوده الدالة على عظمة الإسلام وعلوّه، وبحكمته وحلمه استطاع أن يوقف عناد قبيلة غطفان المتحالفة مع كفار قريش للقضاء على أهل المدينة.

والداعية المعاصر: أحقّ من اتّصف بصفة الحلم في دعوته، لما تواجهه الدعوة إلى الله تعالى، من اعتداءات من قبل الكفار قاطبة، فحريٌّ به أن يكون الحلم زاده، والصبر عتاده، ليحقق المقصود من الدعوة.

ثانياً: وما يستفيدة الداعية المعاصر في ضوء المصالحات مع المشركين، الوفاء بالعهد، فإن الوفاء به من علامات الإيثار، كما أن نقضه من علامات النفاق التي فيها حدّر منها المصطفى ﷺ وعدّها من صفات المنافقين، فقال: «أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلةٌ منهنّ كانت فيه خلةٌ من نفاق حتى يدعها: إذا

حدّث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا وعد أخلف، وإذا خاصم فجر»^(١).

ولا شكّ أن الدّاعية المعاصر أحوج ما يكون في الوفاء بالعهود والمواثيق، في وقتٍ قلّ فيه أهل الإيمان المتّصّفين بتلك الصفات، وقد أخبر المصطفى ﷺ بذلك، وأن المسلمين كلما تركوا الوفاء بالعهود، وانتهكوا حرّمات الله، ولم يعطوا غير المسلمين حقوقهم، منعهم الله من بعض حقوقهم، وهي الجزية التي كانت تؤخذ من أهل الكتاب.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: كيف أنتم إذا لم تجتبوا ديناراً ولا درهماً؟ فقيل له: وكيف ترى ذلك كائناً يا أبا هريرة؟ قال: إي والذي نفس أبي هريرة بيده، عن قول الصادق المصدوق، قالوا: عمّ ذاك؟ قال: تنتهك ذمة الله، وذمة رسوله ﷺ، فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة، فيمنعون ما في أيديهم^(٢).

فدلّ مفهوم الحديث على الحُصّ على الوفاء بالعهد؛ لقول أبي هريرة رضي الله عنه الذي رفعه إلى النبي ﷺ «كيف أنتم إذا لم تجتبوا ديناراً ولا درهماً» أي كيف تكون حالكم إذا انقطعت عنكم أموال الجزية والخراج، وبيّن السبب في انقطاع ذلك فقال: «تنتهك ذمة الله وذمة رسول الله ﷺ»، وذلك أن المسلمين ينقضون عهد الله وعهد رسوله الذي يتعلق بحقوق أهل الذمة، ويعاملونهم بالظلم والعدوان فيعاقب الله المسلمين في الدنيا قبل الآخرة: «فيشد الله عز وجل قلوب أهل الذمة فيمنعون ما في أيديهم» من الأموال: من الجزية والخراج فلا يدفعونها إلى المسلمين. وهذا يبين أنه يجب على المسلمين الوفاء بالعهد لأهل الذمة وإعطائهم حقوقهم بشرطين:

الأول: أن يخضعوا لأحكام الإسلام في الجملة.

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان خصال المنافق ١/ ٧٨، عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر ٤/ ١٠٢.

والثاني: أن يدفعوا الجزية، فإذا فعلوا ذلك وجب القيام بالوفاء لهم بالعهود. وقد ذكر الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ - أن من فوائد هذا الحديث: «التوصية بالوفاء لأهل الذمة؛ لما في الجزية التي تؤخذ منهم من نفع للمسلمين، وفيه التحذير من ظلمهم، وأنه متى وقع ذلك نقضوا العهد، فلم يجتب المسلمون منهم شيئاً، فتضيق أحوالهم»^(١).

فينبغي الوفاء بالعهد وحضّ الناس على ذلك؛ لما فيه من طاعة لله ولرسوله ﷺ وهذا يؤكّد أهميّة الوفاء بالعهود، والمواثيق^(٢).



(١) انظر: فتح الباري لابن حجر ٦ / ٢٨٠.

(٢) انظر: فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري لسعيد بن وهف القحطاني ١ / ١٠٥٤.

المطلب الثاني: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في موضوع الدعوة إلى الله في العصر الحاضر في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب.

أولاً: في مجال العقيدة.

إنّ من أهمّ المقاصد وأعظم الغايات التي يدعو الداعية إليها، ويبدل من أجلها الغالي والنفيس تحقيق توحيد الله عزّ وجلّ، وهو من أهمّ المهمّات التي ينبغي أن يعتني بها الداعية إلى الله عزّ وجلّ، إذ بفساد العقيدة تفسد الحياة وتتكدّر، وأهل الكتاب من الفئة المنحرفة عن جادة الصواب فقد حرفوا وبدّلوا كتب أنبيائهم التي أمرهم الله تعالى بالعمل بها.

ويستفيد الداعية إلى الله تعالى في العصر الحاضر في موضوع الدعوة إلى الله في الدعوة إلى التوحيد في ضوء المصالحات النبوية مع أهل الكتاب، مما بينه النبي ﷺ من فضائل التوحيد والدعوة إليه، فقد دعا يهود المدينة إلى توحيد الله، وبين لهم أنّ كلّ ما اختلف فيه من الحكم فمرده إلى الله، وحكم الله هو توحيد الله ووحدايته بالعبادة، كما أمر علي بن أبي طالب ؓ أن يبدأ بالدعوة إلى الله وتوحيده، وقال لمعاذ بن جبل ؓ حينما بعثه إلى اليمن، (فليكن أول ما تدعوهم إلى أن يوحدوا الله تعالى).

كما نرى أنه ﷺ منع أكيدر ويوحنا لما سجدا له عند قدومهما إليه، إذ أنّ السجود لا يصلح لغير الله تعالى.

ويستفيد الداعية إلى الله تعالى في العصر الحاضر، من هذا المنهج لتوجيه المدعوين وبيان فضائل توحيد الله تعالى وأنه أساس الدعوة، إذ بصلاح العقيدة تصلح الأمور، لا سيما في العصر الحاضر، فالدعوة إليه ماسّة.

يقول فضيلة الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز - رَحِمَهُ اللهُ -: (وهذا المقام - أعني مقام التوحيد - دائما وأبدا يحتاج إلى مزيد العناية بتوجيه الناس إلى دين الله وتوحيده

وإخلاص العبادة له ؛ لأن الشرك هو أعظم الذنوب وقد وقع فيه أكثر الناس قديماً وحديثاً ، فالواجب بيانه للناس والتحذير منه في كل وقت وذلك بالدعوة إلى توحيد الله سبحانه والنهي عن الشرك وبيان أنواعه للناس حتى يجذروه^(١).

وقال - ﷺ - في موضع آخر: (وإذا كان هذا البلاء قد عمّ وطمّ ولم يسلم منه إلا القليل ، فالواجب على أهل العلم أن يقدموه على غيره - أعني بيان التوحيد وضده - وأن تكون عنايتهم به أكثر من كل نوع من أنواع العلم لأنه الأساس فإذا فسد هذا الأساس وخرب بالشرك بطل غيره من الأعمال. كما قال سبحانه: ﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ [الأنعام: ٨٨].

وقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ [الزمر: ٦٥]^(٢).

ومما يستفيد الداعية المعاصر في موضوع الدعوة من الصلح النبوي مع أهل الكتاب، عدم إكراه الناس على الدخول في الإسلام، فالإسلام دين عالمي كفل للإنسان حقوقه، وأعطاه الحرية الكاملة في اختيار ما يراه، ولكنه محاسب على اختياره يوم القيامة، وسيجد جزاءه الأوفى، إن اختار خيراً، فجزاءه الجنة، وإن اختار شراً فجزاءه على اختياره.

ولم يثبت أن النبي ﷺ أكره أحداً على الدخول في الإسلام، وفي وثيقة المدينة، أعطى اليهود الحرية الدينية، وقال: " لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم " وفي ضوء صلحه أهل نجران كتب أن لا يجبر أحد على ترك دينه، وعليه سار خلفاء الراشدين. والداعية المعاصر، ومع كثر الصّوارف عن الدين ليس مسؤولاً أمام ربه إلا عن

(١) مجموع فتاوى الشيخ ابن باز ٩ / ٦٥.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه، الجزء والصحيفة.

مهمة الإبلاغ، وليس مطالباً بإيمان الناس حتى يسمح له بإكراههم والعنف عليهم، وليعلم أن الإكراه لا يزرع عقيدة القلب، وإنما يحمل على الإذعان في الظاهر دون إيمان الوجدان، كما لا يتفق مع الدين الذي يحتاج إلى إخلاص في الظاهر والباطن معاً. وعندما تصالح النبي ﷺ مع زعماء القبائل المجاورة لتبوك عرض عليهم الإسلام، فاختاروا دفع الجزية، لم يرغمهم على قبول الإسلام، وترك لهم حرية الاعتقاد، كما هو مبين في وثائقهم.

ولا يحمل الداعية ذلك من موالات الأعداء، فإنهم يُدعون، ويبلغ إليهم الدعوة، ويقيم الحجة، والهداية بيد الله عز وجل.

ثانياً: في مجال الشريعة:

إن مصالحات النبي ﷺ لأهل الكتاب حوت الكثير من المسائل التشريعية التي يستفيد منها الداعية المعاصر في موضوع الدعوة إلى الله تعالى، على الحق والبصيرة، ومن أهم المسائل الواردة في ذلك:

مشروعية المساقاة والمزارعة بضوابطها وشروطها المقررة عند الفقهاء، وقد عقد النبي ﷺ المساقاة والمزارعة مع يهود خيبر، كما هو دليل على جواز معاملة اليهود بالبيع والشراء والرهن، والقرض، وغير ذلك من المعاملات المباحة في ديننا. فلينتبه له الداعية، ولا يعد ذلك من الموالات المنهي عنه في الشرع الحكيم.

قال الشيخ العلامة ابن عثيمين - رَحِمَهُ اللهُ -: هي - أي المساقاة - من العقود الجائزة، والدليل عدم الدليل؛ لأنها معاملة، والأصل في المعاملات الحل والإباحة، فإذا لم يَقم دليل على التحريم فهي حلال، وإن شئنا قلنا: الدليل هو انتفاء الدليل المحرّم وثبوت الدليل المَجُوز، وذلك في معاملة أهل خيبر، وأن المصلحة تقتضيها، فهي إذاً جارية على القياس^(١).

(١) انظر: الشرح الممتع على زاد المستقنع لابن عثيمين ٩ / ٤٤٥.

ومما يستفیده الدّاعية المعاصر في موضوع الدّعوة إلى الله، جواز أكل ذبائح أهل الكتاب وقبول هداياهم، فقد أكل النبي ﷺ ذبائح أهل الكتاب وقبل هديّتهم، كما حصل بينه وبين أكيدر الكندي، ويوحنا بن رؤبة، وغيرهما، فقد قبل هديّتهما. ودعاه يهوديٌّ من يهود المدينة، - الذين كان بينه وبينهم ميثاق - إلى إهالة نسخة فأكل منها. والدّاعية المعاصر قد ابتلي كثيرا في هذا الجانب، حيث صار لغير المسلمين - وخاصة أهل الكتاب - شوكة وقوة، وربّما كان المسلمون أقلية في دولة، فهل يجوز لهم الأكل من هذه الذبائح في وقت عمّت الفتن وطمّت؟.

يقول ابن عثيمين -رحمته الله- في الجواب على هذا السؤال: وأمّا ما ذبحه غير المسلمين، فإن كان الذّابح من اليهود والنصارى فذبيحته حلالٌ، لقول الله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ﴾ [المائدة: ٥].

قال ابن عباس -رضي الله عنهما- طعامهم ذبائحهم، ولأنّه ثبت عن النبي ﷺ أنه أكل من الشاة التي أهدتها له اليهوديّة، وأجاب يهودياً على إهالة نسخة وخبز شعير، وأقرّ عبد الله بن مغفل -رضي الله عنه- على أخذ الجراب من الشحم الذي رمي به في فتح خيبر، فثبت بالسنة الفعلية والسنة الإقرارية أنّ ذبائح أهل الكتاب حلالٌ ولا ينبغي أن نسأل كيف ذبحوا ولا هلّ ذكروا اسم [الله]^(١) عليه أم لا.

فقد ثبت في صحيح البخاري عن عائشة -رضي الله عنها- أن قوماً قالوا: يا رسول الله إن قوماً يأتوننا باللحم لا ندري أذكروا اسم الله عليه أم لا، فقال رسول الله ﷺ: «سماوا الله عليه وكلوه»^(٢) قالت: وكانوا حديثي عهد بكفر، يعني أنهم جديّدو الإسلام، ومثل هؤلاء قد تخفى عليهم الأحكام الفرعية الدقيقة التي لا يعلمها إلا من عاش بين

(١) أضفت لفظ الجلالة، لأنّ السياق يقتضيه. (الباحث).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب من لم ير الوسوس... من الشبهات ٣ / ٥٤.

المسلمين، ومع هذا أرشد النبي ﷺ هؤلاء السائلين إلى أن يعتنوا بفعلهم هم بأنفسهم فقال سمّوا أنتم وكلوا، أي سمّوا على الأكل وكلوا، وأما فعله غيركم ممن تصرفه صحيح فإنه يحمل على الصحة ولا ينبغي السؤال عنه لأن ذلك من التعمق والتنطع^(١).

ومّا يستفیده الدّاعية المعاصر في موضوع الدّعوة إلى الله في الأحكام التشريعية الواردة في الصلح النبوي، التّشديد في الرّبا وتعاطيه، وأنه مما ينكث العهد بين المسلمين وغيرهم، فقد ثبت في صلح النبي ﷺ لأهل نجران أنه عاهدهم على أن لا يأكلوا الرّبا، قال: (فمن أكل الرّبا من ذي قبل فذمتي منه بريئة)^(٢) وجدّد لهم الصّديق العهد، فلمّا ولي عمر بن الخطاب أصابوا الرّبا في زمانه فأجلاهم عمر رضي الله عنه.

ولا شكّ أنّ أضراره ظاهرٌ ومعينٌ لا سيّما في العصر الحاضر. لأنّ المسلمون يضعون أموالهم في أيدي أعدائهم وخصومهم مما يمكنهم من الاستفادة منها، في إقامة المشروعات الضّخمة ورفع اقتصادهم، وإضعاف اقتصاد المسلمين، فالمسلمون في العصر الحاضر أفرادا ودولاً يضعون أموالهم في البنوك والمصارف الأجنبية - غير الإسلاميّة - مقابل أرباح ربوية ليستثمروها ويؤمّنوا فرص العمل لذويهم، وجعل المسلمين عالة عليهم محتاجين دائما لجلب السّلع والاعتماد عليهم في توفير وتأمين حاجاتهم بدلا من أن يضعوها في بنوك إسلامية خاصّة في البلاد الإسلاميّة^(٣).

(١) انظر: فتاوى نور على الدرب، للشيخ ابن عثيمين ٣ / ١٧٠.

(٢) الأموال، لأبي عبيد ١ / ٢٤٤.

(٣) انظر: الدّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسي في السنة، للدكتور محمد العمري، ص: ٤٧٤.

ثالثاً: في مجال الأخلاق:

إنَّ مما يستفيده الدَّاعية المعاصر في موضوع الدَّعوة إلى الله عناية النبي ﷺ بالأخلاق، وحرصه الكريم على توجيه أمته بالأتصاف بالأخلاق الفاضلة والقيم النبيلة ولو مع غير المسلمين، وفي ضوء المصالحات مع أهل الكتاب كان النبي ﷺ متصفاً ببعض الصفات الكريمة التي هي جزءٌ من صفاته النبيلة، والدَّاعية المعاصر يستفيد منها في التخلُّق بها مع غير المسلمين لاستقطابهم إلى الإسلام، ومن تلك الصفات.

التواضع، وهي سجيّة كان المصطفى ﷺ متصفاً بها، وكان يأمر بالأتصاف بها وهو القائل: « ما تواضع أحد لله إلا رفعه الله »^(١).

ولا شكَّ أنَّه كلما تواضع الدَّاعية للمدعو كان ذلك أدعى لقبول دعوته والانصياع لأوامره، فليتخلق به الدَّاعية لا سيما في العصر الحاضر.

ومما يستفيده الدَّاعية المعاصر في موضوع الدَّعوة إلى الله في ضوء الصلح التخلُّق بخلق الرحمة والشفقة على المدعويين، وقد كانت رحمة النبي ﷺ عامة للخلق أجمعين، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

فيجعل الدَّاعية رحمة المدعوِّ فوق كلِّ شيء، ويشفق عليه ويدعوه باللين والرفق، اقتداءً بالنبي ﷺ، وإذا لم يكن الدَّاعي رحيماً شفوفاً بالمدعو فلا شكَّ أنه سيغلظ له في القول، وهو من المنفرات، وقد تلطَّف النبي ﷺ بالعصاة رحمة وشفقة بهم، حتى رجعوا إلى رشدهم وأمن من آمن منهم.

إذا فالرحمة من الصفات العظيمة التي ينبغي لكل مسلم أن يتصف بها، وأولى الناس بهذه الصفة الدَّاعية إلى الله عز وجل، وقد ظهرت هذه الصفة في جميع معاملات النبي ﷺ، والأتصاف بها في العصر الحاضر أكد على الدَّاعية، لكثرة ملهيات المدعويين، وما يجعلهم يعادون طريق الهدى والرشاد، وبه يستطيع الدَّاعية سوقهم إلى الصراط المستقيم.

(١) سبق تخريجه في ص: ١٨٩.

الفصل الثّاني:

المقاصد الدّعوية المتعلّقة بالدّاعية إلى الله في الصّلح النبوي

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد الدّعوية المتعلّقة بصفات الدّاعية إلى الله وأخلاقه في الصّلح النبوي

المبحث الثاني: المقاصد الدّعوية المتعلّقة بحقوق الدّاعية على المدعوين في الصّلح النبوي.

المبحث الثالث: المقاصد الدّعوية المتعلّقة بواجبات الدّاعية نحو المدعوين في الصّلح النبوي.

المبحث الرابع: أوجه الإفادة من المقاصد الدّعوية في الصّلح النبوي في ما يتعلّق بالدّاعية

في العصر الحاضر.

الفصل الثَّاني:

المقاصد الدَّعوية المتعلِّقة بالدَّاعية في ضوء الصَّح النَّبوي.

الدَّاعية ركن ركين في الدَّعوة إلى الله تعالى، بل هو الأساس عند ذكر الدَّعوة، فلا دعوة بلا داعية، ومقامه رفيعٌ وبالغ الأهمية في إيصال الدِّين الإسلامي، إذ هو وارث الأنبياء - عليهم الصلاة والسلام- في تبليغ الدِّين إلى النَّاس، وتأتي أهميته من كونه أسوة للمدعوين، إذ تأثر النَّاس بالأفعال أكثر من تأثرهم بالأقوال، ومعلوم أن الله تعالى اختار من النَّاس من كملت فيهم الخصال الحميدة، واتصفوا بالأخلاق الرفيعة: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [الحج: ٧٥]. وأرسلهم إلى النَّاس مبشرين ومنذرين، وجعل أفعالهم مكمله لرسالته، وأمر بالاعتداء بهم فقال: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدْنُهُمْ أَقْتَدَ﴾ [الأنعام: ٩٠].

وأمر الله تعالى بالاعتداء بالأنبياء يستلزم الاتِّصاف بصفاتهم، ونهج منهجهم، والسير على منوالهم، وكلَّمًا اتَّصَفَ الدَّاعية بالأوصاف الحميدة، كان أثره في النَّاس أكبر، واستجابة النَّاس له أكثر، لذا وجب على الدَّاعية أن يتحلَّى بكريم الصفات، ويتخلَّى عن سفاسفها، لكي تؤتي دعوته الثمرة المرجوة، وفيما يلي نبذه عن صفات الدَّاعية الناجح الواردة في المصالحات والمعاهدات النبوية مع غير المسلمين، وقبل الخوض فيه يحسن بنا تعريف الدَّاعية في اللغة والاصلاح.

الدَّاعية في اللغة:

الدَّاعية: مفرد دعاة، وهو من يدعو إلى شيء، وجاء في لسان العرب ما نصّه: (الدَّعاة: قوم يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة، واحدهم داع، ورجل داعية إذا كان يدعو النَّاس إلى بدعة أو دين، أدخلت الهاء فيه للمبالغة، والنَّبِي ﷺ، داعي الله تعالى، وكذلك المؤذّن... والمؤذّن داعي الله والنَّبِي ﷺ، داعي الأمة إلى توحيد الله وطاعته،

قال الله عزّ وجلّ مخبراً عن الجنّ الذين استمعوا القرآن، وولّوا إلى قومهم منذرين قالوا: ﴿يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ﴾ [الأحقاف: ٣١] (١).

وجاء في المعجم الوسيط: (داعي اللبّ ما يترك في الضرع ليدعو ما بعده، الدّاعية: الذي يدعو إلى دين أو فكرة، والهاء للمبالغة) (٢).

وعلى هذا يتضح أن الدّاعية في اللغة: أصلها من الفعل دعا، الذي مفرده داع، وأدخلت الهاء فيه للمبالغة، وجمعها دعاة، ومن معانيها القيام بإمالة الشيء إليك حقا كان أو باطلا.

وفي الاصطلاح:

عرّف بعدة تعريفات، أمّا ما له علاقةٌ بعلم الدّعوة الخاصّة، فقد يعرف بتعريف ابن منظور اللّغوي، وهو: (الدّعاة قومٌ يدعون إلى بيعة هدى أو ضلالة).

وقيل: (هو المؤهل بترغيب الناس في الإسلام، وحثّهم على التزامه بالوسائل

المشروعة) (٣).

وقد اختار الباحث هذا التّعريف الأخير، لقصره وجمعه الشّروط اللاّزمة

للدّاعي، وهي:

١- التّاهيل: فلا بدّ أن يكون الدّاعية إلى الله مؤهّلاً تأهيلاً علمياً وإيمانياً وخلقياً،

ليكون قدوة حسنة لمن يدعوهم، وهي شروطٌ أساسية في الدّاعية، كما لم تقتصر

العبارة بالدعاة الرجال فقط، فقد تكون المرأة داعية في أوساط أخواتها، وتؤثّر

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور، ١٤ / ٢٥٩.

(٢) انظر: المعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى وآخرون ١ / ٢٨٧. باب الدال.

(٣) مقومات الداعية الناجح، د. علي عمر بادحدح ص: ١٢.

فيهنّ تأثيرًا أكثر من تأثير الرجال، كما يفهم منها أنّ للدعوة مهارات فطرية ومكتسبة، كما الأخلاق.

- **بترغيب الناس في الإسلام:** ليبيّن أنّ الدّعوة قائمةٌ على التّربّيب، والتّرهيب، فليتبّه لها الدّعاة، وليوازنوا بين الخوف والرّجاء أثناء أداء الدّعوة وإيصالها إلى النّاس، والدّعوة الصّحيحة هي الدّعوة إلى الإسلام الصّحيح، فالدّعوة إلى غير الإسلام وإن سُمّي دعوةً فليست صحيحة، كما أنّ الدّاعية لا يسمّى داعية حقًّا إلاّ إذا اقتفى المنهج النّبوي في دعوته.
- **وحتّهم على التزامه:** دليل على أهمية البصيرة في الدّعوة، والاتباع والنّهي عن الابتداع.
- **بالوسائل المشروعة:** ليبيّن على أنّ من الوسائل الدعوية منها ما هي اجتهادية، وتتجدّد بتجدّد الزمان والمكان، وتتنوع حسب الأصناف والأحوال.



المبحث الأول:

المقاصد الدعوية المتعلقة بصفات الداعية وأخلاقه في الصلح النبوي.

لصفات الداعية وأخلاقه الحسنة، أهمية بالغة في إيصال الدعوة إلى الله تعالى على الوجه القويم، إذ إن الداعية يخاطب أصنافاً من الناس مختلفين في الأفهام والطبائع والاستجابة، وكلما اتصف بالصفات الحسنة كان أدمى لقبول دعوته، لذا وجب عليه التمسك بالأخلاق الفاضلة والاتصاف بالصفات الحسنة، وتطبيقها في حياته الدعوية.

والصفات المطلوبة من الداعية الاتصاف بها كثيرة، إذ هي صفات الإسلام، وأخلاق القرآن والسنة التي أمرنا بتباعها، وفي الخطوات التالية محاولة لإبراز أهم تلك الصفات ومقاصدها الدعوية في ضوء مصالحت النبي ﷺ ومعاهداته مع غير المسلمين (المشركون، وأهل الكتاب).

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بصفات الداعية وأخلاقه، في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين.

يحتاج الداعية إلى الله تعالى إلى الأخلاق الحسنة، والصفات الكريمة، وهي أخلاق الإسلام التي بينها الله في كتابه، وبينها رسوله ﷺ في سنته القولية والعملية، وقد ظهرت جملة من هذه الأخلاق الكريمة في ضوء مصالحت النبي ﷺ مع المشركين نذكر أهمها وهي:

أولاً: من صفات الداعية الإخلاص:

الإخلاص: وهو أن يقصد المرء بعمله الذي كلف به وجه الله وابتغاء مرضاته ومثوبته، إذ كل عمل صالح لا يقصد به وجه الله وتحقيق مرضاته فهو مردودٌ على صاحبه، وسيعاقب عليه أشد العقاب.

والإخلاص لغة: مصدر أخلص يخلص، وهو مأخوذ من مادة (خلص) التي تدل على تنقية الشيء وتهذيبه^(١). والإخلاص: هو الصفاء من الكدر والشوائب^(٢). وفي الاصطلاح: يقول ابن قيم الجوزية - رَحِمَهُ اللهُ -: تنوعت عبارتهم في الإخلاص والصدق، والقصد واحد.

ف قيل: هو أفراد الحق سبحانه بالقصد في الطاعة، وقيل: تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين^(٣).

وعلى هذا التعريف يتبين لنا أن المسؤولية الملقاة على عاتق الداعية إلى الله تعالى مسؤولية عظيمة، كيف لا وهو في كيان الأمة منارة هدى، ومصدر إشعاع ينشر النور في كل مكان، لذا لا بد من إعداده للقيام بمهمته السامية في الحياة خير قيام، وهذا الإعداد ينبغي أن يرتكز على قاعدة إيمانية صلبة راسخة، لينطلق منها الداعية بقوة في مواجهة كل ما يعرقل سير الدعوة إلى الله بإخلاصٍ و يقينٍ صدق^(٤).

ولا شك أن الإخلاص في العمل، بمكانة الروح للجسد، فلا قيمة لجهود دعوية وإن عظمت إذا افتقرت لجانب الإخلاص، إذ الإخلاص أحد ركني العمل الصالح المقبول عند الله، قال تعالى: ﴿فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

(١) المفردات في غريب القرآن للراغب، ص: ٢٩٢.

(٢) انظر: مختار الصحاح للرازي ١ / ١٩٦.

(٣) انظر: مدارج السالكين لابن القيم، ٢ / ٩١.

(٤) انظر: وسطية أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله، د. مرفت بنت كامل ١ / ١٥٦.

قال الحافظ ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ -: ﴿ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا ﴾ ما كان موافقًا لشرع الله، وهو الذي يراد به وجه الله وحده لا شريك له، وهذان ركنا العمل المتقبل. لا بد أن يكون خالصًا لله، صوابًا على شريعة رسول الله ﷺ^(١).

والتأمل في ما دار بين النبي ﷺ والمشركين أثناء الصلح أو قبله أو بعده، يظهر له ذلك جليًا إذ أن الشفقة التي كانت تصدر من النبي ﷺ تجاه كل من المدعويين من الصحابة والمشركين يدل على كمال صدقه وإخلاصه لهم بالهداية والتوفيق، فقد أشفق على قريش، لكثرة حروبهم وعدم إيمانهم بالله.

ويستنبط مما دار بينه وبين قريش يوم الحديبية من مقاصد الدعوة.

أولاً: أن الإخلاص إذا كان شرطًا في قبول أي عمل، فهو أكثر اشتراطًا في عمل الداعية، لأن الأبصار تتجه إليه، والأنظار تسلط عليه، وربما خالطه عجب أو رغبة في ثناء أو مجد، لذا كان من الضروريات أن يتجرد الداعية من حظوظ النفس في أعماله، وليبتغ به وجه الله والدار الآخرة، وقد ظهرت هذه الصفة في الصحابة حين اجتمعوا حول النبي ﷺ وبايعوه على الموت إخلاصًا لله تعالى وطلبًا فيما عنده من الأجر العظيم، كما عليه أن يعلم أن السعي في هداية الناس من أهم مقاصد الدعوة وأسمى غاياتها.

ثانياً: أن من علامات إخلاص الداعية إلى الله تعالى مداومة القيام بالدعوة والتحمس لها، وبذل أقصى الجهد في تبليغها، لأن من أخلص لشيء أعطاه كل ما يملك، ماله ووقته، وجهده وفكره، وكل إمكاناته لا بد أن تكون للدعوة، اقتداء بالرسول ﷺ الذي أعطى دعوته كل ما يملك، ولم يترك فرصة يستطيع فيها تبليغ دعوته إلا وتحينها، صابرا على الأذى في سبيل ذلك، قاصدا بدعوته هداية الخلق،

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٥ / ٢٠٥.

داعياً إلى الله لا إلى نفسه، كما ظهرت هذه الصفة في الصحابة الكرام الذين كانوا خير من اقتدى بالنبي ﷺ، فلم يغضب السعدان في قضية مصالحة غطفان على ثلث ثمار المدينة، إلا لصدقها وإخلاصهما لدين الله، ولم يقف المغيرة بن شعبة ﷺ على رأس رسول الله ﷺ يوم الحديبية، ويرد يد عروة بغضب رياء وسمعة، بل كان قاصداً بعمله وجه الله والدار الآخرة، كما أن أبا جندل ﷺ لم يفر إلى المسلمين إلا لحبه وإخلاصه لدين الله.

ومن هنا كان على الدعاة إلى الله تعالى، استحضار النية الصالحة في دعوتهم وجعل أعمالهم خالصة لوجه الله تعالى.

ثانياً: من صفات الداعية: الثقة بالله عز وجل وقوة الصلة به.

إن من الصفات العظيمة المهمة التي ينبغي أن يتحلّى بها كل مسلم، وخاصة الداعية إلى الله عز وجل: الثقة بالله عز وجل وقوة الصلة به، وكلما ازداد صلة الداعية وثقته بالله، ازداد قبول الناس لدعوته، وارتفع مؤشر القبول له في قلوب المدعوين، ومن ثمّ كان لدعوته تأثيراً ونجاحاً، لأنّ قوة الصلة بالله تورث محبته ومن ثمّ محبة العباد.

والداعية إلى الله أحوج ما يكون إلى توثيق الصلة بالله عز وجل، ليستمد منه العون والتوفيق، وذلك بتوكّله على الله في جميع أموره، لتيقّنه بأن الله تعالى هو المنفرد بالخلق، والتدبير، والضرّ والنفع والهداية، وأنه ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن الله يكفي من يتوكل عليه ويفوض الأمور إليه^(١) قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٣].

(١) انظر: أصول الدّعوة لعبد الكريم زيدان ص: ٣٤٣.

والإيمان الراسخ إذا لازمته عبادةً مخلصَةً صائبةً، ومحبةً لله صادقةً، فإنه سيؤدي بصاحبه حتماً إلى تحقيق التوكل الدائم على الله والاستسلام له دوماً بلا تردد، لذا فإنه يتأتى على الداعية أن يوطد صلته وثقته بالله عز وجل في يقينٍ وقوةٍ، ويجعل إيمانه قائماً على التفرغ لمولاه، والارتباط المطلق به، والتوكل الراسخ به، والتسليم التام لكل ما يأتي به، من غير ارتياب أو حرج لتكون الدعوة بذلك نابعة من قوله وفعله^(١).

والنبي ﷺ قد بين ذلك بقوله وفعله، وأن الله تعالى سينصر هذا الدين بقوة إيمان أتباعه، وعزيمتهم وقوة صلتهم بالله، فقال ﷺ عن ثقة بربه عز وجل: «والله ليؤمنن هذا الأمر، حتى يسير الزاكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله، والذئب على غنمه، ولكنكم تستعجلون»^(٢).

وفي ضوء صلحه ﷺ مع المشركين يوم الحديبية، نستلهم هذه الثقة العظيمة من الرسول الكريم ﷺ ومن خليفته الصديق ﷺ، فقد قال عليه الصلاة والسلام لابن الخطاب، بعد حوار هادئٍ دار بينهما في قضية الصلح وشروطه، التي في ظاهرها، جورٌ وظلمٌ للمسلمين، قال واثقاً بربه: «يا ابن الخطاب إني رسول الله، ولن يضيعني الله أبداً» فانطلق عمر إلى أبي بكر فقال له مثل ما قال للنبي ﷺ، فقال: إنه رسول الله، ولن يضيعه الله"^(٣).

وهذا يؤكد أن رسول الله ﷺ أعظم الناس ثقة بربه عز وجل، وأن أبا بكر الصديق ﷺ أعظم الصحابة ثقةً بالله تعالى.

(١) انظر: الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، د. أحمد غلوش، ص: ٤٤٦.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب علامات النبوة في الإسلام ٤/ ٢٠١.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب إثم من عاهد ثم غدر ٦/ ١٣٦.

كما يستنبط منه: أنّ من أهمّ مقاصد الدعوة إلى الله تقوية صلة الداعية والمدعويين بالله تعالى، والإنسان إذا خلصت نيته وحسن مقصده، وتجرّد من الأهواء، وتحرّر من نزغات الشيطان يكون في عبادة دائمة لله، وإقبال مستمرّ عليه، ورصاً لا ينقطع له، وبذلك يحقّق الغاية التي خلق من أجلها وهي العبودية الكاملة لله.

ثالثاً: من صفات الداعية: الفطنة والفراسة.

الفراسة لغة: بالكسر: من قولك تفرست فيه، وتفرس فيه الشيء: تؤسّمه^(١).

وإصطلاحاً: قيل: المهارة في تعرّف بواطن الأمور من ظواهرها^(٢).

وهو نور يقذفه الله في قلب العبد المؤمن، ولها سببان:

أحدهما: جودة ذهن المتفرّس، وحدة قلبه، وحسن فطنته.

والثاني: ظهور العلامات والأدلة على المتفرّس فيه، فإذا اجتمع السببان لم تكذب تخطئ للعبد فراسة، وإذا انتفيا لم تكذب تصح له فراسة، وإذا قوي أحدهما وضعف الآخر، كانت فراسته بين بين^(٣).

وفي ضوء الصلح النبوي مع المشركين يوم الحديبية، لما تتالت رسل قريش على النبي ﷺ قبل عقد الهدنة، وكتابة بنود صلحها، كان ﷺ يتفرّس، بما منحه الله تعالى من قوة النفوذ، إلى حقائق الرجال وبواطن الأمور، في كلّ واحد ما يكشف عن حقيقته ويتلخص فيه شخصيته.

فقد تفرّس ﷺ في مركز الغدر، وقال لأصحابه: هذا رجل غادرٌ، ولم يغير

(١) انظر: لسان العرب ٦ / ١٦٠، ومختار الصحاح، ص: ٢٣٧.

(٢) انظر: الفائق في غريب الحديث ٣ / ٩٩. وللإستزادة من الفروق بين الفراسة والظن والغيب

ينظر: الروح لابن قيم الجوزية، (ص: ٢٣٨)

(٣) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم، ٢ / ٤٥٧.

موقفه، وأخبره بأنه إنما جاء لزيارة البيت، وتعظيم حرمة، ولم يأت للقتال. أما الحليس، سيد الأحابيش، فقد تفرس فيه ﷺ الديانة والتعبد، وتعظيم أمر الله، فكان أن أمر بقذف الهدى، ونثره تلقاءه كي يراه، فيبعثه ذلك على إقناع قومه، بصحة عزم المسلمين على الزيارة والقربى لرب العالمين، دون الحرب والقتال. وفعلا كان الأمر كما تفرّس عليه السّلام، فلما رأى حليس الهدى يسيل عليه من جانب الوادي، وفي أعناقها القلائد، وقد ساءت حالها لطول حبسها عن مواطن نحرها، حتى تأكلت أوبارها، آمن بصدق الخروج، ونبل المقصد، وهو تعظيم الشّعائر والبيت، فرجع إلى قومه دون أن يقابل الرسول ﷺ اكتفاءً بما عاين، وأخبرهم بأن خروج المسلمين لزيارة البيت، وجانب الوادي يسيل بالهدى، ويفيض بالقلائد، ولا وُرود لفكرة الحرب في أذهانهم.

ولكن لم يقتنع المشركون بذلك عنادًا وكفرًا وبغيًا، وقد أنكر حليس على قريش ذلك بقوله: (والله ما على هذا حالفناكم، أيصدُّ عن بيت الله من جاء معظما له؟ والذي نفس الحليس بيده، لتخلنَّ بين محمد وبين ما جاء له، أو لأنفرنَّ بالأحابيش نفرة رجل واحد)^(١).

ويستنبط مما سبق من الفقه والمقاصد الدعوية في الفراسة:

أولاً: أن النبي ﷺ اجتمع فيه من الصفات الحميدة ما لم يجتمع في غيره، من ذكاء، وبُعد نظر، ورجاحة عقل، وأصالة رأي، وقوة عزيمة، وصدق فراسة. ولقد برهن على وجود ذلك فيه، صحّة رأيه، وصواب تدبيره، وحسن تأليفه، ومكارم أخلاقه ﷺ. فقد سلك مسلكاً حكيماً مع غير المسلمين، فكان له عظيم النفع والأثر في نجاح دعوته، وإنشاء دولته، وقوة سلطانه، ورفعته مقامه، ولم يعرف في

(١) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٣١٢.

تاريخ السياسات البشرية أنّ رجلاً من الساسة المصلحين، في أيّ أمة من الأمم كان له مثل هذا الأثر العظيم.

ثانياً: ينبغي على الداعية أن يكون ذكياً فطناً، ذا فراسة، يعرف أحوال المدعويين، وظروف المخاطبين، ليسهل عليه إيصال دعوته على الوجه الصحيح.

يقول الماوردي^(١) - رَحِمَهُ اللهُ -: "وينبغي أن يكون للعالم فراسة يتوسّم بها المتعلّم ليعرف منبع طاقته، وقدر استحقاقه، ليعطيه ما يتحمّله بذكائه أو يضعف عنه ببلادته، فإنه أروح للعالم وأنجح للمتعلّم"^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله» ثم قرأ: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمُتَوَسِّمِينَ﴾ [الحجر: ٧٥]"^(٣).

وقد قال بعض أهل العلم: ينبغي للعالم أن يتفرّس في متعلّميه، فينظر في كلّ واحدٍ مقدار تقدّمه في فهمه^(٤).

فلذا ينبغي للداعية إلى الله أن يتفرّس في المدعويين، بما يراه ويسمعه منهم، فيعامل كلّاً منهم بحسب حاله، وما يتوقّع أن المصلحة له فيه.

(١) هو: علي بن محمد بن حبيب، أبو الحسن البصري، المعروف بالماوردي، أقضى قضاة عصره، ولي القضاء ببلدان شتى، أحد الأئمة من أعيان الشافعية، قال الخطيب: كان ثقة من وجوه الفقهاء الشافعيين وله تصانيف عدة في أصول الفقه وفروعه وفي غير ذلك، ولد سنة: (٣٦٤هـ). في البصرة، انظر: طبقات الشافعية لابن قاضي شعبة ١ / ٢٣٠.

(٢) انظر: أدب الدنيا والدين، للماوردي ص: ٩٤.

(٣) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب: ومن سورة الحجر ٥ / ٢٩٨. وقال: هذا حديث غريب، إنما نعرفه من هذا الوجه، وقال الألباني: ضعيف.

(٤) انظر: عمدة القاري للعيني، ٢ / ١٢٨.

رابعاً: من صفات الداعية: استشارة أهل الرأي والخبرة من أصحابه.

الشورى مبدأ مهم في الإسلام، يقول الله عز وجل: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾^(١) وكان رسول الله ﷺ يستشير أصحابه ﷺ ولا يستبد بالرأي، ويقبل النصيحة والمشورة منهم، حتى ولو لم يطلب منهم ذلك.

ويظهر ذلك عندما أراد أن يكتب إلى الملوك والرؤساء لدعوتهم، قيل له: إنهم لا يقرؤون كتاباً إلا محتوماً، فقبل منهم هذه المشورة دون نقاش أو جدال، فاتخذ خاتماً من فضة.

والناظر في صلح الحديبية وغيرها من المصالحات، يرى أن الرسول استشار أصحابه أكثر من مرة، وقبل مشورتهم.

ففي الحديبية لما قيل له: إن قريشاً قد جمعت له جمعاً لقتاله وصدته عن البيت، استشار أصحابه فقال: (أشيروا أيها الناس عليّ، أترون أن أميل إلى عيالهم وذرا ري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت...). قال أبو بكر: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا البيت، لا تريد قتل أحد ولا حرب أحد، فتوجه له، فمن صدنا عن البيت قاتلناه، قال: (امضوا على اسم الله)^(١).

فهنا نرى أن النبي ﷺ استشار أصحابه ﷺ في قتل أهالي هؤلاء المشركين، ولكن الصديق ﷺ صاحب الرأي الصائب، بادره بالجواب المناسب، وهو تركهم ومواصلة طريقه إلى البيت، فإن صدوه قاتلهم إذ لم يخرج مقاتلاً.

ولما اطمأن رسول الله ﷺ وأصحابه، وبدأت المفاوضات بينه وبين قريش، ولكنها لم تصل إلى نتيجة، دعا الرسول ﷺ عمر بن الخطاب ﷺ ليعثه إلى مكة، فيبلغ

(١) جزء من حديث الحديبية الطويل، الذي أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب

أشرف قريش ما جاء له ولكن الفاروق، استشاره على أن يكون المرسل إلى أهل مكة هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله إني أخاف قريشاً على نفسي، وليس بمكة من بني عديٍّ أحد يمنعني، وقد عرفت قريش عداوتي إياها، ولكنني أدلك على رجل أعزُّ بها مني، عثمان بن عفان، فدعاه النبي صلى الله عليه وسلم فبعثه.

ولما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من قضية الكتاب، وإبرام الصلح بينه وبين قريش، قال لأصحابه، قوموا فانحروا، قالها ثلاثاً، ولم يقم أحد منهم، فدخل على أم المؤمنين، أم سلمة - رضي الله عنها - وأخبرها الخبر، وما لقي من الناس، واستشارها فيما يفعل، قالت: يا رسول الله أتحب ذلك؟، أخرج ثم لا تكلم أحداً منهم حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك فيحلقك، ففعل ذلك صلى الله عليه وسلم عملاً بقولها ومشورتها، فامثل الصحابة للأمر، وجعل يخلق بعضهم بعضاً، حتى كادوا يقتتلوا غمًا.

وإذا رجعنا إلى غزوة الخندق، نرى أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد أن يصالح رؤساء غطفان على ثلث ثمار المدينة لحمايتها، وعزم على الأمر، وبما أنه لم يكن وحي، استشار السعدان - سعد بن معاذ، وسعد بن عباد - سيّد الأوس والخزرج في الأمر، فأشارا عليه بعدم إبرام الصلح، فقبل النبي صلى الله عليه وسلم مشورتها، وتنازل على الصلح.

فالمشورة صفة حميدة، تُنبئ عن احترام الشريك في حقل الدعوة، وإبلاغ دين الله تعالى، ولها أهمية كبيرة، في تسديد الداعية في دعوته، وقد قيل: " ما خاب من استخاره، ولا ندم من استشار" ^(١)، وهي - الاستشارة - تعطي المستشار دفعاً وحماساً، يجعلانه يبذل ما في وسعه من نصح وإخلاص وأمانة، لتحقيق الصواب، وتقنعه بأهمية القضية المطروحة عليه، وتنمي فيه الحرص الكبير على نجاحها، لأنه شارك في التخطيط والإعداد.

(١) رواه الطبراني في المعجم الصغير (ص: ٢٠٤) عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً، وقال الألباني: (موضوع)، انظر: ضعيف الجامع الصغير وزيادته (ص: ٧٣١).

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بصفات الداعية وأخلاقه، في ضوء

صلحه ﷺ مع أهل الكتاب.

إنَّ تحلِّي الدَّاعية بالصفَّات التي ينبغي توفرها فيه، له الأثر الفعَّال في الدَّعوة إلى الله إذ هو قدوة، إذا فعَّل راقبته الأنظار، وإذا قال أنصتت له الآذان، فوعته القلوب، وانتقل فعله وقوله في أوساط النَّاس، وقد أثرت أقوال وأفعال النَّبي الكريم في أصحابه، فانقادوا لأمره وأطاعوه، وامثلوا له، بل تجاوز خلقه الكريم إلى أهل الكتاب، فعاملهم معاملةً كريمةً تُنبئ عن صفاتٍ حميدةٍ، وأخلاقٍ رفيعةٍ، رسخت في القلب، وطبقته الوجدان، وإليك جملةً من الصفَّات المستنبطة في ضوء مصالحته مع أهل الكتاب، التي ينبغي على الدَّاعية إلى الله التَّحلي بها.

أولاً: من صفات الدَّاعية: العدل.

العدل من أهم الصفَّات الحميدة التي ينبغي لكلِّ مسلم أن يتَّصف بها، وخاصَّة الدَّاعية إلى الله عزَّ وجلَّ، وهي من أهم المبادئ السامية التي انتهجها الإسلام في تنظيم علاقاته بغير المسلمين، فالعلاقات في الإسلام قائمة على أساس العدل مع أصحاب الدِّين أو مع المخالفين، بل إنَّ القرآن الكريم قد صرَّح بأنَّ العدالة مع الأعداء أقرب للتَّقوى، فقال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

ناهياً عن العدول عنه بغرض نفسيٍّ، مهما كانت الظروف، فقال: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا

أَهْوَىٰٓ أَن تَعْدِلُوا﴾ [النساء: ١٣٥].

قال الإمام القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير الآية: دلَّت الآية: على أن كفر الكافر لا يمنع من العدل عليه، وأن يقتصر بهم على المستحق من القتال والاسترقاق، وأن المثلة بهم غير جائزة، وإن قتلوا نساءنا وأطفالنا وغمونا بذلك، فليس لنا أن

نقتلهم بمثلة قصداً لإيصال الغم والحزن إليهم^(١).

والعدالة مع غير المسلمين مطلوبة في السلم والحرب، ففي السلم: بالعدل بين الرعايا غير المسلمين الذين يعيشون داخل الدولة الإسلامية، ويسمّون بأهل الذمة، وفي ذلك يقول النبي الكريم ﷺ: «من يخفر ذمتي كنت خصمه، ومن خاصمته خصمته»^(٢).

وفي الحرب: بعدم تجاوز الحد الذي أمر به الشارع الحكيم، والالتزام بالأداب الإسلامية في الحروب، من عدم التخريب، ومنع قتل النساء والشيوخ والصبيان، والرهبان، وغيرهم.

ونرى أن النبي ﷺ، قد حقق هذه الصفة، وهذا الخلق الكريم مع أهل الكتاب، وطبّقها معهم، مع ظلمهم وجورهم.

ومن الأمثلة الدالة على ذلك أنه جاء في بنود وثيقة المدينة: (أن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين... إلا من ظلم وأثم فإنه لا يوتغ إلا نفسه وأهل بيته)^(٣) فكل من ظلم وجار ولم يحقق العدل المطلوب بين الفريقين، فقد ظلم نفسه والعقاب عليه، ولا يوتغ - أي لا يهلك - إلا نفسه، كما ترددت عبارة القسط الدالة على العدل في فقرات الوثيقة الخاصة باليهود (وكل طائفة منهم تفدي عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين...)^(٤) أي: إحسانً بدون ظلمٍ على أيّ مسلم، بل إعطاءهم الحرية الدينية من تمام عدله ﷺ معهم: (لليهود دينهم وللمؤمنين دينهم)^(٥).

(١) انظر: تفسير القرطبي، ٦ / ١١٠.

(٢) أخرجه الطبراني في الكبير، ٢ / ١٦٢. وحسنه الألباني، في صحيح الجامع ٢ / ١١٢٣..

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٥٠٣.

(٤) انظر بنود الوثيقة في: الأموال لأبي عبيد، ١ / ٣٠٨، وما بعدها.

(٥) الأموال لأبي عبيد، المصدر السابق، نفس الجزء والصّحيفة.

ولننظر إلى عدله وإنصافه مع يهود خيبر، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: لما فتحت خيبر أهديت للنبي صلى الله عليه وسلم شاة فيها سم، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود» فجمعوا له، فقال: «إني سألكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه؟»، فقالوا: نعم، قال لهم النبي صلى الله عليه وسلم: «من أبوكم؟»، قالوا: فلان، فقال: «كذبتهم، بل أبوكم فلان»، قالوا: صدقت، قال: «فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألت عنه؟»، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبنا عرفت كذبنا كما عرفته في أيينا، فقال لهم: «من أهل النار؟»، قالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «احسبوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا»، ثم قال: «هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه؟»، فقالوا: نعم يا أبا القاسم، قال: «هل جعلتم في هذه الشاة سما؟»، قالوا: نعم، قال: «ما حملكم على ذلك؟»، قالوا: أردنا إن كنت كاذبا نستريح، وإن كنت نبيا لم يضرّك^(١).

فلما دسّت اليهود السمّ في اللحم ليقتلوه، لم يقتلهم جميعاً، بل لم يقتل المرأة المباشرة للفعل إلا بعد موت الصحابي الجليل بشر بن البراء، فقد أقام عليهم الحجة حتى اعترفوا بألسنتهم بأنهم دبّروا قتله، فقتلت المرأة قصاصاً، ولم يقتل معها أحد من أهل خيبر، وذلك بعد إبرام الصلح معهم.

قال القاضي عياض - رحمته الله -: لم يقتلها أولاً حين اطّلع على سمّها، وقيل له: اقتلها، فقال: لا، فلما مات بشر بن البراء رضي الله عنه من ذلك، سلّمها لأوليائه، فقتلها قصاصاً^(٢).

ومن تمام عدله صلى الله عليه وسلم، إعطاؤهم الأرض للعمل فيها مع الاعتراف لهم بمعرفة الأرض، كما اتّضح عدله، مع نصارى نجران وما جاورها من القرى من أيلة وأذرح

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي صلى الله عليه وسلم ٩٩ / ٤.

(٢) انظر: شرح النووي على مسلم ١٤ / ١٧٩.

وجرباء، فلم يقاتلهم، بل سمح لهم بدفع الجزية، مع قيام الدولة الإسلاميَّة لحمايتهم من المعتدين، على أن يبقوا في مدنهم آمنين، دون أن يتعرضوا للإسلام والمسلمين، وعفا عن أكيدر الكندي، عندما أتى به خالد رضي الله عنه، وبعث أمين الأمة أبو عبيدة عامر بن الجراح، إلى أهل نجران، ليحقق العدل بينهم.

فينبغي على الدَّاعية إلى الله تعالى أن يعرف أنه بالعدل قامت السموات والأرض، وتحقيقه حتى مع غير المسلمين مما أمر الله تعالى به، وطبقه المصطفى صلى الله عليه وسلم في كلِّ أحواله، العامَّة والخاصَّة، مع المسلمين وغيرهم، وأن ذلك مما بيَّن ساحة الإسلام وإنصافه، ويدعو إلى اعتناق غير المسلمين الإسلام والتصديق به. والقيام به من أهم مقاصد الدَّعوة إلى الله، فليجعله الدَّاعية من الأولويات عند أداء الرِّسالة المحمَّدية.

ثانياً: من صفات الدَّاعية: الفصاحة والبلاغة.

امتن الله سبحانه وتعالى على عباده بالفصاحة والبلاغة والبيان، فقال عزَّ من قائل:

﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ [الرحمن: ٣ - ٤].

وأنَّصف الرِّسول صلى الله عليه وسلم بالفصاحة والبيان، فكان أفصح النَّاس لساناً، وأحسنهم منطقاً، وأصدقهم حديثاً، وهو القائل صلى الله عليه وسلم: «بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينا أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فوضعت في يدي»^(١).

فكان صلى الله عليه وسلم يتكلم بعبارات موجزة تحوي على معانٍ كثيرة^(٢).

(١) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: نصرت بالرعب مسيرة شهر ٤ / ٥٤، ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب جعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً ١ / ٣٧١.

(٢) قال الحافظ ابن رجب - رحمته الله - المراد بجوامع الكلم، قال الزهري: - فيما بلغنا - أن الله

وتظهر فصاحته ﷺ في بنود مصالحاته مع غير المسلمين، فقد أبرم عليه الصلاة والسلام هذه العهود، بعباراتٍ يسيرةٍ سهلةٍ بليغةٍ، تنبئ عن الفصاحة والبيان، ففي وثيقة المدينة التي لا تتجاوز الصحيفة، جمع فيها الحقوق والواجبات الدِّينية والدنيوية بين المسلمين واليهود، بعبارات بليغة، ترد كلَّ فئةٍ إلى ولائهم ودينهم، وما يجب عليهم، وما يجب نحوهم، وأما في صلح نجران فقد كتب لهم كتاباً، بين لهم ما يجب عليهم من أراضيهم وأموالهم من الجزية، وبين حقوقهم على المسلمين وحقوق المسلمين عليهم، والناظر في بقية كتبه يرى ذلك واضحاً جلياً^(١) كلّها جاءت بعبارات قليلة ولكنها حوت معاني كثيرة، فيها من الفصاحة والبيان ما يعجز عنها البلغاء، مع سهولة ألفاظها.

ولم يكن رسول الله ﷺ يتكلّف في اختيار الألفاظ، بل كانت تأتيه بدهاءةً، وتجري على لسانه الفصيح لتلامس القلوب الصّالحة، فتقع فيها موقع السّحر. وهذا يبين أهمّية هذه الصفة في الدَّعوة إلى الله تعالى، وقد جاء عن ابن عمر - رضي الله عنهما: أنه قدم رَجُلانٍ من المشرق فخطبا، فعجب النَّاس لبيانها، فقال رسول الله ﷺ: «إن من البيان لسحراً، أو: إن بعض البيان لسحر»^(٢).

فعلى الدَّاعية مراعاة ذلك في دعوته، والاهتمام ببيان الحق للناس، وليعلم الدَّاعية أنّ البيان نوعان:

-
- يجمع له الأمور الكثيرة التي كانت تكتب في الكتب قبله في الأمر الواحد والأمريّن، ونحو ذلك. انظر: جامع العلوم والحكم لابن رجب ١/٥٣.
- (١) انظر مثلاً: كتابه إلى أهل هجر، وخزاعة، وأهل أيلة، ويوحنة وأكيدر دومة الجندل، ورسالته مع معاذ بن جبل إلى أهل اليمن، كلها جاءت بعبارات قليلة، وأسطر تعدّ، ولكنها حوت كل الحقوق والواجبات بين الدولتين - المسلمة والكافرة.
- (٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الطب، باب: إن من البيان لسحراً ٧/١٣٨.

الأول: ما يبيّن به المراد، (أي مراد الآية أو الحديث أو الأثر، والمقصد والغاية منه)
والثاني: تحسين اللفظ حتى يستميل القلوب للانقياد للحق، وكلاهما مطلوبان في
الدعوة، فيبين للناس المراد من الدعوة ومقصده، ويحسن الألفاظ وينتقيها بدون تكلف
ولا تعنت، ليستميل القلوب إلى الحق والصواب، اقتداء بالنبي ﷺ وصحابته الكرام.

ثالثاً: من صفات الداعية: العلم والصبر.

الحلم من أعظم مقومات الداعية ومن أهم الصفات التي ينبغي عليه الاتصاف
بها، كما أنه أيضاً من دعائم الحكمة، ولا يكون الداعية ناجحاً حتى يكون حكيماً،
والحكمة لا تكون إلا من العلم والحلم والأناة، وبقدر فقد الداعية إحدى هذه
الصفات الثلاثة يقل نصيبه من تحقيق أهدافه، وأكمل الناس وأوفرهم نصيباً من جمع
بين هذه الصفات^(١).

ومما يدل على أهمية الحلم ومكانته، مدح النبي ﷺ للحلم واتصافه به، وأنه من
الخصال التي يحبها الله - عز وجل - فقد قال لأشج عبد القيس^(٢): (إِنَّ فِيكَ
خَصْلَتَيْنِ يَجِبُهُمَا اللَّهُ: الْحِلْمُ، وَالْأَنَاءَةُ)^(٣).

وقد ظهرت هذه الصفة الكريمة في جميع معاملات النبي ﷺ بما في ذلك السلم
والحرب. ومن ذلك: قصته مع عبد الله بن أبي بن سلول عندما نقض يهود بنو قينقاع

(١) انظر: مدارج السالكين، لابن القيم ٢/٤٤٩، ومقومات الداعية الناجح في ضوء الكتاب
والسنة، لسعيد القحطاني ص: ١١٣.

(٢) أشج عبد القيس: هو المنذر بن عائذ بن المنذر بن الحارث ابن النعمان بن زياد وهو من أهل
عمان، وكان سيد قومه، وقد على النبي ﷺ في وفد عبد القيس، نزل البصرة ومات بها، انظر:
تقريب التهذيب ١/٥٤٦.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الأمر بالإيمان بالله ورسوله... ١/٤٨.

العهد والصلح الذي كان بينهم، بأن اعتدوا على امرأة من نساء المسلمين وكشفوا عورتها وهتكوا سترها، وكان ما كان بينهم وبين الصحابي المسلم، فقتلوه، حاصرهم النبي ﷺ خمسة عشر يوماً لنقضهم العهد، ونزلوا في حكم الرسول، ولكن عبد الله بن أبي أتي إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أحسن في موالي، فأبطأ عليه الرسول ﷺ وأعرض عنه، فأدخل يده في جيب درع رسول الله ﷺ وقال: والله لا أرسلك حتى تحسن في موالي أربعمئة حاسر، وثلاثمئة دارع، قد منعوني من الأحمر والأسود تحصدهم في غداة واحدة، إني والله امرؤ أخشى الدوائر، فوهبهم النبي ﷺ له، وأمرهم النبي ﷺ أن يخرجوا من المدينة، فخرجوا إلى أذرعات من أرض الشام^(١).

فحلمه وحكمته وبعده نظره ﷺ، منعه من قتل بني قينقاع، كما منعه من قتل رئيس المنافقين عبد الله بن أبي، وعلمه بقوله: لا يتحدث الناس أن محمداً يقتل أصحابه. ولقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ -: ولا بد - أي: في الداعية والامر بالمعروف والنهي عن المنكر - أن يكون حليماً صبوراً على الأذى؛ فإنه لا بد أن يحصل له أذى؛ فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وينقل ما قاله القاضي أبو يعلى: لا يأمر ولا ينهى إلا من كان رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه^(٢)، ولا شك أن ذلك هو عين فقه الدعوة ومقصدتها العظيم في إحقاق الحق، وإبطال الباطل.

وإذا كان العلم شرطاً في الدعوة إلى الله، وسبباً في سداذه، فإن الصبر عتاده وسلاحه وقوامه، ولا قتال بلا سلاح، ولا مواجهة بلا عتاد.

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ١٩٧، وزاد المعاد لابن القيم ٣ / ١١٥.

(٢) انظر: مجموع الفتاوى لابن تيمية، ٢٨ / ١٣٦. والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،

لابن تيمية ص: ٢١.

وقد كان من أوائل ما نزل على النبي ﷺ وهو في طريق دعوته: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنَةُ ۝١
فُرْقَانِذِرًا ۝٢ وَرَبِّكَ فَكَبِيرًا ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرَ ۝٤ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ۝٥ وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُنَّ تَسْتَكْبِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ
فَأَصْبِرْ ۝٧﴾ [المدثر: ١ - ٧].

والقرآن الكريم، والسنة النبوية، حافلين بالاهتمام بالصبر لما له من أثر كبير في استمرار الداعية، وعدم نفور المدعويين، وقبول الدعوة إلى الله^(١).

وقد قرن الله تعالى بين الحلم والصبر والعفو، وعد ذلك من عزم الأمور فقال سبحانه: ﴿وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ۝﴾ [الشورى: ٤٣].

وطريق الدعوة يحتاج من الداعية أن يتحلّى بصفة الصبر، فهو من عوامل نجاح دعوته، وهو صفة عظيمة تحلّى بها الأنبياء والصالحون، وأمر الله نبيه ﷺ أن يتحلّى بها، قال تعالى: ﴿فَأَصْبِرْ كَمَا صَبَرَأُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ ۝﴾ [الأحقاف: ٣٥].

وقد امتدح الله الصابرين فيمن امتدح بقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝﴾ [الحج: ٣٥].
ووعدهم بعظيم الأجر فقال: ﴿إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝﴾ [الزمر: ١٠].

والناظر في المصالحات والمعاهدات النبوية وما صاحبها من الأخلاق الذميمة من اليهود، يظهر له صبر النبي ﷺ وحلمه، فعندما غدر اليهود وثيقة المدينة، لم يبادرهم الرسول ﷺ بالقتال، بل أمهلهم ليرجعوا عن فعلتهم، ويعودوا إلى رشدهم، فلما لم ينفعهم ذلك، وألجأوه إلى قتالهم قاتلهم بالحكمة فحكّم فيهم سيدهم، وعمل برأيه.

وما إشراكه ﷺ لليهود المدينة في حراسة المدينة والقيام بأمنها والمحافظة على ذلك، إلا دليل على حلمه وبعده نظره ﷺ، فقد جعلهم شركاء في المدينة، في خيرها

(١) انظر: منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، عدنان عرعور، ص: ١٠٦.

وشرّها، فأمن للمسلمين جانب خطر اليهود، ووادع القبائل المجاورة له، قطعاً للطريق على كفّار مكة، ومن ناورهم من أعداء الإسلام.

فعلى الداعية التحلي بالحلم والصبر في دعوة الناس إلى الخير واتباع هدي النبي ﷺ في حلمه وصبره وما لاقاه في طريق الدعوة إلى الله تعالى، قال تعالى: ﴿يَتَأْتِيَ الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْدِرُواوَصَابِرُواوَرَابِطُواوَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

رابعاً: من صفات الداعية: اختيار الشخص المناسب للأمور المهمة، وأن يكون من أشراف الناس.

لقد كان النبي ﷺ يختار من بين أصحابه من يكون بحق، رسول رسول رب العالمين، فالرجال معادن، وأصحاب رسول الله ﷺ كلهم أختيار بما شهد الله لهم ذلك، لكن يوجد فيهم من تتوفر فيه بعض الصفات، أو يبرز في تلك الصفات عن غيره من إخوانه من الصحابة -رضي الله عنهم جميعاً-، ومعلوم أن هناك صفات خلقية يمنّ الله تعالى بها على بعض من عباده، تجعل ذلك الشخص مهيب الجانب. وكان أولئك الأفاضل قد تخرجوا من مدرسة النبوة، عارفين وقادرين على تحمّل ما يناط بهم من المسؤولية، فينجزون المهمة على أحسن حال وأفضل بيان.

والاختيار الذي نعنيه هنا، هو انتقاء ناذج من الأشخاص، يتميزون بمؤهلات وصفات خاصّة تتوافق وطبيعة العمل الذي يسند إليه، أو هو إسناد عمل لشخص معين لوجود ترابط بين بعض جوانب شخصية وطبيعة هذا العمل، وهذا يعني أن المكلف ربّما يكون هناك من هو أكثر منه صلاحاً وتقوى وأمانة، وأبرز في مؤهلاته في جوانب عديدة من أمور الحياة والدين، لكنه قد برع واشتهر في جانب معيّن أكثر من غيره، فوقع عليه الاختيار؛ ليحقّق الأداء المطلوب والتّائج المرجوة في هذا الجانب الذي برع فيه.

وفي ضوء مصالحته مع أهل الكتاب، يظهر ذلك واضحًا، فقد أرسل خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أكيدر بن عبد الملك الكندي النصراني^(١)، وكان ملكًا عظيمًا بدومة الجندل، في (٤٢٠) أربعمئة وعشرين فارسًا، في رجب سرية.

وقال له رضي الله عنه: «إنك ستجده ليلاً يصيد البقر» فانتهى إليه خالد، وقد خرج من حصنه في ليلة مقمرة، إلى بقر يطاردها، هو وأخوة حسان، وهرب من كان معها فدخل الحصن، ثم أجاز خالد أكيدر من القتل، حتى يأتي به رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن يفتح له دومة الجندل، ففعل وصالحه على ألفى بعير وثمانمائة فرس وأربعمئة درع وأربعمئة رمح^(٢).

وبما أن أكيدر دومة كان معروفًا بالشدة، فقد أرسل إليه النبي صلى الله عليه وسلم من هو أشد منه - لكن في دين الله، على أعداء الله - خالد بن الوليد رضي الله عنه، فأسره وأتى به، وطلب من النبي صلى الله عليه وسلم أن يصالحه على حقن دمه وأن يؤدي الجزية، فصالحه النبي صلى الله عليه وسلم على ذلك. كما اختار رضي الله عنه محمد بن مسلمة^(٣) وأبا نائلة^(٤) - رضي الله عنهما - لقتل كعب

(١) هو: أكيدر بن عبد الملك الكندي، ملك دومة الجندل (الجوف حالياً) في الجاهلية، وجه إليه النبي صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد رضي الله عنه فأسره، وكتب له الرسول صلى الله عليه وسلم كتاب صلح، اختلف في إسلامه، ولما قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم، نقض العهد، فأمر أبو بكر الصديق رضي الله عنه خالد بن الوليد رضي الله عنه أن يسير إليه، فقصده خالد وقتله، سنة (١٢هـ). انظر: الأعلام للزركلي، ٦/٢.

(٢) انظر: إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين صلى الله عليه وسلم، لابن طولون ص: ١٢٧.

(٣) هو: محمد بن مسلمة بن خالد بن عدي بن مالك بن الأوس الأنصاري الأوسي، يكنى أبا عبد الرحمن، أخى النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبين أبي عبيدة بن الجراح، شهد المشاهد كلها مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا تبوك، اعتزل الفتنة بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه توفي بالمدينة سنة (٤٦هـ) أو ٤٧هـ. انظر: أسد الغابة، ٥/ ١٠٦.

(٤) هو: سلكان بن سلامة بن عبد الأشهل الأنصاري الأوسي، قيل: اسمه سعد، وسلكان لقب، وهو مشهور بكنيته (أبو نائلة) ثبت ذكره في الصحيح في قصة قتل كعب بن الأشرف، وشهد

بن الأشرف اليهودي، لما نقض العهد والصلح المبرم في وثيقة المدينة.
وأما كون اختيار الداعية من أشرف الناس، فلا شك أيضًا في أهميته، إذ إن
الناس جبلوا على طاعتهم وقبول كلمتهم، لأنهم أحوط على عدم تدنيس أحسابهم
بها لا يليق^(١).

يقول الإمام النووي - رَحِمَهُ اللهُ -: عن سبب كون الأنبياء من أشرف قومهم:
(الحكمة في ذلك: أنه أبعد من انتحاله الباطل وأقرب إلى انقياد الناس له)^(٢).

واختار ﷺ علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يوم خيبر، لشرفه ومكانته بين الصحابة،
وحبهم إياه، وقد حقق الله النصر على يديه، فَفُتِحَتْ خيبر، وغنم المسلمون غنائم
كثيرة، كما أنه بيانٌ لفضل علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وإن كان في الصحابة من هو أفضل وأكبر منه سنًا
ومنزلةً، كالصديق والفاروق وعثمان - رضي الله عنهم أجمعين.

فعلى الداعية جعل ذلك في ميزان دعوته عند إرسال الدعاة، وانتقاء من يرى
فيه الكفاءة التامة في إيصال الدعوة بالحكمة والحنكة، ليتحقق الغرض المنشود في
الدعوة، والمقصد الأسنى فيه، وهو إيصال الدعوة بأقل جهدٍ وأقرب طريقٍ للنصر.
كما على مراكز الدعوة ومكاتبها القائمة بالتبصير إلى دين الله انتهاج ذلك.

أحدًا وغيرها، وكان شاعرا، ومن الرماة، قتل يوم اليمامة شهيدا. انظر: الإصابة، ٧/ ٣٣٦.

(١) انظر: إكمال إكمال المعلم، لمحمد بن خليفة الأبى، ٦/ ٣٨٢.

(٢) شرح النووي على مسلم ١٢/ ١٠٥.

خامساً: من صفات الداعية: اغتنام الفرص الملائمة للدعوة.

إنَّ العملَ الدعويَّ يحتاج من الدَّاعية النَّشاطَ وعدم الكسل، والمضيَّ فيه قُدماً، واستغلال كلِّ ما يراه حلاً ناجعاً، لإيصال الدَّعوة إلى المدعوِّ بوجه صحيح، وقد كان الرسل والأنبياء يستغلون كلَّ فرصةٍ سانحةٍ لإيصال المعلومة الصَّحيحة إلى المدعو، أو تحذيره من ذنب ارتكبه في سبيل طاعة الله، أو تقصير فيه، ومن الأمثلة على ذلك ما ذكر الله في قصة يوسف عليه السلام مع صاحبه في السجن إذ يقول:

﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِي خُبْرًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِئْنَا بِتَأْوِيلِهِ ۗ إِنَّا نَرْوِيكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ [يوسف: ٣٦].

وحيثما رأى يوسف -عليه السلام- حاجاتها الماسة لتعبير هذه الرؤيا العجيبة، ورأى كذلك من حسن ظنهما فيه؛ اغتنم هذه الفرصة لدعوتهم إلى الله، وكان من حكمته -عليه السلام- أن يبدأ قبل دعوتها إلى الله، وقبل تفسير الرؤيا لهما بزيادة تعريفه بنفسه، وتشويقهما إلى حديثه، وبيان نعمة الله على أهل التوحيد، فقال لهما: ﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ ۗ إِلَّا نَبَأٌ تُكْمَلَانِي بِهِ ۗ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ۗ ﴾ [يوسف: ٣٧].

ثم بيّن لهما أن الشُّرك بالله سببٌ لكلِّ شرٍّ، وأن توحيد الله سببٌ لكلِّ خير، فقال: ﴿ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴾ وهل بقي بدون دين؟ لا: ثم قال: ﴿ وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۗ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ ﴾ [يوسف: ٣٨].

ثم بعد كلِّ هذه التمهيدات العظيمة جرّد الدَّعوة إلى التوحيد فقال: ﴿ يَصْحَجِي السِّجْنَ ۗ أَرْبَابٌ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَّاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ ۗ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ ۗ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ۗ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيَمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سورة يوسف ٣٩ - ٤٠].

وبعد إقامة هذه الحجّة على هذه الدّعوة العظيمة، فسّر لكلّ واحدٍ من صاحبي سجنه رؤياه، في عبارة موجزةٍ صريحةٍ واضحةٍ لا لبسٍ فيها ولا غموضٍ^(١).

فانتهاز - عليه السلام - حاجتها إلى تعبير رؤياهما للدّعوة إلى الله تعالى، وبيان وجوب توحيد الله وإفراده وحده بالعبادة، وأبطل ما هم عليه من عبادة غير الله الذي لا يملك لهم ضرراً ولا نفعاً.

وفي سيرة رسول الله ﷺ، وفي ضوء صلحه مع أهل الكتاب نرى من الأمثلة الكثيرة في ذلك، ومنها:

- أنه ﷺ لما أتى إلى المدينة انتهاز فرصة مسالمة القبائل واليهود الموجودين فيها، للتّفرغ للدّعوة إلى الله وإقامة الدولة، فكتب بينه وبينهم ميثاقاً وعهداً - المعروف بصحيفة المدينة، أو وثيقة المدينة - فعاهدهم، كما عاهد قبيلة بني ضمرة الذين كانوا في ضواحي المدينة، وعلى طريق قريش إلى الشام، وانتهاز فرصة الصّلح مع قريش ومن حالفها لإرسال الرّسل وبعث الكتب إلى الملوك يدعوهم إلى الإسلام.

- وفي غزوة خيبر، اغتتم ﷺ فرصة معرفة اليهود الزراعة والحراثة للاستفادة منهم، وقال لهم: (إن شئتم دفعت إليكم هذه الأموال على أن تعملوها وتكون ثمارها بيننا وبينكم، فأقرّكم على ما أقرّكم الله) فقبلوا وبقيت في أيديهم، على أن يعملوها ويزرعوها، ولهم شطر ما يخرج منها، من الثّمرة والزرع، وتفرّغ الرّسول وصحابته للدّعوة، فكاتبوا الملوك والعظماء، وفتحوا البلدان، وعلى ذلك سار أهل فدك وتيما^(٢).

(١) انظر: موسوعة الدّين النّصيحة، نايف الشّحود ٢ / ٨٤.

(٢) روى الطحاوي، في شرح مشكل الآثار، عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قاتل أهل خيبر حتى أجلاهم إلى قصرهم، فغلب على الأرض والزرع والنخل، فصالحوه على أن يجلبوا منها، ولهم ما حملت ركبهم، ولرسول الله ﷺ الصفراء والبيضاء، والحلقة. وهي السلاح، ويخرجون منها، ولم يكن لرسول الله ﷺ ولا لأصحابه غلمان يقومون عليها، وكانوا لا

- وفي غزوة تبوك لما سمع النبي ﷺ أن الروم قد جمعت جموعاً كثيرة، لقتال المسلمين أعد رسول الله ﷺ العدة واتجه نحوهم مع الصحابة، ولما انتهى إليهم أتاه صاحب أيلة، فصالحه، على الجزية، وأتاه أهل جرباء، وأذرح، فأعطوه الجزية، وكتب لهم كتاباً- أي كتاب صلح وأمان- وبعث خالد بن الوليد ﷺ إلى أكيدر دومة النصراني، فأتى به، فصالحه النبي ﷺ على الجزية وحقن دمه.

فاغتنم رسول الله ﷺ هذه الفرصة لمصالحتهم ودعوتهم إلى الإسلام، كما كان ذلك سبباً لإبراز قوة المسلمين وغلبتهم، وما ذلك إلا لإيمانهم بالله تعالى.

هذه المواقف وغيرها في ضوء المصالحات النبوية، تعطي الداعي إلى الله درساً، مفاده معرفة مقاصد الدعوة إلى الله، وأن لا إكراه في الدين، كما أن من مقاصدها الموازنة بين المصالح والمفاسد، ودرء المفسدة، وتقديم ذلك على المصلحة، كما أنها تُنبئ عن فقه للدعوة إلى الله، فالحكيم الفقيه العارف بمقاصد الدين هو الذي يجعل الأمور في مواضعها الصحيحة، ويزنّها بميزان الشرع الحكيم، وللدعاة في ذلك القدوة الحسنة برسول الله ﷺ.

فينبغي عليهم انتهاز الفرص الدعوية التي تتاح لهم، وربما لا ترجع مرة أخرى، وبذلها في مصالح الدعوة إلى الله.



يفرغون للقيام عليها، فأعطاهم رسول الله ﷺ خبير على أن لهم الشطر من كل زرع ونخل.

انظر: شرح مشكل الآثار، ٧ / ١٨٩.

المبحث الثَّاني:

المقاصد الدَّعوية المتعلِّقة بحقوق الدَّاعية على المدعوين في الصَّحِّح النَّبوي.

الدَّعاة إلى الله تعالى هم ورثة الأنبياء في إيصال الدِّين إلى النَّاس، وهدايتهم إلى صراط الله المستقيم، ولما لهذه المكانة العظيمة عند الله تعالى، وكانت حاجة النَّاس إلى الدَّعوة قائمة في كلِّ زمان ومكان، فقد أوجب الله تعالى على المدعوين كما أوجب على الدَّعاة جملة من الحقوق والواجبات، تنظَّم العلاقة التي تربط بينهم، تنظيمًا دقيقًا لا لبس فيه ولا اشتباه (١).

وهذه الحقوق منها: ما يتَّصل بجانب الدَّعوة التي يقوم بها الدَّاعية، ومنها: ما يتعلَّق بخاصَّة شخص الدَّاعية. وإذا اتَّصف الدَّاعية إلى الله تعالى بالصفات الحسنة، وتحلَّى بالأخلاق الكريمة الفاضلة، لا شكَّ أن النَّاس سيُقبلون إليه، ويسمعون منه، ويمثلون لأوامره، وإذا كان بينه وبينهم حقوق ووجب عليه الوفاء بها، وفي المطلبين الآتين أبين جملة من حقوق الدَّاعية على المدعوين، المستنبطة من العهود والمواثيق التي أبرمها النَّبي ﷺ مع غير المسلمين.



(١) انظر للاستزادة: حقوق النبي ﷺ على أمته في ضوء الكتاب والسنة، د. محمد التميمي ١ / ١٤.

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق الداعية على المدعويين من خلال مصالحاته ﷺ مع المشركين.

إن الناظر في معاهدة النبي ﷺ للمشركين يوم الحديبية، وغيرها، يتضح له جلياً حب الصحابة للنبي ﷺ وطاعتهم وتوقيرهم له، وما ذلك إلا لإعطاء جزء يسير من حقه ﷺ، إذ الواجب المتحتم، السمع والطاعة والامتثال لأوامره، وفيما يلي نبذه من حقوق الدعية على المدعويين.

أولاً: من حق الداعية على المدعو: الاستجابة للداعية في غير معصية الله.

فرض الله تعالى على جميع الخلق الإيمان بنبيه ﷺ وطاعته واتباعه، وإيجاب ما أوجبه، وتحريم ما حرمه، وشرع ما شرعه، وبه فرق الله بين الضلالة والهدى، والغيب والرّشاد، وهو الذي شهد الله بأنه يدعو إليه، ويهدي إلى صراط مستقيم، وأنه على صراط مستقيم: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقال له: ﴿فَأَسْتَمِمْ بِالَّذِي أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: ٤٣].

وصحابة رسول الله ﷺ أكثر الناس حباً للرسول وطاعة له، ويظهر ذلك في قصة الحديبية، فإنه لما أشيع مقتل الخليفة الراشد - عثمان بن عفان - قال ﷺ: لا نبرح حتى نناجز القوم، ودعا الناس إلى البيعة، فتسابق الصحابة إلى البيعة، فبايعوه على عدم الفرار والدفاع عن دين الله بأموالهم وأنفسهم.

ولما أيقنوا بعدم تمكنهم من دخول مكة في عامهم، وأن الحلاق بدأ بحلق رأس رسول الله ﷺ، وقد نحر هديه، تسارعوا إلى نحر بُدنهم، وجعل يخلق بعضهم بعضاً^(١).

(١) ولقائل أن يقول: أليس الصحابة توقّفوا عن الامتثال لأمر رسول الله ﷺ لما انتهى من قضية الكتاب، وقال لهم: «قوموا فانحروا ثم احلقوا» ثلاثاً، ولم يقم منهم أحد، ألا يعد ذلك عصيانياً لأمر رسول الله وعدم طاعته؟.

وقد أكد أبو بكر الصديق رضي الله عنه للفاروق رضي الله عنه ذلك، وأمره بالالتزام بأمره وطاعته رضي الله عنه في كل صغيرة وكبيرة من أمره، فقال له: (إلزم غرزه فإنه رسول الله) ^(١). ولم يكن هذه التساؤلات شكاً من عمر رضي الله عنه، بل طلباً لكشف ما خفي عليه، وحثاً على إذلال الكفار، لما عُرف من قوته في نصره الدين ^(٢). والداعية إلى الله، وارث لميراث النبوة، وهو الدعوة إلى توحيد الله، وإفراجه بالعبادة، والامتثال لأوامر رسول الله واجتناب نواهيه، ومن حقه على المدعو، الاستجابة له فيما يأمر من طاعة الله، فإن أمر بمعصية الله فلا سمع ولا طاعة، لاسيما إذا كان ذا أمر، كولي أمر للمسلمين فإن طاعته تكون أكد وأوجب، وحقه على المدعو ألزم، فقد قال رضي الله عنه: (على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة) ^(٣).

وفي الجواب على ذلك: يقول ابن الجوزي - رحمته الله -: وأما توقف الصحابة وهو يأمرهم - أي أن يقوموا ويتحللوا - فلا يخلو من ثلاثة أشياء:

- إما أن يكونوا ظنوا أنه يأمرهم بالرخصة، ويلزم هو العزيمة من بقائه على الإحرام، فأحبوا موافقته.
- أو أن يكون لرجاء أن يأتي الوحي بأمر يتم لهم نسكهم.
- أو أن يكونوا بهتوا لذلك مفكرين فيما قد لحقهم من الدل مع بذل النفوس لإعزاز الدين.

انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، لابن الجوزي، ٤ / ٥٨.

(١) قوله: إلزم غرزه: بفتح الغين المعجمة وسكون الراء بعدها زاي: وهو أي: الغرز للإبل بمنزلة الركب للفرس والمراد به التمسك بأمره وترك المخالفة له كالذي يمسك بركب الفارس فلا يفارقه. انظر: فتح الباري لابن حجر ٥ / ٣٤٦.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه، ٥ / ٣٤٧.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية، ٩ / ٦٢. ومسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية، وتحريمها في المعصية، ٣ / ١٤٦٥.

ثانياً: من حق الداعية على المدعو: إكرامه وتوقيره دون إفراط ولا تفريط.

إن الصحابة - رضوان الله عنهم جميعاً - كانوا يوقرون النبي ﷺ، ويجلّونه، إكراماً وتعظيماً، ومحبة، امثالاً لأمر الله تعالى القائل: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفتح: ٩].

قال الإمام ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ -: قال ابن عباس - رضي الله عنهما - {وتوقروه}، من التوقير وهو الاحترام والإجلال والإعظام^(١).

وقال العلامة السعدي^(٢) - رَحِمَهُ اللهُ -: أي: تعظموه وتجلّوه، وتقوموا بحقوقه، كما كانت له المنّة العظيمة بربابكم^(٣).

ومن عادة الصحابة - رضوان الله عليهم - في تعظيم الرسول ﷺ وتوقيره وإجلاله، ما روى أسامة بن شريك رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: «أتيت رسول الله ﷺ وأصحابه عنده، كأنّما على رؤوسهم الطير»^(٤).

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٧ / ٣٢٩.

(٢) هو: عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي التميمي (١٣٠٧ - ١٣٧٦ هـ) من أهل نجد، مولده ووفاته في عنيزة (القصيم) مفسر، فقيه، من علماء الحنابلة، له ما يربو على ثلاثين كتاباً في مختلف الفنون، منها: تيسير الكريم المنان في تفسير القرآن، والوسائل المفيدة للحياة السعيدة، انظر: الأعلام، للزركلي ٣ / ٣٤٠.

(٣) انظر: تيسير الكريم الرحمن، للسعدي، ص: ٧٩٢.

(٤) أخرجه أصحاب السنن إلا النسائي، فعند أبي داود في سننه، كتاب الطب، باب الرجل يتداوى ٣ / ٤. وعند الترمذي في أبواب الطب، باب ما جاء في الدواء، والحث عليه ٣٨٣ / ٤، وقال: حديث حسن صحيح، وعند ابن ماجه في سننه، كتاب الطب في باب ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء باب ما أنزل الله داء، إلا أنزل له شفاء، ١١٣٦ / ٢.

وأخرجه الحاكم في المستدرک، كتاب العلم، فصل: في توقير العالم، وقال صحيح الإسناد ولم يخرجاه ١ / ٢٠٩. وانظر: نصب الراية للزيلعي ٤ / ٢٨٣.

وعن عمرو بن العاص رضي الله عنه قال: «ما كان أحد أحب إليّ من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا أجلّ في عيني منه، وما كنت أطيق أن أملاً عيني منه إجلالاً له، ولو سُئِلْتُ أن أصفه ما أطق؛ لأنّي لم أكن أملاً عيني منه»^(١).

وقد ظهر ذلك في ضوء صلح الحديبية حتى قال عروة بن مسعود الثقفي لقريش عندما بعثوه إلى النبي صلى الله عليه وسلم في الحديبية، وقد رأى ما يصنع أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم معه، فلا يتوضأ وضوءاً إلاّ ابتدرّوه، ولا يبصق بصاقاً إلاّ تسارعوا إليه، ولا يسقط شيء من شعره إلاّ أخذوه، فرجع إلى قريش فقال يا معشر قريش: «والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي، والله إن رأيت ملكاً قط يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم»^(٢).

كما ظهر في مصالحة النبي صلى الله عليه وسلم لقبيلة غطفان، فلم يعترض السعدان-رضي الله عنهما- على قضاء النبي صلى الله عليه وسلم، بل تريثاً وسألاً حقيقة الأمر، وبعدما عرفا أنه ليس وحي أديا رأيهما، فأخذه النبي صلى الله عليه وسلم، وما ذلك إلاّ توقيف منهما للنبي صلى الله عليه وسلم وإجلالاً له، ويجب أن يكون توقيف المدعو للداعية بميزان دقيق، دون إفراط أو تفريط.

ولا يقاس على النبي صلى الله عليه وسلم غيره من حيث الطاعة والامثال والتبرك، فهو صلى الله عليه وسلم له خصوصيته في ذلك وقد قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].



(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيثار، باب كون الإسلام يهدم ما قبله... / ١١٢.

(٢) أخرجه أحمد في مسنده، ٣١ / ٢٤٧. من حديث المسور بن مخرمة الزهري، ومروان بن

الحكم، وأصله في صحيح البخاري.

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق الداعية على المدعويين من خلال مصالحته ﷺ مع أهل الكتاب.

يجب على المدعو أن يتخلق بعددٍ من الصفات عند تعامله مع العلماء والدعاة، اقتداءً بالسلف الصالح، وامثالاً لتعاليم الإسلام، فقد كان الصحابة يحترمون الداعية الأول ﷺ ويوقرونه، ويستجيبون له وينقادون لأوامره، ويبدون له الولاء التام، والبراءة من الكفار والمشركين، كما كانوا يقومون بالدعوة والإرشاد بعد تفقههم في دين الله تعالى، فعلى المدعو أن يقتدي بهؤلاء الصحابة الكرام في تعامله مع العلماء والدعاة، فيوقرهم ويحترمهم ويجلهم، ما داموا قائمين على حدود الله، مؤتمرين بأوامره منتهين عن نواهيه، ومن أهم تلك الحقوق الواردة في المصالحات النبوية مع أهل الكتاب ما يلي:

أولاً: من حق الداعية على المدعو: الاستجابة والانقياد له إذا دعاه إلى الحق.

أمر الله تعالى عباده المؤمنين بسرعة الاستجابة لله ولرسوله ﷺ لما في ذلك من الفضل العظيم، والأجر الكبير في الدنيا والآخرة، قال الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].
قال القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ -: أي: استجبوا للطاعة وما تضمنه القرآن من أوامر ونواهي، ففيه الحياة الأبدية، والنعمة السرمديّة^(١).

لذا يجب على المدعو أن يستجيب لداعي الله تعالى، وأن لا يعرض عن الحق والخير، كما عليه أن لا يستبدل الذي هو أدنى بالذي هو خير، فيقدم الدنيا الفانية على الآخرة الباقية.

(١) انظر: تفسير القرطبي ٧ / ٣٨٩.

وليعلم المدعو المعرض عن دعوة الحق وداعي الإيمان والتوحيد، أنه متوعد بالويل والثبور، وعظائم الأمور: قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنْقِمُونَ ﴾ [السجدة: ٢٢]

وقال: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَمَحْشَرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾ [طه: ١٢٤] أي ضيقاً في الدنيا والآخرة.

والناس ليسوا على حدّ سواء في الاستجابة للحق وقبول الدعوة، فمنهم السريع في الاستجابة، ومنهم البطيء، ومنهم من بين هذين الحدّين. والمتأمل في المعاهدات النبوية يرى سرعة استجابة الصحابة لله تعالى ورسوله وامثالهم طاعته، كما يظهر من خلال الكتب التي أرسلها إلى الملوك والأمراء.

فعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ بعث بكتاب إلى كسرى مع عبد الله بن حذافة السهمي^(١) فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى.

وعنه: ﷺ أن رسول الله ﷺ كتب إلى قيصر يدعو إلى الإسلام، وبعث بكتابه إلى دحية الكلبي^(٢)، وأمره أن يرفعه إلى عظيم بصرى لرفعه إلى قيصر، فقاموا بأداء ما أنيط بهم خير قيام، مع ما في ذلك من المشقة.

(١) هو: عبد الله بن حذافة بن قيس بن عدي بن سهم القرشي السهمي، من قدماء المهاجرين، وقيل أنه شهد بدرًا ونزل فيه قوله تعالى: ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ توفي بمصر في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، انظر: تهذيب التهذيب ٥ / ١٨٥.

(٢) هو: دحية بن خليفة بن فروة بن فضالة بن زيد الكلبي صاحب رسول الله ﷺ شهد أحدًا وما بعدها، كان جبريل - عليه السلام - يأتي النبي ﷺ في صورته أحيانًا، وبعثه رسول الله ﷺ إلى قيصر رسولاً سنة ست في الهدنة، فأمن به قصير وامتنع عليه بطارفته، انظر: أسد الغابة ٢ / ١٩٧.

وكذلك نرى من المدعوين من تجبر وتكبر وعاند الدعوة، ولم ينقاد لها، فكان من الخاسرين، ويمثل هذه الفئة من المعاهدين اليهود، الذين نقضوا وثيقة المدينة بكل فئاتهم وقبائلهم، بدءاً بيهود بني قينقاع فبني النضير فبني قريظة.

كما يمثل الصحابي الجليل عبد الله بن سلام النموذج المثالي لسرعة الاستجابة للحق والانقياد له، بعد ما ظهرت له العلامات الواضحة الدالة على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ، وأن شريعته ناسخة للشرائع السابقة.

لذا كان من أهم مقاصد الدعوة إلى الله تعالى وأولوياتها، جعل المدعو منقاداً للدليل الشرعيّ عاملاً بما جاء به الوحيين، مقتدياً بذلك الرسول ﷺ وصحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين - وقد انقاد الفاروق عمر بن الخطاب ﷺ للعلم الشرعي بدليله وعمل به ﷺ، وذلك أن عبد الرحمن بن عوف ﷺ شهد: «أن رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر» فأخذها عمر ﷺ انقياداً للدليل الشرعي.

قال الإمام ابن عبد البرّ - رَحِمَهُ اللهُ -: "وفيه انقياد العالم للعلم حيث كان" وهذا يؤكد أهمية الانقياد للأدلة الشرعية^(١).

فعلى المدعو إذا بلغته الدعوة، أن يكون أوّل الناس استجابةً لله ورسوله، امتثالاً لأمرهما حتى يكون قدوة حسنة.

(١) الاستذكار، لابن عبد البر، ٩ / ٢٩٢.

ثانياً: من حق الداعية على المدعو: إبراز ولائه للمؤمنين وبراءته من الكافرين.

خص الله تعالى عباده المؤمنين بولايته، وأكرمهم سبحانه بمعيته ومحبته، فهو

سبحانه مولاهم وناصرهم. ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ٦٨]

والمشركون والكفار أولياء الطاغوت، وأتباع الشيطان يضلونهم عن الهدى،

ويعمونهم عن الحق، ويخرجونهم من النور إلى الظلمات، قال تعالى: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ

ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَا لَهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ

النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [البقرة: ٢٥٧]

قال الإمام ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ - في تفسير هذه الآية: (يخبر تعالى أنه يهدي من اتبع

رضوانه سبل السلام، فيخرج عباده المؤمنين من ظلمات الكفر والشك والريب، إلى

نور الحق الواضح الجلي المبين السهل المنير، وأن الكافرين إنما وليهم الشياطين تزين

لهم ما هم فيه من الجهالات والضلالات، ويخرجونهم ويحيدون بهم عن طريق الحق

إلى الكفر والإفك^(١).

ومحبة الله ونصرته خاصة بالمؤمنين ولعباده المتقين، والكفار لا مولى ولا ناصر

لهم: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَأَنَّ الْكُفْرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ﴾ [محمد: ١١].

ومنهاج الأنبياء والمرسلين إخلاص الدين لله تعالى والبراءة من المشركين،

ومخالفة أصحاب الجحيم، ومعاداة الكافرين، وقد جعل الله إبراهيم عليه السلام

أسوة حسنة في منهاج الولاء والبراء، وأسوة حسنة في إخلاص الدين فقال: ﴿قَدْ

كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرءُؤُا مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ

اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحَدَهُ﴾ [الممتحنة: ٤].

وحق الولاء والبراء لا يكون إلا للمؤمنين دون غيرهم، وإن تباعدت أنسابهم،

(١) تفسير ابن كثير، ١ / ٦٨٥.

وتناعت ديارهم، وتفرقت أبدانهم، وليس للمشركين والكفار من حقّ الولاء والمؤاخاة شيء، وإن قربت منازلهم، ودنت قرابتهم، وعظمت مكانتهم. وقد قطع الحق والإسلام الصلة بين المؤمن والكافر في الميراث، فقد روي عن أسامة بن زيد (١) عن النبي ﷺ قوله: «لا يرث المسلم الكافر ولا الكافر المسلم» (٢).

ولكن مع هذا كله دعا الإسلام إلى معاملة الناس بالحسنى والعدل، ومصاحبة الوالدين بالمعروف حتى مع الكفر، وذلك بلين القول، وإعانة بالمال، ودعائهما برفق إلى الإسلام، وطاعتها بالمعروف ما لا يقدح في الدين والتوحيد، فقال: ﴿وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا﴾ [لقمان: ١٥]. وفي معاهدة المدينة التي عقدها الرسول مع أهلها إبان وصوله، نجدتها تتضمن هذا الولاء في بنودها من ذلك:

فقال ﷺ: (وإن على اليهود نفقتهم وعلى المسلمين نفقتهم)، وقال: (المسلمون - أو المؤمنون - أمة واحدة من دون الناس، أي اليهود). وقد ألحق النبي ﷺ بطون اليهود إلى بعضها، لأنهم أمة من دون المؤمنين. فقال: (وإن لليهود بني النجار مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني الحارث مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني ساعدة مثل ما لليهود بني عوف، وإن لليهود بني جشم مثل ما لليهود بني عوف...)

(١) هو: أسامة بن زيد بن حارثة بن شراحيل بن كعب، أبو محمد، صحابي مشهور، مولى رسول الله ﷺ من أبويه، كان يسمى: حَبُّ رسول الله، استعمله النبي ﷺ وهو ابن ثمانين سنة، مات سنة أربع وخمسين (٥٤هـ) بالمدينة النبوية، وهو ابن (٧٥ سنة). انظر: تقريب التهذيب ١ / ٩٨.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الفرائض باب: لا يرث المسلم الكافر...، ٨ / ١٤٨.

ولكنه ﷺ بين أن انتهاء كل قبيلة من اليهود إلى نظيرها، وكل المسلمين إخوة وأمة واحدة، ولكن ذلك لا يمنع من التعايش السلمي، الذي يفرض على كلا الطرفين القيام ببعض الواجبات التي تخص المدينة، ولا يعد ذلك موالة ولا محاباة، كما لا يمنع من التعامل الإنساني المبني على تبادل المصالح الدنيوية، فقال: (وإن اليهود ينفقون مع المؤمنين ما داموا محاربين... وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة، أو دمهم يثرب، وإن بينهم النصح والنصيحة والبر دون الإثم...).

كما يتضح من موالة ابن أبي سلول لليهود وبراءته من المسلمين، وبراءة عبادة بن الصامت ﷺ من اليهود الذين هم حلفاءه، وموالة المؤمنين الصادقين، الذين هم إخوته في الدين.

قال ابن إسحاق - رَحِمَهُ اللهُ - في السيرة: لما حاربت بنو قينقاع، تشبث^(١) بأمرهم عبد الله ابن أبي بن سلول، وقام دونهم، ومشى عبادة بن الصامت ﷺ إلى رسول الله ﷺ، وكان أحد بني عوف بن الخزرج، ولهم من حلفه مثل الذي لهم من عبد الله بن أبي، فخلعهم إلى رسول الله ﷺ، وتبرأ إلى الله وإلى رسوله من حلفهم فقال: يا رسول الله، أتولى الله ورسوله والمؤمنين، وأبرأ إلى الله وإلى رسوله، من حلف هؤلاء الكفار وولايتهم، قال: ففيه وفي عبد الله بن أبي نزلت القصة في المائة: ﴿يَتَّأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَرَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٌ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ فَإِنَّهُ مِنَّهُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٢].

يعني عبد الله بن أبي، لقوله: أخشى الدوائر: ﴿يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَىٰ اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِنْدِهِ﴾ إلى قوله: «وَهُمْ رَاكِعُونَ» وذلك لقول عبادة بن

(١) شبث: الشيء وبالشيء شيئاً تعلق به ولزمه، (تشبث) بالشيء شبث به وبرأيه تمسك. انظر:

الصامت: أتولى الله ورسوله وأبرأ من بني قينقاع من حلفهم وولايتهم ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ [المائدة: ٥٦] ^(١).

فهكذا يجب على المدعو أن يكون، إذا بلغته آية من كتاب الله أو حديث من سنة رسول الله انقاد له، وامثل لأمره، كما عليه أن يوالي أولياء الله ويعادي أعداء الله، وأن يُبدي ولاءه وانتماءه إلى الإسلام وأهله، كما فعل عبادة بن الصامت رضي الله عنه وأرضاه.

ثالثاً: من حق الداعية على المدعو: القيام بالدعوة والإرشاد بعد هدايته.

لما شرح الله تعالى صدر المدعو إلى الإسلام، ونور قلبه بنور الإيمان، وزكى نفسه بهداية القرآن، والقرآن يهدي للتي هي أقوم، فإنه عندئذٍ ولا شك ذاق حلاوة الإيمان وطعمه ولذته، واطمأن نفسه بذكر الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ [الرعد: ٢٨].

وإذا سمع بالآيات الداعية إلى وجوب الدعوة إلى الدين، وتبليغ رسالة الإسلام، إلى الناس كافة، كما قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

فإنه - أي المدعو - يهفو إلى سبيل الرسول، وسبيل أتباعه من قيامهم بالدعوة إلى الله على بصيرة وحكمة ﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ [يوسف: ١٠٨].

وقال تعالى أمراً نبيه صلى الله عليه وسلم بالدعوة إلى سبيله، وهو أمرٌ لأتباعه من أمته، ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّ لَهُم بِلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥].

(١) انظر: السير والمغازي لابن اسحاق، ص: ٣١٥.

وقد ظهر في الصلح النبوي مع أهل الكتاب سرعة استجابة بعض المدعوين وقيامهم بالدعوة إلى دين الله، فهذا عبد الله بن سلام رضي الله عنه لما رأى النبي صلى الله عليه وسلم علم أنه ليس بكذاب فاتبعه، ودعا اليهود إلى الإيذان به، ولكنهم عاندوا وكابروا ونقضوا العهود والمواثيق، وقال لهم عبد الله ابن سلام بعد إسلامه: (يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، فأخرجهم رسول الله صلى الله عليه وسلم)^(١) فدعاهم صلى الله عليه وسلم إلى طاعة النبي صلى الله عليه وسلم المقتضي طاعة الله. ولذا فعلى كل مسلم أن يشمّر مجتهدًا بالدعوة إلى الله، وينطلق فرحًا مسرورًا بتبليغ دين الله وتوحيده، لينال شرف الدعوة إلى الله، وشرف السبيل الأقوم والمنهاج الأكرم^(٢).



(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب هجرة النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ٥٦/٥.

(٢) انظر: المسلم الجديد والمنهج الشرعي الرشيد، لسليمان الأطرم، ص: ٧٨.

المبحث الثالث:

المقاصد الدَّعوية المتعلِّقة بواجبات الدَّاعية نحو المدعوين في الصَّح النَّبوي.

إن الدَّاعية إلى الله تعالى يَضطلع بمسؤوليات الدَّعوة، وهي مسؤوليات كبيرة، ومن قبيل الواجبات المتحتمة على الدَّاعية القيام بها نحو المدعوين، حتى تستقيم له دعوته وتثمر، وإن كان للدَّاعية حق على المدعوين، فلا شك أن للمدعوين أيضا حقوق وواجبات على الدَّاعية إلى الله إن قام بها نجحت الدَّعوة، وإن قصر فيها، كانت نتاج الدَّعوة بقدر التقصير، وفيما يلي نبذة من حقوق المدعوين على الدَّاعية حاولت استنباطها من خلال المصالحات والمعاهدات النبوية في المطللين التاليين.

المطلب الأول: المقاصد الدَّعوية المتعلِّقة بواجبات الدَّاعية نحو المدعوين في ضوء

صلحه ﷺ مع المشركين.

مشاورة الدَّاعية مدعويه وتخييرهم فيما يخصهم.

مشاورة الدَّاعية لمدعوه مبدأ إسلامي أصيل، قرره الإسلام، وأرساه القرآن الكريم، وطبَّقه الرسول الكريم ﷺ، واقتدى به صحابته الكرام - رضوان الله عليهم أجمعين -، ورسخته ممارسات الدُّعاة من السَّلف الصَّالح، وهو من الصِّفات الكريمة التي ينبغي على الدَّاعية الاتِّصاف بها، فلا يستبدُّ برأي يخص المدعوين، أو هم فيه شركاء، دون أن يخبرهم به، ويستشيرهم عن موقفهم، إذ في ذلك فوائد جمَّة، يستنبط الصواب، ويكتسب الرأي، ويحصن من الخطأ، ويجرز من الملامة، وغيرها من الفوائد^(١).

(١) انظر: المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار، سارة الباز، ص: ٤٠٨.

ورسولنا ﷺ كما تقدم، كان يستشير أصحابه، بل قال أبو هريرة رضي الله عنه لم يكن أحد أكثر مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ (١).

وفي ضوء مصالحته مع المشركين تبين ذلك، فقد استشارهم في ثمار المدينة، كما استشارهم في الميل على ذراري المشركين عام الحديبية لما عزموا على صدّه عن البيت الحرام، واستشار أم سلمة - رضي الله عنها - بعد عقد الصلح مع سهيل بن عمرو، في شأن الصحابة لما أمرهم بالحلوق والنحر وأبطأوا في الاستجابة.

ولا شك أن هذه المشاورات لها مكانتها في قلوب الصحابة، لأن شأن المدينة وثارها يخصهم، ولذلك أشار عليه السعدان بالتوقف، وقيل بمحوهما الصحيفة.

وفي الحديبية كانوا أيضا شركاء في المنشط والمكروه، فهم الطرف الثاني المباشر للحرب لو قدر، ومبادرتهم إلى البيعة لما دعوا إليها أكبر دليل على ذلك.

فينبغي للداعية أن يعتني بالشورى عناية فائقة؛ لما فيها من جلب المنافع ودفع المضار وزيادة الأجر، ولا يستبد بأرائه، اقتداءً بالنبي ﷺ، لا سيما إذا كانت المسألة تخص المدعوين.



(١) أخرجه الشافعي في الأم (٧ / ١٠٠). ومن طريقه البيهقي في السنن الكبرى (٧ / ٧٣). قال الألباني بعد ذكر الحديث الوارد في أسارى بدر، قال: وفي الباب عن عمر، وأبي أيوب، وأنس، وأبي هريرة. هذا حديث حسن، وأبو عبيدة لم يسمع من أبيه. ويروى عن أبي هريرة قال: ما رأيت أحدا أكثر مشورة لأصحابه من رسول الله ﷺ. انظر: ضعيف سنن الترمذي ص: ١٩٦.

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بواجبات الداعية نحو المدعويين في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب.

أولاً: من واجبات الداعية نحو المدعويين: زيارة المدعو وتفقد أحواله.

الداعية الحقّ هو الذي يطبّق الإسلام على نفسه قبل أن يدعو النَّاس إلى تطبيقه، ويؤدّي الحقوق قبل أن يطالبهم بأدائها، ومن حقّ المسلم على أخيه المسلم أن يتفقد أحواله، وأن يقوم على رعايته، لنصوص كثيرة واردة في ذلك منها:

ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول (حق المسلم على المسلم خمس: رد السلام، وعبادة المريض، واتباع الجنائز، وإجابة الدعوة، وتشميت العاطس)^(١).

وقد ضرب لنا رسول الله ﷺ نماذج عدة في تفقد أحوال أصحابه ومدعويه، فهذا هو بعد غزوة بني النضير يقسم أموالهم بين المهاجرين دون الأنصار، فلم يصب أحدا منهم بشيء سوى رجلين لحاجتهما، وهما سهل بن حنيف، وأبو دجانة، فهذا الموقف يدل على تفقد الرسول للمحتاجين من الصحابة ورعايتهم ومعرفة أحوالهم.

وأما ما يخصّ أهل الكتاب من اليهود والنصارى فكان يتفقد أحوالهم ويمشي لدعوتهم وإقامة الحجّة عليهم، فقد كان مع أصحابه يوماً فقال لهم: «انطلقوا إلى يهود» - قال الراوي - فخرجنا حتى جئنا بيت المدرّاس^(٢)، فقال: «أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإنّي أريد أن أجليكم من هذه الأرض، فمن يجد

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجنائز، باب الأمر باتباع الجنائز ٢ / ٧١. ومسلم في كتاب الآداب، باب من حق المسلم للمسلم رد السلام ٤ / ١٧٠٤، واللفظ للبخاري، وعند الإمام مسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه بلفظ "ست" وزاد فيها "وإذا استنصحك فانصح له".

(٢) (بيت المدارس) الذي يدرسون فيه كتبهم. انظر: لسان العرب، لابن منظور ٦ / ٨٠.

منكم بما له شيئاً فليبعه، وإلا فاعلموا أن الأرض لله ورسوله»^(١).

كما يفهم من وثيقة المدينة، التكافل الاجتماعي، ومنه التزاور وتفقد الأحوال، وتحقيق كل ما من شأنه تحقيق الأمن داخل مجتمع المدينة النبوية. فحري بالداعية إلى الله أن يستميل قلب المدعو بتفقد أحواله، والاهتمام بأمره.

ثانياً: من واجبات الداعية نحو المدعويين: الاهتمام بجميع المدعويين.

إن من حق المدعو على الداعي أن يهتم به ويشعره بذلك الاهتمام، ويستمع له ويتجاوب معه. وهذا الاهتمام ينبثق من شفقة الداعي بالمدعو، وحب له وحرصه الشديد على هدايته، وقد كان ﷺ حريصاً وشفوقاً بعباد الله جميعاً، ليعودوا إلى خالقهم سبحانه بالخلوص من الشرك والتمسك بحبله المتين.

وإذا شعر المدعو باهتمام الداعي فإن الاستجابة غالباً ما تكون إيجابية، وبذلك يصل الداعي إلى هدفه ومقصده العظيم في الدعوة، وهو جرد المدعو من عبادة غير الله إلى عبادة الله وحده والانقياد له بالطاعة، وصرف جميع العبادات لله وحده^(٢).

وإذا تأملنا في سيرة النبي ﷺ في الدعوة إلى الله، نجد أنه لم يخصص فئة دون فئة في الدعوة، بل اهتم بجميع الناس، مما يدل على عالمية دعوته، وشمولية رسالته الخالدة.

وفي وثيقة المدينة جاءت أكثر بنودها عامة، تشمل اليهود جميعاً، العالم منهم والعامي، وفي غزوة خيبر نرى أن النبي ﷺ اهتم بالراعي الأسود، وأعطاه اهتماماً بالغاً، وفي ذلك يقول ابن هشام - رَحِمَهُ اللهُ - (وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يحقر أحداً يدعوهم إلى الإسلام ويعرضه عليه)^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجزية، باب إخراج اليهود من جزيرة العرب ٩٩ / ٤.

(٢) انظر: قواعد الدعوة الإسلامية، لشريف حمدان الهجاري ص: ٤١٤.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ٢ / ٣٤٤.

إذا فعلى الداعية إلى الله أن لا يحتقر أحدا في عرض الدعوة، وأن يعرضها على صغير القوم كما يعرضها على كبيرهم ورئيسهم، وقد جاء في كتاب الله تعالى عتاب للرسول في ذلك فقال تعالى: ﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَكِّي ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى ﴿٤﴾ [عبس: ١ - ٤].

ثالثاً: إبقاء المدعو في منصبه إن كان يستحقه لمصلحة الدعوة.

إن ما يهيم الملوك والأمراء والسادة والأحبار، الذين عقد النبي ﷺ معهم الصلح أن يبقوا في ملكهم ومكانتهم وسلطانهم، فكان من أهم ما يخبرهم الرسول ﷺ أنهم إذا إن استجابوا لداعي الله فإنه يقيهم في ولايتهم، ولا يتعرض لسلطانهم. فأمر عمرو بن العاص ﷺ بإخبار ملكي غطفان بذلك لما خشياً ذهاب ملكيهما إذا أسلما، وفي هذا تشجيع للمدعو للدخول في الإسلام.

وجاء في رسالة الرسول ﷺ إلى المنذر بن ساوي أمير البحرين " وإنك إن تصلح فلن نعزلك عن عملك " أي إن أسلمت فلك ملك البحرين ولن تعزل عنها. ولا شك أن ذلك أثر في الملك فسارع إلى الإسلام مما طمأن قومه الذين أسرع العرب منهم إلى الدخول في الإسلام، ووافق اليهود والمجوس الذين كانوا في البحرين على دفع الجزية (١).

وإبقاء المدعو في منصبه بعد استجابة الدعوة، من أهم ما يجب على الداعية مراعاته، ويظهر ذلك جلياً في معاملة النبي ﷺ للملوك، ففي غزوة تبوك، لما جاء إليه أكيدر النصراني، ملك دومة الجندل، صالحه على الجزية، وقبل هديته، وأبقاه في منصبه ملكاً على قومه، وكذلك فعل بيوحنة بن روبة ابن العلماء، فلم يعزله النبي ﷺ من منصبه، بل أقره على ذلك وطلب منه الجزية، رجاء أن يسلم أو يسلم قومه. مما

(١) انظر: فقه الدعوة في رسائل الملوك ص: ٢٢٦.

يدل على أن الدين الإسلامي دين يراعي ظروف وأحوال المخاطبين، ويحفظ لهم حقوقهم، ويبين مكانتهم وإن أسلموا فلهم العزة والرفعة، وقد قال ﷺ: «خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا»^(١).

أي من كان مختاراً منكم بمكارم الأخلاق في الجاهلية فهو مختار في الإسلام^(٢). قال الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ -: الأفضل من جمع بين الشرف في الجاهلية والشرف في الإسلام، ثم أرفعهم رتبةً من أضاف لذلك التفقه في الدين، ويقابل ذلك من كان مشروفاً في الجاهلية، واستمر مشروفاً في الإسلام^(٣). فعلى الداعية أن يحافظ على أحوال الناس في دعوته، ويحفظ أوضاعهم الاجتماعية، ويبين لهم أن الاستقامة على دين الله هي مما يحفظها.



- (١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب: ﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ بَعْدِي ﴾ [البقرة: ١٣٣] / ٤ / ١٤٨.
- (٢) انظر: فيض القدير ٣ / ٤٦٥.
- (٣) انظر: فتح الباري لابن حجر، ٦ / ٤١٥.

المبحث الرابع:

أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بالداعية

إلى الله في العصر الحاضر.

الداعية إلى الله له مكانة عظيمة وأهمية بالغة، وشرف تام، وذلك لما يقوم به من الدعوة إلى دين الله، وبيان أحكام الشريعة للناس، والداعية وارث لميراث النبوة وقائم في إبلاغ دين الله، والداعية المعاصر عليه واجبات كثيرة، ومسؤوليات عظيمة، وهو يختلف عن الداعية السابق من حيث ظروف المدعويين ووسائل الدعوة وأساليبها.

ولا شك أن ظروف الدعوة وأحوال المدعويين تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة والأحوال، فلكل زمان خصائصه، ولكل مكان ملامحه، ولكل مجتمع سماته وطبائعه، والاختلاف بين الداعية في العصر الحاضر، والداعية في السابق، ليس في موضوع الدعوة ومحتواها، لأن موضوع الدعوة مستمدة من الكتاب والسنة، والمنهج في الماضي والحاضر واحدة، وهي الدعوة إلى توحيد الله تعالى على نور وبصيرة، بل الاختلاف في الظروف والأحوال المتعلقة بالواقع المعاصر، وكذلك الوسائل والأساليب.

ولا شك أن ما تواجه الدعوة الإسلامية في العصر الحاضر من العداء السافر بوسائل جديدة لم تكن في السابق، والصراع بين الحق والباطل باق إلى قيام الساعة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقْتَلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنِ اسْتَطَعُوا﴾ [البقرة: ٢١٧].

فقوى الشر والفساد في العصر الحاضر، يتفقون مع سابقهم في الهدف، وإن اختلفت الأساليب والوسائل.

والداعية المعاصر يستفيد من المسائل المتعلقة بالداعية الأول ﷺ وصحابته الكرام في ضوء المصالحات النبوية مع المشركين وأهل الكتاب، وبيان ذلك في المطالب التالية:

المطلب الأول: أوجه الإفادة من المقاصد الدَّعوية في الصَّح النَّبوي في ما يتعلق بالدَّاعية إلى الله في العصر الحاضر، في ضوء مصالحته ﷺ مع المشركين.

أولاً: صفات الدَّاعية

إن عناية النَّبي ﷺ بالدَّاعية في ضوء صلحه مع المشركين واهتمامه بهم، وإبراز الصفات والأخلاق التي يجب على الدَّاعية الاتِّصاف بها، كان ذلك كلاً لتحقيق المقصد الدَّعوي العظيم، وهو تحقيق العبودية لله رب العالمين، وتزكية نفوسهم وتطهيرها من أدران الشرك والالحاد، ومن بدع الاعتقادات والعبادات، ومن ردى الأخلاق وذميم الخصال، وتحليتها بما فيه صحتها وسلامتها.

وفي هذا المطلب محاولة لرصد مدى استفادة الدَّاعية المعاصر من تلك الموضوعات المتعلِّقة بالدَّاعية، وذلك من خلال الصِّفات التي يجب الاتِّصاف بها، وبيان حقوق الدَّاعية على المدعويين، والواجبات التي عليه تجاه المدعويين.

ومما يستفيدة الدَّاعية المعاصر في صفات الدَّاعية الواردة في المصالحات مع المشركين، إخلاص العمل لله تعالى، فهو أحقَّ النَّاس اتباعاً للحق، وأجدرهم بالاتِّصاف بصفة الإخلاص، وله في رسول الله ﷺ القدوة الحسنة، ولصحابته الكرام الأسوة في تحقيق هذه الصفة الكريمة، وقصة المغيرة بن شعبة وأبو جندل وابن الخطَّاب مما يؤيِّد ذلك.

والدَّعاة في العصر الحاضر أحوج ما يكونون إلى هذه الصِّفة، حتى يفهم التوفيق والتيسير من الله تعالى، كما عليهم أن يعلموا أن الدَّعاة إلى الله المخلصون هم الناجون بإذن الله تعالى.

ومما يستفيدة الدَّاعية المعاصر في تلك المصالحات، الثقة بالله عزَّ وجلَّ وقوة الصِّلة به، فصفة الإيمان وقوة الصِّلة بالله من الصِّفات اللازمة للدَّاعية، فهي القاعدة التي ينطلق منها في دعوته، ومتى ما كان الدَّاعية مؤمناً قويَّ الصِّلة بالله راسخ العقيدة كان ذلك أدعى إلى إيصال الدَّعوة وتبليغها.

وقد تجلّى ذلك في النبي الكريم ﷺ الداعية الأول، ففي يوم الحديبية ذكّر أصحابه بالله، وأنّه قوي الصلّة والثقة به، فهو مولاه ولن يضيّعه الله أبداً، مما زاد ثقة الصحابة ورسوخ هذا المبدأ وهذه الصفة العظيمة في قلوبهم فبايعوه على الموت وعدم الفرار، فرضي الله عنهم وأرضاهم وأنزل السكينة في قلوبهم قال الله تعالى:

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح: ١٨].

والدعاة إلى الله تعالى في العصر الحاضر أحوج ما يكونون إلى الإيمان بالله تعالى وتقوية الصلّة به سبحانه والتعلّق الدائم به، وذلك لما في هذا العصر من الفتن والأهواء، فالداعية حريٌّ بأن يحصّن نفسه بالإيمان بالله، وبثبات العقيدة حتى لا يكون صيداً سهلاً لعصر الفتن والملهيات التي توج كموج البحر.

وإذا أراد الداعية الدعوة إلى الإيمان بالله وجب أن يكون أوّل المقتدين المتمسكين بهذه الصفة، وأن يطبقه على جميع نواحي الحياة، وعلى الداعية المعاصر أن يكون نبراسه في الدعوة إلى الله وهاديه، الإيمان بالله تعالى.

ومما يستفيدة الداعية المعاصر من صفات الداعية الواردة في الصلح، صفة الفطنة والفراسة في المدعوين، فيجب على الداعية أن يكون حكيماً في معاملة المدعوين فطناً لبقاً، يعرف أحوال الناس وأصنافهم، وطريقة دعوة كلّ صنف، وقد تفرس النبي في رسل قريش وكان الأمر كما قال، وعامل كلّ رسول بما يستدعي حاله، ويتوافق مع خلقه وصفته.

والداعية في العصر الحاضر أحوج ما يكون إلى هذه الصفة في وقت كثر النفاق، وتعدّد سبل التحايل على الحق وأهله.

ومما يستفيدة الداعية المعاصر من صفات الداعية الواردة في الصلح مع المشركين، صفة محبة النبي ﷺ وتقديمه على كلّ محبة، ويكون ذلك باتباع سنته واقتفاء

أثره، والسير على سبيله وطريقه ومنهجه الذي هو أقوم الطرق، وأعدل المناهج، وقد ضرب الصحابة - رضوان الله عليهم - المثل الأعلى في محبة النبي ﷺ، فقد أقدوه بالنفس والمال والولد، وبكلِّ غال ونفيس، وقصتهم في يوم الحديبية في المبادرة على وضوئه ونخامه، والامثال لأمره مما يستدل به على ذلك.

والدَّاعية المعاصر، يستفيد من ذلك كلِّه، لتقوية إيمانه، وترسيخ عقيدته ومحبته وولائه، وذلك بلا إفراط ولا تفريط، فمحبه ﷺ لا يستلزم تأليهه، ورفعَه فوق منزلته وقدره، والابتداع في دينه بدعوى محبته، وما أكثر ذلك في العصر الحاضر، فعلى الدَّاعية المعاصر بيان ذلك بالسَّبل القويمة، وبالْحكمة واللين والرفق، وصدِّ النَّاس عن كلِّ ما يؤدي إلى الإفراط أو التفريط في ذلك.

ثانياً: حقوق الدَّاعية على المدعويين.

للدَّاعية إلى الله تعالى بعد أداء الرِّسالة إلى المدعويين، حقوق يجب على المدعويين مراعاتها، وإعطاؤه إياها من دون إفراط أو تفريط في حقِّه، وقد امتثل الصحابة - رضوان الله عليهم - بتلك الصِّفات الحميدة، فراعوا حق الدَّاعية الأول ﷺ ووقروه وعزَّروه بأنفسهم وأموالهم.

والدَّاعية المعاصر يستفيد من هذه الصِّفات والخصال الحميدة ليعرف حقَّه على المدعويين، كما يستفيد منها المدعو ليقف على حقيقة حقوق الدَّاعية عليه، ويحاول بأقصى جهده الوفاء والقيام بتلك الحقوق.

ومن أولى تلك الحقوق التي يستفيد منها المدعو في ضوء المصالحات النبوية مع المشركين، السمع والطاعة للدَّاعية، في غير معصية الله، وقد قال ﷺ «على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره، إلا أن يؤمر بمعصية، فإن أمر بمعصية، فلا سمع ولا طاعة»^(١).

(١) سبق تخريجه في ص: ٢٤٢.

وقد قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه للفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوم الحديبية، إنزم غرزه، فإنه رسول الله ولن يضيّعه الله، قال ذلك مبالغة في طاعته مهما اشتدت الأمور، فإنه مأمور من الله تعالى.

كما أنّ من حقّ الداعية على المدعو الذي يستفيد منه المدعو المعاصر، توكير الداعية دون مبالغة في ذلك، وقد كان الصحابة - رضوان الله عليهم - يوقرون النبي صلى الله عليه وسلم أشدّ التوقير، حتى لم يكونوا يملأون عيونهم منه توقيراً وإجلالاً له صلى الله عليه وسلم، والمدعو والداعية المعاصر أحقّ من استفاد بذلك، في وقت ذهبت هيبة العلماء بين فئات المدعويين، ولم يعرفوا أنهم من ورثة الأنبياء. فحري بالمدعو النظر في سيرة الصحابة والافتداء بهم، في ذلك ليرجع للداعية مكانته بين المجتمع.

كما على المدعو أن ينبّه المدعويين من عدم المغالاة في ذلك، فإنه من الوسائل المؤدية إلى الشرك.

ثالثاً: واجبات الداعية نحو المدعويين. (حقوق المدعو على الداعية)

من الواجبات على الداعية التي يستفيد منها الداعية المعاصر، الواردة في مصالحات النبي صلى الله عليه وسلم للمشركين، مشاوره الداعية مدعويه في الأمور الدعوية، وخاصة التي تخصهم وأخذ آرائهم وعدم الاستبداد برأي يخص المدعويين، أو هم فيه شركاء، دون أن يجبرهم به، ويستشيرهم عن موقفهم، إذ في ذلك فوائد جمّة، يستنبط الصواب، ويكتسب الرأي، ويحصّن من الخطأ، ويجرز من الملامة، وغيرها من الفوائد.

وبها يعرف الداعية أولوا الأبواب من المدعويين، وقد شاور النبي صلى الله عليه وسلم أصحابه في يوم الحديبية، وقال: «أشيروا أيها الناس علي، أترون أن أميل إلى عيالهم وذراري هؤلاء الذين يريدون أن يصدونا عن البيت، فإن يأتونا كان الله عز وجل قد قطع عنا من المشركين، وإلا تركناهم محرويين»، قال أبو بكر رضي الله عنه: يا رسول الله، خرجت عامداً لهذا

البيت، لا تريد قتل أحدٍ، ولا حرب أحدٍ، فتوجّه له، فمن صدنا عنه قاتلناه. قال:
«امضوا على اسم الله».

فيستفيد منه الداعية في استشارة أصحابه من المدعويين، كما يستفيد منه
المدعو، في إبداء الرأي الصائب للداعية، وتوجيهه إلى الطرق الصحيحة التي
تخدم الدعوة إلى الله تعالى.



المطلب الثاني: أوجه الإفادة من المقاصد الدَّعوية في الصَّح النَّبوي في ما يتعلق بالدَّاعية إلى الله في العصر الحاضر، في ضوء مصالحته ﷺ مع أهل الكتاب.

أولاً: صفات الدَّاعية:

إن أخلاق النَّبي ﷺ الكريمة لم تقتصر على المسلمين، بل تعدَّت إلى غيرهم من أهل الكتاب والمشركين، فعاملهم معاملة العدل والانصاف، وتلك الصِّفات سجيَّة وجبلةً منه ﷺ، ومن الصِّفات التي يستفيد منها الدَّاعية المعاصر في ضوء مصالحت النَّبي ﷺ لأهل الكتاب صفة العدل، وهي ضرورة إنسانية يقود إلى الفضائل الأخلاقية، لأنه أساس رئيسي في انتظام العلاقات الاجتماعية^(١).

وهي من الصِّفات المهمَّة للدَّعاة في العصر الحاضر لأنها شاملة لجميع نواحي الحياة، فالدَّعاة في العصر الحاضر مأمورون بالعدل اقتداءً بالنَّبي ﷺ، وفي إشاعة العدل بين المدعويين مدعاة للقبول من قبل النَّاس^(٢).

وقد ظهرت هذه الصِّفة في النَّبي الكريم ﷺ مع غير المسلمين، فلم يمنعهم جَورهم من معاملتهم بالمثل، وقد أكَّد عليه الصلاة والسلام- العدل- في وثيقة المدينة التي تعتبر أولى المعاهدات بين المسلمين وغيرهم، وكرَّره في بنود الوثيقة تأكيداً وبيانا لأهميته، وأنه لا يؤاخِذُ أحدٌ بذنب غيره تحقيقاً للعدل بين الرعايا، ومن عدله وإنصافه إعطاءهم الحرية الدِّينية ليمارسوا شعائرهم الدِّينية في المدينة في بيوتهم ومدراسهم، دون أن يتعرَّضوا للمسلمين بسوء.

ويستفيد الدَّاعية المعاصر من هذه الصِّفة لأنها تمثل أساساً قوياً يقوم عليه حياة المجتمعات الإسلاميَّة في العصر الحاضر في تعاملها مع بعضها ومع غير المسلمين،

(١) انظر: مقومات الدَّاعية الناجح، لسعيد بن وهف القحطاني، ص: ٣٥١.

(٢) انظر: غزوة خيبر دراسة دعوية، نورة المطرد، ص: ٣٧٥.

وتتضح لنا ذلك أكثر من خلال الدعوات الصادقة إلى التحلي بهذه الصفة، وهو ولا شك مدعاة لقبول غير المسلمين للإسلام والدخول فيه أفواجًا.

لذا على الدّعاة في العصر الحاضر التحلي بتلك الصفات مع المسلمين ومع غير المسلمين.

ومما يستفیده الدّاعية في العصر الحاضر من صفات الدّاعية في الصّحّ النبوي، التخلق بخلق الصبر والحلم، وهما من مقومات الحكمة، إذ لا حكمة إلا بالحلم والصبر، والدّاعية الأول ﷺ اتصف بهاتين الصفتين وامتدح المتصفين بها، وبتحقيقهما يتحقق النجاح للدعوة، لا سيما في العصر الحاضر.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ -: ولا بد - أي: في الدّاعية والامر بالمعروف والنهي عن المنكر - أن يكون حليماً صبوراً على الأذى؛ فإنه لا بد أن يحصل له أذى؛ فإن لم يحلم ويصبر كان ما يفسد أكثر مما يصلح، وينقل ما قاله القاضي أبو يعلى: لا يأمر ولا ينهى إلا من كان رفيقاً فيما يأمر به، رفيقاً فيما ينهى عنه، حليماً فيما يأمر به، حليماً فيما ينهى عنه^(١).

ومما يستفیده الدّاعية المعاصر من الصّفات الواردة في مصالحة النبي ﷺ مع أهل الكتاب، اغتنام الفرص وانتهازها في صالح الدّعوة إلى الله، اقتداء بالنبي ﷺ الذي لم يترك فرصة سانحة لإيصال الدّعوة إلا وسلكها، وعمل بها لما فيه مصلحة الدّعوة إلى الله، فقد بادر بإبرام وثيقة المدينة مع يهودها إثر قدومه إليها، كما لم يترك فرصة وفد نجران لما أتوه، فدعاهم إلى عبادة الله والاستسلام له، وصالح أهل أيلة وما جاورها لصالح الدّعوة إلى الله.

والدّاعية المعاصر، لا شك أن فرص الدّعوة تمرّ عليه أكثر من غيره، لكثرة التّداخل، ووجود التعايش مع غير المسلمين، وقد تأتيه فرص للدعوة قد لا تعود،

(١) الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لابن تيمية، ص: ٢١.

من دعوة لغير المسلمين إلى الإسلام، فعليه انتهازها وعدم التقصير فيها، لا سيما إذا كانت القلوب والنفوس مقبلة لقبول الحق.

وعلى الدَّاعية المعاصر اغتنام الوقت المناسب والمكان المناسب، وأن لا يفوت على نفسه فرصة الدَّعوة وهداية النَّاس، فما تيسَّر في الحال، قد لا يتيسَّر في المآل.

ثانياً: حقوق الدَّاعية على المدعوين.

للدَّاعية إلى الله تعالى بعد تبليغ الدَّعوة إلى المدعوين حقوق، يجب عليهم القيام والوفاء بها، لا سيما في العصر الحاضر، فلم يعد للدَّعاة مكانتهم العالية لدى المدعوين، وفي ضوء مصالحت النبي ﷺ نستنبط عدداً من تلك الحقوق ليستضيء بها المدعو في العصر الحاضر، ويعطي الدَّاعية حقه، ومن أهم تلك الحقوق.

الانقياد للدَّعوة إلى الله تعالى إذا بلغته، -لاسيماً إذا كان من أهل الكتاب- وله القدوة الحسنة في عبد الله بن سلام في ذلك، الحبر العلامة في الدِّيانة اليهودية والنَّصرانية، وإبراز ولائه للمؤمنين وبراءته من الكفار والمشركين، ويمثّل هذا النَّمُوزج الحيّ عبادة بن الصَّامت وعبد الله بن أبيّ، فالمدعو المعاصر بعد وقوفه على هذه المواقف الشَّجاعة من الصحابة الكرام- رضوان الله عليهم- عليه الاقتداء بهم، كما يستفيد المدعو المعاصر من الحقوق الواردة في الصَّلح مع أهل الكتاب، القيام بالدَّعوة إلى الله تعالى بعد أن بصَّره الله إلى طريق الحق والهداية.

ثالثاً: واجبات الدَّاعية نحو المدعوين. (حقوق المدعو على الدَّاعية).

لاشكَّ أن نجاح الدَّعوة إلى الله تعالى يتوقَّف على معرفة الدَّاعية قدر المدعو والاعتناء عند إيصال الدَّعوة إلى الله، وإنزاله المنزلة اللائقة بمقامه، وعدم التَّرفع عليه، ومما يستفيدة الدَّاعية المعاصر من المقاصد الدَّعوية في مصالحت النبي ﷺ مع أهل الكتاب، من حقوق المدعوين على الدَّاعية، إنزال المدعو المنزلة اللائقة به، فهو

من أهم مقومات الدعوة وأسباب نجاحه.

ومما يستفیده الداعية المعاصر مما يتعلق بواجباته تجاه المدعوين، زيارة المدعو وتفقد أحواله، وقد كان -ﷺ- يزور أهل الكتاب لدعوتهم وإرشادهم، وإقامة الحجة عليهم، وقد وطّد في وثيقة المدينة التكافل الاجتماعي، وتحقيق كل ما من شأنه تحقيق الأمن والاستقرار داخل المدينة.



الفصل الثالث:

المقاصد الدعوية المتعلقة بالمدعو في الصلح النبوي.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بأصناف المدعوين في الصلح النبوي

المبحث الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بدوافع استجابة المدعوين للدعوة في الصلح النبوي

المبحث الثالث: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق المدعوين على الداعية في الصلح النبوي

المبحث الرابع: أوجه الاستفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بالمدعو في العصر الحاضر.

الفصل الثالث:

المقاصد الدعوية المتعلقة بالمدعو في الصلح النبوي.

لما كانت الدعوة الإسلامية، دعوة عامة عالمية خالدة، للناس كافة، فإن المدعويين هم جميع الناس، فالإسلام رسالة الحق سبحانه إلى جميع الثقلين، ومحمد هو المبعوث للناس جميعاً، ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨].

ولما كان الداعي مكلفاً بإيصال الدين إلى الناس كافة، أسوة بالأنبياء والمرسلين، يجدر به قبل القيام بإيصال هذا الدين معرفة من توجه إليه الدعوة أولاً، إذا فمن هو المدعو؟

المدعو لغة: اسم مشتق من الفعل دعا، ودعوت فلانا أي: صحت به، واستدعيته، ودعا الرجل دعواً ودعاءً، ناداه، والاسم من دعا: الدعوة، والمدعو، اسم مفعول من الفعل، دعا^(١).

المدعو اصطلاحاً: عرف المدعو بعدة تعريفات وكلها متقاربة، ومنها:

- المدعو، هو الإنسان، أي إنسان كان^(٢). وقيل هو: من توجه إليه الدعوة^(٣).
 - وقيل: هو الإنسان مطلقاً، قريباً كان أو بعيداً، مسلماً أو غير مسلم، ذكراً كان أو أنثى إلى غير ذلك من أوصاف^(٤). وقيل هو: كل مخاطب بالدعوة من الخلق^(٥).
- وهذا التعريف، جامع لكل أوصاف المدعويين، ومن هو داخل في الخطاب

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ١/٩٨٦، والمعجم الوسيط، ١/٢٨٦.

(٢) انظر: أصول الدعوة للزبدان، ص: ٣٥٧.

(٣) انظر: المدخل إلى علم الدعوة لأبي الفتح البيانوني، ص: ١٦٩.

(٤) المرجع السابق، ص: ٤١.

(٥) الأسس العلمية لمنهج الدعوة للأستاذ الدكتور: عبد الرحيم المغذوي ٢/٥٥٦.

الديني، - سواء كان من أمة الدعوة، أو أمة الإجابة - كما يشمل من الخلق، الجن والإنس، لقول الله تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾^(١).

ومما سبق يتضح أن المدعو في اصطلاح الدعوة الإسلامية، تعددت التعريفات فيه، وهو: الإنسان (أو المدرك) المخاطب بدعوة الإسلام، (أي: الإنسان العاقل البالغ، ذكرًا كان أو أنثى، لأن الإسلام رسالة الله الخالدة إلى جميع الناس، والرسول محمد ﷺ بعث إلى الناس كافة، أبيضهم وأسودهم وأحمرهم، عربهم، وعجمهم)^(٢)، حتى يرث الله الأرض ومن عليها)^(٣).

وفي ضوء المصالحات النبوية تعددت أصناف المدعوين وتباينت أحوالهم وقبولهم للدعوة وفيما يلي نبذة عن أصناف المدعوين الواردة في ضوء الصلح النبوي مع غير المسلمين.

(١) قال الفخر الرازي عند ذكر الفوائد المستنبطة من سورة الجن: (أنه عليه السلام، كما بعث إلى الإنس، فقد بعث إلى الجن) تفسير الرازي، مفاتيح الغيب (٣٠ / ٦٦٥).

لكن الذي يرد على هذا القول، هل الدعاة مطالبون بإيصال الدعوة إلى الجن؟ لا شك أن ذلك - أي إيصال الدعوة إلى الجن - خاص بالنبي ﷺ، فإيصال الدعوة إلى الجن، وإيذان بعضهم في حياته، وجب عليهم إيصال الدعوة إلى غيرهم، كما هو واجب بين الإنس، فالدعاة مطالبون بإيصال الدعوة إلى عامة الناس، فكذا الدعاة من الجن، والله أعلم.

(٢) وقد ورد في سنن الترمذي عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل، فقال: " يا جبريل إني بعثت إلى أمة أميين: منهم العجوز، والشيخ الكبير، والغلام، والجارية، والرجل الذي لم يقرأ كتاباً قط... الحديث، انظر: السنن، أبواب القراءات، باب ما جاء أنزل القرآن على سبعة أحرف ٥ / ١٩٤ وقال الألباني حسن صحيح.

(٣) قواعد الدعوة الإسلامية، للشريف حمدان الهجاري ص: ٣٨١.

المبحث الأول:

المقاصد الدعوية المتعلقة بأصناف المدعوين في الصلح النبوي.

يمكن تصنيف المدعوين إلى عدّة تصنيفاتٍ، حسب القاعدة التي ينطلق منها الباحث في التصنيف، فإذا انطلق من ناحية المسؤولية، فإنهم ينقسمون إلى ملأ، وجمهور، وإذا انطلق من ناحية الجنس، فينقسمون إلى ذكر وأثني، وإذا انطلق من ناحية السن والعمر، فينقسمون إلى طفل وشاب، وكهل وشيخ، وإذا انطلق الداعية من ناحية الديانة، فينقسمون إلى: مسلم ومنافق، وكافر.

وإذا نظر الداعية إلى الناحية المادية، فسيجد أمامه إما غني أو فقير، وهذه التقسيمات كما سبق أنها تخدم الداعية من كل النواحي، حيث يرى أمامه أصنافاً من الناس، يختلف طبيعة طريقة دعوتهم إلى الإسلام.

وفي ضوء المصالحات النبوية نستعرض بعض هؤلاء الأصناف من المدعوين، الذين كان لهم موقف واضح، أو دخلوا ضمناً في الخطاب والتوجيه الدعوي.

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بأصناف المدعوين في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين.

تعتبر دائرة المشركين من أوسع دوائر المدعوين، وأكثر أصناف المخاطبين، وذلك لسعة مفهوم الشرك، وتنوع أوصافه، وتداخل السمات الشريكية بين المدعوين بأصنافهم، وقد اشتملت مصالحت النبي ﷺ للمشركين بيان عدد من أصنافهم.

أولاً: من أصناف المدعوين: الملأ من المشركين.

الملأ من القوم، هم أشرف القوم، ورؤساؤهم وساداتهم^(١)، وهم البارزون في المجتمع، وأصحاب النفوذ فيه، ويعتبرهم الناس أشرفاً وسادة.

(١) تفسير القرطبي - الجامع لأحكام القرآن ٨ / ٤٨.

والغالب على هذا الصنف من المدعويين، معاداتهم للدعوة، ومقاومتهم لها. وقد حدث ذلك مع الرسل والأنبياء، وكان ﷺ يخرج إلى القبائل يدعوهم إلى الله، وكان يمشي وراءه أبو لهب وهو من أشرف قريش ويقول للناس، فلا تطيعوه ولا تسمعوا منه^(١).
 والنّاظر في مصالحة النبي ﷺ يوم الحديبية يرى أن الذين أرسلوا إليه للمفاوضة والمحاولة في ردّه وصدّه عن البيت، كانوا من أشرف القوم، ولهم مكانة عند قريش، فحليس كان سيد الأحابيش، قال ابن هشام (ثم بعثوا إليه الحليس بن علقمة أو ابن زيان، وكان يومئذ سيد الأحابيش)^(٢).

وسهيل كان أحلمهم، وعروة بن مسعود الثقفّي كان مطاعاً فيهم، إذ قالوا له: (ما أنت عندنا بمتهم) أي: أن هؤلاء كانت لهم منزلة ومكانة في قومهم، فدعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام ضمناً، فأخلاقه ومعاملاته الحسنة - ودعوته الصامتة -، أثرت في كثير من هؤلاء الأشراف.

ولما اشتدّ الحال بالمسلمين أيام الخندق، أراد رسول الله ﷺ أن يُصالح عيينة بن حصن، والحارث بن عوف المري رئيسي غطفان، على ثلث ثمار المدينة^(٣).
 كما أن قبول الرسول ﷺ عقد الصلح معهم، دليل على أنهم من أصناف المدعويين. فعلى الداعية إلى الله أن يدرك أهمية دعوة هذه الفئة من الناس، ويوليهم اهتمامه، فقبولهم الدعوة، يقبل الدعوة كثير من عامة الناس، ويرفضهم يرفض الكثير لشدة تأثيرهم، وقد قال الله تعالى عن فرعون وما حصل لقومه: ﴿فَأَسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَتِسِقِينَ﴾ [الزخرف: ٥٤].

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٤٢٣.

(٢) المصدر السابق ٢ / ٣١٢.

(٣) انظر: السيرة النبوية لابن كثير ٣ / ٢٠١.

قال ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ -: استخفَّ عقولهم فدعاهم إلى الضلالة فاستجابوا له^(١).
فينبغي للداعية أن يعتني بدعوة أشرف الناس، ويخاطبهم على قدر مكانتهم،
ومنازلهم؛ لأن النبي ﷺ سلك هذا المنهج الحكيم وأنزل كل إنسان منزلته.

ثانياً: من أصناف المدعويين: عامة الناس (الجمهور)

عامة الناس هم أكثر المدعويين، لأن عامة الشيء أكثر وأعمه، والمقصود بهم
معظم الناس، ما عدا المملأ، وهؤلاء عادة يكونون مرؤوسين للمملأ وتابعين لهم،
ويكونون غالباً من الضعفاء والفقراء، ويباشرون معظم الأعمال والمهن التي لا
يباشرها المملأ، وكان لعامة الناس نصيب في ضوء الصلح النبوي، بل كأن أكثر بنود
الصلح تجري عليهم.

ويظهر ذلك في البنود: فقولهم في وضع الحرب عشر سنين، معلوم أن الحرب إذا
ثارت أكثر من يشارك فيها هم عامة الناس، وهم السواد الأعظم في المشركين،
فوضع الحرب عشر سنين، لهم راحة وأمان في عدم الخوض في هذه الحروب التي لا
ينتفع بها ينتج فيها من الغنائم والخيرات إلا كبار القوم، وأما البند الذي فيه: أن من
أسلم من كفار مكة والتحق بالمسلمين يرد إلى المشركين، معلوم أن أكثر الذين
يستجيبون للرسول هم الفقراء الضعفاء، وقد ورد ذكرهم في حديث أبي سفيان رضي الله عنه
عندما سأله هرقل: (فأشرف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ فقلت بل ضعفاؤهم.
قال: أيزيدون أم ينقصون؟ قلت: بل يزيدون. قال: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد
أن يدخل فيه؟)^(٢).

وقد قال كبار قوم نوح وأشرفهم: ﴿ قَالُوا أَنْزِلْ لَكَ وَأَتَّبِعَكَ الْأَرْدَلُونَ ﴾ [الشعراء: ١١١]

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٣١٧/١٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، المقدمة، باب بدء الوحي ٨/١، عن أبي سفيان رضي الله عنه.

فعلى الداعية إلى الله أن يولي اهتمامه بعامة الناس في الدعوة، ولا يقتصر جهده على الأشراف فقط، وإن كان لهم تأثير في العامة، ولكن يجب أن تكون الدعوة عامة، شاملة لكل فئات الناس على حسب طبقاتهم، ومراتبهم، كما عليه مراعاة ما يناسب كل فئة من هذه الفئات لتثمر دعوته، وتؤتي أكلها، بهداية الناس إلى دين الله.

ثالثاً: من أصناف المدعويين الخدم والعبيد.

خلق الله الخلق ورفع بعضهم فوق بعضهم درجات، فتفاوتت طبقات المجتمع، وكان من ضمن هذه الطبقات، طبقة الخدم والعبيد، وهم الذين يكونون في خدمة رؤسائهم وأسيادهم، فكان من الصعب على هذه الطبقة الاستجابة للدعوة بكل حرية، لأنهم محكومون لا يمكن لهم التصرف، ولكن هذا لا يقلل من قدرهم، ولا ينقص من قيمتهم إن استجابوا لله والرسول، وقد استجاب كثير منهم للدعوة الإسلامية، وخالفوا من هم تحت حكمهم، ومصالحة النبي ﷺ لم تخل ذكر هذه الفئة وإن لم تكن استطاعت الاستجابة له آن ذاك.

وقد ورد في بنود الصلح: من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده إليهم ومن جاء قريشا ممن مع محمد لم يردوه عليه^(١). فقوله: بغير إذن وليه: دليل على أنه من الموالي والعبيد، ومحكوم عليه، ومغلوب على أمره.

إذا تبين أنه مما لا شك فيه، أن من أصناف المدعويين الموالي والخدم ونحوهم؛ لدخولهم في عموم الخطاب بالدعوة، وخطاب النبي ﷺ عام في بنود الصلح فيدخل الحاكم والمحكوم، والعبد والسيد، كما يؤكد أهمية عناية المسلم وخاصة الداعية إلى الله - عز وجل - بمن تحت يده من الموالي والخدم وغيرهم: من دعوتهم إلى الخير وتحذيرهم من الشر، ومراقبتهم مراقبة دقيقة؛ لإلزامهم بطاعة الله ﷻ وإبعادهم عن معصيته.

(١) للوقوف على شرح تفاصيل البنود. انظر: الروض الأنف ٧ / ٦٨.

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بأصناف المدعوين في ضوء

صلحه ﷺ مع أهل الكتاب.

اقتضت حكمة الله عز وجل، أن يجعل رسالة نبينا محمد ﷺ آخر الرسائل السَّماوية إلى العالمين، ناسخة لما كان قبلها من الكتب والرسالات، شاملة لجميع البشر، صالحة لكل زمان ومكان، لا يسع أحد إلا اتباعه، والانقياد له، سواء كان من أهل الكتاب أو غيرهم من المشركين، وهو القائل ﷺ: «والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني، ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به، إلا كان من أصحاب النار»^(١).

وفي ضوء المصالحات النبوية نرى أن الذين قام النبي ﷺ بدعوتهم إلى الإسلام من أهل الكتاب هم على أصناف عدة منهم الكبير والصغير والعالم والجاهل، وغيرهم، وفيما يلي نبذة عن هذه الأصناف.

أولاً: من أصناف المدعوين اليهود.

إن أهل الكتاب - وخاصة اليهود - في يثرب كانوا يتحدثون عن النبي ﷺ قبل بعثته وفقاً وجدوه في كتبهم، حيث وردت فيها صفته وزمانه وما يأمر به وما ينهى عنه ﷺ، يقول تعالى في وصفه: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع

وكان هؤلاء اليهود يفتخرون بقدمه، ويهددون العرب بذلك، ولما بعث النبي ﷺ وهاجر إلى المدينة وجد أهلها مختلطين بين قبائل عربية ويهودية، فبدأ بدعوتهم إلى الإسلام، وكتب بينهم الوثيقة المعروفة، ولكنهم عاندوا وعارضوا دعوته، بل مجرد عقد النبي ﷺ الصلح مع اليهود، وذكرهم في بنودها وتخصيصهم ببعض أمورها، أكبر دليل على أنهم صنف من أصناف المدعويين، يجب إيصال الدعوة إليهم، وإبلاغهم الحجّة القائمة عليهم، فهم أمة من أمم الدعوة، وموافقهم الكثيرة مع الرسول ﷺ في كل من المدينة وما جاورها كخيبر، وفدك، وتيما، تؤكد ذلك، بل كان الرسول ﷺ يزورهم في دور عبادتهم لدعوتهم إلى الله تعالى، فقد زارهم في بيت المدراس، وقصدهم في مجلس وهم مختلطين مع المنافقين، وفيهم عبد الله بن أبي فذكرهم بالله.

كما قام بدعوتهم في خيبر وما جاورها من القرى، فقال لعلي ﷺ يوم فتح خيبر، أمرا إياه بالبدا بالدعوة إلى الله، وبيان فضل ذلك ومكانته عند الله «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلا خيرا لك من أن يكون لك حمر النعم»^(١).

ولما بعث معاذ بن جبل^(٢) إلى اليمن ذكره بهم وأنهم أهل كتاب، يعرفون عن الإسلام ولكنهم أعرضوا عنه.

فينبغي على الداعية إلى الله تعالى أن يولي اهتمامه بهذا الصنف من المدعويين، وأن

(١) سبق تخرجه في ص: ٦٥.

(٢) هو: معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس، أبو عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي، صحابي جليل، أسلم وهو ابن ثمان عشرة سنة، شهد العقبة وبدرا، والمشاهد كلها، وبعثه النبي ﷺ قاضيا ومعلما إلى اليمن، توفي في طاعون عمواس سنة ١٨ هـ، انظر: سير أعلام النبلاء للذهبي ١ / ٤٤٥.

يتبع في دعوتهم الأسس والأساليب النبوية الواردة في ذلك، من مجادلة وإقامة حجة وبرهان بوجود وصف النبي ﷺ في كتبهم، وبيان أنهم حرفوا دين نبيهم موسى -عليه السلام- الذي كان على الإسلام، مع الإشادة بما قام به بعض أحبارهم من اتباع للرسول إثر قدومه إلى المدينة، وأن من آمن بالنبيين موسى ومحمد ﷺ له الجزاء الأوفى، ويؤتى أجره مرتين، يوم القيامة، كما قال ﷺ.

ثانياً: من أصناف المدعوين: النصارى.

لما هاجر الرسول ﷺ إلى المدينة لم يكن يقطنها إلا القليل من النصارى، وكانوا يأتون إليه لمجادلته ومحاورته في أمور الدين، ويقبل منهم ذلك ﷺ دون تعنيدٍ أو تنفير. والناظر في الصلح النبوي يرى أن النبي ﷺ صالح أهل نجران وهم أهل كتاب، وكتب بينه وبينهم كتاب صلح، وبعث إليهم أمين الأمة -أبو عبيدة عامر بن الجراح- كما صالح أهل أذرح وجرباء وأيلة ودومة الجندل، وكلهم كانوا نصارى، فدل على أنهم من أصناف المدعوين الذين يجب دعوتهم وإقامة الحجة عليهم وتفنيدهم ما عندهم من الشبهات الباطلة في عيسى عليه السلام، وردهم إلى الصراط المستقيم^(١).

وقد كتب إليهم الرسول ﷺ يدعوهم إلى الإسلام، فكتب إلى النجاشي النصراني في الحبشة، وإلى المقوقس القبطي في مصر، وغيرهم^(٢)، ولا شك أنهم كما وصفهم الله أنهم

(١) انظر: الأسلوب النبوي في الدعوة لشريف حمدان الهجاري، ص: ٢٩٠.

(٢) إن أغلب الكتب التي بعثها النبي ﷺ لدعوة أهل الكتاب للدخول في الإسلام، كان إلى عطاء النصارى، مثل هرقل، والنجاشي، والمقوقس، أما اليهود فإنهم كانوا يجاورونه في المدينة، وكان يدعوهم إلى الله عز وجل، فكم مرة سألوه عن أمور عرفوها من كتب أنبيائهم السابقين، وعن المغيبات، يحاولون تعجيزه بذلك، ولكن الله لم يحقق لهم أي هدفٍ، فأبطل تلك المحاولات كلها، وأظهر دينه، انظر: منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب، محمد سيدي الشنقيطي، ص: ٢١٩. [كما يبين هذه الكتابات والمحالقات بدقّة ووضوح أنهم من

أقرب إلى الإسلام من اليهود، وأقرب مودةً للمسلمين، فالتعامل مع النصارى يختلف عن التعامل مع اليهود والفُرس، وهي حقيقة قرَّرها القرآن الكريم، وذلك في قول الله تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرَكَ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَيْسِيَّةٌ وَرَهَبَانَا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

كما أن موقف عداس^(١) النصراني يوم رجوع النبي ﷺ من الطائف، أبلغ عبرة في هذا المجال، وقصة النجاشي ملك الحبشة تؤكد ذلك، وما قصة المقوقس القطبي - حاكم مصر - الذي أهدى إلى النبي ﷺ بغلة وجاريتين عنا ببعيد.

ولا شك أن دعوة النصارى إلى الله تحتاج إلى أساليب ووسائل متخصصة؛ لمراعاة أحوالهم ومعتقداتهم، فينبغي أن يسلك معهم الداعية إلى الله هذا المسلك فيفند ما عندهم من الشبهات حول المسيح - عليه السلام -، بالأدلة العقلية والنقلية، مع إثبات تحريف الإنجيل الذي معهم، ونسخ الإسلام للشرائع السابقة، وذلك بالطرق الحكيمة في الدعوة إلى الله، الدالة على فقه الداعية وصحة مقصده، وهو إنقاذهم من عبادة العباد، إلى عبادة رب العباد.

أصناف المدعوين الذين يجب على الدعاة الاعتناء بهم، وردهم إلى سواء السبيل].

(١) عدَّاس، بفتح العين، وتشديد الدال المهملة وفتحها هو: عدَّاس مولى شيبه بن ربيعة بن عبد شمس، من أهل نينوى الموصل، لقي النبي ﷺ بالطائف، وكان نصرانياً، فأسلم وجعل يقبل قدمي رسول الله ﷺ، وقصته مع النبي في الطائف مشهورة، روى حديثه موسى بن عقبة عن ابن شهاب - رَحِمَهُ اللهُ - . انظر: أسد الغابة ٤ / ٤ .

ثالثاً: من أصناف المدعويين: الأخبار^(١) والرهبان^(٢)

إنَّ الرِّسالةَ المحمَّدية جاءت لتُقيِّمَ الحجَّةَ والبرهانَ القاطعَ على أصحاب الرِّسالاتِ السَّماويةِ، وقد انقاد لها من وفَّقه الله للهداية، وابتعد عنها من كتبت له الشُّقاوة والغواية، وكان من الذين اعتنى بهم النبي ﷺ أثناء دعوته - وخصوصاً في ضوء مصالحته لغير المسلمين - الأخبار والرهبان من أهل الكتاب، فقد كان لهم نصيبٌ وافراً في الدَّعوة إلى الله تعالى.

فالتَّناظر في المصالحات النبوية يرى أن النبي ﷺ قد أعطى للأخبار والرهبان نصيباً وافراً من الاهتمام الدعوي مما يدل على أنهم من أصناف المدعويين الذين يجب الانتباه لهم، ودعوتهم بالحكمة، والموعظة الحسنة، والجدال بالتي هي أحسن إن دعت الحاجة، وقد كان لهؤلاء مكانة عند الرسول ﷺ فكان يسرّ بإسلامهم^(٣)، وفي إسلام حبرٍ من أخبارهم - عبد الله بن سلام - ﷺ. يسأل الرسول ﷺ يهود المدينة عنه، وعن منصبه ومكانته فيهم: فقال رسول الله ﷺ لهم حين أتوه: " فأَيُّ رجل فيكم عبد الله بن سلام؟ " قالوا: ذاك سيدنا وابن سيدنا، وأعلمنا وابن أعلمنا،

(١) الأخبار: جمع حبر، وهو الذي يحسن القول وينظّمه ويتقنه، والعالم من أهل الكتاب. انظر: تفسير القرطبي ١٢٠/٨.

(٢) الرّهبان: جمع راهب مأخوذ من الرهبة، وهو الذي حمّله خوف الله تعالى على أن يخلص له النية دون الناس، ويجعل زمانه له وعمله معه وأنسه به. انظر: تفسير القرطبي ١١٩/٨.

(٣) المتبوع لسيرة الرسول ﷺ وصحابته الكرام - في العهد المدني - يرى أنّ عدداً من الأخبار والرهبان أسلموا في عهده ﷺ، ولهم ذكر في كتب التاريخ والسير، وعلى رأسهم عبد الله بن سلام، وابنيه محمد، ويوسف، وأخوه ثعلبة بن سلام، وزيد بن سعدة الحبر، وميمون بن يامين، وكعب الأخبار، وغيرهم من الأخبار، انظر: يهود أسلموا في حياة النبي محمد ﷺ، علاء بكر، ص: ٧٣، وراجع: هذا الحبيب يا محب للجزائري، ص: ١٥٠ - ١٥٢.

وأخبرنا وابن أخبرنا، خيرنا وابن خيرنا، وأفضلنا وابن أفضلنا، قال: " أفرايتم إن أسلم؟ " قالوا: أعاذة الله من ذلك، حاشا لله، ما كان ليسلم. قال: " أفرايتم إن أسلم؟ " قالوا: حاشا لله، ما كان ليسلم. قال: " أفرايتم إن أسلم؟ ". قالوا: حاشا لله ما كان ليسلم. قال: " يا ابن سلام، اخرج عليهم " فخرج عليهم عبد الله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدا رسول الله، يا معشر اليهود اتقوا الله، فو الذي لا إله إلا هو إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت، أشرنا وابن شرنا، ووقعوا فيه، فأخرجهم رسول الله ﷺ^(١).

ومن قسيسي النصارى ورهبانهم الذين دعاهم النبي ﷺ إلى الإسلام، يوحنة بن رؤبة - المعروف بابن العلماء - الذي ورد ذكره في صحيح الإمام مسلم، من حديث أبي حميد الساعدي رضي الله عنه، أهدى إلى النبي ﷺ بغلة بيضاء فأخذها منه رضي الله عنه وكساه برداً، وكتب له كتاب صلح، كما صالح نصارى نجران الذين أتوه^(٢) وحاجوه في أمر عيسى - عليه السلام، وكتب لهم أنه لا يغير أسقف من أسقفيته، ولا راهب من رهبانيته^(٣).

(١) سبق تخريجه في ص: ٢٥١. من هذا البحث.

(٢) قال ابن إسحاق - رضي الله عنه -: قدم على رسول الله ﷺ وفد نجران ستون راكبا، فيهم أربعة عشر رجلا من أشرفهم، في الأربعة عشر: منهم ثلاثة نفر، إليهم يؤول أمرهم، العاقب، أمير القوم وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدرون إلا عن رأيه، واسمه عبد المسيح. والسيد: ثاهم، وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم، والثمال هو الملجأ والغياث. وأبو حارثة بن علقمة أحدج بني بكر بن وائل، أسقفهم وحرهم، وإمامهم وصاحب مدراسهم، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم، فكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأكرموه وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم من علمه واجتهاده في دينهم. انظر: السيرة النبوية لابن هشام، ١/ ٥٧٣.

(٣) انظر: العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، فاروق حمادة ص: ١١٠.

فخصّهم بالذكر وبيّن أنّ لهم حقوقاً يجب الوفاء بها، ويجرّم انتهاكها، فدّل على أنّهم من أصناف المدعويين.

فينبغي على الداعية إلى الله أن يجعل هذه الفئة نصب عينيه في الدعوة وليتنبه لهم لمكانتهم، كما عليه أن يستعد علمياً لمحاجّتهم ومجادلتهم بالتي هي أحسن، لما فيهم من العلم، وقد أرشد المصطفى ﷺ معاذ بن جبل إلى ذلك حين أراد أن يبعثه إلى اليمن، فاستعد لذلك، وقال له: «إنّك ستأتي قوماً أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأنّ محمداً رسول الله» (١).

قال الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ -: قوله: ستأتي قوماً أهل كتاب هي كالتوطئة للوصية، لتستجمع همته عليها، لكون أهل الكتاب أهل علم في الجملة، فلا تكون العناية في مخاطبتهم كمخاطبة الجهّال من عبدة الأوثان (٢).

رابعاً: من أصناف المدعويين: أصحاب السّلطة.

أصحاب السّلطة في القوم، هم الذين في أيديهم زمام الأمور، وبأيديهم الأمر بتنفيذ الأوامر، وبعد صلح الحديبية وبالتحديد بعد فتح خيبر والقضاء على اليهود القريبين من المدينة، ضاعف الرسول ﷺ جهوده الدعوي إلى خارج الدولة الإسلاميّة - المدينة النبوية، فكتب الملوك والأمراء وذوا السّلطة والجاه من أهل الكتاب يدعوهم وشعوبهم إلى الله تعالى، وذلك تطبيقاً لعالمية الدعوة الإسلاميّة وشمولها، ولأنّ في هدايتهم هداية لرعيّتهم، وأثرها عظيم في وصول الدعوة إلى النّاس، وزوال وقوف هؤلاء في طريق الدعوة إلى الله وانتشارها.

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب أخذ الصدقة من الأغنياء ٢... / ١٢٨.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر ٣ / ٣٥٨.

والنّاظر المتأمل في أخبار الملوك، وأصحاب السّلطة الذين دعاهم الرّسول ﷺ إلى الإسلام يجد تباين أحوالهم واختلاف طبائعهم تجاه الدّعوة، فمنهم العاقل الحاذق النّاظر لمصلحته ومصلحة قومه، فقبل الصّلح ودفع الجزية، كأكيدر السّكوني الكندي ملك دومة الجندل، وكسرى وقيصر، ويوحنة بن رؤوبة ملك أيلة. ومنهم المتغطرس المتعالي، الذي رفض الدّعوة وحرّض على قتال المسلمين واستتصاهم في المدينة قبل أن يقوي شوكتهم، ككعب بن الأشرف اليهودي^(١). رئيس بني قينقاع، وغيره.

وتخصيص النّبي ﷺ هؤلاء بالدّعوة يدلّ على عظم مكانتهم وقوّة تأثيرهم على قومهم، وأتّم فئة من المدعوين الذين يجب على الدّاعية التّفنّن لهم لمكانتهم.

فعلى الدّاعية إلى الله أن يدرك أهمية دعوة هؤلاء وأن يوليهم اهتمامه لما في ذلك من المصلحة العامة المتعدية.

خامساً: من أصناف المدعوين: ضعاف النّاس وعامتهم.

ضعاف النّاس هم الذين يشكّلون السّواد الأعظم من النّاس في أيّ مجتمع من المجتمعات في العالم، ويكونون غالباً على الفطرة، ولم تفسد نفوسهم بحبّ الرّئاسة والسّلطة والجاه، كما يكونون من الطبقات العامّة التي تباشر الحرف والمهّن وهؤلاء الأصناف من النّاس أسرع من غيرهم استجابةً للحق، وإتباعاً للدّعاة إلى الخير^(٢).

(١) هو: كعب بن الأشرف الطائي من بني نبهان، شاعر جاهلي، وأمه من يهود بني النضير، اعتنق اليهودية، وكان سيداً في أخواله، يقيم في حصن له قريب من المدينة، أدرك الإسلام ولكنه ناصب المسلمين العداء، وحرّض قريشاً على الانتقام من المسلمين بعد هزيمتهم في بدر، وهجا رسول الله ﷺ وأذى المسلمين والمسلمات. فانتدب له خمسة من الأنصار بأمر النبي ﷺ فقتلوه، انظر: السيرة النبوية لابن هشام: ٢ / ٥١، والأعلام للزركلي: ٥ / ٢٢٥.

(٢) انظر: فقه الدّعوة في رسائل الملوك، ص: ٢١٥.

والناظر يجد أن عامة أتباع الرسل من الضعفاء والفقراء والمساكين، وهو ما جرى عليه العرف في جميع الديانات، وفي حديث سفيان مع هرقل حين سأله فقال: فأشرف الناس يتبعونه أم ضعافهم؟ قلت: بل ضعفاؤهم...^(١).

يقول النووي رحمته -: وأما قوله: إن الضعفاء هم أتباع الرسل، فلكون الأشراف يأنفون من تقدم مثلهم عليهم، والضعفاء لا يأنفون فيسرعون إلى الانقياد وأتباع الحق^(٢). وفي نص رسالته - عليه - إلى هرقل: يقول: «وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين»^(٣). يقول الإمام الخطابي - رحمته -: أراد: أن عليك إثم الضعفاء والأتباع، إذا لم يسلموا تقليداً له، لأن الأصغر أتباع الأكابر^(٤).

وإذا نظرنا إلى المصالحات النبوية نجد أن النبي عليه اعتنى بهذا الصنف من المدعويين، فعقد له للصلح مع كبار القوم وسادتهم متضمناً لرعاية الضعفاء والفقراء منهم، وقد جاء في وثيقة المدينة، (وأن من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين، ولا متناصر عليهم)^(٥). فهو دليل على الأخذ بيد الظالم، ومعلوم أن الضعيف غالباً هو المظلوم، والقوي المتسلط هو من يقوم بالظلم، وقال في موضع منها: (وأنه لا يأثم امرؤ بحليفه، وأن النصر للمظلوم)^(٦).

- (١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي عليه الناس إلى الإسلام والنبوة، وأن لا يتخذ بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله، ٤ / ٤٥.
- (٢) شرح النووي على مسلم ١٢ / ١٠٥.
- (٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتاب النبي عليه إلى هرقل ٣ / ١٣٩٦.
- (٤) انظر: فتح الباري لابن حجر ١ / ٣٩.
- (٥) الفقه السياسي للوثائق النبوية، خالد الفهداوي، ص: ٢٤١.
- (٦) المصدر السابق نفسه ص: ٢٤٣.

المبحث الثاني:

المقاصد الدعوية المتعلقة بدوافع استجابة المدعوين في الصلح النبوي.

المدعو حالة مزيجة من الناس، ومعلوم أن الناس أمام الاستجابة للخير والحق والهدى على أنواع وحالات مختلفة، وفي هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رَحِمَهُ اللهُ -:
الناس ثلاثة أقسام: (إما أن يعترف بالحق ويتبعه، فهذا صاحب الحكمة، وإما أن يعترف به؛ لكن لا يعمل به، فهذا يوعظ حتى يعمل؛ وإما أن لا يعترف به فهذا يجادل بالتي هي أحسن، لأن الجدل في مظنة الإغصاب، فإذا كان بالتي هي أحسن، حصلت منفعته بغاية الإمكان كدفع الصائل)^(١).

ولا شك أن الناس إذا كانوا بهذه الأقسام، فهناك دوافع تدفعهم إلى قبول الحق والانقياد له، وهي تختلف بطبيعة الدعوة، فمن الدوافع ما يتعلق بصفات الداعية التي تؤثر على المدعو، ومنها ما هو مجبول عليه المدعو، كالفطرة ونحوها.
وقبل الحديث عن دوافع الاستجابة الواردة في المصالحات يجدر بنا التعرف على معنى الدوافع والاستجابة لغةً واصطلاحاً.

فالذافع في اللغة: أصله، من مادة دفع، التي تأتي لمعان كثيرة، منها الإسراع، والمضي في الأمر والانتهاء إليه، يقال: هذا طريق يدفع إلى مكان كذا، أي ينتهي إليه^(٢).

وفي الاصطلاح: قيل: بأنه حالة جسمية أو نفسية داخلية -تكوين فرضي- يؤدي إلى توجيه الكائن الحي، تجاه أهداف معينة من شأنه أن يقوي استجابة محددة

(١) مجموع الفتاوى لابن تيمية ٢ / ٤٥.

(٢) انظر: لسان العرب ٨ / ٨٩، فصل الدال، والمعجم الوسيط ١ / ٢٨٩.

من عدة استجابات يمكن أن تقابل مثيراً محدداً^(١).

وبتأمل هذا التعريف: ندرك أن الدوافع: طباعٌ فطريةٌ أو خلقيةٌ أو اجتماعيةٌ مستقرّةٌ في الإنسان ، تدفعه إلى الخير أو تمنعه عنه.

والاستجابة لغة: مصدر من أجاب يجيب، مأخوذة من مادة (ج و ب) والجواب هو رديد الكلام ، أو التلبية، والمصدر الإجابة، والإجابة رجوع الكلام، أجابه عن سؤاله، وقد أجابه إجابة، واستجابه واستجاب له^(٢).

واصطلاحاً: قيل: حقيقتها التحري للجواب والتهيؤ له^(٣).

إذاً: فالاستجابة: هي سرعة قبول المدعو لدعوة الداعي إلى الحق وطاعته. وعلى هذا فيكون معنى دوافع الاستجابة المقصودة بها في الصلح. الطباع الفطرية أو الخلقية أو الاجتماعية التي تسرع المدعو من قبول للدعوة والانقياد لها، الواردة في الصلح النبوي.



(١) انظر: علم النفس الاجتماعي حامد عبد السلام زهران ص: ١٠٥.

(٢) انظر: لسان العرب لابن منظور ١ / ٢٨٣.

(٣) انظر: المفردات في غريب القرآن، للأصفهاني ص: ١٠٢.

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بدوافع استجابة المدعوين في

ضوء صلحه ﷺ مع المشركين.

لاستجابة المدعو للحقّ دوافع عديدة، سأعرض أبرزها حسب ما يظهر لي في ضوء المصالحات النبوية، وهذا لا يعني أن دواعي الاستجابة محصورة فيما سأذكره، بل هي أكثر بكثير من ذلك، ولكنني أورد أهمها، وما له علاقة وطيدة للصلح، وكان ظاهراً في المصالحات، وربما كان أهم الدوافع وما بعده تابع له ونابع منه. ومن تلکم الدوافع:

أولاً: الدوافع الفطرية:

للفطرة البشرية دورها الهام في توجيه المخلوق البشري، ولها التأثير القوي في سلوكه، وقد جاءت تشريعات الدين الإسلامي واهتماماته موافقة للفطرة البشرية السوية، قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الروم: ٣٠].

إذا فما هي الفطرة وما معناها؟

الفطرة في اللغة: قيل: الشق، وجمعه، فطور، بمعنى شقوق، ومنه قول الله تعالى:

﴿هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ﴾ [الملك: ٣]. أي: صدوع وشقوق.

وقيل: هي الخلق، أي: الحلقة الأولى لكل شيء، وقيل: هي الجبلة والطبع

المهيأ لقبول الحق والدين^(١).

وقال ابن الأثير - رَحِمَهُ اللهُ -: (الفطر: الابتداء والاختراع. والفطرة: الحالة منه

كالجلسة والركبة. والمعنى أنه يولد على نوع من الجبلة والطبع المتهيء لقبول الدين

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ٥/٥٦.

فلو ترك عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها وإنما يعدل عنه من يعدل لآفة من آفات البشر والتقليد^(١).

ويستخلص من هذه التعريفات اللغوية، أن الفطرة: هي سلامة الإنسان من أي عيب في بداية وجوده، واستعداده لقبول ما يلقي إليه، والأصل فيه الخير.

وفي الاصطلاح: تعددت أقوال العلماء في تعريف الفطرة، والجمهور على أن المراد بها الإسلام، نقل ذلك عن البخاري وابن عبد البر والنووي وابن حجر وغيرهم. قال البخاري - رَحِمَهُ اللهُ - في الصحيح: الفطرة. الإسلام^(٢).

وقال ابن عبد البر - رَحِمَهُ اللهُ - بعد ذكر قول الله تعالى ﴿فَطَرَتِ اللَّهُ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. قال: وقال آخرون، الفطرة ها هنا: الإسلام، قالوا: وهو المعروف عند عامة السلف من أهل العلم بالتأويل^(٣).

وقال الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ -: على الفطرة، أي على الإسلام^(٤). ويتبين من مجموع هذه الأقوال، أن السلف - رحمهم الله -، عرفوا الفطرة بحسب دلالة النصوص التي يشرحونها، أو تمر عليهم، أما حقيقة هذه الفطرة وكنهها والكيفية التي توجد بها في الإنسان فهذا سر من أسرار الله تعالى في المخلوق. وقد أجاد الإمام الشوكاني - رَحِمَهُ اللهُ - حيث بين أن الفطرة في كتاب الله المقصودة بها في الآية: هي، الإسلام والتوحيد. وقال: إن هذا هو قول المفسرين في فطرة الله^(٥).

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير ٣ / ٨٨٢.

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿لَا بُدَّ لِي لِحَلْقِ اللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]، ٦ / ١١٤.

(٣) انظر: الاستذكار لابن عبد البر ٣ / ١٠٢.

(٤) انظر: فتح الباري لابن حجر ١ / ١٦.

(٥) انظر: فتح القدير، للشوكاني ٤ / ٣١٨.

وصفوة القول: أنّ الفطرة في كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تعني الإسلام، أما المعاني الأخرى فهي تشير إلى الفطرة الموصلة إلى الحق.

ويدلّ على ذلك قول الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ -: (المراد تمكّن الناس من الهدى في أصل الجبلة والتهيؤ لقبول الدين، فلو تُرك المرء عليها لاستمر على لزومها ولم يفارقها إلى غيرها، لأنّ حسنَ هذا الدين ثابتٌ في النفوس وإنّما يعدل عنه لآفة من الآفات البشريّة كال تقليد) اهـ (١).

وما دام للفطرة مكانةٌ عاليةٌ بهذه المثابة في حياة الإنسان الدنيوي والأخرويّ، فلا شكّ أنّه من دوافع قبول الحق والاستجابة له.

وفي ضوء المصالحات النبوية، وخاصّة في الحديبية، وقبل إبرام الصلح وتوثيق بنوده، نرى أن القادة المشركين الذين أتوا إلى النبي ﷺ بيّنت لنا فطرتهم بوجود الله تعالى، وأنّه سبحانه الخالق، فكانوا يخلفون به تعالى، ويؤكدون به المواثيق ليصدقهم قومهم ويقفوا على حقيقة ما رأوا وعابنوا بعد ما يرجعون إليهم من عند النبي ﷺ. وقد قال الحليس بعد ما رفضت قريش الأخذ بكلامه، وهو ترك النبي ﷺ وأصحابه ليدخلوا البيت ويطوفوا، قال: يا معشر قريش، والله ما على هذا حالناكم.... والذي نفس الحليس بيده... ففطرتة السليمة دعتة إلى منع قريش من محاربة الرسول لأنه معظم للبيت.

وقال عروة بن مسعود الثقفي، بعد ما رأى من إكرام الصحابة للنبي ﷺ وتوقيرهم إياه بما يتوافق مع الشرع الحكيم، وتسابقهم إلى حراسته وتبجيله والدود عنه، قال: يا معشر قريش، إني قد جئت كسرى، وقيصر، والنجاشي في ملكهم، وإني والله ما رأيت ملكا في قوم قطّ مثل محمد في أصحابه.

(١) فتح الباري لابن حجر ٣/ ٢٤٩.

فهؤلاء وإن كانوا غير معترفين بالإسلام، ففطرتهم كانت تجعلهم يملفون بالله ويعترفون بأنه الخالق المدبر، بل قال الحليس، أن نفسه بيده، فهو القادر على إمامته، لكن الفطرة هنا، بما أنه وجد لها صارف صرفها عن عبادة غير الله، انتهجته، ولكن الأصل باقٍ، وإن لم ينتفعوا به، فمنعوا الرسول وأصحابه من دخول البيت والطواف حوله.

والعاقل ذو الفطرة السليمة هو الذي ينتفع بالبينه والبرهان، ويقبل الحق بدليله، أما الظالم المتبع لهواه فلا يردده إلا السيف، وأنواع القوة والسلاح^(١). فعلى الداعية مراعاة ذلك في المدعويين مع بيانه بالبراهين الساطعة التي لا تترك مجالاً للشك.

ثانياً: من دوافع الاستجابة: الحمية^(٢).

إن نصر القبيلة وصاحب الحق، وطالب الجوار، لا يتهاون فيها العرب بطباعهم، فإذا دعا داعي النجدة هبت القبيلة لنجدته ظالماً كان أو مظلوماً. وقد جاء الإسلام، وهذب هذا الخلق، فاستنكر حمية الجاهلية، وجعل الحمية بنصرة الحق، وإعلاء كلمة الله، ونصر المظلوم، ومنع الظالم من الظلم^(٣). والحمية على نوعين، حمية محمودة، وحمية مذمومة، فأقر الإسلام الحمية المحمودة التي تكون لدين الله ونصرته، والقيام بكل ما يحقق ذلك من الوسائل والأساليب، ونهى عن الحمية المذمومة التي تخالف دين الله، وتؤيد ما كان عليه الكفار من التعاون على الإثم والعدوان.

(١) انظر: فقه الدعوة في صحيح البخاري لسعيد بن وهف القحطاني ١/ ٦٣٣.

(٢) الحمية: هي الأنفة والغيرة، انظر: النهاية في غريب الحديث والأثر ١/ ٤٤٧.

(٣) انظر: المستفاد من قصص القرآن، د. عبد الكريم الزيدان ٢/ ٣٢٤.

وفي أثناء المصالحات النبوية مع المشركين نرى نماذج لهذين النوعين من الحمية. ففي أثناء المصالحة وسرد بنودها، أخذ الصحابة الحمية والغيرة لدين الله، فأروا أنّ الشُّروطَ التي ذكرها سهيل بن عمرو، شروط جورٍ وحيفٍ على الإسلام والمسلمين، وغضب الفاروق رضي الله عنه لذلك، وقد تقدم الحوار الذي دار بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم والصديق رضي الله عنه، ولكن حمية المؤمنين كانت بعيدة عن كل معاني الحمية الجاهلية دقيقتها وعظيمها، لأنّ الله تعالى أنزل سكينته عليهم كما قال تعالى: ﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾ [الفتح: ٢٦].

فثبتهم الله تعالى ولم تستفزهم حمية المشركين، وحمية مندوبيهم من الرسل للصلح، قال القرطبي - رحمته الله - السكينة: أي الطمأنينة والوقار، والثبات والأناة، فثبتهم الله على الرضا والتسليم، ولم يدخلهم ما أدخل قلوب أولئك من الحمية، فقابلوه بالتعقل والتثبت، فكان في ذلك خير كثير^(١).

فلم تستفزهم حمية المشركين وحمية مندوبيهم الجاهلية، فيصرّوا على رفض ما أراه سهيل بن عمرو من كتابة باسمك اللهم، وكتابة اسم نبينا محمد صلى الله عليه وسلم باسمه المجرد واسم أبيه (محمد بن عبد الله) دون نعته بنعت النبوة والرسالة، لأن الصحيح كان عقد ذلك الصلح ولو بإجابة طلبات المشركين ومندوبيهم، ولو أنّ الموقف كان يستدعي رفض طلبات المشركين لتعتتّمهم في باطلهم، ولكن كان النظر السديد والحكيم والعمل الصحيح هو المضيّ في عقد الصلح، وعدم التأثير باستفزازهم برفض طلباتهم^(٢). وفي يوم الأحزاب لما استشار الرسول صلى الله عليه وسلم الصحابين الجليلين في شأن مهادنة غطفان على ثلث الثمار، أخذتها الحمية لدين الله، وأبديا رأيهما في عدم إبرام الصلح، إن لم يكن وحيا إلهيا.

(١) انظر: تفسير القرطبي ١٦ / ٢٨٩.

(٢) انظر: المستفاد من قصص القرآن، د. عبد الكريم زيدان ٢ / ٣٦٧.

وفي قصة الحديبية وبعد إبرام الصلح وتوثيق بنوده وتوقيعه من كلا الأطراف، وثبت قبيلة خزاعة بالحماية المحمودة، وكانت عيبة نصح^(١) لرسول الله ﷺ مسلمهم ومشرکهم، وقد اختاروا الدخول في عهد رسول ﷺ لأنهم كانوا حلفاء لجد رسول الله عبد المطلب وبني هاشم.

قال ابن إسحاق - رَحِمَهُ اللهُ - في ذلك: ومن بنود الصلح: ومن أحب أن يدخل في عقد محمد وعهده دخل فيه، ومن أحب أن يدخل في عقد قريش وعهدهم دخل فيه، فتواثبت خزاعة فقالوا نحن في عقد محمد وعهده^(٢).

وأما الصنف الثاني: وهم مشركي مكة فأخذتهم الحمية الجاهلية للدفاع عن الباطل، فكانت أنفتهم جاهلية وعلى أساسها منعوا النبي ﷺ وأصحابه من دخول مكة للعمرة، وفي العمرة تعظيم لبيت الله الذي يدعون تعظيمه، ومن أنفتهم الجاهلية، رفض الإقرار بنبوته محمد ﷺ مع ظهور دلائل نبوته ظهور الشمس في رابعة النهار، ومن أنفتهم امتناع مندوبهم إلى عقد الصلح، حيث أبى سهيل أن يكتب في صدر المعاهدة بسم الله الرحمن الرحيم، وامتناعه أن يكتب صفة محمد ﷺ بالرسالة، فرفض أن يكتب محمد رسول الله باعتباره طرفاً في عقد الصلح^(٣).

فعلى الدعاة وجماعتهم أن يتأسوا بالنبي ﷺ وأصحابه في مثل هذه المواقف التي تحدث من غير المسلمين، إرادة منهم لغيظ المسلمين.

وإذا حصلت لهم حاجة ومصالحة في عقد الصلح والمهادنة مع أعداء الدعوة عقده، وركزوا على الجوهر والأساس، وما يصلح عقد هذه المهادنة ما دامت

(١) عيبة نصح: أي أنهم موضع النصح لرسول الله ﷺ والأمانة على سره، فتح الباري لابن حجر ٥/٣٣٧.

(٢) انظر: السيرة النبوية لابن هشام ٢/٣١٨.

(٣) انظر: تفسير الطبري ٢٢/٢٥٢.

المصلحة قائمة للدعوة، وأن لا تستفزهم طلبات الخصوم غير الصحيحة في نفسها، ولكن الأخذ بها لا يمس الدعوة وأصولها ومعانيها، ومن أمثلة ذلك أيضا إذا أراد الخصوم عقد المفاوضات في مكان معين وزمان معين، فلا مانع من الأخذ بما يريدون، وإن كان في إجابتهم شيء من الغضاضة في أعين بعض الناس، أو في أعين أنصار الدعوة، ما دام يؤمل في هذه المفاوضات خير الدعوة.

فينبغي للداعية الاتصاف بالحمية والغيرة التي يجبها الله، ويدعو الناس إليها، ويجذرهم من الحمية الجاهلية، كالتعصب للقبيلة أو الحزب أو غيرها على حساب الدين، ومن كل ما حرم الله عز وجل، ففيه الصلاح والفلاح.



المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بدوافع استجابة المدعويين في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب.

قد تقدّم الحديث في الفصول السابقة أن الرسول ﷺ لما قدم إلى المدينة ووجد اليهود فيها، أقرهم على دينهم، وقال: للمسلمين دينهم وللإهود دينهم، ولم يكره أحدًا على الدّخول في الإسلام، وتودّدهم في أول الأمر لأنهم أهل كتاب، يعرفونه ويعرفون صفته ووصفه في كتبهم، فصلّى تجاه قبلتهم بيت المقدس، وصام يوم عاشوراء، وغير ذلك مما كانوا يتعبّدون به، ولم يرد دليل صريح يمنع ذلك، رجاء أن يسلموا ويؤمنوا به، ولكنّ اليهود بطبيعة حالهم، عاندوا وكابروا وأعرضوا عن الرسول ودينه، وكادوا ومكروا واقترفوا أشدّ الجرم نحو الرّسالة والرسول، ولكن الله عز وجل، حفظه بحفظه ورعاه برعايته.

ومع هذه العداوة كلّها من اليهود، وُجد منهم بحكمة الله تعالى ولطفه من انقاد لله واتباع الرسول ﷺ وقد قال تعالى في ذلك: ﴿لَيْسُوا سَوَاءً مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِذَا دُعا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنذَرْتَهُمْ يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ وَأْلِيهِمْ وَيَا مُرُوتٍ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ﴾ [آل عمران: ١١٣ - ١١٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشَعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: ١٩٩].

قال الحافظ ابن كثير - رَحِمَهُ اللهُ -: يجزئُ تعالى عن طائفة من أهل الكتاب أنهم يؤمنون بالله حق الإيمان، وبما أنزل على محمد، مع ما هم يؤمنون به من الكتب المتقدمة، وأنهم خاشعون لله، أي: مطيعون له خاضعون متذللون بين يديه، لا

يكتمون بأيديهم من البشارات بمحمد ﷺ، وذكر صفته ونعته ومبعثه وصفة أمته، وهؤلاء هم خيرة أهل الكتاب وصفوتهم، سواء كانوا هودًا أو نصارى^(١). بل صار هؤلاء الذين أسلموا من كبار الدعاة إلى الإسلام، كعبد الله بن سلام، وميمون بن يامن، وغيرهما، وقد كان لإسلام من أسلم من هؤلاء دوافع وأسباب دعتهم إلى ذلك، وفيما يلي مقتطفات من تلك الأسباب والدوافع.

أولاً: علم الحق واتباعه.

إذا كان من المعلوم أن خالق الفطرة، هو منزل الشريعة الإسلامية، فمن الطبيعي أن نعلم يقيناً أن هذا الدين، لا بد أن يكون موافقاً للفطرة، إذ يستحيل أن يكون في دين الله وشرعه أمر يخالف الفطرة، ويعارضها ويصطدم معها: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٤].

فبناءً على ذلك جاءت تشريعاته، موافقةً للفطرة، منظمةً لها واضعةً الحدود والضوابط الكفيلة لاستقامتها وعدم انحرافها^(٢).

والفطرة السليمة هي الموافقة لشرع الله المتبعة المنقادة له، وهي موجودة في كل مخلوق، ولكن الشريعة جاءت للمحافظة عليها.

وفي ضوء المعاهدة النبوية مع أهل الكتاب - وخاصة اليهود - نرى أن منهم من أسلم طوعاً وحباً للحق، وعلى رأسهم عبد الله بن سلام ﷺ ومخيريقي^(٣)،

(١) انظر: تفسير ابن كثير ٢ / ١٩٣.

(٢) انظر: مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد سعد اليوي ص: ٤٠٧.

(٣) هو: مخيريقي النصري الإسرائيلي من بني النصير، ذكر الواقدي أنه أسلم واستشهد بأحد، انظر: الإصابة، ٦ / ٥٧.

وثعلبة بن سعية^(١)، وأسيد بن سعية^(٢)، وأسد بن عبيد، وغيرهم^(٣) فقد روى ابن إسحاق في سيرته، قال: وكان من حديث عبد الله بن سلام كما حدّثني بعض أهله عنه وعن إسلامه حين أسلم وكان حبراً عالماً قال لما سمعت برسول الله ﷺ عرفت صفته واسمه وزمانه الذي كنا نتوكّف^(٤) له، فكنت مسراً لذلك صامتاً عليه، حتى قدم رسول الله ﷺ المدينة، فلما نزل بقاء في بني عمرو بن عوف أقبل رجل حتى أخبر بقدومه وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها وعمتي خالدة ابنة الحارث^(٥) تحتي جالسة فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبرت فقالت لي عمتي حين سمعت تكبيري خيبك الله، والله لو كنت سمعت بموسى بن عمران قادما ما زدت، قال: فقلت لها: أي: عمّة. هو والله أخو موسى بن عمران وعلى دينه بعث بما بعث به، فقالت: أي: بن أخي أهو النبي الذي كنا نخبر أنه يبعث مع نفس

(١) هو: ثعلبة بن سعية أحد من أسلم من اليهود من بني قريظة، ورد ذكره مع أخيه أسيد، وأسد بن عبيد، انظر: الإصابة ١ / ٤٠٣.

(٢) هو: أسيد، وقيل: أسد بن سعية القرظي، أحد من أسلم من اليهود أيام حصار النبي ﷺ لبني قريظة، نقل ابن عبد البر عن البخاري أنه مات في حياة النبي ﷺ انظر: الإصابة ١ / ٥٢.

(٣) انظر قصة إسلامهما في السنن الكبرى للبيهقي، كتاب السير، باب الحربى يدخل بأمان وله مأل في دار الحرب ثم يسلم أو يسلم في دار الحرب ٩ / ١١٤.

(٤) نتوكّف: التوكّف: التوقُّع، وتوكّف الخبر توقعه، وانتظر وكفه: أي: وقوعه، انظر: النهاية ٥ / ٤٩٥. وقد جاء في السنن الكبرى عند البيهقي - رَحِمَهُ اللهُ -: عند حديث ابن الهيثم مع يهود بني قريظة، حيث قال: إنما قدمت هذه البلدة أتوقع خروج نبي قد أطل زمانه هذه البلاد مهاجرة فأتبعه، فلا تسبقن إليه إذا خرج يا معشر يهود، انظر: السنن الكبرى، ٩ / ١١٤.

(٥) هي: خالدة، أو خلدة بنت الحارث عمّة عبد الله بن سلام، ذكر ذلك ابن إسحاق فيما اقتضه عبد الله بن سلام في إسلامه وإسلام أهل بيته. الاستيعاب ٢ / ٨٦.

الساعة؟ قال: فقلت لها: نعم. قال: فقالت: فذاك إذاً. قال: ثم خرجت إلى رسول الله ﷺ فأسلمت ثم رجعت إلى أهل بيتي فأمرتهم فأسلموا، وأسلمت عمتي خالدة بنت الحارث فحسن إسلامها^(١).

وفي قصة إسلام مخيريق ﷺ يوم أُحُدٍ يحدثنا ابن إسحاق - رَحِمَهُ اللهُ - فيقول: وكان من حديث مخيريق وكان حبراً عالماً وكان رجلاً غنياً كثير الأموال من النخل وكان يعرف رسول الله ﷺ بصفته وما يجد في علمه وغلب عليه إلف دينه فلم يزل على ذلك حتى إذا كان يوم أحد، وكان يوم أحد يوم السبت، قال يا معشر يهود، والله إنكم لتعلمون أن نصر محمد عليكم لحق^(٢)، قالوا: إن اليوم يوم السبت، قال لا سبت لكم، ثم أخذ سلاحه فخرج حتى أتى رسول الله ﷺ بأحد، وعهد إليه من وراءه من قومه، إن قتلت هذا اليوم، فأموالي لمحمد ﷺ يصنع فيها ما أراه الله، فلما اقتتل الناس قاتل حتى قتل، فكان رسول الله ﷺ فيما بلغني يقول: مخيريق خير يهود، وقبض رسول الله ﷺ أمواله، فعامته صدقات رسول الله ﷺ بالمدينة منها، وقد كان مخيريق ذا مال كثير^(٣).

ولا شك أن هؤلاء كانوا من اليهود الذين أبرم معهم النبي ﷺ العهد والميثاق، وكتب بينهم كتاب الصلح والمعاهدة، فعبد الله بن سلام كان حبراً مطاعاً، ومخيريق كان أغناهم، وكان صاحب صوت فيهم، وثعلبة وأسيد وأسد بن عبيد أسلموا أثناء محاصرة النبي ﷺ لبني قريظة، عندما تذكروا قصة ابن الهيثم اليهودي الشامي الذي

(١) انظر: سيرة ابن هشام ١ / ٥١٧.

(٢) قلت: لعله يشير إلى البنود الوارد في وثيقة المدينة: (وإن بينهم النصر على من دهم يشرب، ... وإنه لا تجار قريش ولا من نصرها).

(٣) انظر: فتح الباري لابن حجر ٦ / ٢٠٣. والسيرة النبوية لابن هشام ١ / ١٥٦.

أتى إليهم قبل مبعث النبي ﷺ ينتظر مبعثه، وأوصاهم باتباعه إذا ظهر، - وكانوا شبانا أحداثاً- وقالوا لقومهم: يا بني قريظة، والله إنه النبي الذي كان عهد إليكم فيه ابن الهيبان، قالوا: بلى والله هو بصفته، فنزلوا وأسلموا وأحرزوا دماءهم وأموالهم وأهليهم^(١).

فطرتهم السليمة وعلمهم بالحق، وحبهم لاتباعه، دعاهم إلى الإيمان بالنبي ﷺ وطاعته، فينبغي للداعية، شحذ همم المدعويين، وتحريك عواطفهم لتستجيب فطرتهم السليمة فينقادوا للحق، كما عليه أن يذكرهم بما كان عليه أسلافهم من حب للحق واتباعه، كما تذكر هؤلاء الشبان قصة الحبر اليهودي الذي أوصاهم باتباع النبي ﷺ إذا ظهر، فإن القيام بذلك من فقه الداعية، ومن أهم مقاصد الدعوة إلى الله تعالى.

ثانياً: الأخلاق العالية للداعية (حسن المعاملة)

كان الرسول ﷺ يعامل أهل الكتاب بالرفق واللين، ويعترف بمكانتهم العلمية، يدل على ذلك، أنه لما أرسل معاذاً ﷺ إلى اليمن قال له: « إنك تقدم على قوم أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه عبادة الله عز وجل... »^(٢)

وكان ﷺ يرغب بمضاعفة أجرهم إن آمنوا بالله وصدقوا محمداً ﷺ في دعوته، يدل على ذلك قوله ﷺ: « ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه

(١) رواه ابن هشام في السيرة، في باب إنذار اليهود برسول ﷺ / ١ / ٥٨. والبيهقي في دلائل النبوة باب ذكر سبب إسلام ابني سعية، ٢ / ٨٠.

(٢) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب لا تؤخذ كرائم أموال الناس في الصدقة، ٢ / ٥٢٩. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام / ١ / ٣٨. واللفظ له.

وأدرك النبي ﷺ فآمن به واتبعه وصدقه فله أجران...»^(١).

وكما رغب المصطفى ﷺ أهل الكتاب بالأجر العظيم إن استجابوا له، رهّبهم بالعذاب الأليم الذي سينالهم إن أعرضوا عنه وكفروا برسالته، فقال ﷺ: «والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحدٌ من هذه الأمة يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلتُ به إلا كان من أصحاب النار»^(٢).

وقال النبي ﷺ لعظيم الروم «أسلم تسلم، أسلم يؤتك الله أجرًا مرتين...»^(٣) ولا شك أن حسن المعاملة والتسامح والترفق بالمدعو، من أهم الأساليب التي تدفعه إلى الاستجابة للحق، وقد أولى النبي ﷺ ذلك اهتماماً كبيراً في أحاديثه وتوجيهاته، فظهر فيه خلقه وعمله، ولا يخفى ما تركه هذا الخلق الرفيع من تأثير على شخصية المدعويين وسلوكياتهم في عصره، جعلتهم سريعين الاستجابة سهل الانقياد، ليني المطاوعة مستعدين للتلقي والتطبيق، هذا في شخصية المسلم، أما غير المسلم، فلا شك أن هذا الخلق سيحدث في داخله تغييراً ملموساً، وميلاً قلبياً، وصراعاً بين داعي الخير ونوازع النفس، مما سيدفعه ولا شك إلى الإسلام^(٤).

والناظر في السيرة النبوية يرى مدى تأثير حسن معاملة النبي ﷺ لأهل الكتاب،

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب العلم، باب تعليم الرجل أمته وأهله / ١ / ١٠١. ومسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب وجوب الإيمان برسالة نبينا محمد ﷺ إلى جميع الناس / ١ / ٩٣.

(٢) المصدر السابق نفسه، والجزء والصحيفة.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب دعاء النبي ﷺ إلى الإسلام والنبوة ٣ / ١٠٧٤. ومسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير باب كتاب النبي ﷺ إلى هرقل يدعوه إلى الإسلام، ٥ / ١٦٣ جزء من حديث ابن عباس - رضي الله عنهما - في لقاء أبي سفيان بهرقل الروم.

(٤) انظر: أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، زياد محمود العاني ص: ٣٦٧.

وكيف اهتم بهم في بنود المعاهدات والمصالحات، ففي وثيقة المدينة اعترف بهم، ولم يمنعهم من ممارسة شعائرهم التعبدية المختلفة، انطلاقاً من مبدأ الحرية الدينية التي عامل بها الإسلام أهل الأديان الأخرى.

كما نجد في وثيقة المدينة وفي غيرها من المعاهدات، كصلح أهل خيبر وتيماء وفدك وأذرح وجرباء وبقية من عاهدهم النبي ﷺ في شمال المدينة، نرى أنه عاملهم معاملة فاضلة تنبئ عن كريم خلقه، وفيض عفوه وإحسانه، مؤكداً ذلك في بنود المواثيق، فقد عفا عنهم ولم يجلهم من ديارهم، وطالب بعضهم بقسط يسير من أموالهم مقابل حماية المسلمين لهم - وهي الجزية - وصالح آخرين بشطر ما يخرج من أراضيهم، مناصفة مع المسلمين، وحلم بهم فلم ينتقم من ظالمهم إلا إذا طغى وتعدى على حدود الله، مما دفع ببعض هؤلاء اليهود والنصارى إلى الدخول في الإسلام، كزيد بن سعدة، وغيره.

فإذا كانت الأخلاق الفاضلة بهذه المنزلة الرفيعة، وهذا تأثيره بين العامة والخاصة، فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن يكون أسوة وقدوة في أخلاقه، وأن يكون دعوته بحاله أبلغ من دعوته بمقاله، وأن يتحرى الصفات الكريمة التي تليق بمقام الدعوة فيتصف بها، كما عليه أن يحرص على بيان فضل الاستجابة للدعوة للمدعوين - من أهل الكتاب - لترغيبهم للدخول في الإسلام.

وأن يعمل الداعية على إزالة عوائق الاستجابة، وأن يقوم بعرض دعوته بلطف وإكرام، وإحسان إلى المدعوين، لأن الإحسان يأسر القوب، والطباع تميل إلى حب من أحسن إليها.

ومن فقه الداعية: بيان حسن الإسلام ومزاياه لغير المسلمين من أهل الكتاب، وما أعدده الله لأمة محمد من مضاعفة الأجر في حالة الاستجابة، وقد قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقُوا أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٢]، وأن من مقاصد الدعوة هداية المدعوين، وإرادة الخير والفلاح لهم.

المبحث الثالث:

المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق المدعويين في الصلح النبوي.

إذا كان الداعية إلى الله يستفيد من الدعوة إلى الله تعالى لحصوله على الأجر العظيم وإيصاله ميراث النبوة، فلا شك أن المدعو هو المستفيد الأول من الدعوة، لأنه المستهدف بالدعوة، وهو الحائز على خيراتها وفضائلها لاهتدائه، وهو الكاسب لتائجها في الدارين، ومع هذا كله فإن للمدعو حقوقاً في أعناق الدعاة يجب القيام بها وإعطاؤهم حقهم منها.

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق المدعويين في ضوء

مصالحاته ﷺ مع المشركين.

أولاً: من حق المدعو على الداعية: مراعاة أحواله وظروفه.

إن إدراك الداعية إلى الله بأن أحوال المدعويين متغيرة، وغير ثابتة، وتتأثر بكثير من المتغيرات والمثيرات المحيطة به، ومراعاة ذلك عند عرض الدعوة يسهم إلى حد كبير في نجاح العملية الدعوية، أو على الأقل، تخفيف حدة المدعو الكافر على الداعية والدعوة. فمعرفة عقيدة المدعو، والمذهب الذي ينتمي إليه، ومجتمعه الذي يعيش فيه، وبعض الصفات المتعلقة به، كل هذا يوفر للداعية خلفية واضحة، ينطلق منها عند دعوته، ويسهم في نجاح دعوته.

يقول فضيلة الشيخ محمد بن عثيمين - رَحِمَهُ اللهُ -: ولا بدّ أيضاً من أن يكون الإنسان حكيماً في دعوته، ينزل الأشياء في منازلها، ويضعها في مواضعها، فيدعو الإنسان المقبل إلى الله عز وجل بما يناسبه، ويدعو الإنسان المعرض بما يناسبه، ويدعو الإنسان الجاهل بما يناسبه، كل أناس لهم دعوة خاصة حسب ما يليق بحالهم،

ودليل هذا أن رسول الله ﷺ لما بعث معاذًا إلى اليمن، قال له: إنك تأتي قوماً أهل كتاب، فأعلمهم بحالهم من أجل أن يستعد لهم، وأن ينزلهم منزلتهم، لأنهم إذا كانوا أهل كتاب، صار عندهم من الجدل بما عندهم من العلم ما ليس عند غيرهم، فالمشركون جهال ضلال، لكن أهل الكتاب عندهم علم يحتاجون إلى استعداد تام، وأيضا يجابهون بما يليق بهم، لأنهم يرون أنفسهم أهل كتاب، وأهل علم، فيحتاج الأمر إلى أن يراعوا في كيفية الدعوة، ولهذا قال له: إنك ستأتي قوماً أهل كتاب (١).

والناظر المتمعن في سيرة النبي ﷺ، المتأمل في دعوته ومصالحاته، يرى ذلك جلياً، فقد عرف النبي ﷺ حال المدعويين، ووصل إلى مكامن أخلاقهم قبل لقائهم في يوم الحديبية، فقد كان ينعت كل رجل منهم بصفته وخلقه قبل أن يصل إليهم، فقال في الحليس بأنه رجل يعظم شعائر الله، وفي عروة بأنه غادر، وتفاءل عند رؤية سهيل بن عمرو، فقد كان يعرف دقيق أحوالهم قبل البعثة.

و بمعرفته ﷺ بأن القوم قوم غدر، لم يكتر من مفاوضة سهيل في بنود الصلح، لعلمه و يقينه بوفائه هو وأصحابه، وغدر قريش وخيانتهم، فأبرم البنود على ما أرادوه، وقد كان كما توقع عليه الصلاة والسلام، فقد نقضوا العهد والميثاق، فاستحقوا العقاب الأليم، فكانت مواجعتهم فتحاً عظيماً.

فحريٌّ بالداعي إلى الله تعالى، مراعاة أحوال المدعويين النفسية، والعقدية، والعلمية، ودعوتهم بما يتناسب مع حالهم، واستلهاهم العبر والفوائد من سيرة النبي ﷺ في ذلك فهو القدوة الحسنة.

(١) شرح رياض الصالحين، لابن عثيمين ٢ / ٣٤٨.

ثانياً: من حق المدعو على الداعية مراعاة جوانب شخصية المدعو: (فهم

الداعية للناس وتقديرهم)

يمتاز كل إنسان بصفات ومؤهلات تختلف عن صفات غيره من الناس ومؤهلاته، وهذه الصفات أو المؤهلات هي قوام شخصية كل إنسان، فهناك أناس امتازوا بالتفوق في بعض الجوانب أكثر من غيرها، فمنهم من امتازت شخصيته بالشجاعة، ومنهم من امتازت شخصيته بالكرم، ومنهم من امتازت شخصيته بالشرف والعلم، وغير ذلك.

والداعية الناجح من يحسن التعامل مع كل واحد بما يناسب مقوماته، ويعد ذلك شرطاً أساسياً في نجاح الدعوة إلى الله، بل ذلك عام في جميع نواحي الحياة، فمن لا يحسن التصرف والتعامل مع النفس البشرية، فلا شك أنه فاشل في حياته، فكيف بالداعية إلى الله، فهو أحق بمعرفة ذلك والعمل به.

ورسولنا ﷺ كان يختار لكل مقام المقال الذي يلائمه، ولكل مدعو الأسلوب الذي يناسبه، ومن أساليبه مراعاته لجوانب الشخصية عند المدعوين، فكان ﷺ يخاطب الناس على قدر عقولهم وأفهامهم ومكانتهم، فكان يدخل إلى قلوبهم من الجوانب التي امتازوا بها وبرعوا فيها، وهو أكثر مدعاةً للاستجابة.

وعلى الداعية أن لا يستغل هذه المميزات مجالاً لتفضيل فئة على فئة، فالدعوة عامة توجه إلى جميع عباد الله، على مختلف مستوياتهم وأجناسهم ولغاتهم، والكل محتاج إليه بحسب مستواه وما يناسبه من الأساليب.

كما لا يتعارض ذلك مع ما ورد من إنزال الناس منازلهم، ومعاملة كل إنسان بحسب وضعه وحاله، وإنما المقصود أن لا يهضم حق أحد على حساب الآخر، ومن هنا جاء العتاب للنبي ﷺ حينما أعرض عن الأعمى، وحرص على أولئك

النفر الذين كانوا في مجلسه لسيادتهم ووجاهتهم، وحرصه ﷺ على أن يهتدوا^(١). فالذي يجب على الداعية أن يعامل الناس جميعا على اختلاف مستوياتهم الاجتماعية والعقلية بما يشعرهم أنهم عنده في منزلة واحدة من حيث توجيه الدعوة، ويتوافق مع فهمه وإدراكه، ويتعامل مع الأفراد والمجموع بما يجيبهم إليه والدعوة، ليألفوه ويتعلقوا به وتنشأ بينه وبينهم رابطة الألفة والمحبة، التي أساسها الثقة والتأثر بالدعوة الموجهة إليهم والأخذ بها.

ويتلخص مما سبق من الفقه والمقصد الدعوي.

- ١- تساوي الناس من حيث الجنس البشري بنوعيه، فكل الناس لآدم، وآدم من تراب: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ﴾ [الحجرات: ١٣].
- ٢- من المعلوم بالضرورة أن بين الناس تمايز من حيث المفاهيم، والقدرات العقلية والجسمية والوضع الاجتماعي، فعليه يجب على الداعي أن لا يجعل هذا التميز سببا لتوجيه الدعوة إلى فئة من الناس دون غيرها. كما عليه أن يراعي ذلك التمايز بإنزال الناس منازلهم اللاتئة بهم، على أن لا يحصل به إيغار صدور وهضم حق لغيرهم، ويكون فيه تحقيق نفع للمسلمين، ومن أمثلة ذلك ما فعله النبي ﷺ مع الخليس وسهيل يوم الحديبية، حيث ذكر ما فيهم من الصفات الجميلة التي اتصفوا بها من تعظيم حرمة الله، وحلم في تدبير الأمور، وما فعله مع أبي سفيان بن حرب يوم فتح مكة، حيث وضعه في مكان التكريم رغم أفاعيله، وجعل ﷺ داره مكانا آمنا لكل من يدخلها كالكعبة.
- ٣- شمولية الدعوة إلى الله تعالى وأنها عامة لجميع الخلق، والداعية ليس مكلفا بالنتائج، بل عليه أن يبلغها ويتخذ الأسباب الداعية إلى هداية المدعو.

(١) انظر: صفات الداعية الناجح، صالح العليوي. ص: ٢٧.

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق المدعويين في ضوء مصالحاته

صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب.

أولاً: من حق المدعو على الداعية: عدم إكراهه على الإسلام.

وثيقة معاهدة النبي ﷺ لليهود ومصالحاته لنصارى نجران من أعظم وثائق التاريخ على سماحة الإسلام، وسعة صدره، فقد أقر أهل الكتاب على عقائدهم وشعائريهم الدينية، ولم يُكرههم على قبول الإسلام وهم له رافضون. ولو كان من مبادئ الإسلام حمل الناس على اعتناقه بالقوة لما وضع صاحب الرسالة ﷺ تلك المعاهدة العادلة بينه وبينهم، ولناصرهم العداة منذ قيام دولة الإسلام في المدينة، أو لأهملهم دون أن يعقد معهم أي اتفاق ريثما يستعد لمصاولتهم ومحاربتهم، ولكن شيئاً من ذلك لم يحدث. وظل اليهود يتمتعون بالمزايا الدينية والاجتماعية، ويرفلون في حلل الحرية والأمن دون أن يتعرض لهم أحدٌ بسوء، عملاً بما جاء في تلك المعاهدة المبرمة بين الطرفين. وفي لهم المسلمون بكل حرف فيها، ولكن لما نقض اليهود أنفسهم بنود المعاهدة، وتآمروا على الإسلام وعلى المسلمين، وناصروا عدو المسلمين عليهم وجب أن يعاملوا بالمثل^(١).

ثانياً: من حق المدعو على الداعية: الذهاب إلى المدعو لدعوته.

الداعي إلى الله تعالى يقوم بالدعوة بنفسه، ويذهب إلى المدعويين في أماكنهم، ولا ينبغي له انتظار مجيئهم إليه، وهكذا كان يفعل إمام الدعوة محمد ﷺ وسائر الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام، في جميع الأزمنة والأمكنة، فكان ﷺ يأتي مجالس قريش ويدعوهم، ويخرج إلى القبائل في منازلهم، ويدعوهم إلى الله تعالى، ويذهب إلى

(١) انظر: سماحة الإسلام في الدعوة إلى الله، عبد العظيم المطعني، ص: ١٣٤

ملاقة من يقدم إلى مكة في المواسم فيدعوهم^(١).

وجاء في سيرة ابن هشام: (وكان لا يسمع بقادم إلى مكة من العرب له اسم شرف إلا تصدى له، فدعاه إلى الله. وعرض عليه ما عنده)^(٢).

أما فلماذا يُؤتى المدعو ويدعى، ولا ينتظر منه المجيء؟ فقد أجاب على ذلك الدكتور عبد الكريم زيدان في كتابه أصول الدعوة بإجابات وافية من أهمها:

إنَّ وظيفة الرَّسول الكريم ﷺ التبليغ، قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَغْتَ رِسَالَتَهُ﴾ [المائدة: ٦٧]

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَاقُ الْمُبِينُ﴾ [النور: ٥٤]. وهذا التبليغ قد يستلزم نقلة الرسول ﷺ إلى مكان من يراد تبليغه؛ لاحتمال عدم وصول خبر الدعوة إليه، أو أنها وصلت بصورة غير صحيحة، أو وصلت بصورة صحيحة ولكن لم ينهض فيأتي إلى رسول الله ﷺ ليسمع منه، فلأجل هذه الاحتمالات كان الرسول - عليه الصلاة والسلام - يأتي إلى أماكن الناس لتبليغيهم الدعوة إلى الله.

١ - شفقتة ﷺ على عباد الله، وحرصه على هدايتهم وتخليصهم من الكفر، كل ذلك كان يحمل على الذهاب إليهم في أماكنهم ومنازلهم، وتبليغيهم الدعوة إلى الله.

٢ - إن البعيد عن الإسلام قلبه مريض، ومرضى القلوب لا يعرفون مرضهم ولا يحسون به، فلا يشعرون بالحاجة إلى علاجه، فلا بُدَّ من إخبارهم بمرضهم من قبل الرسل الكرام، ولا ينتظرون مجيئهم إليهم ليخبروهم، بل يذهبون إليهم ويخبرونهم بالمرض والعلاج؛ لأن من أعراض مرضهم أعراضهم عن الدعوة والمجيء إلى صاحبها^(٣).

(١) انظر: أصناف المدعوين، حمود الرحيلي. ص: ٥٢.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٤٢٥.

(٣) انظر: أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان، ص: ٣٧٥.

قلت: وهذا الذي ظهر في مصالحات النبي ﷺ، فقد زار اليهود في بيت المدراس، وغشيتهم في مجالسهم وهم مع المنافقين، فدعاهم إلى الله تعالى، وقد كان بينه وبينهم ميثاق وعهود، كما عاهد بنو قينقاع بعد غزوة بدر ودعاهم إلى الله وذكرهم بالعهد الذي بينهم.

وأرسل الرسل إلى الملوك والأمراء لدعوتهم إلى دين الله، وترك عبادة ما سواه. فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن لا ينتظر من المدعو أن يأتيه، فيكون هو المبادر دائما إلى المدعو ودعوته، وقد قال لعلي بن أبي طالب ﷺ يوم خيبر، «انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم، فوالله لأن يهدي الله بك رجلاً خيراً لك من أن يكون لك حمر النعم»^(١).

ثالثاً: من حق المدعو على الداعية: احترام المدعو والتلطف معه والاهتمام به.

إن الداعية إلى الله تعالى كالطبيب إذا رأى موضعاً للدواء أعطى وإلا أمسك، وفي أثناء إعطاء الدواء لا بد أن يكون رقيقاً ليناً بالمريض، فكذا الداعية مع المدعو، لذا كان عليه - الداعية - أن يعامل المدعو باللطف واللين والرفق، اقتداءً بالنبي ﷺ الذي قال الله تعالى في حقه مادحاً إياه لاتصافه بهذا الخلق الرفيع الجالب لكل الخير، ﴿وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

يقول السيد محمد رشيد رضا^(٢): لأنها -الفضاظة والغلظة- من الأخلاق المنفرة

(١) سبق تحريجه في ص: ٦٥.

(٢) هو: السيد محمد رشيد بن السيد علي رضا بن السيد محمد شمس الدين البغدادي، ولد الشيخ رشيد في ٢٧ / ٥ / ١٢٨٢ هـ، في قرية القلمون، وهي قرية من أعمال طرابلس الشام، درس على عبد الغني الرافعي، ومحمد عبده وغيرهم، له مؤلفات كثيرة، منها التفسير وغيرها، توفي يوم ٢٣ / ٥ / ١٣٥٤ هـ انظر: منهج الشيخ محمد رشيد رضا في العقيدة ص: ١٠٤.

للناس لا يصبرون على معاشره صاحبها وإن كثرت فضائله، ورجيت فواضله، بل يتفرقون ويذهبون من حوله ويتركونه وشأنه، لا يبالون ما يفوتهم من منافع الإقبال عليه، والتحلّق حواليه، وإذا لفاتهم هدايتك، ولم يبلغ قلوبهم دعوتك^(١).

وينبغي أن يقف الداعية طويلاً عند هذه الآية الكريمة، إذا كانت خشونة الكلام وغلظة القلب مما يجعل الناس يفرون وينفرون من أكرم الأولين والآخرين على الله تعالى وحبیب رب العالمين - إن وجدت فيه - فكيف بمن عداه إذا كان فظاً غليظ القلب^(٢).

وفي ضوء مصالحات النبي ﷺ لأهل الكتاب، نرى مدى تلطّفه مع المدعويين، واحترامهم، فقد جاءت بنود وثيقة المدينة مراعيةً لأحوال وظروف اليهود الساكنين فيها، كما راعى - عليه السلام - ظروف يهود خيبر وتلطّف بهم، فقبل طلبهم في المصالحة. وما تفاوت الجزية المفروضة على أهل الكتاب، إلا رحمة بهم ومراعاة لظروفهم وأوضاعهم الشخصية، فخاطب وجهاءهم بما يليق بمقامهم - أعني مقام السلطة والرئاسة - كأكيدر ويوحنة وغيرهما.

قال الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ - في سياق ذلك: (ويستفاد منه: حسن التلطف في مخاطبة السلطان ليكون أدهى لقبولهم النصيحة)^(٣).

ومن حقّ المدعو على الداعية إلى الله، أن يهتم به ويُشعره بذلك الاهتمام، ويرفعه إلى أن يستمع له ويستجيب للدعوة.

وهذا الاهتمام ينبثق من شفقة الداعية بالمدعو وحبّه له وحرصه الشّديد على هدايته، حيث كان ﷺ حريصاً شفوفاً بعباد الله جميعاً، ليعودوا إلى خالقهم سبحانه

(١) انظر: تفسير المنار، محمد رضا / ٤ / ١٦٣.

(٢) انظر: من صفات الداعية، الرفق واللين، فضل إلهي، ص: ١٤.

(٣) فتح الباري لابن حجر / ٤ / ٤٣.

بالخلوص من الشُّرك والتَّمسك بحبل الله المتين.

وإذا شعر المدعوُّ باهتمام الدَّاعية، فإن الاستجابة غالبًا ما تكون إيجابية، وبذلك يصل الدَّاعي إلى هدفه ومقصده الذي يسعى لتحقيقه، وهو أفراد الله بالعبادة، وصرَف جميعها لله سبحانه وتعالى الذي خلق النَّاس لعبادته^(١).

لذا يجب على الدَّاعية أن يحترم المدعوين ويتلطف معهم في القول، ولا يشعرهم بالتَّعالي عليهم، وإذا أحسَّ المدعو بهذا الإحساس أثناء تقديم هذا الدِّين فإنه حري به أن يذعن ويتقبَّل الدَّعوة.



(١) انظر: قواعد الدَّعوة الاسلامية، لشريف حمدان الهجاري، ص: ٤١٤.

المبحث الرابع:

أوجه الاستفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق

بالمدعو في العصر الحاضر.

واقع المدعو في العصر الحاضر:

إن الحديث عن واقع المدعو في العصر الحاضر، يجرّنا إلى الحديث عن الواقع المعاصر بشكلٍ عامٍ، وبما أن الحديث عنه متشعبٌ وطويلٌ، سأقتصر عن الحديث عن أهم الملامح العامة لواقع المدعو في العصر الحاضر على شكل نقاط هي:

أولاً: لا يختلف المدعو المعاصر عن المدعو في السابق من حيث طبيعته وجنسه، ولكنه يختلف عنه من حيث البيئة التي يعيش فيها، وظروف الحياة ووسائل المعيشة، فالمدعو في العصر الحاضر، هو ذلك الإنسان الذي يعيش في زمن طغت فيه المادة على الحياة البشرية.

ثانياً: المدعو يعيش اليوم في زمن يعاني فيه المسلمون أزمة هي أقسى من أيّ أزمة مرّت عليهم في ما مضى من تاريخهم، فهم مهزومون نفسياً أمام أعدائهم، وفي السابق لم يكونوا يشعرون أنّهم أدنى من أعدائهم بل كانوا يشعرون حتّى وهم مهزومون بازديادٍ شديدٍ لأعدائهم، لأنّ عقيدتهم تدفعهم إلى الإيمان بغلبتهم.

ثالثاً: المدعو في العصر الحاضر يعيش في زمن حصلت فيه ثروة تقنية وتقدم هائل في وسائل الاتصال والاعلام، فأصبحت الرسالة الدعوية تصل إلى المدعو حية مباشرة في اللحظة نفسها، بخلاف المدعو في الزمن الماضي الذي لا تصله الرسالة الدعوية بهذه السرعة والكيفية، ولكن مع الأسف الشديد أن المسيطر على هذه الوسائل - في غالب الأحوال - هم أصحاب الكفر والضلال والفجور الذين ليس لهم إلا إفساد عقائد الناس وأديانهم وأخلاقهم.

وأخيرًا فالمدعو في العصر الحاضر كما ذكرنا يعيش في عصرٍ طغت فيه المادة، فإذا كان يُحشى على المدعو في الماضي الاغترار بالدنيا وزيتها فكيف هو الحال في المدعو في العصر الحاضر، في عصر ابتعد فيه الناس عن دينهم وتعلقوا بزخارف الدنيا، مما كان له الأثر البالغ في ضعف الدِّين والرغبة عن الله والدار الآخرة^(١).



(١) انظر: منهج علي بن أبي طالب في الدعوة إلى الله لسليمان بن قاسم العيد ص: ٤٧٣.

المطلب الأول: أوجه الاستفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بالمدعو في العصر الحاضر، في ضوء مصالحته ﷺ مع المشركين.

أولاً: أصناف المدعوين.

هناك مجالات وجوانب كثيرة ومتعددة يمكن للداعية أو المدعو المعاصر أن يستفيد منها من خلال المصالحات التي عقدها النبي ﷺ مع المشركين سواء أكان المدعو من عامة الناس أن من سادتهم.

ومما يستفيدة الداعية أن يعلم أن من أصناف المدعوين المشركون، ومنهم الملائ، وهم أشرف القوم وسادتهم الذين يرجع إليهم الأمر، والدعاة إلى الله تعالى في هذا العصر يمكن أن يستفيدوا من موضوع فقه المدعوين ومعرفة أحوالهم من المنهج النبوي الذي انتهجه النبي ﷺ يوم الحديبية في معرفة أحوال الرسل الذين وفدوا عليه من سادة المشركين، فقد تفرس فيهم^١ وعرف ما يناسب كل واحد من الطرق والأساليب الدعوية.

فيستفيد الداعية منها: في مراعاة أحوال المدعوين، كل على حسب ما يناسبه ويحتاجه من الأساليب، فيهتم بكبراء القوم وخاصة لمن كان منصبه ومكانته قد يكون مانعاً لاستجابة دعوة الحق، وفي إسلام خلق كثير من ورائه، وقد كان ﷺ يتألف كبراء القوم بالهدايا.

كما يستفيد الداعية منها: في معرفة أن من أصناف المدعوين الجمهور، وهم عامة الناس، وهم الأكثر، واستجابتهم للدعوة أسرع من غيرهم، ومن أصنافهم - المدعوين - الخدم والعبيد، وهم الذين تحت ملك غيرهم.

وقد ورد في بنود الصلح: من أتى محمداً من قريش بغير إذن وليه رده عليهم ومن جاء قريشاً ممن مع محمد لم يردوه عليه.

فدّل على أنهم من أصناف المدعوين الذين يجب الاعتناء بهم، والداعية المعاصر، يستفيد من المنهج النبوي في دعوة هذا الصنف في العصر الحاضر، لكثرتهم، وسرعة

قبولهم للحق، وليهتم المسلم وخاصة -الدّاعية إلى الله - عزّ وجلّ، بمن تحت يده من الموالي والخدم ودعوتهم إلى الخير وتحذيرهم من الشرّ، ومراقبتهم مراقبة دقيقة؛ لإلزامهم بطاعة الله - عزّ وجلّ - وإبعادهم عن معصيته.

ثانياً: دوافع استجابة المدعو.

لقد سبق الحديث في المبحث الثاني من الفصل الثالث الحديث عن دوافع استجابة المدعو للدعوة، والوارد منها في الصلح النبوي مع المشركين.

ومن هذه الدوافع: دافع الفطرة، والحمية، وغيرهما، وقد تقدّم إيضاح ذلك بالتفصيل مع الأمثلة الحية من الصلح النبوي مع المشركين.

والدّعاة إلى الله تعالى في العصر الحاضر يستفيدون منها: لإثارة هذه الدوافع في نفوس المدعويين حتى يكون هاجس المدعوّ ومبتغاه هو ما عند الله تعالى، من ثوابٍ للمطيعين المستجيبين، وعقابٍ للعاصين المعرضين، ولإثارة هذه الدوافع عند المدعويين لا بدّ للدّعاة من ربط المدعويين بالدار الآخرة، فإذا أثرت هذه الدوافع كانوا أبعد ما يكونون من معصية الله وإشراك معه غيره.

ثالثاً: حقوق المدعويين على الدّاعية.

تتميّز الدّعوة الإسلامية بمراعاتها أحوال المدعويين بشكلٍ شاملٍ، لم تتوفر في غيرها من الدّعوات، لأتمّ دعوة ربّانية، ترعى الجوانب العقلية والوجدانية للمدعو.

وقد تجلّى ذلك في ضوء الصلح النبوي مع المشركين في كلّ من مكّة والمدينة، والدّاعية المعاصر: يستطيع أن يستفيد منها لمعرفة حق المدعو عليه، والقيام بتلك الحقوق، مما يعطي الدّعوة صدى لدى المدعويين واستجابة منهم لها.

وحرّيّ بالدّاعي إلى الله تعالى في العصر الحاضر، مراعاة أحوال المدعويين النفسية، والعقدية، والعلمية، ودعوتهم بما يتناسب مع حالهم، واستلهاهم العبر والفوائد من سيرة النبي ﷺ في ذلك فهو القدوة الحسنة.

المطلب الثاني: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بالمدعو في العصر الحاضر، في ضوء مصالحته ﷺ مع أهل الكتاب.

أولاً: أصناف المدعويين:

من أصناف المدعويين الذين اعتنى النبي ﷺ بدعوتهم، اليهود، وقد سبق الحديث عنهم بالتفصيل في الفصل الثالث من هذا البحث، وأن النبي ﷺ لما أتى إلى المدينة وجد اليهود أكثر ساكنيها، فعقد معهم مصالحة التعايش السلمي لدعوتهم إلى دين الله، ولكن اليهود - لعنة الله عليهم - عاندوا وكابروا، وأبوا إلا الضلال، وأظهروا العداوة والبغضاء للإسلام والمسلمين، و مع هذا كله، كان الرسول ﷺ يزورهم في دور عبادتهم لدعوتهم إلى الله تعالى، فزارهم في بيت المدراس، وقصدهم في مجلسٍ وهم مختلطين مع المنافقين، وفيهم عبد الله بن أبي فذكرهم بالله، كما قام بدعوتهم في خيبر وما جاورها من القرى.

وهذا ما على الدعاة في العصر الحاضر أن يعوه ويقوموا به، ويبيّنوا لليهود أن الإسلام هو الدين الذي لا يقبل الله ديناً غيره، وليبيّنوا للمدعويين أن اليهود أعداء للإسلام والمسلمين ما داموا باقين على دينهم، يعادون المسلمين ويغنونهم الفتنة، ويودّون القضاء على هذا الدين ونشر اليهودية - لا حَقَّ الله لهم الأمانة -.

فعلى الدعاة في العصر الحاضر واجب كبير نحو اليهود الطغاة، وواجب النصرة للمسلمين حيث ما كانوا، وواجب دعوة المنصفين من اليهود، كما فعل النبي ﷺ بدعوتهم وإقامة الحجّة عليهم، ودعوتهم في العصر الحاضر يكون عن طريق الكتب المترجمة إلى اللغات التي يفهمها القوم، أو عن طريق الوسائل الدعوية الحديثة المتاحة المتشيرة.

ومما يستفيدة الداعية المعاصر: انتهاج الأساليب الدعوية الصحيحة في دعوة النصارى الذين يشكّلون جزءاً كبيراً من المدعويين، وهم أقرب إلى الحق كما قال الله

تعالى عنهم، ومنهم الأحرار والرهبان، وأصحاب الجاه والسلطة، ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [المائدة: ٨٢].

وقد صالح النبي ﷺ نصارى نجران وأذرح وجرباء، وغيرهم، ودعاهم إلى عبادة الله فأمن مَنْ آمن من أحرارهم ورهبانهم، وملوكهم وعظمائهم.

والداعية المعاصر أكثر ما يكون مختلطاً بالمدعويين من النصارى، وسبل الوصول إلى علمائهم وعبادهم أيسر من ذي قبل، فليستهزها الداعية لإيصال دين الله تعالى إلى هذا الصنف من المدعويين وإقامة الحجة عليهم، مع مجادلتهم بالتي هي أحسن إن دعت الحاجة، وتفنيدهم ما عندهم من الشبهات الباطلة في عيسى - عليه السلام - وردهم إلى الصراط المستقيم.

ثانياً: دوافع استجابة المدعو.

إنَّ لإسلام من أسلم من أهل الكتاب دوافع وأسباب دعتهم إلى ذلك، ولا شك أنه كما تقدم في الحديث أن من دوافع استجابة بعض المشركين الفطرة، والفطرة السليمة والعلم كان له الأثر البالغ في استجابة من استجاب من أهل الكتاب، وكذلك الأخلاق العالية، وفي ضوء المعاهدة النبوية مع أهل المدينة - اليهود - نرى أن منهم من أسلم طوعاً وحباً للحق، وعلى رأسهم عبد الله بن سلام ﷺ ومخيريقي، وثعلبة بن سعية، وغيرهم.

وعلى الداعية المعاصر، شحذ همم المدعويين، وتحريك عواطفهم لتستجيب فطرتهم السليمة فينقادوا للحق، كما عليه أن يُذكّرهم بما كان عليه أسلافهم من حبّ للحق واتباعه، وأن يعاملهم بالأخلاق الفاضلة التي حثّ عليها الدين الحنيف، وطبّقها النبي الكريم ﷺ، وأن يعمل الداعية المعاصر على إزالة عوائق الاستجابة، وأن يقوم بعرض دعوته بلطف وإكرام، وإحسان إلى المدعويين، لأن الإحسان يأسر القلوب، والطباع تميل إلى حبّ من أحسن إليها.

وقد سبقت الإشارة في الفصل الثالث إلى ذكر شواهد تؤكّد أنّ دافع الفطرة السليمة كان دالاً لكثير من الناس على الدين الحنيف، فاستجابوا للحق، لدافع فطري لديهم يدعوهم إلى الإسلام.

وعلى الدعاة في العصر الحاضر الاهتمام بهذا الجانب وإثارته لدى المدعويين، وكثير من المسلمين حديثاً يقولون أنهم لم يتعرضوا للدعوة من شخص، وإنما كان داعيهم إلى الإسلام سماع الأذان أو رؤية المصلين، أو سماع القرآن الكريم، فدفعتهم فطرتهم السليمة إلى اعتناق الإسلام، فيقول أحدهم: (ما كان اعتناقي للإسلام إلا تلبية لنداء ضميري)، ويقول آخر عن سبب إسلامه: (كان شعوري الفطري بوحدانية الله، يحول بيني وبين الإيمان بعقيدة التثليث)^(١).

ثالثاً: حقوق المدعويين على الداعية.

الداعية المعاصر يستفيد من حقوق المدعو الوارد ذكرها في مصالحت النبي ﷺ لأهل الكتاب، في وقت صار فيه الغلبة لأعداء الإسلام، وقلت الحكمة من الدعوة لإيصال الدين الإسلامي إلى غير المسلمين بأيسر السبل وأقومها. ومما يستفيدة الداعية المعاصر: أن يعلم أنه لا إكراه على اعتناق الإسلام، إن عليه إلا البلاغ، ولم يكره النبي ﷺ أحداً على الإسلام، والداعية المعاصر قد يرى إعراضاً من غير المسلمين، ولكن الواجب عليه إيصال الإسلام وإقامة الحجّة، أمّا الهداية فهي بيد الله سبحانه وتعالى.

كما يستفيد الداعية المعاصر من حقوق المدعويين على الدعوة الواردة في المصالحات، تحقيق العدل والعفو والإحسان مع غير المسلمين وإن ظلموا وجاروا، واحترام المدعو والتلطف معه، لا سيما إذا كان ذا جاهٍ أو سلطانٍ، فإنه أدمى لقبول الحق والانصياع له.

(١) لماذا أسلمنا؟ (مجموعة مقالات لرجال أسلموا) لعبد الحميد السحيباني، ص: ١٧، و ٥٦.

الفصل الرابع :

المقاصد الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب الدعوية

في الصلح النبوي

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : المقاصد الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة في الصلح النبوي.

المبحث الثاني : المقاصد الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة في الصلح النبوي.

المبحث الثالث : أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق

بالوسائل الدعوية وأساليبها في العصر الحاضر.

الفصل الرابع:

المقاصد الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب في الصلح النبوي.

الوسائل والأساليب الدعوية لها أهمية كبرى لأنها أحد أركان الدعوة إلى الله تعالى، فنجاح أي دعوة متوقفٌ على كمال المنهج وسلامته، وصحة الأساليب وقوة الوسائل، كما أنّ الداعية إلى الله لا بدّ له في تحقيق أهدافه والوصول إلى غاياته من استخدام الوسائل والأساليب التي تعينه على ذلك، والنّاظر في المصالحات النبوية وما جرى فيها من أخذٍ وعطاءٍ بين النبي ﷺ وبين المشركين أو أهل الكتاب، يرى أنّه استخدم كلّ الوسائل والأساليب التي تحقق نجاح الدعوة إلى الله وإيصالها إلى هذه الفئة من المدعوين على أحسن وجه وأكمله.

تعريف الوسيلة في اللغة و الاصطلاح:

الوسيلة في اللغة: الوسيلة لفظٌ يستعمل للدلالة على ما يستخدم في تقريب الشيء وإيصاله إلى الغير، أو في الوصول إلى الشيء أو القرب منه، كما يستعمل لمعانٍ منها: القربة: يقال: (وسل) فلان إلى الله بالعمل (يسل) وسلاً: رغب وتقرب. والواصل: الراغب إلى الله، وتوسّل إليه بكذا: تقرب إليه بحرمة أصرة تعطف عليه، والوسيلة الوصلة والقربى وجمعها الوسائل (١).

والوسيلة بمعنى التقرب والقرب، وما يتقرب به إلى الغير، وهي في الأصل ما يتوصّل به إلى الشيء ويتقرب به (٢) وفي ذلك قول الله تعالى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥].

(١) انظر: القاموس المحيط للفيروز آبادي ٥ / ٦٤، ولسان العرب، لابن منظور، ٢ / ٩٢٧.

(٢) انظر: الصحاح، للجوهري، ٥ / ١٨٤١.

يقول ابن كثير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: الوسيلة: (هي التي يتوصل بها إلى تحصيل المقصود)^(١).

ومما تقدّم يمكن أن نلخص معاني الوسيلة لغةً.

فنقول: بأنّها أتت من الفعل وسل، ومفردُها وسيلة، وجمعها وسائل ووُسل، وتفيد معنى الرّغبة، والقربة، والطلب.

الوسيلة في الاصطلاح:

عرّفت وسائل الدّعوة إلى الله بعدّة تعريفاتٍ في الاصطلاح الخاص بالدّعاة ومن ذلك:

- هي الطّرق التي يتوصّل بها الدّاعي إلى تبليغ دعوته^(٢).

- وقيل: هي كلّ ما يستخدمه الدّاعية لإيصال ما يريد إيصاله إلى المدعوين،

سواء كان منها قديماً أو حديثاً^(٣).

وقيل: هي ما يتوصّل به إلى دعوة النّاس بطريق شرعيّ صحيح^(٤).

والناظر المتأمل في هذه التعريفات: يرى أن الاختلاف بينها في التّنوع والعبارات فقط، وإلا فكلّها تقصد إيصال الدّعوة إلى النّاس، فوسائل الدّعوة ما يبلغ به الدّاعية دعوته، ويسلك بها مسالك النجاح، حتى يصل إلى الهدف الأساسي للدّعوة، ألا وهي: هداية النّاس وإرشادهم للتي هي أقوم، ولا يظهر بين هذه التعريفات كبير خلاف، وإنّما هو اختلاف في الألفاظ، يتوارد على معنى واحد وماهية واحدة، وإن كان الأخير يربطه بالمنهج الشرعيّ القويم، لأنّه الأصل الأصيل، وما خالفه يردّ.

(١) تفسير ابن كثير ٣/ ١٠٣، والتفسير الكبير للرازي، ٦/ ٢٢٠.

(٢) رسالة في الدّعوة إلى الله، للشيخ العثيمين، ص: ١١. ومباحث في الدّعوة وبعض مناهجها وأساليبها ووسائلها أ.د: عبدالحق إبراهيم ص: ٢٥٧.

(٣) قواعد الدّعوة الإسلامية، لشريف حمدان الهجاري، ص: ٤٧٨.

(٤) وسائل الدّعوة إلى الله، أ.د: عبد الرحيم المغذوي ٢/ ٦٥٧.

وهو - أي هذا التعريف - يدلّ على أنّ لاستخدام وسائل الدعوة وأساليبها ضوابط يجب على الدّاعية مراعاتها عند استخدام هذه الوسائل والأساليب، وهي أنّ تكون منطلقة ومستمدّة من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ، منضبطة بأحكام الإسلام وتعاليمه، سائرة على قاعدة الوسائل لها أحكام المقاصد، وأن الغاية لا تبرّر الوسيلة، مراعية بين المصالح والمفاسد، مع تقديم الأهم فالمهم، مناسبة للمدعوين وظروفهم وأحوالهم. وقد صار النّاس مع الوسائل والأساليب الدعوية بين اتجاهين أو مسارين متناقضين.

فراى قوم أنّ لهم حقّ التّصرف في الوسائل والأساليب واستخدامها دون قيود أو شروط، ولا نظروا لما تؤول إليه.

واعتقد آخرون أنّ هذه الوسائل والأساليب توقيفيّة لا اجتهاد فيها، فحجّروا الواسع، بدون دليل مقنع ولا برهانٍ ساطع. وبعد النّظر والتّأمّل في أقوال أهل العلم في الوسائل والأساليب يظهر أنّها لا تخرج عن ثلاث حالات، وهي:

الأولى: النّص على مشروعية الوسيلة والأسلوب في الكتاب والسّنّة، فحكم الوسيلة والأسلوب فيها توقيفيّ، لا يجوز لأحدٍ منعها أو النهي عن استخدامها.

الثانية: النّص على منع الوسيلة والأسلوب في الكتاب والسّنّة، فالحكم فيها توقيفيّ يمنع استخدامها، ولا يجوز لأحدٍ مخالفة ذلك.

والثالثة: عدم النّص على الوسيلة والأسلوب بمشروعية أو بمنع في الكتاب والسّنّة، فهذا النوع يدخل في دائرة المباح بناءً على أنّ الأصل في الأشياء الإباحة^(١).

(١) انظر للإفادة والاستزادة: المدخل إلى علم الدّعوة لأبي الفتح البيانوني، ص: ٢٨٦، ووسائل الدّعوة وأساليبها، د. عبد الرحيم المغذوي، ص: ٢٠، ومنهج ابن تيمية في

التعريف بأساليب الدعوة والفرق بينها وبين الوسائل.

الأسلوب لغة: مفرد أساليب، وهي كلمة جاءت من الفعل الثلاثي: سلب، من باب نصر، وقتل، والأساليب: الفنون المختلفة، والأسلوب: هو الطريق والوجهة والمذهب والفرنّ، يقال: أخذ فلان في أساليب من القول، أي أفانين منه، ويقال: سلكت أسلوب فلان في كذا، طريقه ومذهبه، معنوياً^(١).

إذا فالأسلوب في اللغة: يطلق ويراد به عدّة معان منها: الطريق، والوجهة، والفرنّ، والمذهب.

وفي الاصطلاح العام: قيل: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه. أو هو: طابع الكلام وفنه الذي انفرد به المتكلم كذلك^(٢).

وقيل: هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار مفرداته^(٣).

وفي الاصطلاح الدعوي:

قيل: صيغ التبليغ في دعوة الناس^(٤).

وقيل: مجموعة الطرق القولية والعملية التي يستخدمها الداعية للعبور إلى قلب المدعو وإقناعه بما يدعو إليه، ومن ثمّ تحقيق الهدف الذي يصبو إلى تحقيقه^(٥).

الدعوة إلى الله للحوشاني ٥٤٤/٢. ووسائل الدعوة إلى الله تعالى وأساليبها بين التوفيق والاجتهاد. د. حسين محمد عبد المطلب، ص: ٣٠.

(١) انظر: لسان العرب، لابن منظور ٤٧٣/١، والمعجم الوسيط، لإبراهيم مصطفى ٤٤١/١.

(٢) مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد الزرقاني ٢/٢١٨.

(٣) خصائص القرآن الكريم، فهد الرومي: ص: ١٨.

(٤) الركائز الإعلامية في دعوة إبراهيم عليه السلام، سيد محمد الساداتي الشنقيطي، ص: ٤٨.

(٥) الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، خالد الخياط، ص: ١٠٤.

وقيل: مجموعة من الطّرق العمليّة المتّبعة في عرض الأفكار، التي يتعلّمها الدّاعية، ويطبّقها في أثناء تبليغ الدّعوة إلى النّاس^(١).

وعلى هذا فيمكن أن أعرّف الأساليب الدّعوية بأنّها: الطّريقة العمليّة التي يسلكها الدّاعية في عرض ما لديه من معاني وأفكار، بشروطٍ معيّنة على النّاس.

فقولنا: (الطّريقة العمليّة) لتعمّ الأساليب الكلاميّة كالقصة والمثل، ونحوها، وغير الكلاميّة، كاستخدام القوّة بنوعيه الماديّة والمعنويّة لردع المدعو.

وقولنا: (بشروطٍ معيّنة) لضبطها بالضوابط الشّرعي، بأن تكون ربّانية المصدر موافقة للكتاب والسّنة وفق فهم سلف الأمتّة.

الفرق بين الوسائل والأساليب.

إنّ المتمعّن في الكتب التي تحدّثت عن الوسائل والأساليب والمناهج الدّعوية، لا يكاد يرى الفرق البيّن الواضح بين هذه المسمّيات في المدلول اللّغوي، إذ يعود معناها جميعاً إلى الطّريق الذي يوصل بها الدّعوة إلى الله حسّية كانت أو معنويّة.

ومراد كلّ واحدٍ من هؤلاء الكتاب هو: بيان الطّريقة الصّحيحة التي يسلكها الدّاعي لإيصال الدّعوة، سالكاً أقرب الطّرق وأصوبها، وهدف هذه الوسائل والأساليب واحدٌ وهو خدمة الدّين، وبينها ترابطٌ وتداخلٌ فلا يكاد ينفكّ أحدها عن الأخرى، وذلك مثل الخطابة، فإن جعلت وسيلة من وسائل الدّعوة، فإن الخطبة تحمل في طيّاتها الأساليب الدّعوية من وعظٍ وإرشادٍ وترغيبٍ وترهيبٍ، وحكمةٍ وغيرها، كما أن طريق إيصال المعلومة يعدّ منهجاً وسبيلاً لترسيخها في ذهن المدعو.

وكذلك فإن الدّاعية عندما يجعل من أخلاقه وصفاته وأعماله الخيرة أسلوباً من أساليب الدّعوة وجذب المدعوين إلى الاقتداء به، فإنّ القدوة في نفس الوقت وسيلةٌ

(١) أسس الدّعوة ووسائل نشرها، محمد أبو فارس ص: ٩٠.

دعويةً انتهجها الداعية ليتوصّل إلى جذب المدعوّ بخلقه وأدبه إلى الاقتداء به ومعرفة الإسلام عن طريق هذا العمل فتصبح القدوة أسلوبًا ووسيلة في نفس الوقت، إذًا فبينهما عمومٌ وخصوصٌ (١).

ويمكن أن يفرّق بين الوسائل والأساليب بفروقٍ عدّة إذا اجتمعنا.

فيقال: إن وسائل الدعوة ما يستخدمه الداعية للوصول إلى غاياته سواء كان اتّصافًا بصفات معنويّة، أم كان استعمالًا لأدوات ماديّة، أم قيامًا بأعمال تطبيقية. أمّا الأساليب فهي ما كانت بالألفاظ غالبًا.

والوسائل: غالبًا ما تكون من أشياء ماديّة محسوسة، فهي أوعيةٌ للأساليب.

وأما الأساليب: هي التي تمثّل الأفكار والخطط والتّصورات والرّؤى، ونحوها. وبالمثال يتّضح المقال:

فالترغيب والترهيب والحوار والجدل والاستفهام الإنكاري، ونحوها، كلّها أساليب، ومتعلّقة بالألفاظ ومرتبطة بها.

والتّخطيط والتّلفاز والشّبكة العالميّة - الانترنت - والشّريط، وإرسال الدّعاة، كلّها وسائل، لأنّها متعلّقة بأموّر ماديّة أو معنويّة، أو أعمالٍ تطبيقية.

وكما قلنا: هناك تلازمٌ بين العمل الدّعوي بين الأساليب والوسائل والمناهج، وهي مندجّةٌ ومشاركةٌ، لذا يكون الشّيء الواحد وسيلة من وجه، ومن وجه آخر أسلوبًا، وهذا عائدٌ إلى أنّ الوسائل أوعيةٌ للأساليب وحاملةٌ لها، كما تقدّم.

(١) انظر للاستزادة: منهج ابن القيم في الدّعوة إلى الله. د. أحمد الخلف ٢/٤١٥، والدّعوة

الإسلامية، الاستيعاب والشمول، د. محمد زين الهادي، ص: ٢٥٢.

المبحث الأول:

المقاصد الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة في الصلح النبوي.

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين.

اتخذ النبي - صلى الله عليه وسلم - عدّة وسائل وأساليب في تبليغ دعوته للمشركين أثناء مصالحته لهم يوم الحديبية وقبل الأحزاب.

وكان من ضمن الوسائل التي انتهجها في إيصال الدعوة، وسيلة عقد الهدنة والصلح مع العدو عند الحاجة، وذلك موازنةً بين المصالح والمفاسد، وارتكاب أخفّ الضررين، وأعظم المصلحتين، إذ في المصالحات والمعاهدات ما يتيح للمسلمين القيام بالدعوة إلى الله تعالى، وبيان سماحة الإسلام ويسره، وشموليته وعالميته.

كما اتخذ النبي ﷺ وسيلة التّنزّل إلى مستوى الخصم لا قناعه واستمالة قلبه بما لا يتنافى مع مبادئ الدين الإسلامي، وثوابته التي لا تقبل الجدل والنقاش، واتضح ذلك في بنود صلح الحديبية، وشروطه، وتنازله لرؤساء قبيلة غطفان على ثلث ثمار المدينة.

كما اتخذ أسلوب الأخذ بالأسباب في كلّ الأحوال، مراعيًا أسلوب القدوة الحسنة ومدى تأثيره على المدعوين بأصنافهم وأحوالهم. متسلّحًا بأسلوب الحكمة والحنكة في تدبير الأمور وتسييرها على النحو الذي يرضي الله عز وجلّ.

مما دعاء قريش إلى الاعتراف بالمسلمين، وتمكينهم من دخول البيت الحرام في العام القادم منه، وأتاح الفرصة لدخول الناس في دين الله أفواجًا.

أولاً: من وسائل الدعوة: عقد الصلح والهدنة مع الأعداء عند الحاجة.

إن عقد الصلح مع أعداء الدعوة ثابتٌ بالكتاب والسنة القولية والفعلية، وهو من الوسائل الدعوية التي اعتنى بها النبي ﷺ أثناء دعوته، وذلك موازنةً بين المصالح والمفاسد، وارتكاب أخفّ الضررين، إذ في المصالحات والمعاهدات ما

يتيح للمسلمين القيام بالدعوة إلى الله تعالى، وبيان سماحة الإسلام ويسره، وشموله وعالميته.

والمصالحات النبوية مع غير المسلمين كثيرة، وأشهرها صلح الحديبية، وهو مما استدلل به العلماء والأئمة على جواز عقد الهدنة بين المسلمين وأهل الحرب من أعدائهم إلى مدة معلومة، وقد قال حبيب بن أبي ثابت قال: «أتيت أبا وائل أسأله فقال: كنا بصفين فقال رجل: ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله؛ فقال علي: نعم، فقال سهل بن حنيف: " اتهموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية - يعني صلح الحديبية الذي كان بين النبي ﷺ - والمشركين لو نرى قتالا لقاتلنا»^(١).

قال الإمام النووي - رَحِمَهُ اللهُ - في صلح الحديبية: " قال العلماء رَحِمَهُ اللهُ: المصلحة المترتبة على إتمام هذا الصلح ما ظهر من ثمراته الباهرة وفوائده المتظاهرة التي كانت عاقبتها فتح مكة وإسلام أهلها كلها ودخول الناس في دين الله أفواجًا وذلك أنهم قبل الصلح لم يكونوا يختلطون بالمسلمين ولا تتظاهر عندهم أمور النبي ﷺ كما هي، ولا يجلون بمن يعلمهم بها مفصلة فلما حصل صلح الحديبية اختلطوا بالمسلمين وجاءوا إلى المدينة وذهب المسلمون إلى مكة وحلوا بأهلهم وأصدقائهم وغيرهم ممن يستنصحونه وسمعوا منهم أحوال النبي ﷺ مفصلة بجزئياتها ومعجزاته الظاهرة، وأعلام نبوته المتظاهرة، وحسن سيرته، وجميل طريقته، وعانوا بأنفسهم كثيرًا من ذلك.

فمالت نفوسهم إلى الإيمان حتى بادر خلق منهم إلى الإسلام قبل فتح مكة فأسلموا بين صلح الحديبية وفتح مكة وازداد الآخرون ميلا إلى الإسلام فلما كان يوم الفتح أسلموا كلهم لما كان قد تمهد لهم من الميل وكانت العرب من غير

(١) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب صلح الحديبية في الحديبية، ٣/ ١٤١١.

قريش في البوادي ينتظرون بإسلامهم إسلام قريش فلما أسلمت قريش أسلمت العرب في البوادي^(١).

إذا فعقد الصلح مع الأعداء مما ثبت في الكتاب والسنة، وقد قام به النبي ﷺ وأمر به وقرره لمن سيأتي بعده، ولكن لا يكون ذلك كله إلا لحاجة المسلمين إليه، أو جنح إليه الأعداء. قال تعالى: ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ [الأنفال: ٦١].

قال القرطبي - رَحِمَهُ اللهُ -: قال السدي وابن زيد: معنى الآية: إن دعوك إلى الصلح فأجبهم^(٢).

وقال العلامة السعدي رَحِمَهُ اللهُ : وإن جنحوا: أي: الكفار المحاربون، ومالوا للسلام والصلح وترك القتال، فأجبهم إلى ما طلبوا متوكلاً على ربك، فإن في ذلك فوائد كثيرة. منها: أن طلب العافية مطلوبٌ كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم.

ومنها: أن في ذلك إجماعاً لقواكم، واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك^(٣).

ولكن إذا جاز عقد الصلح والهدنة مع غير المسلمين فما المدة المقدره في ذلك؟
جاء في حديث المسور ومروان من طريق ابن إسحاق "أن النبي ﷺ صالح قريشاً على وضع الحرب عشر سنين". أي: في بنود الصلح يوم الحديبية.

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١٢ / ١٤٠.

(٢) انظر: تفسير القرطبي ٨ / ٤٠.

(٣) تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ٣٢٥

وقد أخذ جماعة بظاهر هذا الحديث، قال الشافعي - رَحِمَهُ اللهُ - (١): "لا تتجاوز المهادنة عشر سنين، وعند الضرورة يجدد العقد بعد انتهاء العشر"، وحكى ابن قدامة (٢) عن القاضي أنّ ظاهر كلام أحمد يقتضيه، وحكاه ابن حجر عن الجمهور ورجحه (٣).
وقالوا: إنّ قوله تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبَدِّلْهَا ۚ هِيَ السَّوْبَةُ ۚ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا﴾ [التوبة: ٥]، عام وقد خصّ منه الحديث هذه المدّة، ففيما زاد يبقى على مقتضى العموم (٤).
وذهب قوم إلى جواز الهدنة أكثر من عشر سنين على ما يراه الإمام من المصلحة وهو قول أبي حنيفة - رَحِمَهُ اللهُ - (٥) وحكى ابن قدامة عن أبي الخطاب أنّه ظاهر كلام أحمد (٦).
وقالوا: "إنّ العام مخصوص بالعشر بمعنى موجود فيما زاد عليها، وهو أنّ المصلحة قد تكون في الصلح أكثر منها في الحرب" (٧).
وقيل: لا تتجاوز ثلاث سنين (٨)، وهؤلاء نظروا إلى أنّ المدّة التي استمر فيها الصلح مع قریش.
والتحقيق: أنّ القول الأوّل هو الراجح لظاهر الحديث، وإن وجدت مصلحة في الزيادة على العشر جدّد العقد، كما قال الشافعي، والله أعلم.

(١) الأم للشافعي ٤/ ١٨٩.

(٢) المغني لابن قدامة ٨/ ٤٦٠.

(٣) فتح الباري لابن حجر ٥/ ٣٤٣.

(٤) المصدر السابق نفس الجزء والصحيفة.

(٥) فتح القدير ٥/ ٤٥٦.

(٦) المغني لابن قدامة ٨/ ٤٦٠.

(٧) المصدر السابق نفس الجزء والصحيفة.

(٨) شرح السنة ١١/ ١٦١.

وقال بعض المتأخرين: (١) يجوز عقد الصلح مؤبداً غير مؤقت بمدة معينة.

واستدلوا بقوله تعالى: ﴿ فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ فَلَمْ يُقْبَلْكُمْ وَالْقَوْمَ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ

لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٩٠].

وهذا القول مبني على أن الأصل في علاقة المسلمين بغيرهم، هي السلم لا

الحرب، وقد سبق الحديث حول ذلك بالتفصيل في الفصل التمهيدي (٢).

إذاً فتبين أن عقد الصلح والهدنة والمعاهدات من الأساليب الدعوية التي

يلجأ إليها الداعي عند الحاجة، فتقدر بقدرها، ولا يعني ذلك تعطيل الجهاد

وإغلاق بابه، فالجهاد باق إلى قيام الساعة، ولكن بشروطه وضوابطه فليتبه لها

الدّاعية اللبيب، وليتعامل مع المدعويين بما تقتضيه المصلحة، مراعيًا في ذلك

المصالح والمفاسد، مقدما المقاصد السامية للدعوة إلى الله، وهي تحرير العباد من

عبادة العباد إلى عباد رب العباد.

ثانياً: من وسائل الدعوة: التنازل إلى مستوى الخصم مجازاة له لما يحقق مصلحة الدعوة.

إنّ الدّاعية الحكيم هو الذي ينظر إلى مصلحة الدعوة، ويقارن بين المصالح

والمفاسد، ويرتكب أخف الضررين عند تزاخم المفاسد، ويدرك المفسدة جلباً

للمصلحة المحققة أو المتوقعة، إذ الحكمة تقتضي ترجيح خير الخيرين، بتفويت

أدناهما، ودفع شرّ الشرين بالتزام أدناهما.

وقد يكون المدعو تارة متعنّتا متمسكاً بموقفه، لا يريد التنازل عنه مهما كلف

الأمر، وهنا يبرز حنكة الدّاعية في ارتكاب الأصلح للموقف، وإن كان يدعو ذلك

إلى التنازل عن موقفه، ما لم يتعارض مع أصول الدين.

(١) آثار الحرب في الفقه الإسلامي، الدكتور وهبة الزحيلي، ٦٨٠.

(٢) في خصوص هذه الأقوال استفدت من مرويات غزوة الحديبية، للدكتور الحكمي، ص: ٢٨٥.

ولا يعني ذلك ردّ حكم الله تعالى، وقد قال النبي ﷺ للمشركين، عندما أقام الحجّة عليهم بأن معبودهم جميعاً، هو الله الخالق الرّازق الذي يستحقّ العبادة، قال تنزّلاً لهم وليعرفوا حقيقة ما هم عليهم بعد التأمّل والتّفكير: ﴿وَإِنَّا أَوْيَاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًىٰ أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤].

قال العلامة السّعدي - رَحِمَهُ اللهُ -: أي: إحدى الطّائفتين منّا ومنكم، على الهدى، مستعلية عليه، أو في ضلال مبين، منغمرة فيه، وهذا الكلام يقوله من تبين له الحقّ، واتّضح له الصّواب، وجزم بالحقّ الذي هو عليه، وبطلان ما عليه خصمه^(١).

وقال السيّد قطب - رَحِمَهُ اللهُ -: هذه غاية النّصف والاعتدال والأدب في الجدل، أن يقول رسول الله ﷺ للمشركين: إنّ أحدنا لا بدّ أن يكون على هدًى، والآخر لا بدّ أن يكون على ضلال، ثم يدع تحديد المهتدي منهما والضّال، ليثير التّدبر والتّفكير في هدوء لا تغشى عليه العزّة بالإثم، والرّغبة في الجدل والمحال! فإنّما هو هاد ومعلّم، يبتغي هدايتهم وإرشادهم، لا إذلالهم وإفحامهم، لمجرّد الإذلال والإفحام!^(٢).

وقد ظهر هذا الخلق الرّفيح في مصالحة النبي ﷺ للمشركين يوم الحديبية، ومع غطفان في المدينة، فقد أصرّ مندوب قريش في معاهدة الحديبية على كتابة باسمك اللهم، بدلاً من بسم الله الرحمن الرحيم، وأن يكتب اسم النبي ﷺ واسم أبيه، دون ذكر محمد رسول الله، فوافق رسول الله ﷺ حتى أنه أمر علي بن أبي طالب بمحو ما كتبه من بسم الله الرحمن الرحيم، ومحمد رسول الله، وأن يكتب بدلها ما أراده سهيل بن عمرو، أي باسمك اللهم، وهذا ما قاضى عليه محمد بن عبد الله، وأن يرجع المسلمون من البيت في عامهم، وغيرها من الشروط المجحفة ظاهراً.

(١) انظر: تيسير الكريم الرحمن للسعدي ص: ٦٧٩.

(٢) في ظلال القرآن للسيد قطب ٥ / ٢٩٠٥.

ولا شك أن هذه المجاراة وهذا التنازل من النبي ﷺ عن مواقفه لرغبات سهيل بن عمرو لا تمام عقد الصلح الذي فيه مصلحة كبيرة للمسلمين يهون قبوله، فهي أمور لا تغير شيئاً من الحقيقة، ولا من القناعات المسلمة الراسخة في القلوب، وهي أن محمداً رسول الله ﷺ حقاً وإن أبوه وأنكروه، فلا ينفي عنه هذا الوصف ولا يلغيه، كما أن هذا التنازل لم يترتب عليه ضرر بالمسلمين ولا بالإسلام، والشر المترتب على هذا التغيير أهون بكثير من الشر الذي كان سياتر على عدم عقد الهدنة التي كانت بمثابة الفتح المبين، والخير المترتب عليه - الصلح - إسلام بعض الأشخاص، بل دخول الناس في دين الله أفواجا، وفي هذا من الخير العميم ما الله به عليم^(١).

كما أن مثل هذا الموقف من الرسول ﷺ يمكن وصفه بالمرونة العالية والاستجابة إلى طلبات الطرف الآخر، بما لا يخل ولا يتعارض مع شرع الله تعالى، وهو ما يدل على الحكمة العظيمة والحنكة التي تمتع بها النبي ﷺ، فلو أنه تمسك بالصيغ التي ذكرها رافضا مطالب الطرف الآخر، لما تحقق الاتفاق، ولما حصل الصلح.

ومثله ما حصل مع رؤساء غطفان في المدينة، فقد تنازل النبي ﷺ معهم إلى إعطائهم ثلث ثمار المدينة مقابل عودتهم إلى ديارهم، وعدم محاربة المسلمين. وعلى هذا فعلى الدعاة أو جماعتهم أو أميرهم أن لا يصبروا على أشياء لا تنفي الحقيقة ولا تؤثر في جوهر الدعوة، وليس فيها إقرار بمنكر، في سبيل تحقيق مصالح كبرى للدعوة إلى الله تعالى، وعليهم الاستشهاد بمسلك النبي ﷺ في مثل هذه المواقف مما يحقق مقاصد الدعوة إلى الله، فيجاروا خصوم الدعوة في بعض المطالب والرغبات إن دعت الحاجة لتحقيق مصالح مؤكدة للدعوة، وإيجاد المجال المريح لنشر الدعوة كما فعل النبي ﷺ، إذ ذلك من فقه الدعوة إلى الله، و من البصيرة المطلوبة فيه.

(١) انظر للاستزادة: فقه السيرة النبوية. د. موفق نوري، ص: ٣٢٧.

ثالثاً: من وسائل الدعوة إلى الله الأخذ بالأسباب:

السبب لغة: الحبل، وما يتوصل به إلى غيره^(١).

واصطلاحاً: كل ما يستعان به للوصول إلى الغاية والهدف، سواء كان علماً أو قوة أو آلة، أو خطة أو طريقة^(٢).

والسبب سنة كونية ثابتة لا تتغير ولا تبدل، وقد دعا الله سبحانه إلى الأخذ به في كثير من الآيات القرآنية، فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

وقال: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

وقد علّق سبحانه وتعالى نجاح كثير من الأمور على الأخذ بالأسباب، كما لم يعف من مباشرة السبب حتى في أصعب الأحوال والأوقات، فقد قال تعالى لمريم عليها السلام على الرغم من ألم المخاض والحالة النفسية العصبية التي قد اعترتها عند الولادة بحيث تمت لو كانت نسياً منسياً ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا﴾ (٢٣) فنَادَتْهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا (٢٤) وَهَزَيْتُكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا جَنِيًّا ﴿ [مريم: ٢٣ - ٢٥].

وعون الله سبحانه متوقف على استكمال الأخذ بالأسباب، وقد كان النبي ﷺ من أكثر الناس أخذاً بالأسباب، والتزاماً بالسنن، فقد يستطيع أن يطلب المدد من الله تعالى في أصعب الأحوال والأوقات، وهو موقن بأن الله سيستجيب له، ولكن كان إلى

(١) القاموس المحيط للفيروزآبادي (ص: ٩٦)

(٢) أساليب الدعوة، العاني، ص: ٧١.

الأخذ بالأسباب سببًا، كما علمه ربه: ﴿وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

ولا يعني ذلك - أي الأخذ بالأسباب - عدم التوكل على الله سبحانه وتعالى، بل هو عين التوكل المطلوب، بل من الواضح عند ذوى العقول السليمة أن التوكل على الله لا ينافي الأخذ بالأسباب التي شرعها - سبحانه - بل إن الأخذ بالأسباب التي شرعها الله وأمر بها لبلوغ الغايات، وهو دليل على قوة الإيمان، وعلى حسن طاعته - سبحانه - فيما شرعه وفيما أمر به.

وليس من الإيمان، ولا من العقل، ولا من التوكل على الله، أن ينتظر الإنسان نجاحًا بدون جهدٍ، أو ثوابًا بدون عملٍ صالحٍ. إنّما المؤمن العاقل المتوكل على الله، هو الذى يباشر الأسباب التي شرعها الله لبلوغ الأهداف مباشرةً سليمةً، ثم بعد ذلك يترك النتائج له - سبحانه - يُسيّرُها كيف يشاء، وحسبها يريد.

وفي ضوء المصالحات النبوية - وخاصةً مع المشركين - نرى أنه ﷺ اتخذ الأسباب ليعطي صحابته الكرام، بل للأمة جمعاء، درسًا في ذلك. ومن ذلك: بثه ﷺ العيون (وهو ما يسمى الآن بالمخابرات) للوقوف على حالة الطريق وإعطائه المعلومات الدقيقة اللازمة لكي يعدّ العدة ويستعد لمواجهة أي طارئ. فقد كان ﷺ يمتلك من بين أصحابه الرجال الأوفياء رفيعي المستوى في تتبع الأخبار، عالي الأداء، قادرين على رصد تحركات الأعداء السياسية والعسكرية.

فقد أرسل بشر بن سفيان وبديل بن سلمة يوم الحديبية عيناً له فرجعا وأخبراه بأن خالد بن الوليد في كراع الغميم مع جيش من المشركين، فقد اتخذ ﷺ السبب لئلا يقع بينه وبين قريش حرب، وحدث ذلك في مناسباتٍ عدّة.

يقول ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -: في معرض بيانه لفقهِه غزوة هوازن بعد ذكر العين الذي أخبر باستعدادهم لمهاجمة الرسول ﷺ وفيها: من الفقه أن الإمام ينبغي له أن يبعث العيون، ومن يدخل بين عدوه ليأتيه بخبرهم، وأن الإمام إذا سمع بقصد عدوه له وفي جيشه قوة ومنعة، لا يقعد ينتظرهم، بل يسير إليهم، كما سار رسول الله ﷺ إلى هوازن، حتى لقيهم بحنين^(١).

وفي غزوة الخندق، حفر الخندق حول المدينة لئلا يقتحمها الأعداء، واتخذ من الأسباب عقد الصلح مع غطفان، ليخلوا عن المدينة وأهلها.

واستصحابه السلاح في عمرة القضاء، كالرمال والنبال والدروع والمجان وغيرها، مع أن قريشاً اشترطت أن لا يدخل عليها بالسلاح إلا بالسيوف في القرب، وقد اتخذ ذلك خوفاً من غدر قريش.

فقد توكل - صلى الله عليه وسلم - وأصحابه، وأخذ بالأسباب المشروعة، لقول الله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ [الأنفال: ٦٠].

كما يعلم أن قريشاً قوم غدر، ولكن الله تعالى حسبه وكافيه: ﴿يَأْتِيهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤].

وهذا يبين للداعية أهمية الأخذ بالأسباب النافعة في الدعوة إلى الله عز وجل، فينبغي عليه الاعتناء بها، والتخلُّق بها لعظم مكانتها في الدعوة إلى الله تعالى.

(١) انظر: زاد المعاد، لابن القيم، ٣ / ٤٢٠.

رابعاً: من وسائل الدعوة إلى الله: القدوة الحسنة.

القدوة الحسنة وسيلة مهمة في الدعوة إلى الله، وأسوة الدعاة وقدوتهم - بل أسوة الناس أجمعين وقدوتهم - هو رسول الله ﷺ قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢١].

وللقدوة الحسنة أثر كبير في التأثير على الآخرين، فالناس عندما يرون الداعي صادقاً أميناً كريماً حليماً، متحلياً بالأخلاق الفاضلة، متجماً بالآداب الإسلامية الخالدة، يقول ويفعل، ويأمر ويأتمر، فإنه بلا شك سيكون لذلك الأثر الكبير والوقع العظيم في اقتدائهم وتأسيهم به.

وقد كان رسول الله ﷺ قدوة الناس وأسوتهم جميعاً، لأنه الذي تجسّد في شخصه وسلوكه وقوله ومنطقه كلّ ما أنزل الله تعالى من الشرعة والمنهاج، كما أمره الله تعالى أن يتخذ إخوته من الأنبياء السابقين قدوة له، يسير على نهجهم ويقتفي أثرهم قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَلْتَدَةُ﴾ [الأنعام: ٩٠]

إن الأسوة أو القدوة وسيلة لها تأثيرها في الدعوة لما لها من النقلة البعيدة والتغيير السريع في المدعوين، لأنه دعوة بالحال، قبل الدعوة بالمقال.

يقول الغزالي رحمه الله: أما العرب فإن الإسلام غيرهم في فترة قصيرة ثم تغير العالم بعد ذلك تغيراً جذرياً، ولم تكن لهذا التحول الشامل أداة إلا الأسوة الحسنة، قال مالك بن أنس رحمه الله بلغني أنّ النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضي الله عنهم الذين فتحوا الشام يقولون، والله لهؤلاء خير من الحواريين^(١).

وإذا كان رسول الله ﷺ هو القدوة والأسوة للأمة إلى يوم القيامة، فمن الواجب على الدعاة أن يتأسوا به ﷺ، فيكونون قدوة للمدعوين.

(١) انظر: علل وأدوية للغزالي ص: ١٣٨.

وإذا نظرنا إلى المصالحات النبوية وما جرى فيها من الأحكام والأفعال، نرى أن النبي ﷺ قام ببعض الأعمال ليقندي به الصحابة - رضوان الله عليهم أجمعين - وليتأسوا به بعده ﷺ، وليكونوا المثل الأعلى في أداء الرسالة إلى المشركين، من ذلك حلمه وحكمته وصبره، وعفوه، وتحمله لكل النوائب والمصائب الناتجة عن تلك المصالحات. ففي صلح الحديبية، تلطّف بالمبعوثين من رؤساء الكفر ولأنّ لهم الجانب، ليعطي الصحابة درسًا عمليًا في معاملة الغير.

وأما صبره فأكثر من أن يحاط به، فقد كان ﷺ صبورًا حليماً على بنود الصلح مع ظاهر جورها وحيفها على المسلمين، وقبله صبر على خشونة معاملة رسل قريش وما قالوه من عبارات توغر الصدور، كقول عروة له: أي محمد، أرايت لو استأصلت قومك، هل سمعت بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ إن تكن الأخرى فو الله إني لأرى وجوها وأرى أوشابا من الناس خليقا أن يفروا ويدعوك.

حتى غضب لقوله الصديق وردّ عليه، و جعل يكلم النبي ﷺ ويمسك بلحيته، ويتبسم النبي ﷺ صابرا، ليقندي به أصحابه ﷺ، وقد فعلوا بعدما أيقنوا، وأما عن عفوه في الحديبية فقد أسر إليه رجال من جنود قريش قبل الصلح، فعفا عنهم وخلّى سبيلهم.

فعلى الداعية أن يكون قدوة حسنة في دعوته للناس حتى يكتب لدعوته القبول، لأن التأثير بالأفعال والسلوك أبلغ وأعظم من التأثير بالأقوال دون الأعمال، والناس لا تلين قلوبهم لموعظة واعظ، ولا يقتدون برأي مرشد إلا إذا وثقوا بأمانته، وأبصروا في حالته الظاهرة مثالا ينصحهم به، وقد يكون اقتداء الناس بأفعال المصلح أقرب من اتّباعهم لأقواله، وما دخل الإسلام في كثير من البقاع إلا بالقدوة الحسنة.

كما أن القدوة الحسنة التي تؤدي من خلالها الدعوة إلى الله متاحة لكل مسلم، فالجميع مطالب به، فيجدر الاعتناء بها أشد الاعتناء.

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بوسائل الدعوة في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب.

سبق الحديث في التمهيد أنّ النبي ﷺ لما أتى إلى المدينة وادع أهلها، وكتب بينه وبينهم كتاب صلح ومعاهدة، كما صالح النبي ﷺ اليهود الذين جاؤوا المدينة، كيهود خيبر وتيما وفدك وغيرها، وبادأهم بالدعوة إلى الله تعالى، والايان به وأنه خاتم الأنبياء والرسل - عليهم الصلاة والسلام - ولكن اليهود اتخذوا أساليب ووسائل كثيرة للصد عن الإسلام. كأسلوب إثارة الفتنة بين المسلمين - بين الأوس والخزرج - وأسلوب الدخول في الإسلام ثم الارتداد عنه، ومحاولة قتل النبي ﷺ والغدر ونكث العهود، والتحالف للقضاء على الإسلام وأهله.

ولكن النبي ﷺ لم يعاملهم بالمثل، فانتهج ﷺ أساليب ووسائل دعوية كثيرة لدعوتهم، ومن أهم الوسائل الواردة في ذلك في ضوء المصالحات التي عقدت معهم أكثر من مرة، وسيلة تحقيق العدل والإحسان والمساواة، والاتصال الشخصي بالمدعو لدعوة، كما استخدم أسلوب العفو عنهم مقابل الجزية، أو مصالح يراها ﷺ كما فعل بيهود خيبر، ولم يستخدم النبي ﷺ أسلوب القوة والجهاد إلا عند الحاجة، لما طغت اليهود وتجبرت ونكثت العهود والمواثيق، ومع ذلك كله لم يغفل عن استمالة قلوبهم، لا سيما ذوو الجاه فيهم.

أمّا النصارى فلم يكن لهم وجودٌ كاليهود في المدينة لما قدم الرسول ﷺ إليها، لذا لم يحدث احتكاكٌ كبيرٌ بينهم وبين الرسول ﷺ إلا في أواخر حياته، ومنهم من آمن بالنبي ﷺ وصدّقه، ومنهم من صدّ عنه، وشرق عن الدعوة إلى الله، وعادها، وكاد لها، وقد استخدم النبي ﷺ عدّة أساليب ووسائل لدعوتهم.

ومن أهمّ تلك الوسائل والأساليب، أسلوب الحكمة والموعظة الحسنة، والجدال

بالتي هي أحسن - كما حصل لوفد نصارى نجران - فقد جادلهم وحاورهم وفند ما عندهم من الشبه والافتراءات عن نبي الله عيسى - عليه السلام - وأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، ودعاهم إلى الإسلام، وإلى وحدانية الله وعبادته، وأن القول بالوهية عيسى وإشراك مع الله غيره يعرضهم للنار، بينها بالحجة القاطعة، قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ ااعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِّنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وانتهج ﷺ في دعوتهم أثناء الصلح، أسلوب الرفق واللين، والتأليف، فأخذ من هدايا ملوكهم وأمرائهم، فأخذ الهدية من أكيدر دومة الجندل، وقبل من يوحنة بن رؤبة بغلة، وأهدى إليه برداً، ورعّبهم بمضاعفة أجر من أسلم منهم، ورهبهم بشديد العقاب لمن سمع عنه ولم يؤمن به، وسيأتي تفصيل ذلك في الأسطر الآتية إن شاء الله.

أولاً: من وسائل الدعوة: أخذ الجزية من أهل الكتاب والمجوس.

ثبتت مشروعية الجزية بالكتاب والسنة والإجماع، ويعد أخذ الجزية من وسائل الدعوة إلى الله، لما في ذلك من إذلال للكافرين ونفع للمسلمين، ولهذا شرع الله تعالى أخذ الجزية منهم، فقال تعالى: ﴿فَاتَّخَذُوا الَّذِينَ لَا يُوْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾ [التوبة: ٢٩].

قال الماوردي - رَحِمَهُ اللهُ -: فيجب على ولي الأمر أن يضع الجزية على رقاب من دخل في الذمة من أهل الكتاب؛ ليقروا بها في دار الإسلام، ويلتزم لهم ببذلها حقاً:

أحدهما: الكف عنهم. والثاني: الحماية لهم ليكونوا بالكف آمنين وبالحماية محروسين^(١).

قال ابن عبد البر - رَحِمَهُ اللهُ -: الجزية لم تؤخذ من الكتابيين رفقا بهم، وإنما أخذت

(١) انظر: الأحكام السلطانية للماوردي ص: ٢٢٣

منهم تقوية للمسلمين، وذلاً للكافرين^(١).

وقال الإمام الزرقاني - رَحِمَهُ اللهُ - قال العلماء: الحكمة في وضع الجزية أن الذل الذي يلحقهم يحملهم على الإسلام مع ما في مخالطة المسلمين من الاطلاع على محاسن الإسلام^(٢).

وقال الدكتور: سعيد بن وهف القحطاني - حفظه الله -، سمعت العلامة ابن باز حفظه الله يقول: "والحكمة في أخذ الجزية والله أعلم: إذلال الكافرين، ونفع المسلمين"^(٣).

وجاء في رسالة النبي ﷺ إلى المنذر بن ساوي «أمير البحرين» «ومن أقام على يهوديته أو مجوسيته فعليه الجزية»^(٤).

وقد ثبت في المصالحات النبوية أن النبي ﷺ ترك قتال بعض القبائل مقابل دفعهم الجزية للمسلمين، كما هو في صلح أهل نجران، الذين طلبوا من النبي ﷺ أن يبعث معهم رجلاً أميناً حق أمين، ليقبض منهم الجزية، فبعث إليهم أبو عبيدة عامر بن الجراح رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وقال له: أنت أمين هذه الأمة.

وصالح أهل جرباء وأذرح، وقال: أن عليهم مائة دينار في كل رجب وافية طيبة، جزية مقابل تأمينهم على وإبقائهم على دينهم، وصالح أكيدر دومة الجندل على الجزية، وحقن دمه، وخلي سبيله بعدما كتب له كتاباً^(٥).

(١) انظر: الاستذكار، لابن عبد البر ٢ / ٢٤٢

(٢) شرح الزرقاني على الموطأ ٢ / ٢٠٣.

(٣) فقه الدعوة في صحيح الإمام البخاري ١ / ١٠٠٠.

(٤) السيرة الحلبية، لعلي بن إبراهيم الحلبي ٣ / ٣٥٣

(٥) قلت: مصالحته على الجزية وحقن دمه، مما يدل على أنه لم يسلم، وإن اختلف فيه المؤرخون، وقد أكد الحافظ ابن حجر ذلك في ترجمته في الإصابة فقال: ومن قال: إنه أسلم - أي أكيدر - فقد

وعن ابن شهاب - رَضِيَ اللهُ عَنْهُ -: قال: أوّل من أعطى الجزية من أهل الكتاب أهل نجران، فيما بلغنا، وكانوا نصارى، وقبل رسول الله ﷺ الجزية من أهل البحرين، وكانوا مجوساً، ثم أدى أهل أيلة وأهل أذرح إلى رسول الله ﷺ الجزية في غزوة تبوك، ثم بعث خالد بن الوليد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أهل دومة الجندل، فأَسْرُوا رئيسهم أكيدر، فبايعوه على الجزية (١).

وعلى هذا يتبين أنّ من أهم مقاصد الدّعوة إلى الله هداية الخلق، وإرشادهم إلى طريق الحق، وأن الإسلام يتدرج مع غير المسلمين دون إكراه أو تعنيف، فعلى الدّاعية مراعاة ذلك، فإنه من البصيرة في الدّعوة إلى الله.

ثانياً: من وسائل الدّعوة إلى الله: الجهاد في سبيل الله.

الجهاد لغة: بكسر الجيم أصله المشقة، يقال: جهدت جهادا بلغت المشقة.

وشرعا: هو بذل الجهد في قتال الكفار (٢).

وشرع الجهاد لدعوة النّاس إلى دين الله، وتحرير الشعوب من الاضطهاد والظلم، قال تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شُرُّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ٢١٦]. فكان الغرض منه، الدّعوة إلى الله، التي هي روحه وغايته، والجهاد من أفضل الوسائل للدّعوة إلى دين الله تعالى ولم يقاتل المسلمون أحدا إلا بعد عرض الدّعوة الإسلاميّة السمحة عليه، وكانوا يوصلون الدّعوة قبل القتال وأثناءه وبعده، رجاء هداية النّاس.

أخطأ خطأ ظاهرا، بل كان نصرانياً. ولما صالحه النبي ﷺ عاد إلى حصنه وبقي فيه. ثم إن خالد بن الوليد أسره في أيام أبي بكر فقتله كافراً، انظر: الإصابة في تمييز الصحابة ١ / ٣٧٨.

(١) انظر: الأموال لأبي عبيد: ٤١ / ١.

(٢) انظر: فتح الباري لابن حجر ٦ / ٣.

وكان النبي ﷺ يدعو العدو قبل قتاله، يدعوهم إلى توحيد الله والإيمان برسالته، ومن رفض اعتناق الإسلام ودفع الجزية، فعليه الحرب، كما ورد في حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أمر أميرا على جيش، أو سرية، أو صاه في خاصته بتقوى الله، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: «اغزوا باسم الله في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا، وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادعهم إلى ثلاث خصال - أو خلال - فأيتتهن ما أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك، فاقبل منهم، وكف عنهم، ثم ادعهم إلى التحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك فلهم ما للمهاجرين، وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين، يجري عليهم حكم الله الذي يجري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغنيمة والفىء شيء إلا أن يجاهدوا مع المسلمين، فإن هم أبوا فسلهم الجزية، فإن هم أجابوك فاقبل منهم، وكف عنهم، فإن هم أبوا فاستعن بالله وقاتلهم»^(١).

وعند العرض لما وقع في قتاله مع أعدائه من أهل الكتاب يتبين ذلك.

فبنو قينقاع كان بينهم وبين المسلمين عهد وميثاق، كما هو معروف في كتاب المواعدة الذي تقدم عندما قدم النبي ﷺ المدينة حيث أنهم من جملة اليهود الذين وقع معهم الصلح، ولكن بعد وقعة بدر شرقوا بها وأظهروا الحسد والبغي وسوّلت لهم أنفسهم أنهم قادرون على قمع المسلمين والانتقام لقريش، فلما رأى النبي ﷺ غدرهم ونقضهم للعهد وإحساسهم بشجاعتهم التي لم يتمالكوا أن أباحوا بها أمام الرسول ﷺ وما ذلك إلا استصغارا للمسلمين، كان من المناسب لدعوتهم

(١) سبق تخريجه في ص: ٦٠.

إلى الإسلام أن تظهر لهم قوة المسلمين وشجاعتهم، وأنه قوة الإسلام تتزايد يوماً بعد يوم، وإظهار هذه القوة لبني قينقاع وسيلة ومنهج من المناهج والوسائل الدعوية التي تنتهج عند الحاجة إليها، وكذلك كل من في حكمهم، وبنو النضير لما نقضوا العهد التي كانت بينهم وبين النبي ﷺ كسائر اليهود، واستصغروا المسلمين واستخفوا بهم - إذ هموا بقتل الرسول ﷺ - كان من المناسب اتخاذ هذا الأسلوب نحوهم، وليكون عبرة لهم ولغيرهم، والناظر المتأمل يجد أن النبي ﷺ لم يجارب هؤلاء القبائل الثلاثة من اليهود، ولم يجلب من أجلى منهم أو يقتل من قتل منهم إلا بعد دعوتهم وإقامة الحجة عليهم، ومحاصرتهم أياماً لعلهم يرجعون إلى رشدهم فينقادون للإسلام، ولكنهم أصروا على الكفر، وغلبت عليهم الشقاوة، فانتهج معهم وسيلة دعوية تناسبهم. هذا ما كان يهود المدينة الذين كان بينه وبينهم وثيقة عهد وميثاق لحفظ المدينة وأمنها.

أما خير: فلما صدَّ المسلمون من البيت الحرام عام الحديبية وكتبوا بينهم وبين المشركين كتاب الصلح الذي ظاهره هضم للمسلمين، وباطنه نصر وعزة لهم، كان لا بد أن يظهر ﷺ لليهود خير ومن جاورهم من القرى المناوئة للإسلام، كتياء ووادي القرى وفدك، أن للمسلمين قوة ولم يرجعوا من الحديبية جنباً وضعفاً وخوفاً من المشركين، بل حباً للخير ورغبة لدخول الناس في دين الله، فسار إليهم النبي ﷺ مع أصحابه، وأمر علي بن أبي طالب ﷺ أن لا يقاتلهم حتى يدعوهم إلى الله عز وجل وما يجب عليهم من الإيمان بالله ورسوله، وأن هداية رجل واحد منهم خير له من حمر النعم، ولما سيطر المسلمون عليهم، فتحو خير، طلب اليهود الصلح على البقاء في مدينتهم، فقبل النبي ﷺ ذلك منهم لما فيه من المصلحة الراجحة للمسلمين، فانتهج ﷺ أسلوب اللين والرفق معهم في البداية، ولما عاندوا وتحصنوا بحصونهم، جاهدتهم بالسيف حتى انقادوا لأمر الله.

والناظر في غزوة تبوك يرى أن أسبابه لا يختلف عن سابقته من الغزوات، فقد سمع النبي ﷺ أن الروم أعدوا العدة والعتاد لمحاربة المسلمين والقضاء عليهم، فجهز النبي ﷺ الجيش نحوهم، ولم يلق كيداً، بل أتاه ملوكهم ورؤسائهم فصالحوه على الجزية، إذ أتاه يوحنا بن روبة ابن العلماء، ملك أيلة، وأهل أذرح وجرباء، وأكيدر الكندي النصراني ملك دومة الجندل.

وبهذا يتضح للناظر أن الجهاد وسيلة من وسائل الدعوة إلى الله تعالى، ابتداء من غزوة بني قينقاع فبنو النضير فبنو قريظة، وخبير وما جاورها، وتبوك، والمقصد الأسنى لهذه الغزوات كلها، هو تحقيق كلمة التوحيد وليس الغرض منهم إرغام الناس للدخول في دين الله عن طريق القهر والإكراه.

إذاً فالجهاد وسيلة من الوسائل الدعوية لما له من الدور العظيم لنشر الدعوة الإسلامية، وإظهار الدين الإسلامي على جميع الأديان، كما فيه إظهار لقوة المسلمين وشجاعتهم، ولم يكن الجهاد الإسلامي إلا ردّاً للظلم ودفعاً للعدوان وانتقاماً من الظالم، قال تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقْتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظَلَمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ﴾ [الحج: ٣٩]. وقال: ﴿فَمَنْ أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٤] وحماية للدعاة إلى الله تعالى في حياتهم وإعانة لهم في تنفيذ مهمتهم وإبلاغ دين الله^(١).

(١) انظر: منهج الرسول ﷺ في دعوة أهل الكتاب، الشنيطي، ص: ٣٢٠.

وقال الإمام ابن دقيق العيد^(١) - رَحِمَهُ اللهُ -: القياس يقتضي أن يكون الجهاد أفضل الأعمال التي هي وسائل؛ لأن الجهاد وسيلة إلى إعلان الدين ونشره، وإخماد الكفر ودحضه، ففضيلته بحسب فضيلة ذلك، والله أعلم^(٢).

فينبغي للداعية إلى الله تعالى أن ينتهج الوسائل الدعوية الشرعية الثابتة، مراعيًا الشروط والضوابط في ذلك، وعلى رأسها مجاهدة الكفار. فالجهاد وسيلة دعوية ثابتة بالكتاب والسنة، لها شروطها وضوابطها بينها النبي ﷺ فليراعي ذلك عند الإقدام والإحجام، كما أن القيام به تحقيق لمقصد من مقاصد الدعوة إلى الله، وهو محاربة من حارب دين الله تعالى أو صده.

ثالثاً: من وسائل الدعوة: تحقيق العدل والمساواة بين المدعويين.

العدالة من أهم المبادئ والوسائل السامية التي اتخذها الإسلام في تنظيم علاقاته بغير المسلمين، فالعلاقات في الإسلام قائمة على أساس العدل، سواء مع أصحاب الدين أو مع المخالفين، بل إن القرآن الكريم قد صرح بأن العدالة مع الأعداء أقرب للتقوى، فقال تعالى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوْمِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ ءَلَّا تَعْدِلُوا ءَاعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٨].

قال ابن جرير الطبري - رَحِمَهُ اللهُ -: ليكن من أخلاقكم وصفاتكم القيام لله شهداء بالعدل في أوليائكم وأعدائكم، ولا تجوروا في أحكامكم وأفعالكم فتجاوزوا ما

(١) هو: تقي الدين أبو الفتح محمد بن علي بن وهب ابن دقيق العيد القشيري الشافعي، أحد علماء وقته، ولد بمدينة ينبع من أرض الحجاز في يوم ٢٥ / ٨ / ٦٢٥ هـ ونشأ بديار مصر، برع في علوم كثيرة لا سيما في علم الحديث، فاق فيه أقرانه، وبرز على أهل زمانه، ورحل إليه الطلبة من الآفاق، توفي في: ١١ / ٢ / ٧٠٣ هـ بالقاهرة. انظر: طبقات الشافعيين (ص: ٩٥٢).

(٢) انظر: إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لابن دقيق العيد ١ / ١٦٤.

حدّدت لكم في أعدائكم لعدواتهم لكم، ولا تقصّروا فيما حدّدت لكم من أحكامي وحدودي في أوليائكم لولايتهم لكم، ولكن انتهوا في جميعهم إلى حدّي، واعملوا فيه بأمرى، ولا يحملنكم عداوة قومٍ على ألاّ تعدلوا في حكمكم فيهم وسيرتكم بينهم، فتجوروا عليهم من أجل ما بينكم وبينهم من العداوة^(١).

وعظّم الإسلام شأن العدل، وجعله فوق كلّ شيء، فهو يزن بالقسطاس المستقيم، بين الكافر والمسلم، والعدوّ والموالي، والمعاهد والمعادي، فهم جميعاً في نظره أمام العدالة سواء.

ولأهميته ركّز الإسلام عليه وجعله قضية مركزية، فلا يوجد ركنٌ من أركان الإسلام إلاّ وللعدالة فيه نصيبٌ، سواء ارتبطت بالفرد أو الجماعة، أو الأمة، أو العقيدة، أو المعاملة، كما هو مرتبطٌ بنظام الحكم والإدارة والقضاء، والشهادة وكتابة العهود والمواثيق، وإذا كان العدل بهذه المثابة فإنّ بيانه في علاقة المسلمين بغيرهم مطلبٌ هام ينبغي الاعتناء به.

وقد ظهر تطبيق هذا الخلق الجمّ الرفيع في ضوء المعاملات النبوية مع غير المسلمين، وطبقه في أعلى صورته، لأنّه من الوسائل الدعوية الناجحة، ولم يحمله شرفه العظيم ﷺ لامتيازه عن الناس تبريراً لأخذ حقوقهم من غير وجه حقّ، بل كان نموذجاً فذاً في تطبيقه في جميع النواحي.

وقد ورد في بنود الوثيقة مع اليهود، «بالمعروف والقسط بين المؤمنين» أي: إحساناً بدون ظلمٍ على أيّ مسلم.

«وإن المؤمنين المتقين على من بغى منهم، أو ابتغى دسيعة^(٢) ظلم، أو إثم، أو

(١) انظر: تفسير الطبري [جامع البيان في تأويل القرآن] ١٠ / ٩٥.

(٢) دسع: قال ابن فارس: الدال والسين والعين أصل يدل على الدفع. يقال دسع البعير بجرته، إذا دفع

بها، أي طلب دفعاً على سبيل الظلم، انظر: مقاييس اللغة ٢ / ٢٧٩.

عدوان، أو فساد بين المؤمنين، وإن أيديهم عليه جميعاً، ولو كان ولد أحدهم». فقد أشار هذا البند إلى أهمية التزام العدل والقيام به دون استثناء لأحد ولو كان الخارج من ولد لأحد المسلمين، وقال: «وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم»^(١).

ومنها: «وإنه لم يَأْتِ امرؤ بحليفه، وإن النصر للمظلوم» فكانت هذه القاعدة على سبيل التصريح بأن الظلم غير مقبول مطلقاً، وأن النصر للمظلوم، سواء كان هذا المظلوم مسلماً أو يهودياً، وهو ما أيده الواقع بعد ذلك، وكانت بنود المعاهدة كلها مما ينطق بالعدل ويؤكده.

ومثلها ركز ﷺ على هذه المعاني في معاهدته مع اليهود، فعل ذلك مع النصارى عندما عاهدتهم، فقد قال في معاهدته مع نصارى نجران: (ولا يؤخذ رجلٌ منهم بظلمٍ آخر)، ولضمان استمرار هذا العدل وبقائه بين المسلمين وغيرهم أرسل ﷺ إليهم رجلاً يباشر تنفيذ ما اتفقوا عليه في المعاهدة على أن يكون أهم صفات هذا الرسول هي الأمان - فأرسل إليهم أمين الأمة، أبو عبيدة عامر بن الجراح.

كما أعطاهم النبي ﷺ حرية العقيدة والتدين في المدينة، فقال: (لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم، مواليهم وأنفسهم) كما أعطى وفد نجران تلك الحرية قبل وبعد أن يصلحهم، فقد أدوا صلاتهم في مسجده، وأعطاهم العهد والجوار على أنفسهم وملتهم وأراضيهم وأموالهم، وغائبهم وشاهدتهم وبيعهم، فلا يغيروا مما كانوا عليه من الدين قهراً، ولا يغير حقاً من حقوقهم ولا ملتهم، ولا راهباً أو أسقفاً من رهبانته أو أسقفيته، بعد ما صلحهم.

فقد انتهج النبي الكريم ﷺ هذا الأسلوب واتخذته وسيلة دعوية ناجحة في دعوة أهل الكتاب.

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٥٠٢.

كما تعلّم الصحابة رضوان الله عليهم هذا الخلق من النبي ﷺ ولو كان مع العدو، ومن أبرز القصص الواردة في ذلك ما حدث لعبد الله بن رواحة ؓ مع يهود خيبر الذين صالحهم النبي ﷺ على العمل في الأراضي ولهم النصف مما يخرج منها. فعن سليمان بن يسار^(١)، أن رسول الله ﷺ كان يبعث عبد الله بن رواحة^(٢) إلى خيبر فيحرص بينه، وبين يهود خيبر، قال: فجمعوا له حليا من حلي نسائهم، فقالوا له: هذا لك، وخفف عنا، وتجاوز في القسم، فقال عبد الله بن رواحة: يا معشر اليهود، والله إنكم لمن أبغض خلق الله إلي، وما ذاك بحاملي على أن أحيف عليكم، فأما ما عرضتم من الرشوة، فإنها سحت، وإنا لا نأكلها، فقالوا: بهذا قامت السموات والأرض^(٣).

(١) هو: سليمان بن يسار الهلالي أبو أيوب، ويقال: أبو عبد الرحمن المدني، مولى ميمونة، كان مكاتبا لأم سلمة، روى عن ميمونة وأم سلمة وعائشة وابن عباس وابن عمر وجابر، قال بن سعد: كان ثقة عالما رفيعا فقيها كثير الحديث، مات سنة (١٠٧ هـ) وقيل غير ذلك، وهو ابن (٧٣ سنة)، انظر: تهذيب التهذيب ٤ / ٢٠٠.

(٢) هو: عبد الله بن رواحة بن ثعلبة بن امرئ القيس بن عمرو الأنصاري الخزرجي الشاعر المشهور، يكنى أبا محمد، ليس له عقب، من السابقين الأولين من الأنصار، وكان أحد النقباء ليلة العقبة، وشهد بدرًا وما بعدها، إلى أن استشهد بمؤتة، انظر: الإصابة، لابن حجر ٤ / ٨٥.

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ، كتاب المساقاة، باب ما جاء في المساقاة ٢ / ٧٠٣، وأخرجه ابن حبان في صحيحه، صحيح ابن حبان ١١ / ٦٠٨، والبيهقي في السنن الكبرى، ٤ / ٢٠٧ بلفظ: «ثم قال لهم: يا معشر اليهود أنتم أبغض الناس إلي قتلتم أنبياء الله، وكذبتم على الله وليس يحملني بغضي إياكم على أن أحيف عليكم، قد خرصت عليكم عشرين ألف وسق من تمر، إن شئتم فلکم، وإن أبيتم في، قالوا: بهذا قامت السماوات والأرض» وصححه الألباني - رَحِمَهُ اللهُ - في مقدمة غاية المرام ١ / ٢٦٤.

أي بالعدل قامت السماوات والأرض، وبالظلم تنهدم المجتمعات، وتتحول إلى غابات يأكل فيها القوي الضعيف، وبالعدل يكون العمران والبناء والصلاح، فاليهود يعرفون العدل وقد عوملوا به، ولكنهم يتتغون الحيف والجور من المسلمين المؤمنين لمصلحتهم، ولما رفض ابن رواحة رضي الله عنه وأبى إلا العدل، قالوا مقاتلهم تلك (١)

والعدل أساس صلاح الأحوال ونصر الله سبحانه وتعالى. يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمته الله -: (فإن الناس لم يتنازعا في أن عاقبة الظلم وخيمة، وعاقبة العدل كريمة، ولهذا يروى: الله ينصر الدولة العادلة وإن كانت كافرة ولا ينصر الدولة الظالمة وإن كانت مؤمنة) (٢)، وهذا ما لم يردده اليهود للمسلمين.

وموقفه رضي الله عنه العادل النبيل مع الحبر اليهود من أكبر الأدلة على نجاح هذه الوسيلة مع غير المسلمين فقد أسلم زيد بن سعة بعد اختباره لعلامات النبوة وتحققه في ذلك. والشريعة الإسلامية كلها عدلٌ وإنصافٌ، وليس فيها شيءٌ من الظلم في أي جانبٍ من جوانبه الدينية والدنيوية.

قال ابن القيم - رحمته الله -: الشريعة مبناهما وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدلٌ كلها، ورحمةٌ كلها، ومصالحٌ كلها، وحكمةٌ كلها؛ فكلُّ مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث؛ فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل؛ فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله صلوات الله عليه أتم دلالة وأصدقها (٣).

وهذا يبين للداعية أنه ينبغي العدل ومراعاة المصالح التي يجباها الله عز وجل

(١) انظر: فقه السيرة، للدكتور: زيد بن عبد الكريم الزيد، ص: ٥٦٣.

(٢) مجموع الفتاوى، لابن تيمية، ٢٨ / ٦٣.

(٣) إعلام الموقعين لابن القيم ٣ / ١١.

ثم تقديمها على رغبة كلِّ أحدٍ من النَّاس طاعة لله عز وجل، مع كلِّ المدعويين سواء كانوا من أمة الدَّعوة أو الإجابة، ويحمل الحقد على الظلم والجور، فإن ذلك مما نهى الله عنه عزَّ وجلَّ، وحذر منه المصطفى ﷺ.

رابعاً: من وسائل الدَّعوة: الاتِّصال الشَّخصيِّ بالمدعوِّ.

الاتصال الشَّخصيِّ وسيلة من الوسائل المهمَّة في الدَّعوة إلى الله تعالى لجميع فئات النَّاس، وأجناسهم وأديانهم، ومراكزهم، فهي وسيلة ناجحة للدَّعوة إلى الإسلام، لا سيما إذا كان المدعو غير مسلم، فيتم اللقاء به ودعوته إلى الإسلام وحواره ومناقشته، والحديث معه بنوع من الخطاب والجدال، والحجج وإزالة الشبهات، بما لا يتناسب وإثارته في المجامع العامة بين النَّاس، وهي وسيلة ناجحة للاتِّصال بشخص من ذوي الهيئات والمكانة، يرغب الدَّاعية أن يلتقي به، فتكون دعوته لزيادة الإيمان والهدي في قلبه، ولأجل تحسين صورة الدَّعوة والإسلام عموماً، وتشجيعه على اعتناق الإسلام إن لم يكن مسلماً، كما هي وسيلة دعوية ناجحة للاتِّصال بالحكام والأمراء للحديث معهم حول مصالح العباد والبلاد، وإزالة التصورات الخاطئة حول الإسلام وأهله^(١).

والنَّاظر في السيرة النبوية - وخاصة في المصالحات النبوية مع أهل الكتاب - يجدر قدرًا كبيرًا من ممارسة النَّبي ﷺ أسلوب الاتِّصال الشَّخصيِّ بجميع فئات المجتمع، ومختلف طبقاته، سواء كانوا حكامًا أو محكومين.

ففي المدينة النبوية دعا اليهود إثر قدومه إليها، واتصل معهم شخصياً وعقد معهم معاهدة يضمن لكلِّ المواطنين حقوقهم، ويبين لهم واجباتهم، وكان يذهب إليهم لدعوتهم إلى الإسلام، وبعد فتح خيبر، عقد معهم لقاء شخصياً فصالحهم بنفسه على العمل في أرض خيبر مع النِّصف من ثمارها، وكذلك في القرى المجاورة لها.

(١) انظر: منهج ابن تيمية في الدَّعوة إلى الله للحوشاني ٦٦٩/٢.

وفي مسجده ﷺ وفي السنة التاسعة من الهجرة استقبل وفد نجران، وردّ على شبهاتهم الواردة في عيسى ابن مريم لما سأله عنه، ودعاهم إلى الإسلام^(١)، لكنهم أبوا ودعاهم إلى المباهلة فرفضوا بعد مشاورة بينهم، فصالحهم على الجزية، وكتب لهم كتابا، وبعث إليهم أمين الأئمة، أبو عبيدة عامر بن الجراح.

كما اجتمع اليهود والنصارى بحضرة النبي ﷺ وسأله وتنازعا فيما بينهم.

فمن طريق ابن إسحاق - رَحِمَهُ اللهُ - عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس - رضي الله عنهما - قال: اجتمعت نجران، وأحبار يهود عند رسول الله ﷺ فتنازعا عنده، فقالت الأحبار: ما كان إبراهيم إلا يهوديا، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانيا، فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿يَتَأْهَلُ الْكِتَابِ لِمَ تُحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٥﴾ هَتَأَنْتُمْ هُنُوْلَاءَ حَجَجْتُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّونَ فِيْمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٦﴾ مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٧﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [آل عمران: ٦٤ - ٦٨].

(١) في مصنف ابن أبي شيبة عن معمر عن أبيه عن قتادة قال: قال رسول الله ﷺ لأسقف نجران: «يا أبا الحارث أسلم»، قال: إني مسلم، قال: «يا أبا الحارث أسلم»، قال: لقد أسلمت قبلك، قال نبي الله ﷺ: «كذبت، منعك من الإسلام ثلاثة: ادعائك لله ولدا، وأكلك الخنزير، وشربك الخمر» كتاب المغازي، باب ما ذكروا في أهل نجران وما أراد النبي ﷺ ٥٥٩/٢٠.

وخبر المباهلة وبعث أبي عبيدة وتلقيه بأمين الأمة جاء من طرق في الصحاح وغيرها، من حديث حذيفة بن اليمان ﷺ، وابن مسعود وغيره، وعند ابن سعد في الطبقات فلم يلبث السيد والعاقب إلا يسيرا حتى رجعا إلى النبي ﷺ فأسلما وأنزلهما دار أبي أيوب الأنصاري ﷺ الطبقات الكبرى لابن سعد ١ / ٢٦٨.

(فقال رجل من الأخبار: أتريد منا يا محمد أن نعبدك كما تعبد النصارى عيسى ابن مريم؟ وقال رجلٌ من نصارى نجران: أو ذلك تريد يا محمد وإليه تدعوننا؟ فقال رسول الله ﷺ: معاذ الله أن أعبد غير الله، أو أمر بعبادة غيره، ما بذلك بعثني ولا أمرني، فأنزل الله عز وجل في ذلك: ﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ كُونُوا رَبَّكُمْ نِعْمَ كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾ [آل عمران: ٧٩ - ٨٠] (١).

فقد اتصل النبي ﷺ بهؤلاء الأخبار من اليهود والنصارى، وجادلهم ودعاهم إلى الله وفند الشبهات والأقاويل التي ادعوها، وهي انتهاؤهم إلى إبراهيم، وأخبرهم بأن إبراهيم كان على الحنيفية السمحة.

وقال ابن سعد - رَحِمَهُ اللهُ - قدم على رسول الله ﷺ وفد بني تغلبة ستة عشر رجلاً مسلمين ونصارى، عليهم صلب الذهب، فنزلوا دار رملة بنت الحارث، فصالح رسول الله ﷺ النصارى على أن يقرهم على دينهم، على أن لا يصبغوا أولادهم في النصرانية وأجاز المسلمين منهم بجوائز (٢).

والظاهر من هذه الرواية أن النبي ﷺ هو الذي ذهب إليهم واتصل بهم شخصياً، ودعا النصارى منهم إلى الإسلام وأعطى المسلمين جوائز. وفي تبوك اتصل ﷺ شخصياً بأكيدر دومة الكندي، ويوحنة بن رؤوبة ابن العلماء، وبأهل أذرح وجرباء.

(١) إسناد رجاله ثقات، إلا أنه فيه محمد بن أبي محمد وهو مجهول، وانظر النّص: عند ابن هشام في السيرة، ١ / ٥٥٤. وفي دلائل النبوة للبيهقي، ٥ / ٣٨٤، وزاد المعاد لابن القيم ٣ / ٥٥١.

(٢) انظر: الطبقات الكبرى، لابن سعد، ١ / ٢٣٩.

خامساً: من وسائل الدعوة: استخدام القوة عند الحاجة

لا ريب عند العقلاء أن القوة وسيلة يحتاجها المؤمنون للبقاء على إيمانهم، وإرهاب أعدائهم ممن يتربصون بهم الدوائر، ويمكرون الليل والنهار لاستئصالهم واجتثاثهم، فتأتي القوة وسيلة دفاعية دعوية مشروعة لتبين موقف المؤمنين الصادقين، بل تكون مندوبة إليها للدفاع عن النفس وردّ الظلم بعيداً عن الطغيان والعدوان.

وقد استخدمها النبي ﷺ في الوقت الذي تجدي فيه، كما في قصة اليهود في المدينة بقبائلهم الثلاثة، ويهود خيبر وما جاورها، ونصارى نجران ومن عاونهم على العصيان.

كما نرى أن أسلوب القوة ووسيلتها المتخذة نحوهم تتفاوت بتفاوت جرمهم وذنوبهم، فمنهم من أُجلى إلى خارج المدينة كبنى قينقاع، ومنهم من أُجلى إلى خيبر، كبنى النضير، ومنهم من أُبيد لشدة جرمهم وكبر شناعتهم، كبنى قريظة، ومنهم من قوتل واستسلم للصلح كيهود خيبر.

ولكنّ الناظر في استخدام النبي ﷺ القوة في دعوته، يرى أنّها كانت آخر الحلول، فيبدأ بالدعوة إلى الله، ثم دفع الجزية، وإلاّ القتال، مراعيّاً في ذلك الموازنة بين المصالح والمفاسد.

فالدّاعية يستخدم القوة إن احتاج إليها دون أن يترتب عليها ضرر أعظم، وهنا يكمن الفقه الدعوي للدّاعية في استخدام هذه الوسيلة في الدّعوة إلى الله تعالى.

فليست القوة كوسيلة دعوية ممدوحة مطلقاً، كما أنّها ليست وسيلة مذمومة مطلقاً. بل تستخدم حسب القدرة والحاجة، والظروف المناسبة.

كما على الدّاعية إدراك أهمّية العناية بالأشخاص المناسبين للقيام بمهام الدّعوة وإلغاء أيّ اعتبارات أخرى عند الاختيار، وإسناد المهام الدعوية التي تحتاج إلى القوة إلى أصحابها والقادرين على تنفيذها، على الوجه المرضي المحمود.

وقد ظهر ذلك في الصلح النبوي مع أهل الكتاب، فقد أرسل علي بن أبي طالب عليه السلام إلى يهود خيبر، وأمره بدعوتهم أولاً ثم قتالهم إن أبوا الإسلام. كما بعث خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى أكيدر دومة الجندل فأحضره وأحسن إليه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالعفو عنه ومصالحته على الجزية. وهذا يؤكد للداعية أهمية استخدام أسلوب القوة مع المدعويين عند الحاجة لذلك، وظهور المصلحة المحققة، مراعيًا لمقاصد الشريعة الإسلامية وتحقيقها.

سادساً: من وسائل الدعوة: استمالة قلب من له شأن في قومه.

من الوسائل المهمة في الدعوة إلى الله عزَّ وجلَّ استمالة قلب من له شأن في قومه؛ ليتألف؛ لأن في إسلام الوجيه والكبير في القوم مدعاة إلى إسلام العامة من الأتباع، كما هو واضح في قصة الملاء مع أقوامهم، وقد كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا رأى جرير بن عبد الله رضي الله عنه، تبسم في وجهه لمكانته في قومه.

قال الإمام الأبي (١) - رحمته الله - عند شرحه لحديث تبسم النبي صلى الله عليه وآله وسلم في وجه جرير رضي الله عنه: "فيه برُّ أشرف الناس وحسن لقاءهم؛ لأنه كان كبير قومه" (٢). وقد طبق النبي صلى الله عليه وآله وسلم ذلك مع المدعويين من أهل الكتاب، فلما أتى إلى المدينة عقد معهم صلح التعايش السلمي، وصلى إلى قبلتهم قبل أن يؤمر بالاتجاه إلى

(١) هو: محمد بن خليفة بن عمر التونسي الألبيري القرطبي، أبو عبد الله المالكي، المشهور بالأبي، محدثٌ حافظٌ فقيهٌ مفسرٌ، ولي القضاء بالجزيرة، وتوفي سنة (٨٢٧هـ أو ٨٢٨هـ) له مصنفات كثيرة في المذهب المالكي، منها: الدرّة الوسطا في مشكل الموطأ، وشرح المدونة في فروع الفقه المالكي وغيرها، انظر: البدر الطالع للشوكاني ١٦٩/٢، والأعلام للزركلي ٣٤٩/٦.

(٢) إكمال إكمال المعلم للأبي، ٨ / ٣٧١ .

بيت الله الحرام^(١)، كما صام عاشوراء وقال: نحن أحق بموسى منهم، فعل ذلك استتمالة لهم رجاء أن يسلموا، ولكنهم أبوا إلا الضلال.

واستمال وجهاء أهل خيبر بالمصالحة والعفو عن الإجماع، كما عفا عن يوحنا بن رؤبة وقبل هديته، وأعطاه أخرى تأليفا واستتمالة له، وبمثله فعل بأكيدر دومة الجندل، وما قبله ﷺ لوفد نجران وأشرافهم، بأداء صلاتهم في مسجده إلا استتمالة لهم وتأليفا لهم وبيانا لمكانتهم عند قومهم، فقد كان فيهم العاقب والراهب وغيره. إذا فاستتمالة من له مكانة وشأن له من الوسائل المهمة في الدعوة إلى الله، وقد ورد عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه»^(٢).

فعلى الداعية الاعتناء بهذه الوسيلة لما لها من التأثير الكبير في المدعوين، ولما يحقق من نجاح الدعوة بتكثير سواده، ويحقق أهم مقاصد الدعوة إلى الله، وهو الدعوة إلى الله باللين والرفق، وهداية الخلق إلى أقوم السبل وأهداها.

(١) روى البخاري ومسلم في صحيحيهما عن البراء بن عازب، أن النبي ﷺ كان أول ما قدم المدينة نزل على أجداده، أو قال أخواله من الأنصار، وأنه «صلى قبل بيت المقدس ستة عشر شهرا، أو سبعة عشر شهرا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قبل البيت، وأنه صلى أول صلاة صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم»... وكانت اليهود قد أعجبهم إذ كان يصلي قبل بيت المقدس، وأهل الكتاب، فلما ولى وجهه قبل البيت، أنكروا ذلك. انظر: صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الصلاة من الإيمان ١ / ١٧، وأخرجه مسلم في كتاب المساجد، باب تحويل القبلة من القدس إلى الكعبة، ١ / ٣٧٤.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الأدب، باب إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه ٢ / ١٢٢٣، وحسنه الألباني.

سابعاً: من وسائل الدعوة: الكتابة والمكاتبة:

تعتبر الكتابة من الوسائل المهمة والناجحة في إيصال الدعوة إلى الله إلى المدعويين ونقلها إليهم، كما تستخدم في مخاطبة الناس حكاما كانوا أو محكومين، كما تستخدم الكتابة في توثيق العهود والمواثيق.

وقد كانت الكتابة قليلة بين العرب في الجاهلية، ولم يكن له دور بارز بينهم، وإن كان معروفاً ومتداولاً، وقد بعث النبي ﷺ فيهم، وسماه الله بالنبي الأمي.

وعندما جاء الإسلام تغير الحال، فالنبي ﷺ وإن كان لا يكتب كان يشجع على تعلم القراءة والكتابة، فأمر زيد بن ثابت بتعلم اللغة العبرية، وأخذ ﷺ كتاباً يكتبون القرآن الكريم، ويكتبون رسائله التي يبعث بها إلى الملوك والأمراء، ويوثقون عهوده ومواثيقه مع غير المسلمين، من زعماء المناطق وملوك الدول^(١).

واستخدم النبي ﷺ الكتابة من خلال رسائله للملوك والأمراء لدعوتهم إلى الإسلام، فعن أنس بن مالك رضي الله عنه «أن نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله تعالى»^(٢).

يقول الكرمانى - رحمته الله -: وفيه جواز الكتابة بل نديتها إلى الكفار^(٣).

ويقول الحافظ ابن حجر - رحمته الله -: «وفيه الدعاء إلى الإسلام بالكلام والكتابة، وأن الكتابة تقوم مقام النطق»^(٤).

وقيل إن عدد الكتب والمواثيق والعهود التي تنسب إلى الرسول ﷺ بلغ المائتين وستة

(١) انظر: فقه الدعوة في رسائل الملوك، ص: ٣٥٦.

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى ملوك الكفار يدعوهم إلى الله عز وجل ٣ / ١٣٩٧.

(٣) انظر: الكواكب الدراري، للكرمانى ٢ / ٢٤.

(٤) فتح الباري لابن حجر ٦ / ١٠٩.

وأربعين كتاباً، وصلت إلينا نصوصها في مصادر التاريخ المختلفة، وعلى رأسها تلك الكتب التي بعث بها النبي ﷺ إلى الملوك والأمراء المجاورين، يدعوهم فيها إلى الإسلام^(١).

وقد استخدمها النبي ﷺ في توثيق العهود والمواثيق في ضوء مصالحاته لكل من المشركين وأهل الكتاب، ففي يوم الحديبية لما أتاه سهيل بن عمرو، واتفقوا على بنود الصلح، دعا النبي ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ وقال له: اكتب. اكتب. بسم الله الرحمن الرحيم، فاعترض سهيل ابن عمرو ممثل المشركين عند كتابة العهد، وقال: لا أعرف هذا ولكن اكتب باسمك اللهم، فقال النبي ﷺ: اكتب باسمك اللهم، فكتبها، ثم قال: اكتب هذا ما صالح عليه محمد رسول الله سهيل بن عمرو، فاعترض أيضاً سهيل، وقال: لو شهدت أنك رسول الله لم أقاتلك، ولكن اكتب اسمك واسم أبيك. فقال رسول الله ﷺ: اكتب، هذا ما صالح عليه محمد بن عبد الله سهيل بن عمرو: فكتب علي بن أبي طالب ﷺ ما اتفقوا عليه من الشروط.

ولما انتهى من كتابة الصلح أشهد النبي ﷺ على العقد بعض المشركين، ومن المسلمين أبو بكر وعمر، وعلي بن أبي طالب، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الرحمن بن عوف - رضي الله عنهم أجمعين.

وفي غزوة الخندق، لما همّ الرسول ﷺ بمصالحة غطفان، يقول ابن هشام - رَحِمَهُ اللهُ -: فلما اشتد على الناس البلاء، بعث رسول الله ﷺ، إلى عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر، وإلى الحارث بن عوف بن أبي حارثة المري، وهما قائداً غطفان، فأعطاهما ثلث ثمار المدينة على أن يرجعا بمن معها عنه وعن أصحابه، فجرى بينه وبينهما الصلح، حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح، إلا

(١) انظر: مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي، محمد حميد الله ٣٦٠.

المراوضة^(١) في ذلك. فلما أراد رسول الله ﷺ أن يفعل، بعث إلى سعد بن معاذ وسعد بن عباد - رضي الله عنهما، فذكر ذلك لهما، واستشارهما فيه... فتناول سعد بن معاذ الصحيفة، فمحا ما فيها من الكتاب، ثم قال: ليجهدوا علينا^(٢).

فقوله: فتناول سعد ﷺ الصحيفة فمحا ما فيها، دليل على أنه كان بينه وبينهم كتابة، ولكن لم يتم التوقيع على الصلح، فتنازل عنه النبي ﷺ بناء على رأي السعدان - رضي الله عنهما.

كما أن وثيقة المدينة - وإن كان محلها في فيما يخص أهل الكتاب إلا أنه يستأنس بها هنا - كانت دليلاً ملموساً على أهمية التوثيق الكتابي في العهد النبوي، لما له من أثر الرجوع إلى بنوده حال المخالفة أو الاختلاف، وفي هذا ضبط للأمر والعلاقات، مما يؤكد أهمية هذا الأسلوب، وأهمية الأخذ به في جميع أمور المسلمين.

فلا ينبغي للداعية الاكتفاء مع المدعوين بالحديث الشخصي والمشاهدة فقط، وينبغي أن يشهد على كتبه إذا كان المكتوب من الأمور المهمة.



(١) المراوضة: أن تُواصفَ الرجلَ بالسُّلعةِ ليست عندك، انظر: النهاية لابن الأثير ٢ / ٢٧٧.

(٢) انظر: السير النبوية لابن هشام ٢ / ٢٢٣.

المبحث الثاني:

المقاصد الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة في الصلح النبوي.

المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة في الصلح النبوي

في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين.

أسلوب الحكمة والحنكة في دعوة المشركين.

إنَّ الدَّعوة المحمَّدية، دعوةٌ تزخر بالحكمة في الدَّعوة إلى الله تعالى، وقد كان النَّبي ﷺ المثل الأعلى في انتهاج هذا الأسلوب في الدَّعوة.

وقد ظهر ذلك جلياً في أثناء عقد الصَّلح مع المشركين في كلِّ من مكة والمدينة وما جاورها من القرى والبوادي.

فبعد هجرة النَّبي ﷺ إلى المدينة، وإبان وصوله إليها، عقد عدَّة مصالحت مع القبائل المحيطة بها التي تدين بالوثنية، حيث كان في صراع مع أهل مكة، فأثر ﷺ أن يعقد المعاهدات والأحلاف معهم، فيتجنَّب أذاهم، ويأمن من اتحادهم مع قريش لمحاربتهم، ويتفرَّغ هو لأموار المدينة، ولحرب قريش ما دامت صامدة للصد عن دين الله، فوادع قبيلة بني ضمرة للتعايش السلمي، كما وادع بني مدلج وقبائل من جهينة، كلُّ ذلك نابغ عن الحكمة السَّديدة في الدَّعوة إلى الله تعالى.

وفي صلح الحديبية الذي يعدُّ أعظم المصالحات بين المسلمين والمشركين، كان للنبي ﷺ رؤية استشرافية لمآلات الأمور، وورية وحنكة في تدبير الأمور وسياستها، فقد كانت الشروط التي يملئها سهيل بن عمرو، شروط حيف وجور في ظاهرها، ولكن الحكيم ﷺ كانت له نظرة بعيدة، وهي ما تؤول إليه هذه المصالحة من خيرات وإعزاز لدين الله ﷻ.

ولا شك أن هذه الحكمة التي تحلَّى بها النَّبي ﷺ قد أسفرت عن فوائد عظيمة ونتائج

كبيرة لهذا الصلح، أدرك المسلمون أنّ ما اختاره النبي ﷺ هو الأولى والأفضل بكلّ حال، لبُعد نظره وحنكته في تدبير الأمور، ومن تلکم الفوائد.

١- اعتراف قريش بكيان المسلمين لأوّل مرّة بعد الصلح، فعاملتهم معاملة النّدّ، بعد أن كانت لا تريد مجرّد الاعتراف بهم، ومبادرة خزاعة للتّحالف مع المسلمين دون هيبة قريش.

٢- كان في الصلح تمكينٌ للمسلمين من الدّخول للبيت في العام القادم دون مقاومة لهم من غيرهم، كما كان فرصة للمسلمين للتفرّغ لليهود الذين يدبّون الشرّ والنفاق بين المسلمين كخير، وغيرها من معاقل اليهود.

٣- كان الصلح بمثابة الفتح الحقيقي في حياة المسلمين، فقد أتاح فرصة لدخول النّاس في دين الله أفواجا، وانتشار الإسلام إلى خارج الجزيرة العربية، حتى قال الزهري - رَحِمَهُ اللهُ - لم يكن فتح أعظم من صلح الحديبية، وذلك أن المشركين اختلطوا بالمسلمين فسمعوا كلامهم فتمكن الإسلام في قلوبهم، وأسلم في ثلاث سنين خلق كثير^(١).

وظهرت حنكته وحسن سياسته ﷺ حين اختار قبيلة غطفان لمصالحتها على مالٍ يدفعه إليها، على أن تترك محاربتة وترجع إلى بلادها، فهو ﷺ يعلم أن غطفان وقادتها ليس لهم من وراء الاشتراك في هذا الغزو أي هدف سياسي يريدون تحقيقه، أو باعث عقائديّ يقاتلون تحت رايته، وإنما هدفهم الأول والأخير من الاشتراك في غزوة الأحزاب هو الحصول على المال بالاستيلاء عليه من خيرات المدينة عند احتلالها من قبل الأعداء، ولهذا لم يحاول الرّسول الاتصال بقيادة الأحزاب من اليهود، كحبيبي بن أخطب وغيره، أو قادة قريش كأبي سفيان بن حرب، لأن هدف أولئك الرئيسي لم يكن المال، وإنما كان هدفا سياسيا وعقائديا، يتوقّف تحقيقه على

(١) انظر: كشف المشكل من حديث الصحيحين، أبو الفرج ابن الجوزي ٢ / ٢٥٦.

القضاء على الكيان الإسلاميّ.

لذا كان اتصاله ﷺ بقيادة غطفان فقط في هذا الأمر، الذين لم يترددوا في قبول العرض من النبي ﷺ، فقد استجاب القائدان الغطفانيّان، عيينة بن حصن، والحارث بن عوف، لطلب النبي ﷺ وحضرا مع بعض أعوانهما إلى النبي ﷺ مستخفين دون أن يعلم بهما أحد، وشرع رسول الله ﷺ في مفاوضاتهم، وكانت تدور حول عرض تقدم به النبي ﷺ يدعو فيه إلى عقد صلح منفرد بينه وبين غطفان، وأهم البنود الواردة في الصلح المقترح:

١- عقد صلح منفرد بين المسلمين وغطفان الموجود ضمن جيوش الأحزاب.
٢- توادع غطفان المسلمين وتتوقف عن القيام بأيّ عمل حربيّ ضدّ المسلمين، وخاصّة في تلك الفترة.

٣- تفكّ غطفان الحصار عن المدينة وتنسحب بجيوشها إلى بلادها.

٤- يدفع المسلمون لغطفان - مقابل ذلك - ثلث ثمار المدينة كلها من مختلف الأنواع^(١). بل وفي تركه قتال المنافقين وهم معه في المدينة يدسون السّموم بينه وبين اليهود ومشركي مكة، من الحكمة بمكان.

وفي ذلك يقول ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ -: فالجواب الصحيح إذن أنّه كان في ترك قتلهم في حياة النبي ﷺ مصلحة تتضمّن تأليف القلوب على رسول الله ﷺ وجمع كلمة النّاس عليه، وكان في قتلهم تنفير، والإسلام بعدُ في غربة ورسول الله ﷺ أحرص شيء على تأليف النّاس وأترك شيء لما ينفّرهم عن الدخول في طاعته وهذا أمر كان يختص بحال حياته ﷺ^(٢).

فينبغي على الدّاعية إلى الله تعالى أن يتتبع منهج الحكمة في دعوته، لتؤتي ثمارها يانعة طيبة بإذن الله.

(١) انظر: غزوة الأحزاب، محمد باشميل ص: ٢٠١، وغزوات الرسول دروس وعبر، للصلابي، ص: ٢٠٢.

(٢) انظر: زاد المعاد لابن القيم، ٣ / ٤٩٦.

المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة في ضوء صلحه ﷺ

مع أهل الكتاب.

أولاً: أسلوب الحكمة في دعوة أهل الكتاب.

نهج الهادي البشير ﷺ أسلوب الحكمة في جميع البنود الواردة مع معاهدته مع أهل الكتاب، فها هو ﷺ في أحد بنود وثيقة المدينة، يمنع اليهود من مناصرة قريش، «وأنه لا يجير مشرك مالا لقريش، ولا يعينها على مؤمن... وأنه لا يحل لمؤمن أقرّ بما في هذه الصحيفة، أو آمن بالله واليوم الآخر، أن ينصر محدثاً ولا يؤويه، فمن نصره أو آواه فإنّ عليه لعنة الله وغضبه يوم القيامة لا يقبل منه صرف ولا عدل»^(١)

وذلك لأن تجارة قريش تمرّ بالقرب من المدينة عندما تكون متجهة إلى الشام، لذا نجده ﷺ يُدخل هذا الجانب في تلك المعاهدة والمهادنة حتى لا يكون سبباً في نشوب خلاف بينه وبين اليهود، وقد كان لهذا البند أثره العظيم، وذلك عندما خرج ﷺ لعير قريش، وكانت معركة بدر في السنة الثانية من الهجرة.

وفي بند آخر من بنود المعاهدة نجد أن النبي ﷺ يمنع اليهود من الخروج من المدينة إلا بإذنه، «وإنه لا يخرج منهم أحداً إلا بإذن محمد ﷺ»^(٢) بما قيد حركتهم ومنعهم من المشاركة في حروب القبائل خارج المدينة، الذي يؤثر على أمن المدينة ويجعله عرضة للحرب، واليهود مواطنون في هذا المجتمع، فعليهم أن يخضعوا لأنظمة الدولة وقوانينها، وتنفيذ ذلك مع كامل الاحترام^(٣).

إن الأسلوب الحكيم الذي سار عليه النبي ﷺ في مهادنة أهل الكتاب ومعاهدتهم مكّن الدعوة الإسلامية أن تأخذ مسارها بسلام، وأن ترسخ أقدامها في جنبات المجتمع

(١) السيرة النبوية لابن هشام ١ / ٥٠٣.

(٢) المصدر السابق، نفس الجزء والصحيفة.

(٣) انظر: للاستزادة. مجتمع المدينة في العهد النبوي، د. أكرم العمري، ص: ١٠٩.

المدني وما جاوره، وأن تدافع عن نفسها بكلّ حرية، كما هو ظاهر في غزوة بدر الكبرى الذي كان إبان هذه المعاهدات المبرمة بين الطرفين، مع علم المسلمين بأنّ العداوة والبغضاء قد ترسّخ وتمكّن في قلوب أعداء الدّين، مما جعلهم يحاولون نقض هذه المعاهدات بعد انتصار المسلمين في بدر.

كما أنّ الحكمة تقتضي أن يقوم الدّاعية بمراعاة مصلحة الدّعوة إلى الله، لا سيما في أول أمرها، فإنّ النبي ﷺ تعامل مع اليهود بالحكمة لما بادأهم بالصلح والعهد على عدم الاعتداء، فعقد معهم صلحاً يتعامل معهم على ضوء شرع الله وسنة رسوله ﷺ.

ثانياً: أسلوب الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن.

لما كانت الحجّة لازمة لبيان الحقّ والدّفاع عنه، حتّى تنفتح مغاليق القلوب، وكانت الحكمة سنداً وقوّة لهذه الحجّة، وكان الجدال بالتي هي أحسن سلاحاً ودرعاً للحقّ، كان على الدّعاة أن يأخذوا به لإظهار الحقّ وتبليغه للنّاس، ولهذا أمر الإسلام بالجدال بالتي هي أحسن، للدّفاع عن الإسلام والدّعوة إليه، وحماية رسالته فقال تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النحل: ١٢٥].

إذاً فما هي المجادلة والمحاورة؟

المجادلة لغة: المخاصمة، يقال: جادله، أي خاصمه، مجادلة وجدالاً، والجدل، يعني اللّدد في الخصومة والقدرة عليها^(١).

وفي اصطلاح الدّعاة: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة بقصد إظهار الحقّ ودحض الباطل^(٢).

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ١/ ٤٢٠.

(٢) الأسس العلمية لمنهج الدّعوة الإسلامية، د. عبد الرحيم المغذوي ٢/ ٧٠٠.

وللجدل: شروط، وأركان، ومراحل، فعلى الدّاعية المحاور الإمام بها، والوقوف عليها، فإن ذلك مما

والجدل نوعان: محمود، ومذموم.

فالمحمود: ما كان بنية خالصة وجرى بطريقة سليمة، وأدى إلى خير.

والمذموم: ما خالف الحق، وظاهر الباطل، أو أفضى إليه.

قال الإمام النووي - رَحِمَهُ اللهُ - ((واعلم أن الجدل قد يكون بحق وقد يكون بباطل،

قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦].

وقال تعالى: ﴿ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿ مَا يُجَادِلُ

فِي آيَاتِ اللَّهِ إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [غافر: ٤]. فإن كان الجدل للوقوف على الحق وتقريره

كان محموداً، وإن كان في مدافعة الحق، أو كان جدالاً بغير علم كان مذموماً، وعلى

هذا التفصيل تنزيل النصوص الواردة في إباحته وذمّه^(١).

والمطلوب على الداعية انتهاجه والعمل به هو الجدل المحمود، وهو ما قام به الأنبياء

والمسلون، لإفحام الخصوم، وإثبات الحق بالأدلة والبراهين، والمنافحة عن العقيدة

الإسلامية وملة التوحيد، وكشف شبهات المغرضين، من أهل الكتاب والمشركين.

وقد جادل النبي ﷺ أهل الكتاب وحاورهم وناظرهم، وأقام الحجّة والبرهان

عليهم، بالأدلة النقلية والعقلية، الدالة على نبوته ﷺ، وعلى ألوهية الله

ووحدانيته، وربوبيته الدالة على عظمته وقدرته سبحانه.

ومن ذلك حوار مجادلته لليهود في المدينة في أكثر من مناسبة، ومنها ما جاء في سيرة

ابن هشام - رَحِمَهُ اللهُ - أن نَفَرًا من أحبار يهود جاءوا رسول الله ﷺ، فقالوا: يا محمد،

أخبرنا عن أربع نسألك عنهن، فإن فعلت ذلك اتبعناك وصدقناك، وآمنا بك.

قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه لئن أنا أخبرتكم

يشمر في الجدل ويحقق الغرض المنشود والمقصد المطلوب، وهو إحقاق الحق، وإبطال الباطل.

(١) الأذكار للنووي، ص: ٣٧٠.

بذلك لتصدقني، قالوا: نعم، قال: فاسألوا عما بدا لكم، قالوا: فأخبرنا كيف يشبه الولد أمه، وإنما النطفة من الرجل؟ قال: فقال لهم رسول الله ﷺ: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أن نطفة الرجل بيضاء غليظة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة، فأيتهما علت صاحبها كان لها الشبه؟ قالوا: اللهم نعم، قالوا: فأخبرنا كيف نومك؟ فقال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أن نوم الذي تزعمون أني لست به تنام عينه وقلبه يقظان؟ فقالوا: اللهم نعم، قال: فكذلك نومي، تنام عيني وقلبي يقظان، قالوا: فأخبرنا عما حرم إسرائيل على نفسه؟ قال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمون أنه كان أحب الطعام والشراب إليه ألبان الإبل ولحومها، وأنه اشتكى شكوى، فعافاه الله منها، فحرم على نفسه أحب الطعام والشراب إليه شكراً لله، فحرم على نفسه لحوم الإبل وألبانها؟ قالوا: اللهم نعم، قالوا: فأخبرنا عن الروح؟ قال: أنشدكم بالله وبأيامه عند بني إسرائيل، هل تعلمونه جبريل، وهو الذي يأتيني؟ قالوا: اللهم نعم، ولكنه يا محمد لنا عدو، وهو ملك، إنما يأتي بالشدة وبسفك الدماء، ولولا ذلك لا تبعناك.

قال: فأنزل الله عز وجل فيهم: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ كَلَّمَا عَاهَدُوا عَهْدًا نَبَذَهُ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [البقرة: ٩٧ - ١٠٠] (١).

(١) السيرة النبوية لابن هشام، ١ / ٥٤٣.

وهذه المحاوراة مع اليهود الذين كان بينه وبينهم وعهد وميثاق، ولكنهم نقضوه، كما ذكر الله تعالى في آخر الآية. دلت على عدة أمور منها:
أولها: الحوار مع مثل هؤلاء القوم يقوم على إلزامهم بما يعتقدونه إن كان صحيحا، لذا كان ردهم على الرسول بإجابة اللهم نعم، في كل مرة بعدما يذكر لهم الجواب الصحيح المفحم الذي لا يعتقدون غيره.

قال النووي - رَحِمَهُ اللهُ -: قال العلماء: هذا السؤال ليس لتقليدهم ولا لمعرفة الحكم منهم؛ وإنما هو لإلزامهم بما يعتقدونه في كتابهم^(١).

ثانيها: عندما يتعلق الحوار بأساسيات الدين، وأصول الشريعة، والمسلمات فيه، فيتعين البدء بالحوار مع العلماء المختصين العارفين بأحكام ذلك دون غيرهم، فمحاورة العامة من الكفار في قضايا لا علم لهم بها، أمر لا جدوى منه، فالحوار الناجح يكون مع العارف، وهو ما حصل في القصة، فإن النبي ﷺ حاور الأخبار منهم لما أتوه، وكذلك ما حصل في قصة وفد نجران كما في المثال الآتي.

فمن كرز بن علقمة - رَحِمَهُ اللهُ -، قال: قَدِمَ على رسول الله ﷺ وفد نصارى نجران ستون راكبا، منهم: أربعة وعشرون رجلاً من أشرفهم، والأربعة والعشرون، منهم ثلاثة نفر إليهم يؤول أمرهم، العاقب أمير القوم، وذو رأيهم، وصاحب مشورتهم، والذي لا يصدر عن إلا عن رأيه وأمره، واسمه عبد المسيح. والسيد: ثَمَاهُم، وصاحب رحلهم ومجتمعهم، واسمه الأيهم. وأبو حارثة بن علقمة أخو بني بكر بن وائل أسقفهم وحرهم وإمامهم، وصاحب مدراسهم.

وكان أبو حارثة قد شرف فيهم ودرس كتبهم، وكانت ملوك الروم من أهل النصرانية قد شرفوه ومولوه وأخدموه، وبنوا له الكنائس، وبسطوا عليه الكرامات لما يبلغهم عنه من علمه واجتهاده في دينهم.

(١) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم، ١١ / ٢٠٨.

فلما وجهوا إلى رسول الله ﷺ من نجران، جلس أبو حارثة على بغلة له متوجها إلى رسول الله ﷺ، وإلى جنبه أخ له يقال له: كرز بن علقمة يسايره، إذ عثرت بغلة أبي حارثة، فقال له كرز: تعس الأبعد يريد رسول الله ﷺ، فقال له أبو حارثة: بل أنت تعست. فقال: ولم يا أخي؟ فقال: والله إنَّه النبي الأمي الذي كنا ننتظره، فقال له كرز: فما يمنعك من اتباعه وأنت تعلم هذا؟ فقال: ما صنع بنا هؤلاء القوم، شرفونا ومولونا وأكرمونا، وقد أبوا إلا خلافة، ولو فعلت نزعوا منا كل ما ترى، فأضمر عليها منه أخوه كرز بن علقمة حتى أسلم بعد ذلك^(١).

قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ - عند ذكر فوائد هذه المحاوراة والمناظرة:

الأولى: جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم، بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم.

الثانية: إقامة الحجة عليهم ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجز عن إقامة الحجة، فليول ذلك إلى أهله، وليخل بين المطي وحاديها، والقوس وباريها.

الثالثة: أن رسول الله ﷺ دعا أهل الكتاب إلى دين الله، ولم يزل في جدال الكفار على اختلاف مللهم ونحلهم إلى أن توفي ﷺ، وكذلك أصحابه من بعده، وقد أمره الله سبحانه بجدالهم بالتي هي أحسن في السور المكية والمدنية، وأمره أن يدعوهم بعد ظهور الحجة إلى المباهلة، وبهذا قام الدين.

الرابعة: مناظرة أهل الكتاب وجوابهم عما سألوه عنه، فإن أشكل على المسئول سأل أهل العلم^(٢).

(١) زاد المعاد، لابن القيم ٣ / ٥٥٠.

(٢) المصدر السابق، ٣ / ٥٥٨.

قلت: والمتتبع لقصة وفد نصارى نجران عندما قدموا إلى النبي ﷺ للمحاوراة والمجادلة، يلحظ أنه ﷺ جادلهم بالتي هي أحسن للتي هي أقوم، واستعمل معهم أسلوب الحزم في المواضع التي خالفوا فيها أصول الدين، وقواعد الملة، ومنهج النبوة في الدعوة إلى توحيد الله تعالى وإفراده بالعبودية، فدعاهم إلى المباهلة والمحاجة لبيان وحدانية الله وإفراده بالعبادة، فقال لهم: ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

كما يفهم من قصة وفد نجران - وهو من الفقه الدعوي - أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام، حتى يلتزم أحكام الإسلام، ويعمل بها. فقد أقر بعض الوفد بنوة محمد ﷺ ولم يلتزم به، ولم يدخله ذلك في الإسلام.

ومن الشواهد على الحوار مع أهل الكتاب أيضًا ما دار بين النبي ﷺ ويهود خيبر، بعد إبرام الصلح، بل وفي أثناءه أيضًا، فقد حاورهم بين الإجماع والصلح لما طلبوا منه إبقاءهم فيها. وحاورهم في الشاة المسمومة، فقد روى البخاري - رَحِمَهُ اللهُ - في صحيحه عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: أنه قال: لما فتحت خيبر، أهديت لرسول الله ﷺ شاة فيها سم، فقال رسول الله ﷺ: «اجمعوا لي من كان ها هنا من اليهود» فجمعوا له، فقال لهم رسول الله ﷺ: «إني سألتكم عن شيء، فهل أنتم صادقي عنه». فقالوا: نعم يا أبا القاسم، فقال لهم رسول الله ﷺ: «من أبوكم» قالوا: أبونا فلان، فقال رسول الله ﷺ: «كذبتكم، بل أبوكم فلان» فقالوا: صدقت وبررت، فقال: «هل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه» فقالوا: نعم يا أبا القاسم، وإن كذبتكم عرفنا كذبنا كما عرفته في أيينا، قال لهم رسول الله ﷺ: «من أهل النار» فقالوا: نكون فيها يسيرا، ثم تخلفونا فيها، فقال لهم رسول الله ﷺ: «اخسئوا فيها، والله لا نخلفكم فيها أبدا». ثم

قال لهم: «فهل أنتم صادقي عن شيء إن سألتكم عنه» قالوا: نعم، فقال: «هل جعلتم في هذه الشاة سماً؟» فقالوا: نعم، فقال: «ما حملكم على ذلك» فقالوا: أردنا: إن كنت كذاباً نستريح منك، وإن كنت نبياً لم يضرك^(١).

فالنبي ﷺ في هذا الشاهد يحاور اليهود، حينما أمروا المرأة بوضع السم للنبي ﷺ، فأخبرهم بحقائق يعرفونها، مع محاولتهم الكذب على نبي الله، ولكنه كان يخبرهم بالحقيقة، ويفند كذبهم، وأخيراً أخبرهم بمن وضع السم في اللحم، فأقروا.

ثالثاً: أسلوب التأليف في دعوة أهل الكتاب:

قد يحتاج الداعية حين سلوك دعوته أن يتألف أناساً من المدعوين لقبول دعوته، والعمل بما يأمر به، وترك ما ينهى عنه، فيحتاج إلى تقريب أمره إلى قلوبهم، واستمالتها نحو اتباع الحق، وقد يحتاج إلى دفع شرّ يوشك حصوله، وذلك لمصلحة الدّين، لا اتباعاً للنفس والهوى.

وقد سلك النبي ﷺ هذا الأسلوب رجاء قبول الحق واتباعه، وذلك مع غير المسلمين وخاصّة أهل الكتاب، فقد كان ﷺ يؤلفهم بالمال والجاه والكلمة الطيبة، والمعاملة الحسنة والدعاء.

وقد قال العلامة العيني رَحِمَهُ اللهُ فِي عمدة القاري بعد شرح أحاديث التأليف بالمال: "فيه أن الائتلاف للمسلمين وغيرهم بالمال جائز وفي الكافر أكد"^(٢) كما يكون التأليف بالدعاء للمدعو بالهداية، وقد ثبت أن النبي ﷺ قال: «اللهم اهدِ دوساً وائت بهم، اللهم اهدِ دوساً وائت بهم»^(٣).

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الطب، باب ما يذكر في سم النبي ﷺ، ١٣٩ / ٧.

(٢) عمدة القاري شرح صحيح البخاري، للعيني، ٤٨ / ١٤.

(٣) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب: الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم ٤٥ / ٤.

قال الحافظ ابن حجر - رَحِمَهُ اللهُ - عن دعاء النبي ﷺ للمشركين: "... كان تارة يدعو عليهم وتارة يدعو لهم.

فالحالة الأولى: حيث تشتد شوكتهم ويكثر أذاهم.

والحالة الثانية: حيث تؤمن غائلتهم ويرجى تألفهم... " (١).

وقد نصّ البخاري - رَحِمَهُ اللهُ - على أن الدعاء من التأليف للمدعو وهو من الأساليب النبوية في الدعوة فقال: " باب الدعاء للمشركين بالهدى ليتألفهم " (٢).

كما كان من هديه ﷺ التأليف بالعفو، فقد عفا عن يهود المدينة ولم يقتلهم بل اكتفى بإجلائهم إلى خارج المدينة، عفوًا منه ﷺ، مع نقضهم للعهد والميثاق، ولم يقتل منهم إلا من كان في قتله مصلحة، وقد كان توعدهم بذلك كما في بنود الوثيقة، « وإنه من تبعنا من يهود فإن له النصر والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرين عليهم... » أي: فله النصرة والأسوة إن وفي بالعهد ولم ينقضها، فلا يظلم.

وقال: « وإنه من فتك فبنفسه فتك، وأهل بيته... وإن بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة... وإنه من خرج آمن، ومن قعد آمن بالمدينة، إلا من ظلم أو أثم، وإن الله جار لمن بر واتفق، ومحمد رسول الله ﷺ » (٣).

كما عفا عن يهود خيبر بعد غلبتهم، وكذلك فدك وتيما، ووادي القرى، وأزرح وجرباء وأيلة وغيرها، فعَلَّ كل ذلك من باب تأليف قلوبهم ليدخلوا في الإسلام، ولكن حَقَّتْ كلمة ربك على الذين كفروا أثمهم لا يؤمنون.

كما صام ﷺ يوم عاشوراء، وصلى إلى قبلة اليهود - بيت المقدس -، إثر قدومه إلى المدينة، كله تأليفاً لقلوب اليهود واستمالة لهم إلى الإسلام.

(١) انظر: فتح الباري لابن حجر ٦ / ١٠٨.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، ٤ / ٤٤.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام، ١ / ٥٠٤.

ومن خلال ما سبق ذكره من النماذج النبوية في التأليف في باب المصالحات، يتضح ضرورة التزام الداعية بهذا المسلك النبوي، وأن يكون على علم بهذه الناحية، والطرق الحكيمة التي يصل بها إلى هدفه؛ وذلك من خلال العطاء المالي عند الاستطاعة والقدرة، وقبول هدايا غير المسلمين، أو بالكلمة الطيبة والمدح والثناء بما هو خير، أو بترك الفاضل والعدول إلى المفضول، إن كان في ذلك مصلحة راجحة على ذلك الفاضل.

ولا يعني في باب التأليف أن يتوسع الداعية فيه، فيوالي على حساب الدين، فهو مما حرم الله تعالى، فلا يرتكب ما حرم الله أو يسكت عنه بحجة التأليف، والأدهى من ذلك أن يصل إلى أصول الدين ومسائل العقيدة فلا مداراة ولا مداهنة فيه، وقد قال النبي ﷺ لأكيدر لما أتى به إليه وكفر رأسه، -أو أخفضه- ارفع رأسك، وقبل منه الهدية وأعطاه أخرى، من باب التأليف، ولم يداهنه في باب العقيدة.

يقول الشيخ بكر أبو زيد -رَحِمَهُ اللهُ- في معرض كلامه عن التأليف والتجميع الفاسد وفساده وخطره على الأمة: كسر حاجز الولاء والبراء بين المسلم والكافر، وبين السني والبدعي، وهو ما يسمّى في التركيب المولّد باسم: الحاجز النفسي، فيكسر تحت شعارات مضللة: التسامح، تأليف القلوب، نبذ الشذوذ والتطرف والتعصب، الإنسانية، ونحوها من الألفاظ ذات البريق، والتي حقيقتها مؤامرات تخريبية) تجتمع لغاية القضاء على المسلم المتميز وعلى الإسلام^(١).

فينبغي للداعي أن يتألف المدعويين بالعمو مكان الانتقام وبالمال والعطاءات، ليجذبهم إلى الإسلام اقتداء بالنبي ﷺ.

(١) هجر المبتدع للشيخ بكر أبو زيد -ص: ١.

رابعاً: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب.

الرغبة لغة: إرادة الشيء، يقال رغبت في الشيء إذا أردته، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فُرِّغَتْ فَانْتَصَبْ ۗ﴾ وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ ﴿﴾ [الشرح: ٧ - ٨].

ويقال رغِب عن الشيء: زهد فيه ولم يُرده، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ١٣٠].

إذا فالترغيب هو: طلب الشيء والحرص عليه والطمع فيه^(١).

وفي الشرع هو: "ما يشوق المدعو إلى الاستجابة، وقبول الحق والثبات عليه"^(٢).

والرهبة: طول الخوف واستمراره مع الفرع، والترهيب: هو التخويف والتوعد^(٣).

وفي الشرع: "كل ما يخيف وكل ما يجذر المدعو من عدم الاستجابة للحق أو عدم الثبات عليه بعد قبوله"^(٤).

إذا فالترغيب والترهيب على هذا هو: تشويق الناس إلى ثواب الله، وتخويفهم من عذاب الله.

والجمع بين هذين الصفتين من صفات المؤمنين الذين يخافون الله، ويرجون ثوابه، قال تعالى بعد ذكر صفات الأنبياء المنقادين لأمره الممثلين لأوامره: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسْـَٔرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا ۗ وَكَانُوا لَنَا خَشِيعِينَ﴾ [الأنبياء: ٩٠].

وتتملى آيات القرآن الكريم وأحاديث المصطفى ﷺ بالمرغبات في الانقياد لدعوة

(١) انظر: لسان العرب لابن منظور ١ / ٤٢٢ ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢ / ٤١٥.

(٢) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان (ص: ٤٣٧).

(٣) انظر: لسان العرب لابن منظور، ١ / ٤٣٦. ومعجم مقاييس اللغة لابن فارس ٢ / ٤٤٧.

(٤) أصول الدعوة لعبد الكريم زيدان ص: ٤٣٧.

الحق، والترغيب من أساليب الدعوة الناجحة، وواجب على الداعية أن يستعين به، لما له من أثر فاعل في النفس البشرية، إذ من المعلوم أن الإنسان جبل على حب الخير والرغبة في نيله والأنس به، وهو من الأساليب الدعوية الناجحة، لموافقته لطبيعة البشرية في تحقيق ما ترغبه، والنفور عما تكرهه، وذلك من خلال تعزيز جانب الخوف والرجاء، والحب والكره في نفس المدعو^(١) كما يعد هذا الأسلوب من العوامل الأساسية لتنمية سلوك المدعو وتهذيب أخلاقه، وتعزيز قيمه الاجتماعية.

ولذلك وجب أن تقترن الدعوة بمرغب للمدعوين، وبمرهب لهم، فلهذا الأسلوب أثر فيما يصدر عن النفس الإنسانية.

ومن الضروري أن يقدم الداعية البشارة قبل النذارة، والترغيب قبل الترهيب، فيقدم الترغيب في الإخلاص قبل الترهيب من الرياء والسمعة، ويرغب في نشر العلم وفضل ذلك من الترهيب على كتمانها.

والناظر في سيرة النبي ﷺ يجد أنه كان يستخدم هذا الأسلوب بكثرة، خاصة فيما يخص البناء الاجتماعي للمجتمع الإسلامي الجديد في المدينة النبوية، وقد تضمنت معاهداته لكثير من ذلك.

ففي وثيقة المدينة، نرى أنه ﷺ رغب في التقوى باعتباره القوة الدافعة إلى سلوك الهدى الصحيح، والمحفز على لزوم المنهج المستقيم، فقد قال: (المؤمنين المتقين على أحسن هدي وأقومه)، والمدلول الدعوي من هذا الترغيب، اعتبار التقوى أساساً في تطبيق تعاليم الإسلام، وتنفيذ تشريعاته، وعلى ذلك فالإسلام يقوم على التقوى.

كما رغب في التعاون الاجتماعي إذ قال: (وأن المؤمنين لا يتركون مفرحاً منهم أن يعينوه بالمعروف في فداء أو عقل).

(١) وقد ألف بعض السلف - رضوان الله عليهم - مؤلفات في ذلك، كالترغيب والترهيب للمنزري، والترغيب والترهيب للأصبهاني. وغيرهما.

ورغَّب اليهود في الاستقرار الأمني والمعيشي، وذلك لتأمينهم ودفع الظلم عنهم إذًا هُمْ بُرُّوا والتزموا بما عاهدوا عليه، حيث قال: (وأنه من تبعنا من اليهود فإن له المعروف والأسوة غير مظلومين، ولا متناصر عليهم... وأن يهود الأوس ومواليهم وأنفسهم مع البر المحسن من أهل هذه الصحيفة، وأن بني الشطبة بطن من جفنة، وأن البرّ دون الإثم فلا يكسب كاسب إلا على نفسه، وأن الله على أصدق ما في هذه الصحيفة وأبره).

ورغَّب النبي ﷺ أهل أيلة، وأعطاهم الأمان لسفنهم وسياراتهم في البر والبحر، لهم ولمن كان معهم من أهل الشام واليمن.

وبالمقابل رهَّب النبي ﷺ أهل الكتاب، من نقض العهد والميثاق المبرم بين الطرفين، واستباحة الأنفس المحرّمة، وحماية المجرمين الخارجين عن الدولة، فقال ﷺ في وثيقة المدينة: (وأنه لا ينحجز على ثأر جرح، وأنه من فتك فبنفسه وأهل بيته، إلا من ظلم، وأن الله على أبرّ هذا... وأنه ما كان بين أهل هذه الصحيفة من حدث، أو اشتجارٌ يُخاف فساده، فإنّ مردّه إلى الله وإلى محمد رسول الله، وأن الله على أتقى ما في هذه الصحيفة وأبرّه... وأنه من اعتبط مؤمناً قتلاً فإنه قودٌ، إلا أن يرضى ويّ المقتول بالعقل... وأنه لا يحل لمؤمنٍ أقرّ بما في هذه الصحيفة أو آمن بالله واليوم الآخر أن ينصر محدثاً أو يؤويه، فمن نصره أو آواه، فإنّ عليه لعنة الله وغضبه إلى يوم القيامة، لا يقبل منه صرفٌ ولا عدلٌ... وأنه لا يجير مشركٌ مالاً لقريشٍ ولا يعينها على مؤمنٍ...)^(١).

كما رهَّب أهل نجران من التّعامل بالرّبا عندما صالحهم وكتب لهم كتاباً، وأن أكل الرّبا مما يعرضهم لإبراء ذمة النبي ﷺ منهم وللإجلاء، قال: (...فمن أكل الرّبا من ذي قبل فذمتي منه بريئة).

(١) الأموال لأبي عبيد ١/ ٢٦٢.

وهو مما تمّ في عهد الفاروق عمر بن الخطاب رضي الله عنه، قال أبو عبيد رضي الله عنه: وكان فيما أخذ النبي صلى الله عليه وسلم على أهل نجران في صلحه: أن من أكل منهم ربا من ذي قبل فذمتي منه بريئة^(١).

فأسلوب التّغيب والتّرهيب يعتبر من الأساليب الدّعوية النّافعة، إذا سلك فيه الدّاعية المسلك الصّحيح الوارد من الكتاب والسّنة، فيجدر به استخدامها عند الحاجة، مراعيًا ظروفَ وأحوالَ المخاطبين، وأثرهما فيهم، كما أنّ القيام به مما يحقّق مقاصد الدّعوة إلى الله تعالى وهو إيصال الدّعوة إلى النّاس بأيسر سبيل وأقوم طريق.

خامسا: من أساليب الدّعوة: التيسير والتّسامح.

لم تقتصر سماحة النبي صلى الله عليه وسلم مع المسلمين فقط، بل شملت أهل الكتاب والمشرّكين أثناء السّلم والحرب، فقد أوصى بالقبط خيرا، وثبت عنه صلى الله عليه وسلم أنّه قال: «إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيرا، فإنّ لهم ذمة ورحما»^(٢).

وفي صحيح مسلم رضي الله عنه «ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإنّ لهم ذمة ورحما»^(٣).

ومن المبادئ المقرّرة في الدّين الإسلاميّ تكريم الله تعالى للإنسان، بحكم أنّه

(١) انظر: المصدر السابق نفسه ١ / ٢٢٤.

(٢) قال الألباني: أخرجه الحاكم (٢ / ٥٥٣) من طريق معمر عن الزهري عن ابن كعب بن مالك عن أبيه، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: فذكره. وقال: "صحيح على شرط الشيخين". وقد تابعه الأوزاعي عن عبد الرحمن بن كعب به. وتابعه إسحاق بن راشد عن عبد الرحمن بن كعب به نحوه، وإسناده صحيح. انظر: سلسلة الأحاديث الصحيحة ٣ / ٣٦٣.

(٣) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب، وصية النبي صلى الله عليه وسلم بأهل مصر ٤ / ١٩٧٠، عن أبي ذر رضي الله عنه.

إنسان، إذ قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٠].

والانتساب لآدم وحواء وشيخة وقربى ورحم، تجعل من الناس جميعاً أسرة واحدة في شبكة واسعة من أبناء العمومة والخؤولة ونحوها^(١).

والدعوة الإسلامية دعوة تقوم على التيسير والتسامح، ولكنه لا يجوز أن يفهم من هذا التسامح الإنساني الذي جعله الإسلام أساساً راسخاً لعلاقة المسلم مع غير المسلم، على أنه انفلات أو استعداد للذوبان في أي كيان من الكيانات التي لا تتفق مع جوهر الدين الحنيف، فهو تسامح لا يلغي الفارق والاختلاف في الدين، ولكنه يؤسس العلاقة للتعايش الذي يريده الإسلام أن تسود في الناس.

والمأمل في سيرة النبي ﷺ وفي دعوته، وفي المرحلة المدنية على وجه التحديد، يرى تعامله مع أهل الكتاب يتسم بالتسامح والتيسير، إذ تجسد ذلك في خلقه الكريم، ولازم دعوته وحياته مع كل الناس، وقد جسّد ﷺ هذه العملية، فقد غرس بذور التسامح بين المسلمين فور وصوله إلى المدينة، فأخى بين المهاجرين والأنصار، كما لم يكن مقصوداً على صحابته فقط، فقد وضع دستوراً إسلامياً يسمح لغير المسلمين بالبقاء في المدينة والعيش بأمن وأمان إلى جانب المسلمين، يمارسون معتقداتهم وأمور دنياهم الخاصة، التي لا تتفق مع معتقد الدولة الإسلامية ولكنها لا تمس بحال من الأحوال^(٢).

وقد كان هذا التسامح واضحاً في جميع بنود الوثائق والمعاهدات التي أبرمت مع غير المسلمين، ومن الفقه والمقصد الدعوي في ذلك:

أولاً: الاعتراف بوجود اليهود في المدينة، وفي غيرها من المناطق المجاورة التي

(١) انظر: الحوار من أجل التعايش، عبد العزيز التويجري، ص: ٨٢.

(٢) انظر: المبادئ التربوية المستنبطة من وثيقة المدينة، شاكر باحنجة، ص: ٢٦٥.

يسيطر عليها المسلمون، وضمّهم إلى الكيان المجتمعي، وإعطاءهم الحرّية في ممارسة عقائدهم وشعائرهم الدّينية (لليهود دينهم، وللمسلمين دينهم) وكذلك يهود نجران وخاصّة وفدها، فلما جاءوا إليه، استقبلهم في مسجده، وسمح لهم بالصلاة فيه، وكتب لهم الأمان، وأن لا يُغيّروا عن دينهم، ما داموا ملتزمون بدفع الجزية.

ثانياً: تحريم الاعتداء عليهم، أو أذيتهم بأي نوع من أنواع الأذى (وإنه من تبعنا من يهود فإنّ له النصره والأسوة، غير مظلومين ولا متناصرٍ عليهم).

وقد ترجم النبي ﷺ هذا التسامح مع أشدّ أعدائه، فلم يحمله العداة والكيد المدبّر منهم في الانتقام، وقد شهد بذلك الأعداء من غير المسلمين، قديماً وحديثاً، والفضل ما شهدت به الأعداء.

يقول المستشرق الانجليزي مونتجمري وات^(١): إن استمرار بقاء اليهود في المدينة، وإن كانوا أقلية، يكفي للدلالة على خطأ الباحثين الأوربيين الذين يقولون إنّ محمّداً اتّخذ في السّنة الثّانية مبدأ يقضي بإقصاء كلّ اليهود عنها لمجرد أنّهم يهود، وأنّه استمرّ في هذه السياسة بلا هوادة، بل إنّ هذه لم تكن وسيلته ولا سياسته، فقد كان له دائماً نظرة متوازنة إلى المواقف، وكان يكيّف الظروف طبقاً للظروف المتغيّرة، دون التزام بموقفٍ واحدٍ متجمّد، وقد كانت مهاجمته لقبيلتين يهوديتين لا تعدو أن تكون نتاجاً لموقف اليهود أنفسهم، الذي كان يهدف إلى الإساءة إلى الإسلام، بإنكار الوحي والنقد لنصوص القرآن، كما أنّهم يؤيّدون أعداء محمّد ويتحالفون معهم،

(١) هو: مونتجمري وات: (Montgomery 1887 - 1976 م) مستشرق إنجليزي معاصر، محاضر في اللغة العربية وآدابها، عمل عميداً لقسم الدراسات العربية في جامعة (أدنبره)، ومن أشهر مؤلفاته: محمد في مكة، عام 1958 م. ومحمّد النبي ورجل الدولة، وغيرها. انظر: مونتجمري وات، محمد في مكة ص: 52. بواسطة: رحمة للعالمين لراغب السرجاني، ص: 289. وانظر: المنجد في الأعلام، ص: 696.

والذين لم يلجأوا لهذه السياسة هم الذين سمح لهم بالبقاء في المدينة (١).

ويقول المستشرق بارتولد (٢): (إنَّ النَّصَارَى كانوا أحسن حالاً تحت حكم المسلمين، إذ أن المسلمين اتَّبَعُوا في معاملاتهم الدِّينية والاقتصادية لأهل الذِّمة مبدأ الرَّعَاية والتَّساهل) (٣).

كما أن من سباحته مع اليهود العفو والصفح عنهم ، فعند ما قُتِل أحد الصحابة في أحد أحياء اليهود في خيبر، فقد رضي وقبل ﷺ يمين اليهود إذ أقسموا أنهم لم يقتلوه ولم يعلموا قاتله.

وفي ذلك يقول الإمام النووي - رَحِمَهُ اللهُ -: عند شرحه للحديث الوارد في ذلك: وفي هذا دليلٌ لصحَّة يمين الكافرِ والفاسقِ (٤).



(١) انظر: محمد النَّبِيُّ ورجل الدَّول، لمونتجري وات، عرض وترجمة محمد الحديدي ص: ٩٢

بواسطة: المبادئ التربوية المستنبطة من وثيقة المدينة، ص: ٢٦٧.

(٢) هو: بارتولد Barthold (باسيل وليم ١٨٦٠ - ١٩٣٠) مستشرق روسي معاصر، له

مقالات في دائرة المعارف الإسلامية ، ودراسات قيمة عن شعوب آسيا، كما له كتابات عن

الإسلام، ونبي الإسلام، انظر: المنجد في الأعلام، ص: ١٠٨.

(٣) سماحة الاسلام في معاملة غير المسلمين، عبد الله اللحيان ص: ٤٨.

(٤) انظر: شرح النووي على صحيح مسلم ١١ / ١٤٧.

المبحث الثالث:

أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق

بالوسائل الدعوية وأساليبها في العصر الحاضر.

المطلب الأول: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بالوسائل الدعوية وأساليبها في العصر الحاضر في ضوء مصالحته ﷺ مع المشركين.

اشتملت مصالحات النبي ﷺ مع المشركين على وسائل وأساليب كثيرة يمكن للداعية إلى الله الاستفادة منها في العصر الحاضر.

ومنها: عقد الصلح والهدنة مع الأعداء من غير المسلمين عند الحاجة، وقد عقد النبي ﷺ الصلح مع مشركي مكة عام الحديبية، وعزم على مصالحة أهل غطفان، لمصلحة راجحة رآها النبي ﷺ، ويستفيد الداعية المعاصر من ذلك لمصلحة الأعداء إن دعت الحاجة، أيا كانوا، ومهما كانت صفتهم، معتدين أو غير معتدين، وذلك لعموم الأدلة الدالة على المشروعية، إذ لم يرد دليل يدل على تخصيص المشروعية لحال دون آخر، وتتأكد المشروعية إذا ضعف المسلمون، وكان الصلح أرفق بهم وأدعى لتحقيق مصلحتهم.

وفي ذلك يقول العلامة ابن باز - رحمه الله تعالى - في الإجابة على قضية فلسطين، ومصالحتهم لغيرهم من أعداء الدين في وضع الحرب وغيرها، من الشروط، والردّ على الفتاوى التي لا ترى جواز مصالحتهم مهما كان الأمر، وبلغت الأمور بالمسلمين، يقول: (إن قريشا قد أخذت أموال المهاجرين ودورهم، كما قال الله سبحانه في سورة الحشر: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴾ [الحشر: ٨]. ومع ذلك صالح النبي ﷺ قريشا يوم الحديبية سنة ست من الهجرة، ولم يمنع هذا الصلح ما فعلته

قريش من ظلم المهاجرين في دورهم وأموالهم، مراعاةً للمصلحة العامة التي رآها النبي ﷺ لجميع المسلمين من المهاجرين وغيرهم، ولمن يرغب الدخول في الإسلام^(١).

ولا يفهم من جواز المصالحة مع اليهود أو غيرهم تمكينهم كدولة في أرض المسلمين، أو إعطائهم الحق بذلك، لأن الذي قضى بجواز المصالحات للمصلحة حكم أيضاً بجهاد الكفار، حيث انتفت تلك المصلحة، والآيات الدالة على قتال اليهود وسائر الكفار المحاربين ناطقة بتكليف المسلمين بذلك^(٢).

أمّا وقد آلت أحوال المسلمين إلى ما هي عليه من الاستضعاف فلا يسعهم لاستنقاذ حقوقهم إلا أن يجنحوا للسلم، مصانعة لأعدائهم، وأخذاً بالرخصة حتى يأتي أمر الله. وهذا يبين للدعاة في العصر الحاضر، أن عقد الصلح والهدنة والمعاهدات من الوسائل الدعوية التي يلجأ إليها عند الحاجة، فتقدّر بقدرها، ولا يعني ذلك تعطيل الجهاد وإغلاق بابه، فالجهاد باقٍ إلى قيام الساعة، ولكن بشرطه وضوابطه.

كما أن من الوسائل الدعوية التي يستفيد منها الداعية المعاصر من منهج الوسائل الدعوية الواردة في الصلح النبوي التنازل إلى مستوى الخصم لإقنائه، مما لا يضرّ بالدعوة، ولا يتنافى مع قواعد الشريعة، فقد قبل النبي ﷺ شروط الصلح يوم الحديبية بما فيها من إجحاف للمسلمين، لما رأى من المصالح العامة المترتبة على قبول الصلح، وعلى الدعاة عدم الإصرار على أمور لا تغير في جوهر الدعوة، وليس فيها إقرار بمنكر، لتحقيق مصالح كبرى للدعوة إلى الله تعالى، وعليهم الاستهداء بمسلك النبي ﷺ في مثل هذه المواقف مما يحقق مقاصد الدعوة إلى الله، فيجاروا خصوم الدعوة في بعض المطالب والرغبات إن دعت الحاجة لتحقيق مصالح مؤكدة للدعوة إلى الله تعالى.

(١) حكم الصلح مع اليهود في ضوء الشريعة الإسلامية، للشيخ ابن باز، ص: ٢٤.

(٢) انظر: المصدر السابق نفسه، ص: ٢٦.

ومن الجوانب الدعوية التي يمكن للداعية المعاصر أن يستفيد منها مما ورد في المصالحات النبوية من الأساليب الدعوية، استخدام أسلوب الحكمة في دعوة غير المسلمين من المشركين، ولا شك أن نجاح الدعوة مرهون بحكمة الداعية، وهي من أهم الوسائل في الدعوة إلى الله، وقد استخدمه النبي ﷺ في جلّ مراحل دعوته، وخاصة في المصالحات، فبحكمته وحنكته تمت المصالحة بين المسلمين وقريش، وبعده نظره ردع قبيلة غطفان المتحالفة مع أعداء الإسلام.



المطلب الثاني: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بالوسائل الدعوية وأساليبها في العصر الحاضر في ضوء مصالحته ﷺ مع أهل الكتاب.

انتهج النبي ﷺ أساليب ووسائل كثيرة في دعوة أهل الكتاب في ضوء المصالحات النبوية المبرمة معهم، والداعية المعاصر، يستطيع أن يستفيد من تلك الوسائل والأساليب في دعوتهم، ومن الوسائل التي انتهجها الرسول لدعوة أهل الكتاب تخفيفاً عنهم، وتطيباً لخواطرها، واستمالة لقلوبهم، مطالبتهم بدفع الجزية مقابل سكناهم في ديار المسلمين، وحماية المسلمين لهم، فتضرب على غير المسلمين بشروطها وضوابطها، وهي ثابتة بأدلة الكتاب والسنة.

ومن الجوانب الدعوية التي يستفيد منها الداعية المعاصر من الوسائل، مجاهدة الكفار ومحاربتهم، بعد إقامة الحجة عليهم، ولم يقاتل المسلمون أحداً - عبر التاريخ - إلا بعد عرض الدعوة الإسلامية السمحة عليه، وكانوا يوصلون الدعوة قبل القتال وأثناءه وبعده، رجاء هداية الناس، والجهاد وسيلة لنشر دين الله، لكن أعداء الإسلام من المستشرقين وغيرهم أخذوا يوردون الشبه على حقيقة الجهاد في الإسلام، فظنوه حرباً من تلك الحروب التي عرفوها في عالمهم المعاصر، التي أبادوا فيها الشعوب ووسعوا نفوذهم على العالم طمعاً في خيراتها.

ولكن حقيقة الجهاد يختلف اختلافاً كبيراً عما عرفوه من الحروب الأخرى، فلم يأت إلا لنشر العقيدة، ولإنزال تلك الطواغيت التي تقف بين الناس وبين هدى الله المنزّل على رسوله ﷺ، وهو باق إلى قيام الساعة، بشروطه وأركانه وضوابطه، فليتبته الداعية المعاصر لذلك، وليحذر من المذاهب والفرق الهدامة التي تدعوا إلى قتال الفتنة البعيدة عن الجهاد الحقيقي.

ومن الوسائل الدعوية التي يستفيد منها الداعية في العصر الحاضر، استمالة قلب من له شأنٌ في قومه، لأنَّ في إسلام الوجيه والكبير في القوم مدعاةً إلى إسلام العامة من الأتباع، كما هو واضح في قصة الملائم مع أقوامهم، وقد كان النبي ﷺ إذا رأى جرير بن عبد الله ﷺ تبسم في وجهه لمكانته في قومه.

وليستفيد الداعية المعاصر أيضاً من وسيلة الكتابة والتوثيق والمكاتبة في دعوته لغير المسلمين، لا سيما في العصر الحاضر، فقد كثرت وسائل الكتابة بأنواعها، مما أتاح للدعاة الفرص للوصول إلى كل طبقات المدعوين، من العامة والخاصة.

وليستفيد الداعية المعاصر من أسلوب الحكمة التي انتهجها النبي ﷺ في دعوة أهل الكتاب، والمجادلة بالتي هي أحسن، وقد جادل النبي ﷺ أهل الكتاب وحاورهم وناظرهم، وأقام الحجّة والبرهان عليهم، بالأدلة النقلية والعقلية، الدالة على نبوته ﷺ، وعلى ألوهية الله ووحدانيته، وربوبيته الدالة على عظمته وقدرته سبحانه.

وفي العصر الحاضر: زاغ أهل الكتاب عن طريق الحق والصواب، وكثر لججهم بغير علم، فلينتهز الداعية ذلك لمجادلتهم وتصحيح ما لديهم من الأخطاء العقديّة في المسيح عليه السلام، وفي الذات الإلهية.

وقد قال ابن القيم - رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى - في فقه قصّة وفد نصارى نجران:

ومنها: "جواز مجادلة أهل الكتاب ومناظرتهم بل استحباب ذلك، بل وجوبه إذا ظهرت مصلحته من إسلام من يرجى إسلامه منهم، وإقامة الحجّة عليهم، ولا يهرب من مجادلتهم إلا عاجزاً عن إقامة الحجّة فليول ذلك إلى أهله، وليخل بين المطيِّ وحاديها، والقوس وباريها" (١).



(١) زاد المعاد لابن القيم ٣ / ٥٥٩.

الختامة:

وتشمل:

أولاً: خلاصة البحث.

ثانياً: نتائج البحث.

ثالثاً: التوصيات.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصّالحات، وبفضله وجود كرمه تُنالُ البركات، وبتوقيفه ولطفه يذللّ العقبات والصّعوبات، وصلى الله وسلّم وبارك على من بُعث رحمةً للبريّات، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه أولو الفضل والمكرّمات، وسلّم تسليماً كثيراً.

أما بعد: فبعد هذه الرّحلة الطّويلة الشّيقة التي عشتُ فيها مع المصالحات النّبوية مع غير المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، بذكرِ فقهِها ومقاصدها الدّعوية، يجمل بي أن أقدم عرضاً ملخّصاً للمعالم الرّئيسيّة لهذا البحث بذكر أهمّ ما ورد فيه، مع عرضٍ موجزٍ للنتائج والتّوصيات.

أولاً: خلاصة البحث:

تناول الباحث موضوع مقاصد الدّعوة إلى الله تعالى في الصّلح النّبوي في مقدّمة، وتمهيد، وأربعة فصولٍ، وخاتمة، وفهارس تسهّل الرجوع إلى البحث. ففي المقدّمة بيانٌ لأهمّية الموضوع وأسباب اختياره والدّراسات السابقة، وخطة البحث ومنهجه، وذلك لبيان محتوى البحث والمسار الذي يسير الباحث على ضوئه في كتابته.

وفي التّمهيد عرّف بالمقاصد والدّعوة مفردين ومركّبين، كما تطرّق إلى ذكر حقيقة الصّلح ومشروعيّته وأنواعه وأهمّيته في توطيد دعائم الدولة الإسلاميّة، ثمّ ذكر معالم الصّلح المقصودة بالدّراسة في البحث، وهي مصالحة غير المسلمين من المشركين وأهل الكتاب، وقد أطنب الباحث فيه، حيث ذكر مصالحات النّبي ﷺ لليهود في المدينة وخيبر وتيماء وفدك وأيلة، ومقنا، ثم مصالحاته ﷺ للنصارى، وهم نصارى نجران وأذرح وجرباء ودومة الجندل، ثم ختم التّمهيد بذكر مصالحات النّبي ﷺ للمشركين، في صلح الحديبية وبني ضمرة وغطفان.

وفي فصول البحث الشاملة لأركان الدعوة الأربعة: (موضوع الدعوة، الداعية، المدعو، الوسائل والأساليب) تناول الباحث في الفصل الأول: ذكر المقاصد الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة إلى الله تعالى، وفيها المقاصد الدعوية المتعلقة بالعقيدة والشريعة والأخلاق الواردة في مصالحت النبي مع المشركين وأهل الكتاب. وطوى الفصل الثاني في طياته، الحديث عن المقاصد الدعوية المتعلقة بالداعية في ضوء مصالحته ﷺ مع غير المسلمين، وهي المقاصد المتعلقة بصفات الداعية وأخلاقه، والمتعلقة بحقوق الداعية على المدعويين، والمتعلقة بواجبات الداعية نحو المدعويين.

وفي الفصل الثالث: تحدّث الباحث عن المقاصد المتعلقة بالمدعو، بدءاً بأصناف المدعويين، ودوافع استجابتهم للدعوة، وحقوقهم على الدعاة وانتهاءً بحقوق الدعاة عليهم.

وخصّص الباحث الفصل الرابع للحديث عن الوسائل والأساليب الدعوية ومقاصدها في ضوء الصلح النبوي مع غير المسلمين - المشركين وأهل الكتاب -.

وختم البحث بذكر أهم ما ورد فيه من النتائج والتوصيات التي يراها، كما ذيل البحث بفهارس تسهل الرجوع والوقوف على المعلومات الواردة في صلبه وثناياه.

ثانياً: نتائج البحث:

- هناك جملة من النتائج المستفادة من البحث يمكن رصدها في النقاط التالية:
- ١- مقاصد الدعوة إلى الله تعالى هي: الغايات التي اهتمت بها الشريعة الإسلامية في الدعوة إلى الله، وجعلتها الأهم في دعوة الداعي إلى الله.
 - ٢- مشروعية المصالحات والمعاهدات في الشريعة الإسلامية، وهي من السياسة الشرعية، ومن طرق تحقيق مقاصد الدعوة إلى الله تعالى، ودل على مشروعيتها الكتاب والسنة التي منها قول الله تعالى: ﴿ وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾

- إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿ [أنفال: ٦١]. وقد ساس النبي ﷺ أعداءه بها في مختلف مراحل دعوته لإبلاغ دعوة ربه، إثر قدومه المدينة إلى قبيل وفاته ﷺ.
- ٣- مشروعية المصالحات تظلّ محكومةً في نفاذها بشروطٍ أهمّها: رعاية المصلحة العامة جلبًا للمصلحة أو دفعًا للمفسدة، وأن لا تكون متضمّنة لمحظورٍ شرعيٍّ، وبرضا الطرفين، وأن تكون الحاجة ملحةً إليها أو تدعو إلى مصلحة.
- ٤- الأصل في العلاقة بين المسلمين وغيرهم، السلم والأمن، وأن الحرب استثناء، والسنة العملية تؤيد ذلك وتعضده.
- ٥- عقد النبي ﷺ إثر قدومه إلى المدينة عدة مصالحات مع اليهود، فصالح يهود المدينة، وكتب بينه وبينهم كتاب صلح وتعايش سلميٍّ، سميت بصحيفة المدينة أو وثيقة المدينة، والرّاجح: ثبوتها وأنها لا تخرج عن درجة الحسن، كما صالح يهود خيبر وفدك وتيماء ووادي القرى على الأرض ليعملوا فيها ولهم نصف ثمارها. أما النصارى فصالحهم عندما وفدوا عليه من نجران على الجزية، وعلى ذلك صالح أكيدر دومة الجندل، وأهل أذرح وجرباء. كما أظهرت الدراسة على أن صلح الحديدية من أشهر المصالحات التي عقدها النبي ﷺ مع غير المسلمين، وقد كان هذا الصلح إيذانًا للفتح الذي بشر الله به نبيه ﷺ.
- ٦- أبانت الدراسة في فصلها الأول: أنّ من أهمّ المقاصد الدّعوية الواردة في المصالحات النبوية تلك المقاصد المتعلقة بالعقيدة والشريعة والأخلاق.
- ٧- أوضحت الدراسة في المسائل العقدية الواردة في المصالحات أن التبرك بالنبي ﷺ وبما فصل عنه من خصائصه ﷺ، ولا يجوز قياس غيره عليه مهما بلغت رتبته ومنزلته ومكانته، وأنّ الإقرار بالربوبية مستلزم للألوهية، كما لا إكراه على الدّخول في الإسلام، والمقصد الأسنى من تلك المصالحات مع غير المسلمين هو تحقيق العبودية لله والدّعوة إلى توحيده.

٨- في المسائل التشريعية الواردة في المصالحات أكدت الدراسة على أهمية الشورى والبيعة، وأخذ الجزية من غير المسلمين، والمقصد منه ليس ما لا يرتجى بل إظهاراً لهيبة المسلمين وغلبتهم، كما بينت مشروعية المساقاة والمزارعة، والأصل فيها ما كان لأهل خيبر وما جاورها من القرى، وجواز قبول هدية غير المسلم، كما قبل النبي ﷺ من يوحنة النصراني وأعطاه، وفي ذلك تأصيلٌ لتبادل الهدايا بين المتزاورين عامة، وبين الرؤساء خاصة، ولو كانوا مختلفي الدين، وما ذلك إلا للتأنيس، والتقريب، والتفاهم، والتعاون على المشترك من الفضائل الإنسانية.

٩- أظهرت الدراسة أن للدعاة إلى الله تعالى صفات وأخلاق يجب عليهم التحلي بها، وقد طبّقها النبي ﷺ في ضوء مصالحاته مع غير المسلمين، منها الإخلاص والثقة بالله تعالى وقوة الصلة به، والحلم والصبر والعدل بين الناس، والتواضع والوفاء بالعهود والمواثيق، واغتنام الفرص الملائمة لإيصال الدعوة، وكلّها تنصب في مقصد التسامح من أصول الدين الإسلامي.

١٠- للدعاة إلى الله بعد إبلاغ الدعوة، وإقامة الحجّة على المدعويين، حقوق على المدعويين يجب عليهم القيام بها تحقيقاً لمصلحة الدعوة وإظهاراً لمقاصده النبيلة، كما على الدعاة واجبات نحو المدعويين القيام بها من أهم أسباب نجاح الدعوة.

١١- كشفت الدراسة أن المدعو هو كلّ من توجه إليه الدعوة مهما كان جنسه ولونه، وهم أصناف، ولاستجابتهم للدعوة دوافع وأسباب ومحفّزات، يجب على الداعية سلوكها لتحقيق مقصد الدعوة وهو إخراج المدعويين من الظلمات إلى النور.

١٢- أفرزت المصالحات النبوية جملة من الوسائل والأساليب الدعوية التي انتهجها النبي ﷺ لتحقيق مقصد إبلاغ الدعوة، وإقامة الحجّة.

١٣- يستطيع الداعية المعاصر أن يستفيد من المقاصد الدعوية الواردة في المصالحات النبوية في كلّ ما يتعلّق بموضوع الدعوة والداعية والمدعو والوسائل والأساليب، وتنزيلها على

أرض الواقع، مراعيًا الزّمان والمكان، ومن أهمّ تلك المقاصد، المقاصد العقديّة والتّشريعيّة والأخلاقيّة، وما يتعلّق بصفات الدّاعية وأخلاقه، والحقوق التي بينه وبين المدعوين، ومعرفة أصناف المدعوين ودوافع استجابتهم للدعوة، والإمام بالوسائل والأساليب الدعوية واستغلالها في صالح الدّعوة إلى الله تعالى.

ثالثًا: التوصيات:

من أهمّ التوصيات التي يراها الباحث:

- ١- ضرورة الاعتناء بدراسة منهج النبي الكريم ﷺ في معاملاته مع غير المسلمين، وخاصة في المصالحات، وإفراد ذلك بدراسات مؤصّلة، لإحياء هذا المنهج الكريم.
 - ٢- تكثيف اللقاءات والندوات والمحاضرات العلميّة التي تبين منهج الإسلام في التّعامل مع غير المسلمين بمختلف أصنافهم وفئاتهم، وإبراز جوانب سماحة الإسلام وعدله ومقاصده العليا للبشريّة جمعاء.
 - ٣- على الجهات التّعليمية فتح المجال والتّشجيع لإثراء جانب العلاقات الإنسانية بدراساتٍ علميّةٍ أوسع، هادفةٍ إلى إبراز جوانب سماحة الإسلام مع غير المسلمين، وأن يقرّر مادة مقاصد الدّعوة أو التّعايش السّلمي، أو العلاقة مع الآخر، في المعاهد والدّور، لإبراز جوانب الولاء والبراء، والوقوف على حقيقة العلاقة بين المسلمين وغيرهم.
 - ٤- ترجمة الكتب العلميّة المؤصّلة في السّيرة النبوية وعلاقته ﷺ مع غير المسلمين، وحسن تعامله وسماحته معهم، إلى لغات العالم الحيّة، لنشر الإسلام وكسر شوكة الكفر والضلال، والوقوف أمام الجهات التي تصف الإسلام بدين العنف والتطرف والإرهاب.
- وفي الختام أحمد الله تعالى أن أعان ويسر إتمام البحث، فأشكره تعالى على نعمه وآلائه، وأستغفره، وأثني عليه الخير كلّه، كما أسأله سبحانه أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم وأن ينفع به الإسلام والمسلمين، وأن يغفر لي ما كان من زلل وخطأ ونسيان أو تقصير، إنه نعم المولى ونعم النصير.

الفهارس:

وتشمل:

فهرس الآيات.

فهرس الأحاديث والآثار.

فهرس الأعلام المترجم لهم.

فهرس الكلمات الغريبة.

فهرس المصادر والمراجع.

فهرس الموضوعات.

فهرس الآيات:

الصفحة	رقمها	الآية أو جزء منها
سورة البقرة		
٣٦٢	٩٧	﴿ قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾
٣٦٩	١٣٠	﴿ وَمَنْ يَرْغَبْ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ ﴾
١٨٠	١٤٣	﴿ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾
٦٠	١٩٠	﴿ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَقْتُلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾
٣٤١	١٩٤	﴿ فَمَنْ أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا أَعْتَدَى عَلَيْكُمْ ﴾
١٦٤	١٩٦	﴿ فَإِنْ أَحْصَرْتُمْ مَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ وَلَا تَحْلِفُوا رُءُوسَكُمْ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحَلَّهُ ﴾
١٦٣	١٩٦	﴿ وَاتِمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهَدْيِ ﴾
٥٢	٢٠٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السَّلَامِ كَافَّةً ﴾
١٧٩	٢١٢	﴿ وَلَا تَنكِحُوا الْمُشْرِكَةَ حَتَّىٰ تُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ﴾
٣٣٨	٢١٦	﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شُرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾
٢٥٨	٢١٧	﴿ وَلَا يَزَالُونَ يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنْ أَسْتَطَعُوا ﴾
١٢٩، ٦٣	٢٥٦	﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾
سورة آل عمران		
١٠٩	٣١	﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾
٣٤٨	٦٤	﴿ يَتَأَهَّلَ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية أو جزء منها
١٢٧	٦٤	﴿ قُلْ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾
١٢٨	٦٦	﴿ يَتَاهَلِ الْكِتَابِ لِمَ تَحَاجُّونَ فِي إِبْرَاهِيمَ وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ إِلَّا مِنْ بَدْوٍ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾
٣٤٩	٧٩	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾
١٢٨	٧٩	﴿ مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِي مِنْ دُونِ اللَّهِ ﴾
١٢٨	٨٠	﴿ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴾
٢٩٣	١١٣	﴿ لَيْسُوا سَوَاءً مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ أُمَّةٌ قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّمَا أَلِيقَ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴾
٢٩٣	١١٤	﴿ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾
١٩٤، ١٥٢	١٥٩	﴿ فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ ﴾
٣٠٦، ١٩٠	١٥٩	﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾
٢٩٣	١٩٩	﴿ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ﴾
سورة النساء		
١١١	٥٩	﴿ يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾
١١٠	٦٥	﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾
٣٢٧، ٥٣	٩٠	﴿ فَإِنِ اعْتَزَلْتُمْ فَلَمْ يُقِنَّاكُمْ وَالْقَوَا إِلَيْكُمْ أَسْلَمَ فَأَجْعَلِ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية أو جزء منها
٥٣	٩٤	﴿ وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَقَ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا ﴾
٣٣١	١٠٢	﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَنْفَمَّ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ مَعَكَ ﴾
٤٩	١١٤	﴿ لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾
٢٢٥	١٣٥	﴿ فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ أَنْ تَعْدِلُوا ﴾
سورة المائدة		
٢٠٨	٥	﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمْ الطَّيِّبُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ ﴾
٣٤٢	٨	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاٰنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا أَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ﴾
٣١٧	٣٥	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾
٥٩	٣٦	﴿ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً ﴾
١٤٩	٤٨	﴿ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾
٢٤٩، ١١٨	٥١	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصْرَىَٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ ﴾
١١٧	٥٥	﴿ إِنَّا وَلِيُّكُمْ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾
٢٥٠، ١١٨	٥٦	﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾
٢٧٨، ٩٢	٨٢	﴿ لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ﴾
سورة الأنعام		
٢٠٦	٨٨	﴿ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾
٢١٢	٩٠	﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَىٰ اللَّهُ فَبُهِدْتُهُمْ أَقْتَدِهٖ ﴾
سورة الأعراف		
١٩٢، ١٢٥	٥٩	﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنَ اللَّهِ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية أو جزء منها
		عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٦٥﴾
١٢٥	٦٥	﴿وَالِى عَادِ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾﴾
٢٧٥	١٥٧	﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَإِلَّا نَجِئِلْ بِأَمْرِهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ﴿١٥٧﴾﴾
سورة الأنفال		
٤٩، ٣٤	١	﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ ﴿١﴾﴾
٣٣٠	٦٠	﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهَبُونَ بِهِ، عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴿٦٠﴾﴾
٣٧، ٣٦ ٥٣، ٦٣ ٣٢٥	٦١	﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلَامِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾
سورة التوبة		
٣٢٦	٥	﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا دِينَ آبَائِكَ دِينًا بَدِئَ اللَّهُ الْبَشَرِيَّةَ بِذَلِكَ لَعَلَّهَا تَتَّقُوهُ ﴿٥﴾﴾
١٠٩	٢٤	﴿قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا ﴿٢٤﴾﴾
٣٣٦	٢٩	﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ، وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾﴾
١٢٥	٣١	﴿اتَّخَذُوا أَحْبَابَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا ﴿٣١﴾﴾
١٤٢	٧١	﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴿٧١﴾﴾

الصفحة	رقمها	الآية أو جزء منها
		﴿ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾
١٦١	١١١	﴿ فَاسْتَبَشِرُوا ببيعكم الذي بايعتم بهٗٓ وذلك هو الفوز العظيم ﴾
سورة يونس		
٢٨	٢٥	﴿ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَى دَارِ السَّلَامِ ﴾
١٣٣	٩٠	﴿ حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْغَرَقُ قَالَ ءَامَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي ءَامَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾
١٣٢	٩٩	﴿ أَفَأَنْتَ تُكْرِهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾
سورة يوسف		
٢٨	٣٣	﴿ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ ﴾
٢٣٦	٣٦	﴿ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانٍ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا ﴾
٢٣٦	٣٧	﴿ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأٌ كَمَا بَتَأْوِيلُهُ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِي رَبِّي ﴾
١٣٩	١٠٠	﴿ وَخَرُّوْا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُءْيَايَ مِنْ قَبْلُ ﴾
٢٥٠	١٠٨	﴿ قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾
سورة الرعد		
٣٣٠	١١	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾
٢٥٠	٢٨	﴿ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾
سورة الحجر		
٢٢٢	٧٥	﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّالْمُتَوَسِّمِينَ ﴾
١٩٠	٨٨	﴿ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمُؤْمِنِينَ ﴾
سورة النحل		

الصفحة	رقمها	الآية أو جزء منها
٢٣	٩	﴿ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَايِزٌ ﴾
١٢٤	٣٦	﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَن هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَن حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ ﴾
٢٥٠، ١٣٢	١٢٥	﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾
سورة الإسراء		
٣٧٣	٧٠	﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴾
سورة الكهف		
١٢٩	٢٩	﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾
سورة مريم		
٣٣٠	٢٤	﴿ وَهَرَيَّ إِلَيْكَ مِجْدَعَ النَّخْلَةِ تَسْقُطُ عَلَيْكَ رَطْبًا جَنِينًا ﴾
سورة طه		
٢٤٥	١٢٤	﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ﴾
سورة الأنبياء		
١٢٥	٢٥	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾
٢١٠، ١٩٣	١٠٧	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾
سورة الحج		
٢١٢	٧٥	﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴾
سورة المؤمنون		
١٦٠	٥١	﴿ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية أو جزء منها
٣٠٥	٥٤	﴿ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَلَّغُ الْمَعِينِ ﴾
١١١	٦٣	﴿ فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم ﴾
سورة الشعراء		
١٩٢	٣	﴿ لعلك تبخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين ﴾
٢٧٣	١١١	﴿ قالوا أنؤمن لك وأتبعك الأزدلون ﴾
سورة القصص		
٣٠	٥١	﴿ ولقد وصلناهم القول لعلهم يندكروا ﴾
سورة العنكبوت		
٣٦١	٤٦	﴿ ولا تجدوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن ﴾
سورة الروم		
٢٨٧، ٢٨٦	٣٠	﴿ فطرت الله التي فطر الناس عليها ﴾
سورة الأحزاب		
١٠٩	٦	﴿ التي أوتى بالمؤمنين من أنفسهم ﴾
٣٣٣	٢١	﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ﴾
سورة سبأ		
٣٢٨	٢٤	﴿ وإنا أوتيناكم لعلى هدى أو في ضلال مبين ﴾
سورة فاطر		
٢٦٩، ٢٥٠	٢٨	﴿ وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً ﴾
سورة الزمر		
٢٠٦	٦٥	﴿ ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ﴾
سورة غافر		
٣٦١	٤	﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية أو جزء منها
٢٧	٦٠	﴿ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾
١٣٣	٨٤	﴿ فَلَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا قَالُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَحَدُّهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ ﴾
١٣٣	٨٥	﴿ فَلَمْ يَكُ يَنْفَعُهُمْ إِيمَانُهُمْ لَمَّا رَأَوْا بَأْسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الَّتِي قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكَافِرُونَ ﴾
سورة الشورى		
١٢٦	١٠	﴿ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ﴾
١٤٩	١٣	﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ﴾
٢٣٢	٤٣	﴿ وَلَمَنْ صَبَرَ وَعَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾
١٣٤	٤٨	﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا أَلْبَلَاغُ ﴾
٢٤٠	٥٢	﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدَى إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
سورة الزخرف		
٢٤٠	٤٣	﴿ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾
١٣٩، ١٢٥	٤٥	﴿ وَسَأَلَ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ﴾
سورة الدخان		
٢١٣	٣١	﴿ يَقَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ ﴾
سورة محمد		
٦٣	٣٥	﴿ فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ ﴾
٢٤٧	١١	﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَى لَهُمْ ﴾
سورة الفتح		
٧٨	١	﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴾

الصفحة	رقمها	الآية أو جزء منها
٧٨	٢	﴿ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾
١١٠	٩	﴿ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَنُعَزِّرُوهُ وَنُقْضِيهِ وَنُقَرِّبُهُ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾
١٥٧، ٧٧	١٠	﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾
٧٠	١١	﴿ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِالسِّنْتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ ﴾
١٥٧	١٨	﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴾
٨٦	٢٠	﴿ وَعَدَّكُمْ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴾
٢٩٠	٢٦	﴿ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالزَّمَهُمْ كَلِمَةَ النِّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ﴾
٧٠	٢٧	﴿ لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ﴾
١٩٣، ١٢٦	٢٩	﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾
سورة الحجرات		
٣٤	٩	﴿ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا ﴾
٣٠٣	١٣	﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَنُكُمْ ﴾
سورة الرحمن		
٢٢٨	٣	﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٢﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية أو جزء منها
سورة المجادلة		
١١٨	٢٢	﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾
سورة المتحنة		
١٨٨	٧	﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾
١٨٨، ٥٢	٨	﴿ لَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقْتَلُوا فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوا مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴾
١٨٨	٩	﴿ إِنَّمَا يَنْهَى اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَتَلُوا فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوا مِنْ دِينِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾
١٦١	١٠	﴿ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَ كُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مَهْجِرَاتٍ فَاَمْتَحِنُوهُنَّ ﴾
١٥٧	١٢	﴿ يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَىٰ أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ ﴾
سورة الجمعة		
١٨١	٢	﴿ هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيَّةِنَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ ﴾
سورة الطلاق		
٢١٨	٣	﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾
سورة الملك		
٢٨٦	٣	﴿ هَلْ تَرَىٰ مِنْ فُطُورٍ ﴾
٢٩٤	١٤	﴿ أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴾
سورة المدثر		
٢٣٢	٢-١	﴿ قُمْ فَأَنْذِرْ ﴾

الصفحة	رقمها	الآية أو جزء منها
سورة الإنسان		
١٢٩	٣	﴿ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا ﴾
سورة عبس		
٢٥٦	٢-١	﴿ عَبَسَ وَتَوَلَّى ﴾ ﴿ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ﴾
سورة الشرح		
٣٦٩	٧	﴿ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ﴾



فهرس الأحاديث والآثار

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٤١	ابني هذا سيد، ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين
٧٧	أتدرون ماذا قال ربكم؟
٢٢٢	اتقوا فراسة المؤمن فإنه ينظر بنور الله
٣٢٤	اتهموا أنفسكم، فلقد رأيتنا يوم الحديبية
٢٤٢	أتيت رسول الله ﷺ وأصحابه عنده، كأنما على رءوسهم الطير
٣٦٥، ٢٢٧	اجمعوا إلي من كان ها هنا من يهود
١٢١	أحسنها الفأل ولا ترد مسلماً
٣٥٢	إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه
٣٧٢	إذا فتحتم مصر فاستوصوا بالقبط خيراً، فإن لهم ذمة ورحماً
٤٠	أرأيت لو جعلت لك ثلث ثمار الأنصار، أترجع بمن معك من غطفان
٢٠٢	أربع من كنّ فيه كان منافقاً خالصاً، ومن كانت فيه خلة منهنّ كانت فيه خلة من نفاق
٢٩٨	أسلم تسلم، أسلم يؤتكَ الله أجرك مرتين
٢٥٤	أسلموا تسلموا، واعلموا أن الأرض لله ورسوله، وإني أريد أن أجليكم من هذه الأرض
٢٢٣، ٧١	أشيروا أيها الناس عليّ، أترون أن أميل إلى عيالهم
٥٩	اغزوا باسم الله في سبيل الله قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا
٥١	ألا أخبركم بأفضل من درجة الصيام والصلاة والصدقة... إصلاح ذات البين
١٨٨	ألا من ظلم معاهداً، أو انتقصه، أو كلفه فوق طاقته... فأنا حجيجه يوم القيامة
٤٥	أمّا الوليدة والغنم فردّ عليك
٦٢	أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله...

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
١٦٨	أمرنا نبينا رسول ربنا ﷺ أن نقاتلكم حتى تعبدوا الله وحده، أو تؤدُّوا الجزية
٥٠	إنَّ ابني هذا سيد ولعلَّ الله أن يصلح الله به بين فئتين عظيمتين
١٣٦	أنَّ النبي ﷺ كان إذا قدم على فاطمة ابنته قامت إليه فقبلته وأجلسته
٤٩	أنَّ أناسًا من بني عمرو بن عوف، كان بينهم شيءٌ، فخرج إليهم النبي ﷺ في أناسٍ من أصحابه يصلح بينهم
٤٩	أنَّ أهل قباء اقتتلوا حتى تراموا بالحجارة فأخبر رسول الله ﷺ ذلك، فقال: اذهبوا بنا نصلح بينهم
٢٤٦	أنَّ رسول الله ﷺ أخذ الجزية من مجوس هجر
١٧٣	أنَّ رسول الله ﷺ دفع إلى يهود خيبر نخل خيبر وأرضها على أن يعتملوها من أموالهم
١٧٢	أنَّ رسول الله ﷺ عامل أهل خيبر بشرط ما يخرج منها من ثمر أو زرع
١٠٧	أنَّ رسول الله أتى منى فأتى الجمره فرماها ثم أتى منزله بمنى، ونحروا...
٢٣٠	إنَّ فيك خصلتين يحبهما الله الحلم، والأناة
٢٠٨	أنَّ قومًا قالوا: يا رسول الله إن قومًا يأتوننا باللحم لا ندرى أذكروا اسم الله عليه أم لا
٢٢٩	إنَّ من البيان لسحرا
٣٥٣	أنَّ نبي الله ﷺ كتب إلى كسرى، وإلى قيصر، وإلى النجاشي، وإلى كل جبار يدعوهم إلى الله
١٧٧	أنَّ يهودية أتت النبي ﷺ بشاة مسمومة، فأكل منها
١٧٧	أنَّ يهودية، من أهل خيبر سمت شاة مصلية ثم أهدتها لرسول الله ﷺ
١٠٩	أنا أولى بكل مؤمن من نفسه من ترك مالا فلاأهله ومن ترك ديناً أو ضياعاً فأليّ وعليّ
٧٨	أنزلت عليّ الليلة سورة هي أحبُّ إليّ مما طلعت عليه الشمس
٦١	انطلقوا باسم الله وبالله وعلى ملة رسول الله ولا تقتلوا شيخاً فانياً ولا طفلاً

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٢٧٦، ٦٥	انفذ على رسلك حتى تنزل بساحتهم، ثم ادعهم إلى الإسلام، وأخبرهم بما يجب عليهم
٢٨١	إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم، فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله...
١٩١	إنما مثلي ومثل أمي كمثل رجل استوقد ناراً، فجعلت الدواب والفراش يقعن فيه..
١٣٩	أنهم سألوه عن الرجل يلقي أخاه ينحني له؟ قال: لا
١٩٤	إني لم أبعث لَعَانًا، وإنما بعثت رحمةً
١١٨	أوثق عرى الإيمان الموالاة في الله والمعاداة في الله والحب في الله والبغض في الله
١٦٠	بايعت رسول الله ﷺ على شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله...
١٦٠	بايعنا رسول الله ﷺ على السمع والطاعة في المنشط والمكروه، وأن لا ننازع الأمر أهله، وأن نقوم أو نقول بالحق حيثما كنا، لا نخاف في الله لومة لائم
٢٢٨	بعثت بجوامع الكلم، ونصرت بالرعب، فبينما أنا نائم أتيت بمفاتيح خزائن الأرض
٩٧	تعجبون من هذا والذي نفسي بيده، لمناديل سعد بن معاذ في الجنة أحسن من هذا
١١٠	ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما
٢٩٨	ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل من أهل الكتاب آمن بنية وأدرك النبي ﷺ فآمن به
٢٥٤	حق المسلم على المسلم خمس رد السلام، وعبادة المريض، واتباع الجنائز
٣١	الحمد لله الذي أنقذه من النار
١٤٥	خربت خيبر، إنا إذا نزلنا بساحة قوم فساء صباح المنذرين
١١٥	خرج علينا رسول الله ﷺ متوكئاً على عصا فقمنا إليه فقال: " لا تقوموا كما تقوم الأعاجم
١٠٦	خرج علينا رسول الله ﷺ بالهاجرة إلى البطحاء فتوضأ ثم صلى الظهر ركعتين
١٦٣	خرجنا مع رسول الله ﷺ فحال كفار قريش دون البيت، فنحر النبي ﷺ هديه وحلق رأسه
٢٥٧	خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٤١	ردّوا الخصوم حتى يصطلحوا، فإن فصل القضاء يورث بينهم الضغائن
٣٩	ستصالحون الروم صلحا آمنا، فتغزون أنتم وهم عدوّا من ورائهم، فتسلمون وتغنمون
٣٧٢	ستفتحون أرضا يذكر فيها القيراط فاستوصوا بأهلها خيرا فإن لهم ذمة ورحمًا
١٩٠	شققه خُمرا بين الفواطم
١٧٠	صالح رسول الله ﷺ أهل نجران على ألفي حلّة، النّصف في صفر والنّصف في رجب
١٢٣	عطش الناس يوم الحديبية ورسول الله ﷺ بين يديه ركوة. فتوضأ منها، ثم أقبل الناس نحوه
٢٦١، ٢٤١	على المرء المسلم السمع والطاعة فيما أحب وكره إلا أن يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة
١٧٨، ٨٩	غزونا مع النبي ﷺ تبوك وأهدى ملك أيلة للنبي ﷺ بغلة بيضاء، وكساه بردًا
١٣٦	فانطلقت إلى المسجد فقام إليّ طلحة بن عبيد الله يهرول فصافحني وهنّأني
٢٨	فإنّي أدعوك بدعاية الإسلام
٢٢	فكان رجل من المشركين إذا شاء أن يقصد إلى رجل من المسلمين قصد له فقتله
١٣٦	قدم زيد بن حارثة المدينة، ورسول الله ﷺ في بيتي فأتاه، ففرع الباب، فقام إليه النبي ﷺ يجر ثوبه
٢٣	القصد القصد تبلغوا
١٤٦	قم يا فلان، فأذنّ أنه لا يدخل الجنة إلا مؤمن، إن الله يؤيد الدين بالرجل الفاجر
١٣٧	كان النبي ﷺ أحب الناس إلى أصحابه، وكان إذا دخل عليهم لم يقوموا له
١٦٧	كان رسول الله ﷺ إذا أمر أميراً على جيشٍ، أو سريةٍ، أو صاه في خاصته بتقوى الله..
١٢١	كان رسول الله ﷺ يتفاءل ولا يتطير، ويعجبه الاسم الحسن

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٧٩	كانت المرأة تكون مقلاة فتجعل على نفسها إن عاش لها ولد أن تهوِّده
٤٥	كلُّ شرط ليس في كتاب الله فهو باطل وإن مائة شرط، شرط الله أحق وأوثق
١٢٠	الكلمة الطيبة
٢٣	كنتُ أصلي مع رسول الله ﷺ فكانت صلواته قصداً، وخطبته قصداً
٢٠٣	كيف أنتم إذا لم تحبوا دينارا ولا درهما؟
١٤٦	كيف بك إذا أخرجت من خير تعدو بك قلوبك
١٤١	لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم فإنما أنا عبده، فقولوا عبد الله ورسوله
١٢٠	لا طيرة وخيرها الفأل
١٢٠	لا عدوى ولا طيرة ويعجبني الفأل الصالح الكلمة الحسنة
٢٤٨	لا يرثُ المسلم الكافر ولا الكافر المسلم
١١٠	لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين
١٤٥	لأعطين الراية غداً رجلاً يفتح على يديه، يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله
١٣٨	لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا
١٨١	لما قدم النبي ﷺ المدينة وانجفل الناس إليه
٣٦٦	اللهم اهدِ دوسا وائت بهم، اللهم اهدِ دوسا وائت بهم
٢٧	اللهم ربِّ هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة
٩٢	لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد
١٢٣	لو كنّا مائة ألفٍ لكفانا، كنّا خمس عشرة مائة.
١٤١	لو كنتُ امرأةً أحداً أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها
٥٠	ما عمل ابنُ آدم شيئاً أفضل من الصلاة، وإصلاح ذات البين

الصفحة	طرف الحديث أو الأثر
٢٤٣	ما كان أحد أحب إلي من رسول الله ﷺ، ولا أجل في عيني منه
١٣٨، ١١٤	من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار
٣٨	من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عهداً، ولا يشدنه حتى يمضي أمده
٢٢٦	من يخفر ذمتي كنت خصمه، ومن خاصمته خصمته
٣	نزلت علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها
٢٩٨	والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني
٢٧٥	والذي نفس محمد بيده، لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي، ولا نصراني
١٠٧	والله إن تنخم نخامةً إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده
٢٤٣	والله لقد وفدت على الملوك، ووفدت على قيصر وكسرى والنجاشي
٢١٩	والله ليتمن هذا الأمر، حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت، لا يخاف إلا الله
٢٢١	والله ما على هذا حالفناكم، أيصدُّ عن بيت الله من جاء معظماً له؟
٢٨٣	وإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين
٢٥٦	وإنك إن تصلح فلن نعزلك عن عمك
١٨٩	وما زاد الله عبداً بعفوٍ إلا عزاً، وما تواضع أحدٌ لله إلا رفعه الله
٢٥١	يا معشر اليهود اتقوا الله، فوالله الذي لا إله إلا هو، إنكم لتعلمون أنه رسول الله، وأنه جاء بحق، فقالوا: كذبت

فهرس الأعلام المترجم لهم

الصفحة	اسم العلم
١٩٨	إبراهيم بن موسى اللّخمي (الشاطبي)
١٥١	أبوبكر بن محمد (ابن العربي)
٤٢	أحمد بن إدريس (القرافي)
٢٩	أحمد بن عبد الحلیم (ابن تيمية)
٤١	أحمد بن علي بن محمد (ابن حجر)
٢٤٨	أسامة بن زيد بن حارثة
٢٤٢	أسامة بن شريك
٢٩٥	أسد بن عبيد
٥٤	إسماعيل بن عمر (ابن كثير)
١٥٤	أسيد بن حضير
٢٩٥	أسيد بن سعية
٢٣٠	أشج عبد القيس
٢٣٤	أكيدر بن عبد الملك الكندي
٧٢	بديل بن ورقاء
١٩٣	بشر بن البراء
٢٩٥	ثعلبة بن سعية
٢٣	جابر بن سمرة
١٢٢، ٢٧	جابر بن عبد الله
١٦٠	جرير بن عبد الله

الصفحة	اسم العلم
٤٠	الحارث بن عوف
٥٠	الحسن بن علي بن أبي طالب
٣٣	الحسين بن محمد الراغب الأصفهاني
٨٢	حميد بن مخلد (ابن زنجويه)
٢٩٥	خالدة ابنة الحارث
٢٤٥	دحية بن خليفة الكلبي
١٦٩	سفيان ابن عيينة الهلالي
٢٣٤	سلكان بن سلامة أبو نائلة
٣٤٥	سليمان بن يسار
٧٥	سهيل بن عمرو
١١٥	صدي بن عجلان
١٢٧	عامر بن الجراح (أبو عبيدة)
١٦٠	عبادة بن الصّامت
١١٢	عبد الرحمن بن أحمد (ابن رجب)
٥٠	عبد الرحمن بن صخر (أبو هريرة)
٢٤٢	عبد الرحمن بن ناصر السعدي
٤٣	عبد الله بن أحمد (ابن قدامة المقدسي)
٢٤٥	عبد الله بن حذافة السهمي
٣٤٥	عبد الله بن رواحة
٢٤٦، ١٨١	عبد الله بن سلام

الصفحة	اسم العلم
١١٩	عبد الله بن سهيل بن عمرو (أبو جندل)
٤٢	عبد الله بن قيس بن سليم (أبو موسى الأشعري)
٢٣	عثمان بن جني الموصلي (ابن جني)
٢٧٨	عداس الموصلي
٧٢	عروة بن مسعود الثقفي
٢٢٢	علي بن محمد (الماوردي)
١١٣	علي بن محمد الشوكاني
١٠٩	عياض بن موسى اليحصبي (القاضي)
٤٠	عينة بن حصن بن حذيفة (الفزاري)
٢٨٢	كعب بن الأشرف
١٣٦	كعب بن مالك
٨١	محمد ابن إسحاق بن يسار
٥٧	محمد بن أبي بكر (ابن القيم)
٣٧	محمد بن أحمد بن أبي بكر (القرطبي)
٢٣	محمد بن جرير (ابن جرير الطبري)
٣٥١	محمد بن خليفة (الأبي)
٣٠٦	محمد بن رشيد رضا
١٢٠	محمد بن صالح (العثيمين)
٣٤٢	محمد بن علي بن وهب (ابن دقيق العيد)
٣٩	محمد بن كعب القرظي

الصفحة	اسم العلم
٨١	محمد بن محمد ابن سيّد الناس
٧٣، ٥٤	محمد بن مسلم بن عبيد الله (الزهري)
٢٣٤	محمد بن مسلمة
٢٩٤	مخيريق النّضري
٢٧٦	معاذ بن جبل
١١٩	المغيرة بن شعبة
١٧٦	نائلة بنت الفرافصة
٤١	نفيح بن الحارث (أبو بكر)
٧٧	هند بنت أبي أمية (أم المؤمنين، أم سلمة)
١٠٦	وهب بن عبد الله، أبو جحيفة
٣٣	يحيى بن شرف النووي
٦٢	يوسف بن عبد الله بن محمد (ابن عبد البر)

فهرس الكلمات الغريبة

الصفحة	الغريب
١٨١	استبنتُ
٢٧٩	الأخبار
١١٢	الاستسقاء
٧١	الأشطاط
٧٢	أشواًباً
٢٤١	إلزم غرزه
١٨١	انجفل
٨٨	انصاف
١٧٨	إهالة سنخة
٩١	آيتكم
٩١	بزكم
٨٠	بطانة
٨٦	البيضاء
٢٤٩	تشبث
٣٩	تلول
٧٤	جموا
١٤٣	حاسر
٩٣	الحبيرات
١٩١	حجزكم

الصفحة	الغريب
٩١، ٨٦	الحلقة
٢٨٩	الحمية
١٤٣	دارع
٣٤٣	دسيسة
١٢٣	ركوة
٢٧٩	الرُّهبان
٧٤	سالفتي
٩٤	سقيفاه
٨٦	الصفراء
٦٨	صوفة
١٢٠	الطيرة
٩١	عروككم
٧٤	العود المطايل
٢٩١	عيبة نصح
٧٣	قتره الجيش
١٥٥	قري
١٤٦	قلوصك
٩٦	القينة
١٥٥	كالبوكم
٩١	الكراع

الصفحة	الغريب
٨٩	كَفَرَ
٩٤	لا يحشروا
٩٤	لا يعشروا
٨٠	لا يَنْحَجِزُ
٨٠	لا يوتغ
١٧٧	لهوات
٩٧	المخوِّص
٢٥٤	المِدْرَاس
٣٥٥	المراوِضة
٣٩	مرج
١٧٧	مصلية
٩٤	مقري
٧٩	مقلاة
٢٩٥	نتوَكَّفُ
٧٤	نهكتهم
١٠٦	الهاجرة
٩٤	وقيهاه
٧٣	يتبرضه
٧٣	يركض

ثبت المصادر والمراجع:



- ١- ابن عثيمين الإمام الزاهد، للدكتور: ناصر بن مسفر الزهراني، دار ابن الجوزي الطبعة الأولى: ١٤٢٢هـ.
- ٢- آثار الحرب في الفقه الإسلامي، دراسة مقارنة، للدكتور وهبة الزحيلي، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الثالثة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٨م.
- ٣- الاجتهاد المقاصدي، حجيته، ضوابطه، مجالاته، للدكتور: نور الدين مختار الخادمي، مكتبة الرشد، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ٤- الإجماع. لأبي بكر محمد بن إبراهيم بن المنذر النيسابوري (المتوفى سنة: ٣١٩هـ) تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار المسلم للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الأولى ١٤٢٥هـ / ٢٠٠٤م.
- ٥- إحكام الأحكام شرح عمدة الأحكام، لتقي الدين ابن دقيق العيد، المتوفى سنة (٧٠٢هـ) تحقيق: محمد حامد الفقي - وأحمد محمد شاكر، الناشر: مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.
- ٦- أحكام الذميين والمستأمنين في دار الإسلام، للدكتور: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ / ١٩٨٢م.
- ٧- الأحكام السلطانية، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، دار الحديث - القاهرة.
- ٨- أحكام القرآن، للقاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي المعافري الاشيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)، راجع أصوله وخرج أحاديثه وعلّق عليه: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.

- ٩- أحكام أهل الذمة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) المحقق: يوسف بن أحمد البكري - شاكر بن توفيق العاروري، الناشر: رمادي للنشر - الدمام، الطبعة: الأولى، ١٤١٨ - ١٩٩٧
- ١٠- الإحكام في تمييز الفتاوى عن الأحكام وتصرفات القاضي والإمام، لشهاب الدين أبي العباس أحمد بن إدريس القرافي المالكي المتوفى سنة: (٦٨٤هـ) دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- ١١- الأخلاق الإسلامية وأسسها، لعبد الرحمن حسن حبنكة الميداني، دار القلم، دمشق، الطبعة الثانية: ١٣٩٩هـ
- ١٢- أخلاق الحروب الإسلامية في سيرة خير البرية، صلى الله عليه وسلم، لأبي عبد الله الصارم، إيهاب كمال، دار اليسر، مصر، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ ٢٠١٠م.
- ١٣- أخلاق الحروب في السنة النبوية، للدكتور: راغب السرجاني، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ ٢٠١٠م، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر.
- ١٤- أدب الدنيا والدين، لأبي الحسن علي بن محمد بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير بالماوردي (المتوفى: ٤٥٠هـ)، الناشر: دار مكتبة الحياة، الطبعة: بدون طبعة، تاريخ النشر: ١٩٨٦م
- ١٥- الأذكار، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط رَحِمَهُ اللهُ، الناشر: دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، طبعة جديدة منقحة، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م
- ١٦- أساليب الدعوة والتربية في السنة النبوية، للدكتور: زياد محمود العاني، دار السلام، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ ٢٠٠٧م.
- ١٧- الاستذكار، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ)، تحقيق: سالم محمد عطا، محمد علي معوض،

- الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢١ - ٢٠٠٠
- ١٨ - الاستيعاب في معرفة الأصحاب ، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: علي محمد البجاوي، الناشر: دار الجيل، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٢ هـ، ١٩٩٢ م.
- ١٩ - الاستعانة بغير المسلمين في الفقه الإسلامي، ، للدكتور: عبد الله بن إبراهيم بن علي الطريقي، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية: ١٤١٤ هـ.
- ٢٠ - أسس الدعوة ووسائل نشرها،. للدكتور محمد عبد القادر أبو فارس، دار الفرقان، عمان، الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ ١٩٩٢ م.
- ٢١ - الأسس العلمية لمنهج الدعوة الإسلامية، دراسة تأصيلية على ضوء الواقع المعاصر، للأستاذ الدكتور: عبد الرحيم بن محمد المغذوي، الطبعة الأولى: ١٤٢٩ هـ ٢٠٠٨ م، دار الحضارة للنشر والتوزيع ، الرياض، المملكة العربية السعودية.
- ٢٢ - الإسلام عقيدة وشريعة، لمحمود شلتوت، دار الشروق ، القاهرة، الطبعة الثامنة عشر، ١٤٢٢ هـ ٢٠٠١ م.
- ٢٣ - الأسلوب التربوي للدعوة إلى الله في العصر الحاضر، لخالد بن عبد الكريم الخياط، دار المجتمع للنشر والتوزيع، جدة، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م.
- ٢٤ - أسلوب القرآن في دعوة أهل الكتاب الدكتور: لعبد الرحمن محمد عبد الرحمن، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م.
- ٢٥ - الأسلوب النبوي في الدعوة ، للدكتور: حمدان راجح الشريف، دار الهدى للطباعة، مصر، عام ١٤٠٧ هـ.
- ٢٦ - أصناف المدعوين وكيفية دعوتهم، للأستاذ الدكتور: همود بن أحمد الرحيلي. مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الثالثة، ١٤٢٨ هـ ٢٠٠٧ م.

- ٢٧- أصول الإيمان في ضوء الكتاب والسنة، إعداد: نخبة من العلماء في المملكة العربية السعودية، تقديم، معالي الشيخ صالح بن عبد العزيز بن محمد آل الشيخ، نشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، الطبعة بدون.
- ٢٨- أصول الدعوة، الدكتور: لعبد الكريم زيدان، الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ ٢٠٠٩م، مؤسسة الرسالة، دمشق، سوريا.
- ٢٩- الاعتصام، لإبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي الشهير بالشاطبي (المتوفى: ٧٩٠هـ) تحقيق: سليم بن عيد الهلالي، الناشر: دار ابن عفان، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م
- ٣٠- إعلام السائلين عن كتب سيد المرسلين، لشمس الدين محمد بن علي بن خارويه بن طولون الدمشقي الصّاحي الحنفي (المتوفى: ٩٥٣هـ)، راجعه: عبد القادر الأرنؤوط، حققه: محمود الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
- ٣١- إعلام الموقعين عن رب العالمين، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد عبد السلام إبراهيم، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩١م
- ٣٢- الأعلام، لخير الدين بن محمود بن محمد بن علي بن فارس، الزركلي الدمشقي (المتوفى: ١٣٩٦هـ)، نشر: دار العلم للملايين، الطبعة: الخامسة عشر، مايو ٢٠٠٢م
- ٣٣- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لأبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحلیم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: ناصر عبد الكريم العقل، دار عالم الكتب، بيروت، لبنان، الطبعة: السابعة، ١٤١٩هـ / ١٩٩٩م
- ٣٤- إكمال إكمال المعلم، لمحمد بن خليفة الوشتاني الأبي، المتوفى سنة: (٨٢٧هـ أو

- ٨٢٨هـ)، ضبط وتصحيح: محمد سالم هاشم، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ / ١٩٩٤م.
- ٣٥- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحلیم ابن تیمیة الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.
- ٣٦- الأم، للشافعي أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلبي القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، دار المعرفة، بيروت، الطبعة: بدون طبعة، سنة النشر: ١٤١٠هـ / ١٩٩٠م.
- ٣٧- إمتاع الأسماع بما للنبي ﷺ من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، لأحمد بن علي بن عبد القادر، أبو العباس الحسيني العبيدي، تقي الدين المقرئزي (المتوفى: ٨٤٥هـ) تحقيق: محمد عبد الحميد النميسي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.
- ٣٨- الأموال لابن زنجويه، لأبي أحمد حميد بن مخلد بن قتيبة بن عبد الله الخرساني المعروف بابن زنجويه (المتوفى: ٢٥١هـ) تحقيق الدكتور: شاكر ذيب فياض الأستاذ المساعد، بجامعة الملك سعود، نشر: مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م.
- [❖]
- ٣٩- البداية والنهاية، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ) تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي، الطبعة: الأولى ١٤٠٨هـ / ١٩٨٨م.
- ٤٠- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لعلاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن

أحمد الكاساني الحنفي (المتوفى: ٥٨٧هـ) دار الكتب العلمية، الطبعة: الثانية،
١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

٤١ - البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع، لمحمد بن علي بن محمد بن
عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، الناشر: دار المعرفة - بيروت.

٤٢ - البيعة في الإسلام، تاريخها وأقسامها بين النظرية والتطبيق، للدكتور: أحمد
محمود آل محمود، دار الرازي، تاريخ النشر. بدون.



٤٣ - تاج العروس من جواهر القاموس، لمحمد بن محمد بن عبد الرزاق
الحسيني، أبو الفيض، الملقب بمرتضى، الزبيدي (المتوفى: ١٢٠٥هـ) المحقق:
مجموعة من المحققين، الناشر: دار الهداية.

٤٤ - تاريخ الرسل والملوك، وصلة تاريخ الطبري، لمحمد بن جرير بن يزيد بن
كثير بن غالب الأملي، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)، ومعه (صلة تاريخ
الطبري لعريب بن سعد القرطبي، المتوفى: ٣٦٩هـ)، الناشر: دار التراث،
بيروت، لبنان. الطبعة: الثانية: ١٣٨٧هـ.

٤٥ - التبرك المشروع والتبرك الممنوع" للشيخ علي العلياني، مطابع الحميضي،
الرياض، بدون طبعة وتاريخ.

٤٦ - التبرك، أنواعه وأحكامه، د/ ناصر بن عبد الرحمن الجديع، مكتبة الرشد،
الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١١هـ.

٤٧ - تحرير ألفاظ التنبيه، لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى:
٦٧٦هـ)، تحقيق: عبد الغني الدقر، دار القلم، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٠٨هـ.

٤٨ - تذكرة الحفاظ، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز
الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، الطبعة:

الأولى، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.

٤٩ - التعريفات، لعلي بن محمد بن علي الزين الشريف الجرجاني (المتوفى: ٨١٦هـ)،

دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.

٥٠ - تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، لمحمد رشيد بن علي رضا بن محمد

شمس الدين بن محمد بهاء الدين بن علي خليفة القلموني الحسيني (المتوفى:

١٣٥٤هـ)، الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، سنة النشر: ١٩٩٠م

٥١ - تفسير القرآن العظيم، لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري

ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمد سلامة، دار طيبة للنشر

والتوزيع، الطبعة: الثانية ١٤٢٠هـ / ١٩٩٩م.

٥٢ - تفسير غريب ما في الصحيحين البخاري ومسلم، لأبي عبد الله محمد بن

فتوح بن عبد الله بن فتوح بن حميد الأزدي الميورقي الحميدي (المتوفى: ٤٨٨هـ)

تحقيق: الدكتورة: زبيدة محمد سعيد عبد العزيز، مكتبة السنة، القاهرة، مصر،

الطبعة: الأولى، ١٤١٥هـ ١٩٩٥م.

٥٣ - التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل أحمد بن علي

بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، دار الكتب العلمية،

الطبعة الأولى ١٤١٩هـ. ١٩٨٩م.

٥٤ - تهذيب اللغة، لمحمد بن أحمد بن الأزهر الهروي، أبو منصور (المتوفى:

٣٧٠هـ)، تحقيق: محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي، بيروت،

الطبعة: الأولى: ٢٠٠١م.

٥٥ - التوقيف على مهمات التعاريف، لزين الدين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن

تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى:

١٠٣١هـ)، دار عالم الكتب، القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٥٦ - تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذي هو حق الله على العبيد، لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (المتوفى: ١٢٣٣هـ)، المحقق: زهير الشاويش، الناشر: المكتب الإسلامي، بيروت، دمشق، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

[٥]

٥٧ - الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه = صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، الناشر: دار طوق النجاة (مصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، الطبعة: الأولى، ١٤٢٢هـ

٥٨ - الجامع لأحكام القرآن، والمبين لما تضمنته من السنة وآي الفرقان، لأبي عبد الله، محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي، تحقيق: الدكتور: عبد الله بن عبد المحسن التركي، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى: ١٤٢٧هـ/٢٠٠٦م.

٥٩ - جلاء الأفهام في فضل الصلاة على محمد خير الأنام، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: شعيب الأرنؤوط - عبد القادر الأرنؤوط، الناشر: دار العروبة - الكويت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٦٠ - جمل من أنساب الأشراف، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق: سهيل زكار ورياض الزركلي، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م.

٦١ - جمهرة اللغة، لأبي بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي (المتوفى: ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٨٧م.

٦٢ - جوامع السيرة النبوية، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي

القرطبي الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت،
الطبعة: بدون.

[٥]

٦٣ - حديث القرآن الكريم عن غزوات الرسول - صلى الله عليه وسلم، الدكتور،
لأبي بدر محمد بكر آل عابد. دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة
الأولى: سنة النشر، بدون.

٦٤ - حقوق النبي - صلى الله عليه وسلم - على أمته في ضوء الكتاب والسنة،
للدكتور: محمد بن خليفة بن علي التميمي، دار أضواء السلف، الرياض، الطبعة
الأولى: ١٤١٨هـ ١٩٩٧م.

٦٥ - الحكمة في الدعوة إلى الله تعالى، للدكتور: سعيد بن علي بن وهف القحطاني،
الناشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد - المملكة
العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ.

٦٦ - الحكمة والموعظة الحسنة وأثرهما في الدعوة إلى الله في ضوء الكتاب والسنة
للدكتور: أحمد بن نافع بن سليمان المورعي، دار الأندلس الخضراء الطبعة
الأولى: ١٤١٨هـ، ١٩٩٧م، الرياض، المملكة العربية السعودية.

٦٧ - الحوار من أجل التعايش، لعبد العزيز بن عثمان التويجري، دار الشروق،
الطبعة الأولى: ١٩٩٨م.

[٦]

٦٨ - خصائص القرآن الكريم، للأستاذ الدكتور: فهد بن عبد الرحمن بن سليمان
الرومي، مكتبة العبيكان، الطبعة العاشرة، ١٤٢٠هـ ٢٠٠٠م.



- ٦٩- الدرّ النّضيد في إخلاص كلمة التّوحيد، للإمام العلامة الفقيه، محمّد بن عليّ الشّوكاني المتوفّي سنة: (١٢٥٠هـ) اعتنى به: أبو عبد الله الحلبي، دار ابن خزيمة للنشر و التوزيع السعودية الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٧٠- درء تعارض العقل والنقل، لأبي العباس تقي الدّين أحمد بن عبد الحلّيم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القاسم بن محمد ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق: الدكتور محمد رشاد سالم، الناشر: جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلاميّة، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الثانية، ١٤١١هـ - ١٩٩١م
- ٧١- الدرّاية في تخريج أحاديث الهداية، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: السيّد عبد الله هاشم اليهاني المدني، نشر: دار المعرفة - بيروت، الطبعة: بدون.
- ٧٢- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)، تحقيق: محمد عبد المعيد ضان، نشر: مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر آباد/ الهند، الطبعة: الثانية، ١٣٩٢هـ / ١٩٧٢م
- ٧٣- دعاوي المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب، لعبد العزيز بن محمد بن علي آل عبد اللطيف، الناشر: دار الوطن، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٢هـ
- ٧٤- الدّعوة الإسلاميّة أصولها ووسائلها، للدكتور: أحمد أحمد غلّوش، دار الكتب الإسلاميّة، دار الكتاب المصري، الطبعة الثانية: ١٤٠٧هـ
- ٧٥- الدّعوة الإسلاميّة دعوة عالمية، لمحمد الرّاوي، الدار القومية للطباعة والنشر، مصر، الطبعة وتاريخ النشر: بدون.

- ٧٦- الدَّعوة الإسلاميَّة، الاستيعاب والشمول، للأستاذ الدكتور: محمد زين الهادي، مطابع السودان، الخرطوم، الطبعة الثانية: ٢٠٠٧م.
- ٧٧- الدَّعوة إلى الله تعالى بالمنهج الحسيِّ في السُّنة النبوية، للدكتور: محمد بن عبد الله العمري، رسالة علمية تقدم بها المؤلف إلى كلية الدَّعوة والإعلام- قسم الدَّعوة، لنيل درجة الدكتوراه، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ.
- ٧٨- الدَّعوة إلى الله، الرسالة- الوسيلة- الهدف، للدكتور: توفيق يوسف الواعي، الطبعة الثانية: ١٤١٦هـ ١٩٩٥م، دار اليقين للنشر والتوزيع، المنصورة، مصر.
- ٧٩- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشريعة، لأحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخُسرَوِجِردِي الخراساني، أبو بكر البيهقي (المتوفى: ٤٥٨هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٠٥هـ
- ٨٠- دلائل النبوة. للحافظ أبي العباس، جعفر بن محمد المستغفري، (المتوفى سنة: ٤٣٢هـ) تحقيق: الدكتور: أحمد بن فارس السلوم، دار النوادر، سوريا، الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ ٢٠١٠م
- ٨١- الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب، لإبراهيم بن علي بن محمد، ابن فرحون، برهان الدِّين اليعمري (المتوفى: ٧٩٩هـ) الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت.

[٥]

- ٨٢- ذيل [طبقات الحفاظ للذهبي] لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدِّين السيوطي (المتوفى: ٩١١هـ)، تحقيق: الشيخ زكريا عميرات، الناشر: دار الكتب العلميَّة. الطَّبعة وتاريخ النُّشر: بدون.

[ن]

- ٨٣- الرسالة للشافعي، أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع بن عبد المطلب بن عبد مناف المطلب القريشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، مكتبة الحلبي، مصر، الطبعة الأولى: ١٣٥٨هـ/١٩٤٠م.
- ٨٤- الرسول القائد، لمحمود شيت خطاب، دار مكتبة الحياة، بغداد، الطبعة الثانية، ١٩٩٦م.
- ٨٥- الركائز الاعلامية في دعوة إبراهيم عليه السلام، سيد محمد الساداتي الشنقيطي، دار عالم الكتب، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ
- ٨٦- الروح في الكلام على أرواح الأموات والأحياء بالدلائل من الكتاب والسنة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ) الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت، سنة النشر: بدون.

[ز]

- ٨٧- زاد المسير في علم التفسير، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي - بيروت، الطبعة: الأولى - ١٤٢٢هـ.

[ح]

- ٨٨- سبل السلام للصنعاني، لمحمد بن إسماعيل بن صلاح بن محمد الحسني، الكحلاني ثم الصنعاني، أبو إبراهيم، عز الدين، المعروف بالأمير (المتوفى: ١١٨٢هـ)، دار المعرفة، بيروت، لبنان. تحقيق: شيخنا خليل مأمون، الطبعة الرابعة،: ١٤١٩هـ.
- ٨٩- سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد، وذكر فضائله وأعلام نبوته

- وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد، لمحمد بن يوسف الصالحى الشامى (المتوفى سنة: ٩٤٢هـ)، تحقيق وتعليق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، الشيخ على محمد معوض، الناشر: دار الكتب العلمية بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٤هـ.
- ٩٠ - سد الذرائع في مسائل العقيدة، للدكتور: عبد الله بن شاکر الجنيدى، دار اليسر، مصر، تاريخ الطباعة والنشر: بدون.
- ٩١ - سلسلة الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ) مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة: الأولى: ١٤٢٢هـ.
- ٩٢ - ساحة الإسلام في الدعوة إلى الله والعلاقات الإنسانية منهاجا... وسيرة، لعبد العظيم إبراهيم محمد المطعني (المتوفى: ١٤٢٩هـ)، مكتبة وهبة، الطبعة: الأولى ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م.
- ٩٣ - ساحة الإسلام في معاملة غير المسلمين، للدكتور: عبد الله بن إبراهيم اللحيدان، مصدر الكتاب: موقع الإسلام: <http://www.al-islam.com>
- ٩٤ - سنن أبي داود، تأليف: أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني (المتوفى: ٢٧٥هـ)، المحقق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الناشر: المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.
- ٩٥ - سنن ابن ماجه، المؤلف: ابن ماجه أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد (المتوفى: ٢٧٣هـ) تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء الكتب العربية - فيصل عيسى البابي الحلبي.
- ٩٦ - سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى بن سؤرة بن موسى بن الضحاک، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)، تحقيق وتعليق: أحمد محمد شاکر، ومحمد فؤاد عبد الباقي، لناشر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي -

مصر، الطبعة: الثانية، ١٣٩٥ هـ - ١٩٧٥ م.

٩٧- السياسة الشرعية في إصلاح الرّاعي والرّعية، لتقي الدّين أبو العباس أحمد بن عبد الحلّيم ابن تيمية الحرّاني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، الناشر: وزارة الشئون الإسلاميّة والأوقاف والدّعوة والإرشاد - المملكة العربيّة السعوديّة، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ.

٩٨- سير أعلام النبلاء، لشمس الدّين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى: ٧٤٨هـ) تحقيق: مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة الطبعة: الثالثة، ١٤٠٥ هـ / ١٩٨٥ م.

٩٩- السّيرة الحلبيّة (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون)، لعلي بن إبراهيم بن أحمد الحلبي، أبو الفرج، (المتوفى: ١٠٤٤هـ) دار الكتب العلميّة - بيروت، الطبعة: الثانية ١٤٢٧هـ

١٠٠- السّيرة النبويّة الصّحيحة، للدّكتور: أكرم ضياء العمري، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، الطبعة الخامسة، ١٤١٣هـ، ١٩٩٣ م.

١٠١- السّيرة النبويّة في ضوء المصادر الأصليّة، مهدي رزق الله، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلاميّة، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٢هـ.

١٠٢- السّيل الجرار المتدفّق على حدائق الأزهار، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ)، دار ابن حزم، الطبعة الأولى: تاريخ النشر، بدون.

[ش]

١٠٣- شاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ) دار الكتب العلمية، الطبعة وتاريخ النشر بدون.

١٠٤- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، لعبد الحلي بن أحمد بن محمد ابن العماد العكري الحنبلي، أبو الفلاح (المتوفى: ١٠٨٩هـ)، حققه: محمود الأرناؤوط، خرج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.

١٠٥- شرح الزرقاني على موطأ الإمام مالك، لمحمد بن عبد الباقي بن يوسف الزرقاني المصري الأزهرى، تحقيق: طه عبد الرؤوف سعد، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة، الطبعة: الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

١٠٦- شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيباني (١٣٢ - ١٨٩هـ) لأبي بكر محمد بن أحمد بن أبي سهل السرخسي (ت ٤٩٠هـ) تحقيق: محمد حسن الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.

١٠٧- شرح الطحاوية في العقيدة السلفية، لصدر الدين علي بن علي بن محمد بن أبي العز الحنفي المتوفى سنة: (٧٩٢هـ) تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع ونشر: وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف والدعوة والإرشاد، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٨هـ.

١٠٨- الشرح الممتع على زاد المستقنع، للشيخ العلامة محمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) دار ابن الجوزي الطبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨هـ.

١٠٩- شرح لمعة الاعتقاد، لمحمد بن صالح بن محمد العثيمين (المتوفى: ١٤٢١هـ) تحقيق: أشرف بن عبد المقصود بن عبد الرحيم، مكتبة أضواء السلف، الطبعة:

الطبعة الثالثة ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

- ١١٠- شرح مشكل الآثار، لأبي جعفر أحمد بن محمد بن سلامة بن عبد الملك بن سلمة الأزدي الحجري المصري المعروف بالطحاوي (المتوفى: ٣٢١هـ) تحقيق: شعيب الأرنؤوط، مؤسسة الرسالة، الطبعة: الأولى - ١٤١٥هـ، ١٤٩٤م.
- ١١١- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، للقاضي عياض بن موسى بن عياض بن عمرو بن اليحصبي السبتي، أبو الفضل (المتوفى: ٥٤٤هـ)، دار الفيحاء - عمان، الطبعة: الثانية - ١٤٠٧هـ.

[ص]

- ١١٢- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم ابن تيمية الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ) تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: الحرس الوطني السعودي.
- ١١٣- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، لأبي نصر إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي (المتوفى: ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، دار العلم للملايين - بيروت، الطبعة: الرابعة ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.
- ١١٤- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، لمحمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبَد، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي (المتوفى: ٣٥٤هـ)، المحقق: شعيب الأرنؤوط، الناشر: مؤسسة الرسالة، بيروت. الطبعة: الثانية، ١٤١٤ - ١٩٩٣
- ١١٥- صحيح الجامع الصغير وزياداته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠هـ)، المكتب الإسلامي.
- ١١٦- صفات الداعية الناجح، لصالح بن محمد العليوي، دار القاسم للنشر

والتوزيع، الرياض، السعودية. الطبعة الأولى: ١٤١٦ هـ ١٩٩٥ م.
 ١١٧- الصّاح في الخصومات، للدكتور: أحمد بن صالح البراك، دار الزهراء للنشر
 والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٦ هـ.

[ض]

١١٨- ضعيف أبي داود، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين الألباني (المتوفى:
 ١٤٢٠ هـ) دار النشر: مؤسسة غراس للنشر و التوزيع - الكويت، الطبعة:
 الأولى - ١٤٢٣ هـ.

١١٩- ضعيف الجامع الصغير وزيادته، لأبي عبد الرحمن محمد ناصر الدين، بن
 الحاج نوح بن نجاتي بن آدم، الأشقودري الألباني (المتوفى: ١٤٢٠ هـ) أشرف
 على طبعه: زهير الشاويش الناشر: المكتب الإسلامي.

١٢٠- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع. لشمس الدين أبو الخير محمد بن عبد
 الرحمن بن محمد بن أبي بكر بن عثمان بن محمد السخاوي (المتوفى: ٩٠٢ هـ)،
 منشورات دار مكتبة الحياة - بيروت.

[ط]

١٢١- طبقات الشافعية: لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن محمد تقي الدين ابن
 قاضي شهبة الدمشقي، المتوفى سنة: (٨٥١ هـ). اعتنى بتصحيحه والتعليق عليه،
 الدكتور: الحافظ عبد العليم خان، دار الندوة الجديدة، بيروت، لبنان، الطبعة
 الأولى: ١٤٠٧ هـ ١٩٨٧ م.

١٢٢- طبقات الفقهاء الشافعية، لعثمان بن عبد الرحمن، أبو عمرو، تقي الدين
 المعروف بابن الصلاح (المتوفى: ٦٤٣ هـ)، تحقيق: محيي الدين علي نجيب، دار
 البشائر الإسلامية - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٩٩٢ م.

١٢٣- الطبقات الكبرى، لأبي عبد الله محمد بن سعد بن منيع الهاشمي بالولاء البصري، البغدادي المعروف بابن سعد (المتوفى: ٢٣٠هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، نشر: دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

[٤]

١٢٤- عقد الصلح في الشريعة الإسلامية، عرض منهجي مقارن، للدكتور: نزيه حماد، دار القلم، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى: ١٤١٦هـ ١٩٩٦م.

١٢٥- العقيدة أولا معشر الدعاة، للدكتور: الشريف حمدان الهجاري، المدينة المنورة، مكان الطباعة: بدون، تاريخ: ١٤١٣هـ

١٢٦- العلاقات الإسلامية النصرانية في العهد النبوي، للأستاذ الدكتور. فاروق حمادة، دار القلم، دمشق، سوريا. الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

١٢٧- علم النفس الاجتماعي، للدكتور: حامد عبد السلام زهران. عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الخامسة: ١٩٨٤م.

١٢٨- عمدة القاري شرح صحيح البخاري، لأبي محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الغيتابي الحنفي بدر الدين العيني (المتوفى: ٨٥٥هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٢٩- العناية شرح الهداية، لمحمد بن محمد بن محمود، أكمل الدين أبو عبد الله ابن الشيخ شمس الدين ابن الشيخ جمال الدين الرومي البابرتي (المتوفى: ٧٨٦هـ)، دار الفكر، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ.

١٣٠- عون المعبود شرح سنن أبي داود، ومعه حاشية ابن القيم: تهذيب سنن أبي داود وإيضاح علله ومشكلاته، لمحمد أشرف بن أمير بن علي بن حيدر، أبو عبد الرحمن، شرف الحق، الصديقي، العظيم آبادي (المتوفى: ١٣٢٩هـ)، دار الكتب العلمية - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٥هـ

١٣١- عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير. لمحمد بن محمد بن محمد بن أحمد، ابن سيد الناس، اليعمري الربيعي، أبو الفتح، فتح الدين (المتوفى: ٧٣٤هـ) تعليق: إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت، الطبعة الأولى: ١٤١٤/١٩٩٣م.

[٤]

١٣٢- غزوات الرسول -صلى الله عليه وسلم- دروس وعبر وفوائد، للدكتور: علي محمد الصلابي، مؤسسة اقرأ للنشر والتوزيع والترجمة، القاهرة، مصر، الطبعة الأولى: ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

١٣٣- غزوة الأحزاب، محمد أحمد باشميل، دار الفكر، بيروت، الطبعة الرابعة: ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.

١٣٤- غزوة خيبر، دراسة دعوية، لنورة بنت ناصر بن محمد المطرد، رسالة علمية ما جستير، غير منشورة، مقدمة في قسم الدعوة والإعلام، بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بإشراف: أ.د. مصطفى بن إبراهيم الدميري، عام ١٤٢٣-١٤٢٤هـ.

[٥]

١٣٥- الفتاوى الهندية، تأليف: لجنة علماء برئاسة نظام الدين البلخي، دار الفكر، الطبعة: الثانية، ١٣١٠هـ.

١٣٦- فتوح البلدان، لأحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري (المتوفى: ٢٧٩هـ) دار ومكتبة الهلال- بيروت ١٩٨٨م.

١٣٧- الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية الحراني الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)، تحقيق وتخرىج: عبد القادر الأرناؤوط، مكتبة دار البيان، دمشق، عام النشر: ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م

- ١٣٨- فقه الدّعوة في رسائل الرّسول - صلى الله عليه وسلم - إلى الملوك والأمراء،
لعلي بن حافظ بن سالم الوادعي، رسالة علمية - غير منشورة - مقدمة لنيل درجة
العالمية الماجستير، في قسم الدّعوة، بجامعة طيبة، للعام الجامعي: ١٤٢٦ هـ.
- ١٣٩- فقه السنة، للسيد سابق، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة
الرابعة، ١٤٠٣ هـ ١٩٨٣ م.
- ١٤٠- الفقه السياسي للوثائق النبوية، المعاهدات - الأحلاف - الدبلوماسية
الإسلامية، لخالد سليمان الفهداوي، الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م، دار عمار
للنشر، عمان.
- ١٤١- فقه السيرة النبوية مع موجز تاريخ الخلافة الراشدة، للدكتور: محمد سعيد
رمضان البوطي، دار الفكر، دمشق، سوريا، الطبعة الحادية عشر: ١٤٢٦ هـ ٢٠٠٥ م.
- ١٤٢- فقه السيرة النبوية من زاد المعاد في هدي خير العباد، لمحمد بن أبي بكر ابن
قيم الجوزية، دار الفكر اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى: ١٩٨٧ م.
- ١٤٣- فقه السيرة النبوية. قراءة سياسية دعوية فكرية، للدكتور: موفق سالم نوري،
دار ابن كثير، للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، الطبعة الأولى:
١٤٢٧ هـ ٢٠٠٦ م.
- ١٤٤- فقه السيرة، الدكتور: زيد بن عبد الكريم الزيد، دار التدمرية للنشر
والتوزيع، الرياض، الطبعة الثالثة: ١٤٢٣ هـ.
- ١٤٥- في ظلال القرآن، للسيد قطب إبراهيم حسين الشاربي (المتوفى: ١٣٨٥ هـ)،
الناشر: دار الشروق - بيروت - القاهرة، الطبعة: السابعة عشر - ١٤١٢ هـ
- ١٤٦- فيض القدير شرح الجامع الصغير، لزين الدّين محمد المدعو بعبد الرؤوف بن
تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الحدادي ثم المناوي القاهري (المتوفى:
١٠٣١ هـ)، المكتبة التجارية الكبرى - مصر، الطبعة: الأولى، ١٣٥٦ هـ.

[ج]

- ١٤٧- القاموس الفقهي، لغة واصطلاحاً، لسعدي أبو حبيب، الناشر: دار الفكر، دمشق، سورية، الطبعة: تصوير: ١٩٩٣م، الطبعة الثانية: ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
- ١٤٨- القاموس المحيط، لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادي (المتوفى: ٨١٧هـ) مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت - لبنان، الطبعة الثامنة: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م.
- ١٤٩- قواعد الأحكام في مصالح الأنام، لأبي محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام بن أبي القاسم بن الحسن السلمي الدمشقي، الملقب بسليمان العلماء (المتوفى: ٦٦٠هـ)، راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، الناشر: مكتبة الكليات الأزهرية - القاهرة، ١٤١٤هـ - ١٩٩١م.
- ١٥٠- قواعد الدعوة الإسلامية، للدكتور: الشريف حمدان راجح المهدي الهجاري، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ ١٩٩٥م. دار النشر: بدون.
- ١٥١- القوانين الفقهية، في تلخيص مذهب المالكية، والتنبيه على مذهب الشافعية والحنفية والحنبلية، لأبي القاسم محمد بن أحمد بن جزى الغرناطي المالكي، المتوفى سنة: ٧٤١هـ، تحقيق: محمد بن سيدي محمد مولاي.

[د]

- ١٥٢- الكافي في فقه أهل المدينة، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر النمري القرطبي (المتوفى: ٤٦٣هـ) تحقيق: محمد أحمد ولد ماديك الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.
- ١٥٣- كتاب العين. لأبي عبد الرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي البصري (المتوفى: ١٧٠هـ) تحقيق: الدكتور: مهدي المخزومي، ود. إبراهيم

- السامرائي، دار ومكتبة الهلال، تاريخ النشر: بدون.
- ١٥٤ - كشاف القناع عن متن الإقناع، لمنصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس البهوتي الحنبلي (المتوفى: ١٠٥١هـ) دار الكتب العلمية، الطبعة: بدون.
- ١٥٥ - كشف المشكل من حديث الصحيحين، لجمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ) المحقق: علي حسين البواب، الناشر: دار الوطن - الرياض، سنة النشر: بدون.
- ١٥٦ - الكواكب الدراري في شرح صحيح البخاري، لشمس الدين محمد بن يوسف الكرمانى، المتوفى سنة: (٧٨٦هـ) تحقيق: محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ، ٢٠١٠م.

{ج}

- ١٥٧ - لسان العرب، لمحمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي (المتوفى: ٧١١هـ)، دار صادر - بيروت، الطبعة: الثالثة: ١٤١٤هـ.
- ١٥٨ - لماذا أسلمنا؟ (مجموعة مقالات لنخبة من رجال الفكر في مختلف الأقطار عن سبب اعتناقهم للإسلام) لعبد الحميد بن عبد الرحمن السحبياني، دار ابن خزيمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٥هـ.

[١٠]

- ١٥٩- المجتبي من السنن = السنن الصغرى للنسائي، لأبي عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، النسائي (المتوفى: ٣٠٣هـ)، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، الناشر: مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب، الطبعة: الثانية، ١٤٠٦، ١٩٨٦م.
- ١٦٠- المجتمع الإسلامي والعلاقات الدولية، للدكتور: محمد الصادق عفيفي، مؤسسة الخانجي، القاهرة، الطبعة وتاريخ النشر: بدون.
- ١٦١- المجتمع المدني في عهد النبوة، خصائصه، وتنظيماته الأولى. للدكتور: أكرم ضياء العمري، مطابع الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤٠٣هـ ١٩٨٣م.
- ١٦٢- المجموع شرح المهذب لأبي زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي (المتوفى: ٦٧٦هـ) الناشر: دار الفكر، الطبعة وتاريخ النشر، بدون.
- ١٦٣- مجموع فتاوى ورسائل فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، جمع وترتيب: فهد بن ناصر بن إبراهيم السليمان، دار الوطن، الرياض، الطبعة الأخيرة، ١٤١٣هـ.
- ١٦٤- مجموع الفتاوى، لتقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن تيمية الحراني (المتوفى: ٧٢٨هـ)، المحقق: عبد الرحمن بن محمد بن قاسم، الناشر: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية، عام النشر: ١٤١٦هـ/١٩٩٥م.
- ١٦٥- مجموعة الوثائق السياسية للعهد النبوي والخلافة الراشدة، محمد حميد الله، دار النفائس، للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان. الطبعة السابعة: ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م.
- ١٦٦- المحلى بالآثار، لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي القرطبي

- الظاهري (المتوفى: ٤٥٦هـ)، الناشر: دار الفكر - بيروت، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ
- ١٦٧- المدخل إلى علم الدعوة، لمحمد أبو الفتح البيانوني، الطبعة الثالثة: ١٤٢٢هـ ٢٠٠١م. مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان.
- ١٦٨- المسائل العقدية المستنبطة من غزوة خيبر، لمحمد بن حشمت بن عبد المعين العباسي، رسالة علمية غير منشورة مقدمة لنيل درجة العالمية الماجستير في قسم العقيدة في جامعة أم القرى بمكة المكرمة، تحت إشراف الدكتور: أحمد بن علي عبد العال، للعام الجامعي ١٤٢٨هـ.
- ١٦٩- الاستفادة من قصص القرآن، للدكتور: عبد الكريم زيدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان. الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ / ٢٠٠٥م
- ١٧٠- مستلزمات الدعوة في العصر الحاضر، لعلي بن صالح المرشد، مكتبة لينة، دمنهور. الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م
- ١٧١- المسلم الجديد والمنهج الشرعي الرشيد، لسليمان بن عبد الله بن ناصر الطريم، مكان النشر: بدون. الطبعة الأولى، ١٤٣١هـ.
- ١٧٢- المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، (صحيح مسلم) لمسلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري (المتوفى: ٢٦١هـ)، المحقق: محمد فؤاد عبد الباقي، الناشر: دار إحياء التراث العربي - بيروت.
- ١٧٣- مشاهير أعلام المسلمين، لعلي بن نايف الشحود، نسخة المكتبة الشاملة، تاريخ الإضافة: ١٤٣٠/٨/٦هـ.
- ١٧٤- المصباح المضي في كتاب النبي الأمي ورساله إلى ملوك الأرض من عربي وعجمي، لمحمد (أو عبد الله) بن علي بن أحمد بن عبد الرحمن بن حسن

- الأنصاري، أبو عبد الله، جمال الدين ابن حديدة (المتوفى: ٧٨٣هـ). تحقيق: محمد عظيم الدين، عالم الكتب - بيروت.
- ١٧٥- المصنف لابن أبي شيبة، للإمام أبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة العبسي، (ت: ١٥٩هـ) تحقيق: محمد عوامة، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى: ١٤٣١هـ ٢٠١٠م
- ١٧٦- المصنف، المؤلف: لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني (المتوفى: ٢١١هـ) تحقيق: حبيب الرحمن الأعظمي، المكتب الإسلامي - بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤٠٣هـ.
- ١٧٧- معالم التنزيل في تفسير القرآن = تفسير البغوي، لأبي محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوي الشافعي (المتوفى: ٥١٠هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الأولى، ١٤٢٠هـ.
- ١٧٨- المعاهدات الدولية في فقه الإمام محمد بن الحسن الشيباني، لعثمان جمعة ضميرية، نشر دورية دعوة الحق الصادر عن رابطة العالم الإسلامي، رمضان ١٤١٧هـ العدد ١٧٧ السنة الخامسة عشر.
- ١٧٩- معجم البلدان، لشهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ)، الناشر: دار صادر، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٩٩٥ م
- ١٨٠- معجم المعالم الجغرافية في السيرة النبوية، تأليف: المقدم، عاتق بن غيث البلادي، الطبعة الأولى: ١٤٠٢هـ ١٩٨٢م، دار مكة للنشر والتوزيع، مكة المكرمة، المملكة العربية السعودية.
- ١٨١- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، للدكتور: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث، القاهرة، مطبعة، دار الكتب المصرية، ١٣٦٤هـ.
- ١٨٢- معجم مقاييس اللغة، لأحمد بن فارس بن زكرياء القزويني الرازي، أبو

- الحسين (المتوفى: ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.
- ١٨٣- المغازي، لمحمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي المدني، أبو عبد الله، الواقدي (المتوفى: ٢٠٧هـ) تحقيق: مارسدن جونس الناشر: دار الأعلمي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٠٩/١٩٨٩م.
- ١٨٤- مفاتيح الغيب = التفسير الكبير، لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي (المتوفى: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: الثالثة - ١٤٢٠هـ.
- ١٨٥- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، الناشر: دار الكتب العلمية - بيروت
- ١٨٦- المفردات في غريب القرآن، لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني (المتوفى: ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية - دمشق بيروت، الطبعة: الأولى: ١٤١٢هـ.
- ١٨٧- مقاصد الشريعة الإسلامية وعلاقتها بالأدلة الشرعية، لمحمد سعد بن أحمد بن مسعود اليوبي، دار ابن الجوزي للنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٢٩هـ.
- ١٨٨- مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، لعلال الفاسي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، الطبعة الخامسة، ١٩٩٣م.
- ١٨٩- مقاصد الشريعة الإسلامية، دراسة أصولية، وتطبيقات فقهية. للدكتور: زياد محمد حميدان، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى: ١٤٢٥هـ ٢٠٠٤م.
- ١٩٠- مقاصد الشريعة الإسلامية، لمحمد الطاهر بن عاشور، تحقيق: محمد الطاهر

- الميساوي، دار النفائس، عمان. الطبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ ١٩٩٩ م.
- ١٩١ - مقومات الدّاعية الناجح في ضوء الكتاب والسنة، مفهوم، ونظر، وتطبيق، للدكتور: سعيد بن علي بن وهف القحطاني، مكتبة الملك فهد الوطنية، الطبعة الأولى: ١٤١٥ هـ ١٩٩٤ م.
- ١٩٢ - ملامح الشورى في الدّعوة الإسلاميّة، لعدنان علي النحوي، دار الإصلاح للطبع والنشر والتوزيع، الدمام، المملكة العربية السعودية، تاريخ النشر: بدون.
- ١٩٣ - من صفات الدّاعية، اللين والرفق، للدكتور: فضل إلهي، مكتبة المعارف، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الثانية، ١٤١٢ هـ ١٩٩١ م.
- ١٩٤ - مناهل العرفان في علوم القرآن، لمحمد عبد العظيم الزرقاني، اعتنى به: أحمد شمس الدّين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثالثة: ١٤٠٨ هـ
- ١٩٥ - منح الجليل شرح مختصر خليل، لمحمد بن أحمد بن محمد عليش، أبو عبد الله المالكي (المتوفى: ١٢٩٩ هـ)، دار الفكر، بيروت، الطبعة: بدون، ١٤٠٩ هـ/١٩٨٩ م.
- ١٩٦ - منهج ابن القيم في الدّعوة إلى الله، للدكتور: أحمد بن عبد العزيز الخلف، أضواء السلف، الرياض، المملكة العربية السعودية. الطبعة الأولى: ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م.
- ١٩٧ - منهج ابن كثير في الدّعوة إلى الله والاستفادة منه في العصر الحاضر، لمبارك بن حمد الحامد الشريف، دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٠ هـ ٢٠٠٩ م.
- ١٩٨ - منهج الإعلام الإسلامي في صلح الحديبية، لسليم عبد الله حجري، دار المنارة، جده، السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٠٦ هـ ١٩٨٦ م.
- ١٩٩ - المنهج الحركي للسيرة النبوية، للدكتور: منير محمد الغضبان، مكتبة المنار، الزرقاء، الأردن، الطبعة الثالثة. ١٤١١ هـ ١٩٩٠ م.

- ٢٠٠- منهج الدعوة في ضوء الواقع المعاصر، للشيخ عدنان بن محمد عرعور، جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود العالمية للسنّة النبوية والدراسات الإسلاميّة المعاصرة، الطبعة الأولى: ١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م.
- ٢٠١- منهج الرسول- صلى الله عليه وسلم- في دعوة أهل الكتاب، للدكتور: محمد سيدي الشنقيطي، مكتبة أمين محمد أحمد سالم، المدينة المنورة، الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ ١٩٩٢م
- ٢٠٢- منهج القرآن في إصلاح المجتمع، للدكتور: محمد السيد يوسف، دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة، الطبعة الأولى: ٢٠٠٢م.
- ٢٠٣- منهج شيخ الإسلام ابن تيمية في الدعوة إلى الله، لعبد الله بن رشيد بن محمد الحوشاني، دار اشبيليا، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤١٧هـ ١٩٩٦م.
- ٢٠٤- المهذب في فقه الإمام الشافعي، لأبي اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي (المتوفى: ٤٧٦هـ) الناشر: دار الكتب العلمية.
- ٢٠٥- مواهب الجليل في شرح مختصر خليل، لشمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الرحمن الطرابلسي المغربي، المعروف بالحطّاب الرّعيني المالكي (المتوفى: ٩٥٤هـ) دار الفكر، الطبعة: الثالثة، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
- ٢٠٦- موطأ الإمام مالك، مالك بن أنس بن مالك بن عامر الأصبحي المدني (المتوفى: ١٧٩هـ)، المحقق: بشار عواد معروف - محمود خليل، الناشر: مؤسسة الرسالة، سنة النشر: ١٤١٢هـ.
- [٥]
- ٢٠٧- نسب حرب، قبيلة حرب، أنسابها فروعها تاريخها، ديارها، لعاتق بن غيث البلادي، دار مكة للنشر والتوزيع، الطبعة الثالثة، ١٤٠٤هـ.

- ٢٠٨- نشأة الدولة الإسلامية على عهد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - للدكتور عون الشريف قاسم، دار الكتاب المصري، القاهرة، تاريخ النشر والطباعة. بدون.
- ٢٠٩- نصب الراية لأحاديث الهداية، لجمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن محمد الزيلعي (المتوفى: ٧٦٢هـ)، تحقيق: محمد عوامة، مؤسسة الريان للطباعة والنشر، بيروت - لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤١٨هـ/ ١٩٩٧م
- ٢١٠- نظام الشورى في الإسلام ونظم الديمقراطية المعاصرة، للدكتور: زكريا عبد المنعم إبراهيم الخطيب، مكان الإصدار: بدون، الطبعة الأولى: ١٤٠٥هـ، ١٩٨٥م.
- ٢١١- نظرات في أحكام الحرب والسلام. للدكتور محمد اللافي، مؤسسة إقرأ للنشر، ليبيا الطبعة الأولى: ١٩٨٩.
- ٢١٢- نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، لأحمد الريسوني، نشر وتوزيع: الدار العالمية للكتاب الإسلامي، الطبعة الثانية: ١٤١٢هـ، ١٩٩٢م.
- ٢١٣- النهاية في غريب الحديث والأثر، لمجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد الشيباني الجزري ابن الأثير (المتوفى: ٦٠٦هـ) تحقيق: طاهر أحمد الزاوي، ومحمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ/ ١٩٧٩م،
- ٢١٤- نواقض الإيمان القولية والعملية، للشيخ: عبد العزيز بن محمد العبد اللطيف، رسالة علمية تقدم بها المؤلف لنيل درجة (الدكتوراه) من قسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية وقد أجازت مع مرتبة الشرف الأولى، مدار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الثالثة. ١٤٢٧هـ..
- ٢١٥- نيل الأوطار، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني (المتوفى: ١٢٥٠هـ) تحقيق: عصام الدين الصبابطي، دار الحديث، مصر الطبعة الأولى: ١٤١٣هـ/ ١٩٩٣م.

[٥]

٢١٦- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، لمحمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)، تحقيق: محمد أحمد الحاج، دار القلم - دار الشامية، جدة - السعودية، الطبعة: الأولى، ١٤١٦هـ / ١٩٩٦م

٢١٧- هدية العارفين أسماء المؤلفين وآثار المصنفين، لإسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي (المتوفى: ١٣٩٩هـ) طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة في مطبعتها البهية استانبول ١٩٥١م، أعادت طبعه بالأوفست: دار إحياء التراث العربي بيروت - لبنان.

٢١٨- هذا الحبيب محمد رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يا محمد، لأبي بكر بن جابر الجزائري، دار الشروق للنشر والتوزيع، جدة، الطبعة الأولى: ١٤٠٩هـ ١٩٨٩م.

[٦]

٢١٩- الوافي بالوفيات، لصلاح الدين خليل بن أيبك بن عبد الله الصفدي (المتوفى: ٧٦٤هـ)، تحقيق: أحمد الأرنؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت، الطبعة: بدون، ١٤٢٠هـ / ٢٠٠٠م

٢٢٠- وسائل الدعوة إلى الله تعالى وأساليبها بين التوفيق والاجتهاد، دراسة تأصيلية، للدكتور: حسين محمد محمود عبد المطلب، دار الوطن للنشر، الرياض. الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢٢١- وسائل الدعوة إلى الله تعالى وأساليبها بين التوقيف والاجتهاد، دراسة تأصيلية. للدكتور: حسين محمد محمود عبد المطلب، دار الوطن للنشر، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤٢٤هـ / ٢٠٠٣م.

٢٢٢- وسطية أهل السنة والجماعة في الدعوة إلى الله، للدكتورة: مرفت بنت كامل بن عبد الله أسرة، (أصل الكتاب رسالة علمية تقدمت بها الباحثة لنيل درجة الدكتوراه في قسم الدعوة والإعلام بكلية الدعوة في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بتاريخ ١٧/٢/١٤٢٧ هـ) دار كنوز اشبيليا للنشر والتوزيع، الرياض، المملكة العربية السعودية، الطبعة الأولى: ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م.

[٥]

٢٢٣- يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر، لعبد الملك بن محمد بن إسماعيل أبو منصور الثعالبي (المتوفى: ٤٢٩ هـ)، تحقيق: الدكتور: مفيد محمد قمحية، دار الكتب العلمية - بيروت، لبنان، الطبعة: الأولى، ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣ م.

٢٢٤- يهود أسلموا في حياة النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - تأليف: علاء بكر، مركز بيت المقدس للدراسات التوثيقية، قبرص، الطبعة الأولى: ١٤٣١ هـ / ٢٠١٠ م.

٢٢٥- اليهود في السنة المطهرة، للدكتور عبد الله بن ناصر بن محمد الشقاري، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأولى: ١٤١٧ هـ / ١٩٩٦ م.

فهرس الموضوعات:

ج	المقدمة:	٣
١	الافتتاحية	١
٥	الدّراسات السابقة:	٥
٩	أهمّية الموضوع وأسباب اختياره	٩
١١	تساؤلات البحث	١١
١١	حدود البحث:	١١
١٢	خطّة البحث التّفصيليّة:	١٢
١٧	منهج البحث:	١٧
١٩	شكرٌ وتقديرٌ:	١٩
٢٢	التّمهيد: الصّح وأهمّيته في الدّعوة إلى الله تعالى	٢٢
٢٢	المبحث الأول: التّعريف بمفردات عنوان البحث (مقاصد - الدّعوة)	٢٢
٢٢	المطلب الأول: تعريف مقاصد الدّعوة إلى الله تعالى	٢٢
٢٧	المطلب الثّاني: تعريف الدّعوة لغة واصطلاحاً:	٢٧
٣٣	المبحث الثّاني: الصّح حقيقة ومشروعيتها وأنواعه:	٣٣
٣٣	المطلب الأول: حقيقة الصّح	٣٣
٣٦	الألفاظ ذات الصّلة بالصّح، أو مرادفات الصّح:	٣٦
٣٧	المطلب الثّاني: مشروعية الصّح:	٣٧
٤٤	شروط صحة المصالحات والمعاهدات:	٤٤
٤٧	المطلب الثّالث: أنواع الصّح	٤٧
٤٩	المبحث الثّالث: فضل الصّح وأهمّيته في توطيد دعائم الدّولة الإسلاميّة	٤٩
٤٩	المطلب الأوّل: فضل الصّح	٤٩
٥٢	المطلب الثّاني: أهمّية الصّح في توطيد دعائم الدّولة الإسلاميّة:	٥٢

- ٥٦ المبحث الرابع: معالم الصلح النبوي المقصودة بالدراسة.
- ٥٨ المطلب الأول: الأصل في العلاقة بالأمم السلم أم الحرب؟
- ٦٧ المطلب الثاني: مصالحت النبي ﷺ للمشركين.
- ٦٧ أولاً: معاهدته ﷺ مع المشركين حول المدينة.
- ٦٧ ثانياً: معاهدة النبي ﷺ مع بني ضمرة.
- ٦٩ ثالثاً: صلح الحديبية.
- ٨٠ المطلب الثالث: مصالحة النبي ﷺ ومعاهدته لليهود.
- ٨٠ أولاً: معاهدة النبي ﷺ وموادعته يهود المدينة.
- ٨٧ ثانياً: مصالحة النبي ﷺ يهود خيبر.
- ٨٩ ثالثاً: مصالحته ﷺ يهود فدك.
- ٨٩ رابعاً: مصالحته ﷺ يهود وادي القرى.
- ٩٠ خامساً: مصالحته ﷺ يهود تيماء.
- ٩٠ سادساً: مصالحته ﷺ يهود أيلة.
- ٩٢ سابعاً: مصالحته ﷺ يهود مقنا.
- ٩٤ المطلب الرابع: مصالحة النبي ﷺ للنصارى.
- ٩٥ أولاً: مصالحة النبي ﷺ نصارى نجران.
- ٩٧ ثانياً: مصالحة النبي ﷺ أهل جرباء وأذرح.
- ٩٨ ثالثاً: مصالحة نصارى دومة الجندل.
- ١٠٣ الفصل الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بموضوع الدعوة إلى الله في الصلح النبوي.
- ١٠٣ المبحث الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالعقيدة في الصلح النبوي.
- ١٠٤ المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالعقيدة في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين.
- ١٠٥ أولاً: الإقرار بتوحيد الربوبية لا يكفي الدخول في الإسلام، والربوبية مستلزم للألوهية.
- ١٠٧ ثانياً: التبرك بالنبي ﷺ.

- ثالثاً: محبة النبي ﷺ وتعظيمه وطاعته ووجوب اتباع سنته والانقياد والتسليم لأمره... ١١١
- رابعاً: الاستسقاء بالأنواء... ١١٤
- خامساً: حكم القيام على رأس كبير القوم وهو جالس... ١١٦
- سادساً: تأكيد الولاء لله ولرسوله وللمؤمنين والبراءة من المشركين... ١١٩
- سابعاً: الفأل، استحبابه ومغايرته للطيرة... ١٢٢
- ثامناً: دلائل نبوة محمد ﷺ ومعجزاته في ضوء مصالحته مع المشركين... ١٢٤
- المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بالعقيدة في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب... ١٢٦**
- أولاً: الدعوة إلى التوحيد... ١٢٦
- ثانياً: عدم إكراه الناس على الدخول في الإسلام... ١٣١
- ثالثاً: القيام للقادم... ١٣٧
- رابعاً: الانحناء والركوع للشخص... ١٤١
- خامساً: الولاء والبراء... ١٤٤
- سادساً: دلائل نبوة محمد ﷺ في ضوء مصالحته مع أهل الكتاب... ١٤٦
- المبحث الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بالشرعية في الصلح النبوي... ١٥٠**
- المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالشرعية في ضوء مصالحته ﷺ مع المشركين... ١٥٣**
- أولاً: الشورى مشروعيته ومكانتها... ١٥٣
- ثانياً: البيعة على الجهاد ماهيتها وحكمها... ١٥٩
- ثالثاً: الإحصار في الحج والعمرة... ١٦٥
- المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بالشرعية في ضوء مصالحته ﷺ مع أهل الكتاب... ١٦٨**
- أولاً: الجزية من أهل الكتاب وأحكامها... ١٦٨
- ثانياً: إباحة أكل ذبائح أهل الكتاب، وإجازة مناكحتهم وقبول هديتهم... ١٧٨
- المبحث الثالث: المقاصد الدعوية المتعلقة بالأخلاق في الصلح النبوي... ١٨٢**
- المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بالأخلاق في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين... ١٨٤**

- أولاً: الحلم. ١٨٤.....
- ثانياً: إيثار الحق ورد الباطل، ومحبة الخير للغير. ١٨٦.....
- المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بالأخلاق في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب. ١٩٠ .**
- أولاً: خلق التواضع. ١٩١.....
- ثانياً: خلق الرحمة والشفقة. ١٩٣.....
- المبحث الرابع: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في موضوع الدعوة إلى الله في العصر الحاضر. ١٩٧.....**
- المطلب الأول: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في موضوع الدعوة إلى الله في العصر الحاضر، في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين. ١٩٨.....**
- أولاً: مجال العقيدة: ١٩٨.....
- ثانياً: مجال الشريعة: ٢٠٢.....
- ثالثاً: مجال الأخلاق. ٢٠٤.....
- المطلب الثاني: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في موضوع الدعوة إلى الله في العصر الحاضر في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب. ٢٠٧.....**
- أولاً: مجال العقيدة. ٢٠٧.....
- ثانياً: مجال الشريعة: ٢٠٩.....
- ثالثاً: مجال الأخلاق: ٢١٢.....
- الفصل الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بالداعية في ضوء الصلح النبوي. ٢١٤.....**
- المبحث الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بصفات الداعية وأخلاقه في الصلح النبوي. ٢١٧.....**
- المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بصفات الداعية وأخلاقه، في ضوء صلحه مع المشركين. ٢١٧.....**
- أولاً: الإخلاص: ٢١٧.....
- ثانياً: الثقة بالله عز وجل وقوة الصلة به. ٢٢١.....
- ثالثاً: الفطنة والفراسة. ٢٢٣.....

- ٢٢٦ رابعاً: استشارة أهل الرأى والخبرة من أصحابه.....
- ٢٢٨ **المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بصفات الداعية وأخلاقه، في ضوء صلحه مع أهل الكتاب.**
- ٢٢٨ أولاً: العدل.....
- ٢٣١ ثانياً: الفصاحة والبلاغة.....
- ٢٣٣ ثالثاً: الحلم والصبر.....
- ٢٣٦ رابعاً: اختيار الشخص المناسب للأمور المهمة، وأن يكون من أشرف الناس.
- ٢٣٩ خامساً: اغتنام الفرص الملائمة للدعوة.....
- ٢٤٢ **المبحث الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق الداعية على المدعوين في الصلح النبوي.**
- المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق الداعية على المدعوين من خلال مصالحته ﷺ مع المشركين.....
- ٢٤٣ أولاً: م الاستجابة للداعية في غير معصية الله.....
- ٢٤٥ ثانياً: م إكرامه وتوقيره دون إفراط ولا تفريط.....
- ٢٤٥ **المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق الداعية على المدعوين من خلال مصالحته ﷺ مع أهل الكتاب.**
- ٢٤٧ أولاً: الاستجابة والانقياد له إذا دعاه إلى الحق.....
- ٢٥٠ ثانياً: إبراز ولائه للمؤمنين وبراءته من الكافرين.....
- ٢٥٣ ثالثاً: القيام بالدعوة والإرشاد بعد هدايته.....
- ٢٥٥ **المبحث الثالث: المقاصد الدعوية المتعلقة بواجبات الداعية نحو المدعوين في الصلح النبوي.**
- المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بواجبات الداعية نحو المدعوين في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين.....
- ٢٥٥ مشاوره الداعية مدعويه وتخييرهم فيما يخصهم.....
- المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بواجبات الداعية نحو المدعوين في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب.....
- ٢٥٧

- أولاً: زيارة المدعو وتفقد أحواله. ٢٥٧.....
- ثانياً: الاهتمام بجميع المدعويين. ٢٥٨.....
- ثالثاً: إبقاء المدعو في منصبه إن كان يستحقه لمصلحة الدعوة. ٢٥٩.....
- المبحث الرابع: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بالداعية إلى الله في العصر الحاضر. ٢٦١.....**
- المطلب الأول:** أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بالداعية إلى الله في العصر الحاضر، في ضوء مصالحته ﷺ مع المشركين. ٢٦٢.....
- أولاً: صفات الداعية. ٢٦٢.....
- ثانياً: حقوق الداعية على المدعويين. ٢٦٤.....
- ثالثاً: واجبات الداعية نحو المدعويين. (حقوق المدعو على الداعية). ٢٦٥.....
- المطلب الثاني:** أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بالداعية إلى الله في العصر الحاضر، في ضوء مصالحته ﷺ مع أهل الكتاب. ٢٦٧.....
- أولاً: صفات الداعية. ٢٦٧.....
- ثانياً: حقوق الداعية على المدعويين. ٢٦٩.....
- ثالثاً: واجبات الداعية نحو المدعويين. (حقوق المدعو على الداعية). ٢٦٩.....
- الفصل الثالث: المقاصد الدعوية المتعلقة بالمدعو في الصلح النبوي. ٢٧٢.....**
- المبحث الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بأصناف المدعويين في الصلح النبوي. ٢٧٤.....**
- المطلب الأول:** المقاصد الدعوية المتعلقة بأصناف المدعويين في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين. ٢٧٤.....
- أولاً: من أصناف المدعويين: الملاً من المشركين. ٢٧٤.....
- ثانياً: من أصناف المدعويين: عامة الناس (الجمهور). ٢٧٦.....
- ثالثاً: من أصناف المدعويين الخدم والعميد. ٢٧٧.....
- المطلب الثاني:** المقاصد الدعوية المتعلقة بأصناف المدعويين في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب. ٢٧٨.....
- أولاً: من أصناف المدعويين اليهود. ٢٧٨.....

- ٢٨٠..... ثانيا: من أصناف المدعويين: النَّصارى.
- ٢٨٢..... ثالثا: من أصناف المدعويين: الأُخبار والرُّهبان.
- ٢٨٤..... رابعا: من أصناف المدعويين: أصحاب السُّلطة.
- ٢٨٥..... خامسا: من أصناف المدعويين: ضعاف النَّاس وعامتهم.
- ٢٨٨..... **المبحث الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بدوافع استجابة المدعويين في الصُّلح النبوي**
- ٢٩٠..... **المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بدوافع استجابة المدعويين في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين.**
- ٢٩٠..... أولا: الدَّوافع الفطرية.....
- ٢٩٣..... ثانيا: من دوافع الاستجابة: الحمية ..
- ٢٩٧..... **المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بدوافع استجابة المدعويين في ضوء صلحه مع أهل الكتاب.**
- ٢٩٨..... أولا: علم الحق واتباعه.....
- ٣٠١..... ثانيا: الأخلاق العالية للداعية (حسن المعاملة).....
- ٣٠٤..... **المبحث الثالث: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق المدعويين في الصُّلح النبوي.**
- ٣٠٤..... **المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق المدعويين في ضوء مصالحته ﷺ مع المشركين.**
- ٣٠٤..... أولا: مراعاة أحواله وظروفه.....
- ٣٠٦..... ثانيا: مراعاة جوانب شخصية المدعو: (فهم الداعية للناس وتقديرهم).....
- ٣٠٨..... **المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بحقوق المدعويين في ضوء مصالحته ﷺ مع أهل الكتاب.**
- ٣٠٨..... أولا: عدم الإكراه على الإسلام.....
- ٣٠٨..... ثانيا: الذهاب إلى المدعو لدعوته.....
- ٣١٠..... ثالثا: احترام المدعو والتلطف معه والاهتمام به.....
- ٣١٣..... **المبحث الرابع: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصُّلح النبوي في ما يتعلق بالمدعو في العصر الحاضر.**
- ٣١٣..... **المطلب الأول: أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصُّلح النبوي في ما يتعلق بالمدعو في العصر الحاضر، في ضوء مصالحته ﷺ مع المشركين.**
- ٣١٥.....

- أولاً: أصناف المدعوين. ٣١٥.....
- ثانياً: دوافع استجابة المدعو. ٣١٦.....
- ثالثاً: حقوق المدعوين على الدّاعية. ٣١٦.....
- المطلب الثاني:** أوجه الإفادة من المقاصد الدعوية في الصّح النبوي في ما يتعلق بالمدعو في العصر الحاضر، في ضوء مصالحته ﷺ مع أهل الكتاب. ٣١٧.....
- أولاً: أصناف المدعوين: ٣١٧.....
- ثانياً: دوافع استجابة المدعو. ٣١٨.....
- ثالثاً: حقوق المدعوين على الدّاعية. ٣١٩.....
- الفصل الرابع: المقاصد الدعوية المتعلقة بالوسائل والأساليب في الصّح النبوي.** ٣٢١.....
- تعريف الوسيلة في اللّغة و الاصطلاح: ٣٢١.....
- التعريف بأساليب الدّعوة والفرق بينها وبين الوسائل. ٣٢٤.....
- الفرق بين الوسائل والأساليب. ٣٢٥.....
- المبحث الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بوسائل الدّعوة في الصّح النبوي.** ٣٢٧.....
- المطلب الأوّل:** المقاصد الدعوية المتعلقة بوسائل الدّعوة في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين. ٣٢٧.....
- أولاً: من وسائل الدّعوة: عقد الصّح والهدنة مع الأعداء عند الحاجة. ٣٢٧.....
- ثانياً: من وسائل الدّعوة: التنازل إلى مستوى الخصم مجارة له لما يحقق مصلحة الدّعوة. ٣٣١.....
- ثالثاً: من وسائل الدّعوة إلى الله الأخذ بالأسباب: ٣٣٤.....
- رابعاً: من وسائل الدّعوة إلى الله: القدوة الحسنة. ٣٣٧.....
- المطلب الثاني:** المقاصد الدعوية المتعلقة بوسائل الدّعوة في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب... ٣٣٩.....
- أولاً: من وسائل الدّعوة: أخذ الجزية من أهل الكتاب والمجوس. ٣٤٠.....
- ثانياً: من وسائل الدّعوة إلى الله: الجهاد في سبيل الله. ٣٤٢.....
- ثالثاً: من وسائل الدّعوة: تحقيق العدل والمساواة بين المدعوين. ٣٤٧.....
- رابعاً: من وسائل الدّعوة: الاتّصال الشخصي بالمدعو. ٣٥٢.....

- ٣٥٥..... خامسا: من وسائل الدعوة: استخدام القوة عند الحاجة
- ٣٥٦..... سادسا: من وسائل الدعوة: استمالة قلب من له شأن في قومه.
- ٣٥٨..... سابعا: من وسائل الدعوة: الكتابة والمكاتبه:
- ٣٦١..... **المبحث الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة في الصلح النبوي.**
- المطلب الأول: المقاصد الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة في الصلح النبوي في ضوء صلحه ﷺ مع المشركين..... ٣٦١
- ٣٦١..... أسلوب الحكمة والحنكة في دعوة المشركين.
- المطلب الثاني: المقاصد الدعوية المتعلقة بأساليب الدعوة في ضوء صلحه ﷺ مع أهل الكتاب. ٣٦٥
- أولا: أسلوب الحكمة في دعوة أهل الكتاب..... ٣٦٥
- ثانيا: أسلوب الحوار والمجادلة بالتي هي أحسن..... ٣٦٦
- ثالثا: أسلوب التأليف في دعوة أهل الكتاب..... ٣٧٢
- رابعا: من أساليب الدعوة: الترغيب والترهيب..... ٣٧٥
- خامسا: من أساليب الدعوة: التيسير والتسامح..... ٣٧٨
- المبحث الثالث: أوجه الإفاده من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بالوسائل الدعوية وأساليبها في العصر الحاضر..... ٣٨٢**
- المطلب الأول: أوجه الإفاده من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بالوسائل الدعوية وأساليبها في العصر الحاضر في ضوء مصالحته ﷺ مع المشركين..... ٣٨٢
- المطلب الثاني: أوجه الإفاده من المقاصد الدعوية في الصلح النبوي في ما يتعلق بالوسائل الدعوية وأساليبها في العصر الحاضر في ضوء مصالحته ﷺ مع أهل الكتاب..... ٣٨٥
- الخاتمة:..... ٣٨٨**
- أولا: خلاصة البحث:..... ٣٨٨
- ثانياً: نتائج البحث:..... ٣٨٩
- ثالثاً: التوصيات:..... ٣٩٢

٣٩٣.....	الفهارس:
٣٩٤.....	فهرس الآيات
٤٠٥.....	فهرس الأحاديث والآثار
٤١١.....	فهرس الأعلام المترجم لهم.....
٤١٥.....	فهرس الكلمات الغريبة.....
٤١٨.....	ثبت المصادر والمراجع
٤٤٩.....	فهرس الموضوعات.....

